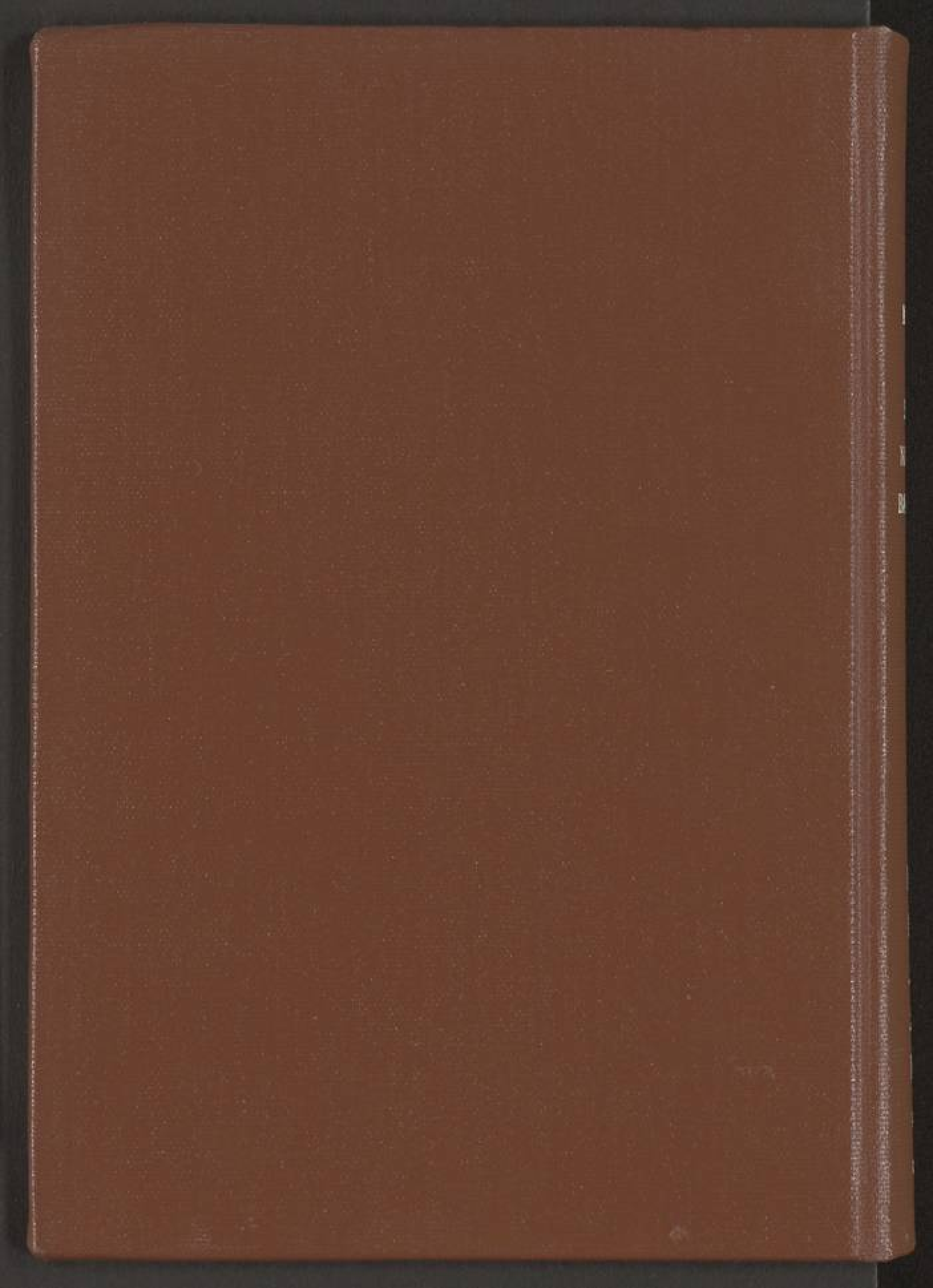
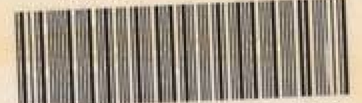







شرح نهج البلاغة
المقتبس من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الاول

الخطب (١)

استخراج وتنظيم
علي أنصاريان

تصحيح
مرتضى حاجعلي فرد

وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي
الدائرة العامة للنشر والاعلام



وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي
الدائرة العامة للنشر والإعلام

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الأول: الخطب (١)

استخراج و تنظيم: علي انصاريان

تصحيح: مرتضى حاجعلي فرد

الطبعة الاولى: جمادى الثاني ١٤٠٨ هـ.ق.
العدد: ٣٠٠٠ نسخة



فهرس العناوين

فهرس العناوين

المقدّمة

قبل أن نبدأ بالمقدّمة يجب أن نسلّم نفوسنا إلى بيانات الامام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ لإرواء النفوس المستعدّة من الحكمة الإلهيّة؛ ومن ثمّ نبدأ بالمقدّمة.

اَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللّهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللّهِ وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللّهِ، فَإِنَّ اللّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ـ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى.

وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللّهِ ـ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ. قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.[1]

*

وأمّا المقدّمة فتشتمل على مسائل وهي:

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٦.

١ ـ شروح نهج البلاغة:

مضت عشرة قرون لحدّ الآن على ظهور نهج البلاغة في عالم المعارف. ومنذ ميلاد هذا الكتاب العظيم ألّف كبار المفكّرين في العالمين الاسلامي وغيرالاسلامي كتباً كثيرة حوله. وقد ألّفت هذه الكتب كما يلي:

ـ الشروح الكاملة لنهج البلاغة في أبعاده المختلفة كالتاريخيّة والأدبيّة والفلسفيّة والكلاميّة والأخلاقيّة وغيرها.

ـ شروح الخطب والرسائل والحكم.

ـ الدراسات والتحقيقات الخاصّة بمصادر نهج البلاغة.

ـ الدفاع عن صحّة تأليف نهج البلاغة من قبل الشريف الرضي.

ـ تبويب نهج البلاغة.

ـ تأليف معجم مفهرس لنهج البلاغة.

ـ ترجمة نهج البلاغة إلى اللغات العالميّة الحيّة وغيرها من اللغات.[٢]

وقد نشر لحدّ الآن نحو خمسمائة كتاب حول نهج البلاغة في الدول الاسلاميّة. ولاشكّ في أنّ كتباً كثيرة أخرى سوف تنشر أيضاً.

إنّ الّذي يجب أن نشير إليه هو كتاب «شرح نهج البلاغة» للعلّامة المجلسي. ولعلّ هذا الاسم وهذا الموضوع غريبان وجديدان على المحقّقين. وذلك لأنّنا جميعاً نعرف أنّ العلّامة المجلسي لم يؤلّف كتاباً بهذا الاسم، على الرغم من أنّ

٢. ومن أجل الاطّلاع على الكتب المؤلّفة حول نهج البلاغة خصوصاً شروحه فراجع:

أ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف العلّامة الشيخ آقابزرگ الطهراني، ج ٤، ص ١٤٤ وج ٦، ص ٢٢٨ و ج ٧، ص ١٨٧ وج ١٤، ص ١١١-١٦١ وج ٢٤، ص ٤١٢.

ب ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، تأليف العلّامة عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، ج ٤، ص ١٨٦-١٩٨.

ج ـ أعيان الشيعة للامام السيّد محسن الأمين، تحقيق وإخراج حسن الأمين، المجلّد الأوّل، ص ٥٤٤-٥٤٥، دارالتعارف ـ بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

د ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده، تأليف السيّد عبدالزهراء الحسيني الخطيب، ج ١، ص ٢٠٢-٢٧٣، ط بيروت.

هـ ـ شروح نهج البلاغة (٢١٠ شروح)، للشيخ حسين جمعة العاملي، مطبعة الفكر ـ بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

و ـ كتاب نهج البلاغة، تأليف السيّد رضا الاستادي، طباعة مؤسّسة نهج البلاغة، طهران ـ ايران.

ز ـ تحقيق حول نهج البلاغة، تأليف السيّد محمّد الجعفري، طباعة منشورات قلم، طهران ـ ايران.

المرحوم العلّامة المجلسي قد ترجم بعض الخطب والرسائل من نهج البلاغة، لكنّه لم يكتب أيّ شرح لنهج البلاغة مختصراً كان أم مطوّلاً بصورة مستقلّة. غير أنّ الّذي يعرض الآن أمام المحقّقين والمفكّرين ليس سوى تحقيق موسّع في كتاب «بحار الأنوار» واستخراج لشروح مبعثرة كتبها العلّامة المجلسي ، وقد رتّبت على غرار نهج البلاغة.

وقبل أن نبدأ، لابدّ أن نعرّف كتاب «بحار الأنوار» تعريفاً مختصراً لنتمكّن من تبيان ما نقصده من «شرح نهج البلاغة» للعلّامة المجلسي وكيف ظهر هذا الشرح على مسرح الفكر الاسلامي. وبعد تعريف «بحار الأنوار» لابدّ أن نبحث باختصار شديد في طريقة تدوين «بحار الأنوار» ومن ثمّ نستنتج ميلاد «شرح نهج البلاغة» للعلّامة المجلسي.

٢ ـ تعريف مختصر ببحار الأنوار

إنّ «بحار الأنوار» من حيث الكيفيّة والكمّيّة، أي من حيث احتوائه على أعظم النصوص الاسلاميّة وأنفسها في الأبعاد المختلفة، من أصغر التعليمات إلى أعظم القوانين، وهكذا من حيث احتوائه على أكثر الأحاديث الشريفة وأقوال قادة الاسلام، فهو أعظم جامع للأحاديث الشريفة طبع لحدّ الآن عند الفرق الاسلاميّة. وإنّ شرح هذه المطالب يحتاج إلى كتاب مفصّل، ولايخفى هذا على كلّ محقّق مطلع على كتب الحديث عند الفرق الاسلاميّة.

وهذه نظرة مختصرة في «بحار الأنوار» لنتعرّف على مسائل وهي:

أ. مصادر بحار الأنوار

يحتوي «بحار الأنوار» على خمسمائة واثنين وثلاثين مصدراً من مصادر الدرجة الأولى في المعارف الاسلاميّة العظيمة. وأكثر هذه المصادر لا توجد اليوم بصورة مستقلّة بين أيدي المسلمين، بل يمكن العثور عليها في سطور «بحار الأنوار» فقط.

ولمّا كان كتاب «بحار الأنوار» سفراً يضمّ شتّى العلوم الاسلاميّة، فقد اختيرت مصادره بحيث إنّه استفيد من كلّ منها في موضعه المناسب.

وتقسّم هذه المصادر عموماً إلى قسمين:

١) المصادر الكثيرة المراجعة

٢) المصادر القليلة المراجعة

إنّ القسم الأوّل هي الكتب الّتي اعتمدها العلّامة المجلسي في تأليف «بحار الأنوار» بصورة واسعة؛ والسبب في ذلك ظاهر جداً، فأكثر هذه الكتب يحتوي على مواضيع إسلاميّة جامعة. وعلى هذا فإنّ العلّامة المجلسي قد استفاد منها في جميع المواضيع الاسلاميّة، وهي من أهمّ مصادره، وعددها أربعة وثمانون كتاباً. وقد اختار العلّامة المجلسي حرفاً يرمز إلى كلّ واحد من هذه الكتب ويشير العلّامة إلى ذلك الحرف قبل نقل المادّة من ذلك الكتاب. وإنّ فهرس هذه الكتب الأربعة والثمانين قد طبع في آخر كلّ مجلّد من مجلّدات «بحار الأنوار».

والقسم الثاني المصادر القليلة المراجعة الّتي قد استفيد منها بأقلّ من الأولى، وذلك لأنّها كتب تبحث في مواضيع محدّدة أو في موضوع واحد. لذلك فإنّ العلّامة المجلسي يشير إلى اسم الكتاب الكامل قبل أن ينقل منه مايريد نقله.

وقد وردت أسماء هذه الكتب وهي خمسمائة واثنان وثلاثون كتاباً في المجلّد الأوّل من «بحار الأنوار» في المقدّمة.

وهنا لابدّ من القول بأنّ «نهج البلاغة» كان من بين المصادر الكثيرة المراجعة الّتي نقل عنها العلّامة المجلسي، أي أنّه من بين الأربعة والثمانين مصدراً الّتي اعتمدها العلّامة المجلسي اعتماداً واسعاً في أكثر أبواب «بحار الأنوار» وفي نقل الأحاديث عنه.

والموضوع التالي والّذي يجب أن نبيّنه هو كيفيّة تأليف «بحار الأنوار».

ب. كيفيّة تأليف «بحار الأنوار»

ونكرّر القول هنا أيضاً من أنّ بيان كيفيّة تأليف «بحار الأنوار» يحتاج إلى كتاب مستقلّ. ولكن من أجل توضيح الموضوع الأصلي، أي كيفيّة تحقّق وجود شرح نهج البلاغة للعلّامة المجلسي، نرى لزوم التعرّض لهذا الموضوع باختصار.

١) قسّم العلّامة المجلسي بحار الأنوار إلى مواضيع رئيسيّة، عددها تسعة من جهة وخمسة وأربعون موضوعاً إسلامياً من جهة أخرى.

٢) يتألّف كلّ موضوع من فصول، وكلّ فصل ينقسم إلى أبواب. ومجموع أبواب «بحار الأنوار» ألفان وثمانمائة وثمانية وأربعون باباً.

٣) يأتي العلّامة المجلسي بآيات من القرآن الكريم بابتكار جديد يرتبط بموضوع ذلك الباب، أو يحتوي على ذلك الموضوع، وذلك قبل أن يشرح المطالب بترتيب سور القرآن المجيد.

٤) إنّ العلّامة المجلسي يفسّر أكثر الآيات المرتبطة بموضوع كلّ باب.[٣]

٥) ومن ثمّ ينقل العلّامة المجلسي الروايات المرتبطة بذلك الباب بعد ذكر الآيات وتفسيرها.

٦) و إذا كانت الرواية المنقولة بحاجة إلى توضيح لغوي أو شرح، أو كانت تحتوي على مواضيع مبهمة، فإنّه يتناولها بالدرس والتمحيص.

٧) في آخر كلّ فصل أو باب مباحث مفصّلة مرتبطة بموضوع أو عدّة مواضيع. وفي نظري يمكن اعتبار هذه المباحث مجموعة تفاسير للآيات والروايات وشروحها وأقوال علماء المسلمين فيها.

وفي الحقيقة إنّ مايكشف عن نبوغ العلّامة المجلسي هو هذا الفيض من المعرفة في آخر كلّ فصل وباب.

والآن بعد هاتين المقدّمتين في التعرّف على «بحار الأنوار» ومصادره وأسلوب تأليفه، يجب أن نضيف أنّه لمّا كانت نصوص «نهج البلاغة» من أصعب النصوص الروائيّة والأدبيّة في عالم الاسلام، فسنجد للعلّامة المجلسي شروحاً كثيرة لها.

وإنّي خلال مطالعاتي المتكرّرة لبحار الأنوار توصّلنا إلى تلك النصوص وعملت على استخراجها جميعاً، وبعد التدقيق والتحقيق، ظهر لي أمران:

أحدهما أنّ العلّامة المجلسي قد استفاد من «نهج البلاغة» بصورة موسّعة في أكثر مواضيع «بحار الأنوار» وفصوله وأبوابه.

ثانيهما أنّه قد كتب شرحاً لأكثر الأحاديث المستقاة من «نهج البلاغة».

وبناء عليه، فإنّ المرحلة الأولى من العمل هي استخراج جميع النصوص الّتي شرحها العلّامة المجلسي من «نهج البلاغة». وهذا ما تمّ إنجازه فعلاً.

والجدير بالذكر هنا هو أنّ «بحار الأنوار» في طبعته الجديدة يقع في مائة وعشرة أجزاء ولكنّ المؤلّف كان قد نظّمها في الأصل في خمسة وعشرين مجلّداً ضخماً.

وللكتاب في ايران طبعتان: الأولى معروفة بطبعة «أمين الضرب» المشهورة

٣. إنّ الأبواب الّتي ذكرت في أوّلها آيات من القرآن الكريم تبلغ نحو ثمانمائة باب. وإنّي قد جمعتها كلّها بصورة ممتعة تحت عنوان «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» وقد أعددتها للطبع في عشرين مجلّداً. وإذا ما طبع هذا التفسير فسيكون أوّل تفسير موضوعي وأكمله.

باسم «بحار طبع كمپانى» والأخرى طبعة تبريز.

وممّا يجدر أن نعرفه هو أنّ المجلّد الثامن من الطبعة القديمة والمجلّدات من التاسع والعشرين حتّى الخامس والثلاثين من الطبعة الجديدة ذات المائة والعشرة مجلّدات لم تنشر لحدّ الآن.

وللتعريف بالمجلّد الثامن من «بحار الأنوار» والمعنون بـ«الفتن والمحن» نقول: إنّه يتناول العالم الاسلامي بعد وفاة الرسول الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتّى استشهاد أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

ومنهم من يقول: إنّه تاريخ حياة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

وقد احتوى كتاب «الفتن والمحن» على قسمين:

١) من خلافة الخليفة الأوّل أبي بكر حتّى مقتل عثمان.

٢) من البيعة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ حتّى استشهاده.

ولذا فإنّ المجلّد الثامن وثيق الصلة بـ«نهج البلاغة» وقد استُند إليه بصورة موسّعة جداً. وقد استغرق استخراج المواضيع المطلوبة زمناً طويلاً بلغ نحو ثلاث سنوات.

★

ثمّ إنّ «بحار الأنوار»، كما نعلم، قد رتّب بحسب الموضوعات الاسلاميّة، بينما رتّب «نهج البلاغة» بحسب الخطب والرسائل والكلمات القصار (الحكم). وهذا يعني أنّ الخطبة أو الرسالة قد قسّمت إلى عشرات المقاطع وأدرجت في عشرات المجلّدات من «بحار الأنوار».

وفي هذه المرحلة كان أمامي طريقان: أحدهما تدوين شروح العلّامة المجلسي لنهج البلاغة جسما جاءت في «بحار الأنوار» وكان هذا سهلاً جداً. والثاني تنظيمها على غرار «نهج البلاغة» ووفق شروحه المعروفة. بيد أنّ اتّباع الطريقة الأولى يجعل العمل ناقصاً نسبيّاً لأنّ المواضيع المشروحة لها موضع في «بحار الأنوار» ولكنّها لا تكون كذلك خارج «بحار الأنوار». لذلك تركتها من حيث الأساس.

والطريقة الثانية وهي تنظيم الشروح على غرار تنظيم «نهج البلاغة». وعلى الرغم من صعوبة ذلك فقد قررت اتّباعه. وهكذا كان هذا الكتاب وباضافة بيان موضع كلّ شرح في مجلّدات «بحار الأنوار».

★

لمّا كان العلّامة المجلسي قد استفاد من شروح وكتب مختلفة في شرحه، فقد أشرنا إلى تلك المصادر في أحدث طبعاتها قدر الامكان.

وهنا يجب أن نذكر أنّ هذا قد تمّ تطبيقه إلى حدّ ما في طبعات «بحار الأنوار» الجديدة وقد أتينا ببعضها في هذا الكتاب مع تغييرات واصلاحات.

أسلوب العلّامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في شرح نهج البلاغة:

إنّ المرحوم العلّامة المجلسي بعد أن ينقل قطعة من «نهج البلاغة» في موضوع أو فصل يرتبط بها، يأخذ في شرحها إمّا بصورة مختصرة أو موسّعة.

إنّه في هذه الشروح وفي شرح الكلمات الغامضة أو في بيان المطالب أحياناً يأتي ببراهين وأدلّة لاثباتها من كتب الحديث الأخرى.

ويعتمد العلّامة المجلسي في شرح الألفاظ على أهمّ كتب اللغة العربيّة بصورة موسّعة، مثل كتاب الصحاح للجوهري أو قاموس اللغة للفيروزآبادي أو تاج العروس للزبيدي؛ كما يستفيد أحياناً من الشروح المهمّة لـ«نهج البلاغة».

وبالاضافة إلى الاستفادة من كتب اللغة فإنّه اعتمد على كتب متعدّدة أخرى، ولكنّه استفاد بصورة أوسع من أربعة شروح لـ«نهج البلاغة» سنذكر أسماءها فيا بعد. وهذا لايعني أنّ شرح العلّامة المجلسي لـ«نهج البلاغة» تكرار للشروح المعروفة، فهذا كلام الّذين ينظرون بصورة سطحيّة وتعوزهم النظرة العميقة للشروح الّتي أوردها العلّامة المجلسي وفيها ما لم يقرؤوا مثلها ولم يسمعوا بها؛ فهو يحلّل وينقد في كثير من الموارد أقوال شارحي «نهج البلاغة» المعروفين، وفي خلال الردّ عليهم يعلن رأيه الّذي يراه حقّاً.

وأمّا الشروح الأربعة الّتي اعتمدها العلّامة المجلسي أكثر من غيرها فهي:

١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني.[٤]

٢) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي.[٥]

٣) شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي.[٦]

٤) شرح نهج البلاغة للعلّامة الكيدري.[٧]

هذا وإنّ الشرحين الأوّل والثاني قد تكرّر طبعها في الدول الاسلاميّة. وقد

٤. اعتمده من الوجهة الكلاميّة والفلسفيّة والأخلاقيّة.

٥. اعتمده من الوجهة التاريخيّة والأدبيّة.

٦ و ٧. اعتمدهما بصور متنوّعة.

سعيت إلى بيان كلّ الموارد الّتي استفاد منها العلّامة المجلسي من هذين الشرحين.

ولكنّ الشرحين الأخيرين قد طبعا لأوّل مرّة في الهند بواسطة أحد الفضلاء الايرانيّين عام ١٤٠٥هـ. ولكنّهما، مع الأسف، وصلا والكتاب في المطبعة؛ فلم يحصل مجال للاشارة إلى الموارد الّتي استفاد منها العلّامة المجلسي من هذين الشرحين.

وممّا تجدر الاشارة إليه أنّ شرح العلّامة المجلسي لـ«نهج البلاغة»، كأكثر الشروح، يبدأ بالخطب ثمّ الرسائل ثمّ الحكم. وعليه فالعثور على النصوص سهل جداً.

وأخيراً تجب الاشارة إلى نقطة مهمّة جداً وهي أنّ العلّامة المجلسي قد عرض وجهات نظر جديدة في شرح «نهج البلاغة» قلّما نجدها في شرح آخر. وهذا يتطلّب مقالاً خاصاً وفرصة أخرى، إذ الآن لامجال للبحث في هذا الموضوع؛ ولكن نذكر نموذجاً لوجهة نظر العلّامة المجلسي في «ولاية الفقيه» ومسألة حكومة علماء الاسلام في زمن غيبة وليّ العصر عجّل الله ـ تعالى ـ فرجه الشريف. فيقول أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في الخطبة الثالثة من «نهج البلاغة» المعروفة بالشقشقيّة:

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ![8]

ويقول العلّامة المجلسي في شرحه:

و«العلماء» إمّا الأئمّة ـ عليهم السلام ـ أو الأعمّ.

فيدلّ هذا على وجوب الحكم بين الناس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط.[9]

★

٨. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.

٩. بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٦٠. وأيضاً في هذا الكتاب، ج ١، ص ٦٠.

والجدير بالذكر هنا أنّ في كتابنا هذا قسمين من الأرقام: أحدها يرتبط بنفس الخطب والرسائل والحكم، والثاني يتعلّق بشرحها. فالقسم الأوّل منها توجد في متن الخطب والرسائل والحكم، كلّ منها بين الهلالين، وتأتي توضيحاتها في آخر كلّ مجلّد تحت عنوان «فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة». والقسم الثاني من الأرقام الّتي تتعلّق بالشروح، يأتي توضيح كلّ منها في هوامش نفس الصفحة.

ثمّ إنّه يجب أن نذكر نقطة مهمّة قبل إنهاء المقدّمة وهي أنّ نصوص نهج البلاغة (الخطب والرسائل والحكم) كلّها قد أخذت من طبعة صبحي الصالح وأسباب هذا الاختيار هي الأمور التالية:

١) قلّة أخطاء هذه الطبعة بالنسبة إلى الطبعات الأخرى.

٢) جمال الحروف والتنظيم الفنّي فيها بصورة جيّدة.

٣) تجنّب حدوث أخطاء ولو قليلة فيما لو طبعنا النصوص طباعة جديدة. ثمّ إنّ الطباعة الجديدة تتطلّب وقتاً وجهداً كبيرين.

ثمّ لابدّ لنا أن نذكر بأنّ النصوص الّتي أوردها العلّامة المجلسي كانت من نسخة من نسخ نهج البلاغة وبينها وبين نصوص طبعة صبحي الصالح بعض الاختلاف، ولو أردنا ذكر تلك الاختلافات لتطلّب ذلك سنين طويلة. وعليه نرجو من الله التوفيق للقيام بهذا العمل في وقت مناسب آخر.

★

وختاماً، نضمّ أصواتنا إلى صوت إمام العارفين أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في إحدى خطبه المعروفة الّتي ألقاها من علُ منبر مسجد الكوفة في الثناء على الله وحمده بقوله:

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلْآدَمِيِّينَ وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ

بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهٰذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ . وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ ؛ فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!».[۱۰]

فنسأل الله الواحد الأحد أن يوفّق البشريّة جمعاء، وخصوصاً المسلمين منهم، للاطّلاع على المعارف الالهيّة ولنشر الثورة الاسلاميّة في العالم كلّه تمهيداً لظهور بقيّة الله الأعظم الحجّة ابن الحسن العسكري، روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

۱۰. نهج البلاغة، الخطبة رقم ۹۱.


خطب
أمير المؤمنين
عليه السلام

باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام واوامره

ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة

١ — ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها ابتداءَ خلق السماءِ والأرض، وخلق آدم، وفيها ذكر الحج

وتحتوي على حمد الله، وخلق العالم، وخلق الملائكة، واختيار الأنبياء، ومبعث النبي، والقرآن، والأحكام الشرعية

الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ ٱلْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ[1] ٱلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ[2] بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ[3] أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ : فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ « فِيمَ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ ؟ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ[٤] ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ[٥] ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ .

خلق العالم

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[٦] ، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا ، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا ، وَلَا هَمَامَةِ[٧] نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا . أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَاءَمَ[٨] بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَّزَ[٩] غَرَائِزَهَا ، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا ، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا[١٠] .

بيان: الفقرة الأولى إقرار بالعجز عن الحمد باللسان كما أنّ الثانية اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان، والثالثة عن العمل بالأركان. و«الهمّة» القصد و الإرادة و «بُعدها» علوّها و تعلّقها بالأمور العالية، أي لا تدركه الهمم العالية المتعرّضة لصعاب الأمور الطائرة إلى إدراك عوالي الأمور. و«الفطن» بكسر الفاء و فتح الطاء- جمع «فطنة» بالكسر-، الحذق وجودة استعداد الذهن لتصور مايرد عليه، أي لايصل إلى كنه حقيقته الفطن الغائصة في بحار الأفكار.

قوله- عليه السلام- «الّذي ليس لصفته» أي لايدخل في صفاته الحقيقيّة حدّ محدود من الحدود و النهايات الجسمانيّة؛ و يحتمل أن يكون الصفة بمعنى التوصيف أي لايمكن توصيفه بحدّ. ووصف الحدّ بالمحدود إمّا لأنّ كلّ حدّ من الحدود الجسمانيّة فله حدّ أيضاً كالسطح ينتهي إلى الخطوط مثلاً؛ أو على المبالغة كقولهم: شعر شاعر. ويمكن أن يقرأ على الإضافة وإن كان خلاف ماهو المضبوط؛ ويمكن أن يكون المعنى: أنّه ليس لتوصيفه- تعالى- بصفات كماله حدّ ينتهى إليه بل محامده أكثر من أن تحصى.[1] ولايوصف أيضاً بنعت موجود أي بالصفات الزائدة ردّاً على الأشعريّ؛ وإنّما قيّد بقوله «موجود» إذ لاضير في توصيفه بالصفات الاعتباريّة و الإضافيّة، و يحتمل أن يكون المراد نعت موجود في المخلوقين؛ أو يكون الموجود من الوجدان أي نعت يحيط به العقل. و احتمال الإضافة فيها و في قرينتيها باق مع بعده. ولايمكن وصفه أيضاً بالوقت و الأجل، و الفرق بينهما باعتبار الابتداء والانتهاء أي ليس له وقت معدود من جهة الأزل ولا أجل مؤجّل ممدود من جهة الأبد.

وقال ابن أبي الحديد: يعني بصفته ههنا كنهه و حقيقته، يقول: ليس لكنهه حدّ

١- أو كان المعنى- كما حكي عن أبي الحسن الكيدري- بأن يؤوّل حد محدود على مايؤوّل به كلام العرب: «ولايرى الضبّ بها ينحجر» أي ليس بها ضبّ فينحجر، حتّى يكون المراد أنّه ليس له صفة فتحدّ، إذهو- تعالى- واحد من كلّ وجه، منزّه عن الكثرة بوجه ما، فيمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات، وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء، إنّما هي نسب واضافات لايوجب وصفه بها كثرة في ذاته، قال: وممّا يؤكّد هذا التأويل قوله بعد ذلك «فمن وصف الله- سبحانه- فقد قرنه».

فيعرف بذلك الحدّ قياساً على الأشياء المحدودة لأنّه ليس بمركّب و كلّ محدود مركّب. ثمّ قال: «ولانعت موجود» أي لايدرك بالرسم كما يدرك الأشياء برسومها وهو أن يعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها. ثمّ قال: «ولاوقت معدود ولاأجل ممدود»؛ وفيه إشارة إلى الردّ على من قال: إنّا نعلم كنه الباري— تعالى— لا في هذه الدنيا بل في الآخرة.

وقال ابن ميثم: المراد أنّه ليس لمطلق مايعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّة و الإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً وصف موجود يجمعه فيكون نعتاً له و منحصراً فيه. ثمّ قال: ليس لصفته حدّ أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلّقاتها كالعلم بالنسبة إلى المعلومات، والقدرة إلى المقدورات. انتهى. ولايخفى بعد تلك الوجوه.

و «الفطر» الابتداع؛ و«الخلائق» جمع خليقة بمعنى المخلوق أو الطبيعة، والأوّل أظهر. «ونشر الرياح»[٢] أي بسطها برحمته أي بسبب المطر أو الأعمّ، و يؤيّد الأوّل قوله— تعالى—: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»[٣]. «ووتّد بالصخور» يقال: «وتّد» أي ضرب الوتد في حائط أو غيره، و«الصخور» الحجارة العظام. و «الميدان» بالتحريك، الحركة بتمائل وهوالاسم من «ماديميد ميداً»، و هو من إضافه الصفة إلى موصوفها والتقدير: «وتّد بالصخور أرضه المائدة»؛ و إنّما أسند إلى الصفة لأنّها العلّة في إيجاد الجبال كما قال— تعالى—: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»[٤] وقال: «وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً»[٥]

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في أنّه لِمَ صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال:

٢– قال ابن ميثم: إنّ نشر الرياح وبسطها لما كان سبباً عظيماً من أسباب بقاء أنواع الحيوان والنبات واستعدادات الأمزجة للصحّة والنموّ وغيرها حتّى قال كثير من الأطبّاء: إنّها تستحيل روحاً حيوانيّاً، وكانت عناية الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كلّ موجود لاجرم كان نشرها برحمته؛ ومن أظهر آثار الرحمة الالهيّة بنشر الرياح حملها للسحاب المقرع بالماء و إثارتها له على وفق الحكمة لتصيب الأرض الميتة فينبت بها الزرع ويملأ الضرع.

٣– الأعراف: ٥٧. ٤– النحل: ١٤. ٥– النبأ: ٧.

الأوّل: أنّ السفينة إذا اُلقيت على وجه الماء فإنّها تميل فإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرّت، ولعلّ غرضهم أنّ الأرض إذا لم توتّد بالجبال لأمكن أن تتحرّك بتموّج الهواء و نحوه حركة قسريّة.

الثاني: ماذكره الفخر الرازيّ حيث قال: قدثبت أنّ الأرض كرة و أنّ هذه الجبال بمنزلة خشونات و تضريسات[٦] على وجه الكرة فلو فرضنا أنّ الأرض كانت كرة حقيقة لتحرّكت بالاستدارة بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحرّكاً على نفسه بأدنى سبب و إن لم تجب حركته بنفسه عقلاً؛ أمّا إذا حصل على سطحها هذه الجبال فكلّ واحد إنّما يتوجّه بطبعه إلى المركز فيكون بمنزلة الأوتاد؛ ولايخفى مافيه من التشويش و الفساد.

الثالث: مايخطر بالبال وهو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها و اتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها و تفرّقها فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركّبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض و عدم تفرّقها، و هذا معلوم ظاهرٌ لمن حفر الإبار في الأرض فإنّها تنتهي عندالمبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة.

الرابع: ما أوّل بعضهم الآية به و هو أنّ المراد بالأوتاد الأنبياء و العلماء و بالأرض الدنيا فإنّهم سبب استقرار الدنيا؛ ولايخفى أنّه لو استقام هذا الوجه في الآية لايجري في كلامه ــ عليه السلام ــ إلّا بتكلّف لايرتضيه عاقل.

الخامس: أن يقال: المراد بالأرض قطعاتها و بقاعها لامجموع كرة الأرض و يكون الجبال أوتاداً لها أنّها حافظة لها عن الميدان و الاضطراب بالزلزلة ونحوها، إمّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله ــ تعالى ــ أو لغير ذلك من الأسباب الّتي يعلمها مبدعها و منشئها؛ و يؤيّده ماسيأتي من خبر ذي القرنين، و سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب السماء و العالم.

٦- «التضاريس الأرض» ما برز عليها كالأضراس.

قوله – عليه السلام – «وكمال معرفته التصديق به» الفرق بينها إمّا بحمل المعرفة على الإذعان بثبوت صانع في الجملة، والتصديق على الإذعان بكونه واجب الوجود أو مع سائر الصفات الكماليّة أو بحمل الأوّل على المعرفة الفطريّة والثاني على الإذعان الحاصل بالدليل، أوالأوّل على المعرفة الناقصة والثاني على التامّة الّتي وصلت حدّ اليقين. وإنّما قال – عليه السلام – «وكمال التصديق به توحيده» لأنّ من لم يوحّده و أثبت له شريكاً فقد حكم بما يستلزم إمكانه فلم يصدّق به بل بممكن غيره.[7] «فمن وصف الله –أي بالصفات الزائدة– فقد قرنه» أي جعل له شيئاً يقارنه دائماً. و من حكم بذلك فقدثنّاه أي حكم باثنينيّة الواجب إذ القديم لايكون ممكناً، و من حكم بذلك فقد حكم بأنّه ذو أجزاء لتركّبه ممّا به الاشتراك وما به الامتياز؛ أولأنّ

٧– قوله «وكمال توحيده الإخلاص له» أي وكمال توحيده جعله مختاراً خالصاً من الدنس وتنزيهه عن شوائب العجز والنقص وتقديسه عمّا يلحق الممكنات ويعرضها من التجسّم والتركّب وغيرهما من الصفات السلبيّة. وأمّا قوله «وكمال الإخلاص له نفي الصفات له» يحتمل أن يكون المراد به نفي المعاني والأحوال.

قال ابن ميثم: «وكمال توحيده الإخلاص له» ففيها إشارة إلى أنّ التوحيد المطلق للعارف إنّما يتمّ بالإخلاص له وهو الزهد الحقيقي الّذي هو عبارة عن تنحية كلّ ماسوى الحقّ الأوّل عن سنن الإيثار؛ وبيان ذلك أنّه ثبت في علم السلوك أنّ العارف مادام يلتفت مع ملاحظة جلال الله وعظمته إلى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول، جاعل مع الله غيراً، حتّى أن أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركاً خفيّاً، كما قال بعضهم:

من كان في قلبه مثقال خردلة ‏ ‏ ‏ سوى جلالك فاعلم أنّه مرض

أقول: ماقلناه أظهر وأنسب وسياق الكلام يشهد بذلك. وقال في شرح قوله «نفي الصفات عنه» بعد احتماله ماذكرنا: قلت: قد تقرّر في مباحث القوم بيان أنّ كلّ مايوصف به [الله]– تعالى– من الصفات الحقيقيّة والسلبيّة والإضافيّة اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته– سبحانه– إلى غيرها، ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة، فيكون وصفه– تعالى– بها أمراً معلوماً من الدين ليعمّ التوحيد والتنزيه كلّ طبقة من الناس، ولمّا كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص الّذي ذكره [عليّ]– عليه السلام– أقصى ما تنتهي إليه القوى البشريّة عند غرقها في أنوار كبرياءالله، وهو أن تعتبره فقط من غيرملاحظة شيء آخر؛ وكان اثباته– عليه السلام– الصفة في موضع آخر وصفه في الكتاب العزيز وسنن النبوية إشارة إلى الاعتبارات الّتي ذكرناها، إذكان من هو دون درجة الإخلاص يمكن أن يعرف الله– سبحانه– بدونها. انتهى. وقال صدرالمتألّهين في شرح قوله– عليه السلام–: ذلك أراد به نفي الصفات الّتي وجودها غير وجود الذات وإلّا فذاته بذاته مصدق لجميع النعوت الكماليّة والأوصاف الإلهيّة من دون قيام أمر زائد بذاته– تعالى– فرض أنّه صفة كماليّة له؛ فعلمه وقدرته و إرادته وحياته وسمعه وبصره كلّها موجودة بوجود ذاته الأحديّة، مع أنّ مفهوماتها متغايرة ومعانيها متخالفة؛ فإنّ كمال الحقيقة الوجوديّة في جامعيّتها للمعاني الكثيرة الكماليّة مع وحدة الوجود.

التوصيف بالأوصاف الزائدة الموجودة المتغايرة لايكون إلّا بسبب الأجزاء المتغايرة المختلفة؛ أو لأنّ إله العالم و مبدعه إمّا أن يكون ذاته— تعالى— فقط مع قطع النظر عن هذه الصفات أو ذاته معها، و الأوّل باطل لأنّ الذات الخالية عنها لا تصلح للإلهيّة، و كذا الثاني لأنّ واجب الوجود إذاً يصير عبارة عن كثرة مجتمعة من أمور موجودة فكان مركّباً فكان ممكناً.

قوله— عليه السلام— «ومن أشار إليه» أي بالإشارة الحسّيّة فقد حدّه بالحدود الجسمانيّة أو بالإشارة العقليّة فقد حدّه بالحدود العقلانيّة. «ومن حدّه فقد عدّه» أي جعله ذا عدد و أجزاء، وقيل: «عدّه من الممكنات» و لايخفى بعده.

قوله— عليه السلام— «ولايستوحش» كأنّ كلمة «لا» تأكيد للنفي السابق، أي ولاسكن يستوحش لفقده[8] أوزائدة كما في قوله-تعالى-: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ»[9].
ويحتمل كون الجملة حاليّة.

قوله— عليه السلام— «وألزمها أشباحها» الضمير المنصوب في قوله «ألزمها» إمّا راجع إلى الغرائز أو إلى الأشياء، فعلى الأوّل المراد بالأشباح الأشخاص أي جعل الغرائز و الطبائع لازمة لها، وعلى الثاني فالمراد بها إمّا الأشخاص أي ألزم الأشياء بعد كونها كلّيّة أشخاصها؛ أو الأرواح إذ يطلق على عالمها في الأخبار عالم الأشباح؛ وفي بعض النسخ «أسناخها» أي أصولها. قوله— عليه السلام— «بقرائنها» أي بما يقترن بها. و«الأحناء» جمع حنو و هو الجانب و الناحية.[10]

ج: في خطبة أخرى له— عليه السلام— «**أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جلّ أن تحلّه الصفات لشهادة العقول**

٨– أراد [عليّ] عليه السلام أنّه – تعالى – متوحّد بذاته ومنفرد بوحدانيّته، لا أنّه انفرد عن مثل له؛ إذ المتعارف من استعمال لفظة «متوحّد» اطلاقها على من كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده.

٩– الأعراف: ١١.

١٠– وكلّ مافيه اعوجاج من البدن كالضلع، أو من غيرالبدن وهو كناية عمّا خفي، أو من قولهم «أحناء الأمور» أي مشتبهاتها. و«القرائن» مايقترن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض أو مايصدر عنها من الأفعال. وقال ابن أبي الحديد: «القرائن» جمع «قرونة» وهي النفس.

أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع، و شهادة العقول أنه ـ جلّ جلاله ـ صانع ليس بمصنوع، فصنع اللّه يستدلّ عليه، و بالعقول يعقد معرفته، و بالفكر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيّته؛ هو الواحد الفرد في أزليّته، لاشريك له في إلهيّته، ولانِدّله في ربوبيّته؛ بمضادّته بين الأشياء المتضادّة علم أن لاضدّ له وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لاقرين له.

شا: أبوالحسن الهزليّ عن الزهريّ و عيسى بن زيد عن صالح بن كيسان، أنّ أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ قال في الحثّ على معرفة اللّه ـ سبحانه ـ و التوحيد له: أوّل عبادة اللّه معرفته.... إلى آخر الخبر.[١١]

•

ثُمَّ أَنْشَأَ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَتْقَ ٱلْأَجْوَاءِ ، وَشَقَّ ٱلْأَرْجَاءِ ، وَسَكَائِكَ[١١] ٱلْهَوَاءِ ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ[١٢] ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ[١٣] . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ ٱلْعَاصِفَةِ . وَالزَّعْزَعِ[١٤] ٱلْقَاصِفَةِ ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ . ٱلْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ[١٥] ، وَٱلْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ[١٦] . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً ٱعْتَقَمَ مَهَبَّهَا[١٧] ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا[١٨] ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ[١٩] ٱلْمَاءِ الزَّخَّارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ ٱلْبِحَارِ . فَمَخَضَتْهُ[٢٠] مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِٱلْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ[٢١] إِلَى مَائِرِهِ[٢٢] ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ[٢٣] ،

١١ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٢٤٨ ــ ٢٥٣.

فَرَفَعَهُ في هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ [٢٤]، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَموَاتٍ، جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً [٢٥]، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ [٢٦] يَنْظِمُها. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ [٢٧]، وَأَجْرَى فِيها سِرَاجاً مُسْتَطِيراً [٢٨]، وَقَمَراً مُنِيراً: في فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ [٢٩] مَائِرٍ.

خلق الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمواتِ الْعُلا، فَمَلأَهُنَّ أَطْواراً مِنْ مَلائِكَتِهِ، مِنْهُم سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ [٣٠] لا يَتَزَايَلُونَ [٣١]، وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، وَلا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ [٣٢] لأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ في الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ. نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ [٣٣] تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ، وَلا

يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

ايضاح: قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد ونشيرهنا إلى بعض ما يناسب المقام:

«المدحة» بالكسر، الحالة الّتي تكون المادح عليها في مدحه ، والاضافة للاختصاص الخاصّ أي المدحة اللائقة ·زّة جلاله، ولعلّ المراد عجز جميع القائلين و إن اجتمعوا. و «الاجتهاد» السعي البليغ ، العبادة. و ظاهر قوله «ولا وقت معدود و لا أجل ممدود» نفي الزمان مطلقاً عنه— تعا— كالمكان و يمكن حملها على الأزمنة المعدودة المتناهية، ولعلّ الأوّل للماضي والثاني للمستقبل. و «الفطر» الابتداء والاختراع، وأصله الشقّ. «ونشر الرياح» بسطها؛ وكلّ ماجاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد، ولعلّه إشارة إلى قلّة العذاب وسعة الرحمة، ويمكن أن يراد بالرحمة هذا المطر، كما قال— سبحانه—: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»[١٢]. وقرئ بالباء والنون، وقيل: زعمت العرب أنّ السحاب لا تلقح إلّا من رياح مختلفة، فيمكن أن يكون المراد بالنشر ذلك. وقال الفرّاء: «النشر» من الرياح الطيّبة الليّنة الّتي تنشئ السحاب، والتعميم أولى لأنّ رياح الرحمة كثيرة منها اللواقح ومهيّجة السحب الماطرة والحابسة لها بين السماء والأرض و العاصرة لها حتّى تمطر والمجرية للجواري في البحار وغيرها. و«وتد الشيء» بالتخفيف[١٣]، أي جعله محكماً مثبتاً بالوتد. و «الصخور» جمع الصخرة، وهي الحجر العظيم الصلب. و«المَيَدان» بالتحريك، التحرّك والاضطراب، وقد مرّ تحقيق ذلك وسيأتي بعضه.

«وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » لعلّ مناسبة الاخلاص لنفي الصفات أنّ الإخلاص في العبادة بالنظر إلى عامّة الخلق هو أن لا يقصدوا في عبادتهم غيره— تعالى— من المخلوقين، و بالنظر إلى الخواصّ أن يعرفوا اللّه بحسب وسعهم و طاقتهم بالوحدانيّة ثمّ يعبدونه[١٤]؛ فمن عبداللّه وحده بزعمه و زعم أنّ له صفات زائدة

١٢– الأعراف: ٥٧.
١٣– والتشديد.
١٤– في بعض النسخ: ثمّ يعبدوه.

فلم يعبد إلها واحداً بل آلهة كثيرة، بل لم يعبدالله أصلاً كما مرّ في الخبر: «من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، و من عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الّتي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سرّ أمره و علانيته فأولئك أصحاب أميرالمؤمنين حقّاً».

وقال ابن ميثم: المراد بالمعرفة المعرفة التامّة الّتي هي غاية العارف في مراتب السلوك، وأوّليّتها في العقل لكونها علّة غائيّة، و بيّن الترتيب بان المعرفة تزاد بالعبادة وتلقّي الأوامر بالقبول، فيستعد السالك أوّلاً بسببها للتصديق بوجوده يقيناً ثمّ لتوحيده ثمّ للإخلاص له ثمّ لنفي ماعداه عنه فيغرق في تيّار بحار العظمة، وكلّ مرتبة كمالٌ لما قبلها إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له بحسب مافي وسعه، و بكمال المعرفة يتمّ الدين و ينتهي السفر إلى الله- تعالى-. و ما ذكرنا أنسب كما لايخفى.

«كائن لاعن حدث موجود لاعن عدم» ظاهره الاختصاص به- سبحانه- وحدوث ماسواه، وكذا قوله- عليه السلام- «متوحّد إذ لاسكن يستأنس به» يدلّ على حدوث العالم. و «الإنشاء» الخلق، والفرق بينه و بين الابتداء بأنّ الانشاء كالخلق أعمّ من الابتداء، قال- تعالى-: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ»[15]. و «الابتداء» الخلق من غير سبق مادّة و مثال و إن لم يفهم هذا الفرق من اللغة لحسن التقابل حينئذ و إن أمكن التأكيد. و «همامة النفس» اهتمامها بالأمور و قصدها إليها. و «الاضطراب» الحركة، و «الحركة في الهمامة» الانتقال من رأي إلى رأي أو من قصد أمر إلى قصد أمر آخر بحصول صورة، و في بعض النسخ «ولاهمّة نفس» بالكسر.

«أحال الأشياء لأوقاتها» في أكثر النسخ بالحاء المهملة إمّا من الإحالة بمعنى التحويل أي نقل كلّاًمنها إلى وقتها، فاللام بمعنى إلى والتعليل- كما قيل- بعيد، وإمّا من قولهم «حال في متن فرسه» أي وثب، فعدّي بالهمزة أي أقرّ الأشياء في أوقاتها كمن أحال غيره على فرسه- كما قيل- ولايخفى بعده، ولعلّه بمعنى الحوالة المعروفة أظهر؛ وفي

١٥- الرحمن: ١٤.

بعض النسخ الصحيحة بالجيم كأنّه — سبحانه — حرّك الأشياء وردّ دها في العدم حتّى حضر وقتها؛ و في الاحتجاج: «أجّل» بالجيم المشدّدة أي أخّر. «ولأم بين مختلفاتها» أي جعلها ملتئمة مؤتلفة كما ألّف بين العناصر المتخالفة في الطباع و بين النفوس و الأبدان.

«وغرّزغرائزها و ألزمها أسناخها»، «الغريزة» الخلق و الطبيعة، و «السنخ» بكسر السين و سكون النون، الأصل؛ و في بعض النسخ «أشباحها» جمع الشبح محرّكةأي أشخاصها، و «تغريز الغرائز» إيجادها أو تخصيص كلّ بغريزة خاصّة لها[١٦] أو من «تغريز العود في الأرض ليثمر» على ماقيل، والضمير المنصوب في «ألزمها» راجع إلى «الأشياء» كالسوابق والمعنى[١٧]: جعلها بحيث لايفارقها أصولها، أوجعل الأشخاص لازمة للكلّيّات على النسخة الأخيرة؛ أو راجع إلى «الغرائز» أي جعل كلّ ذي غريزة أو كلّ شخص بحيث لا تفارقه غريزته غالباً أو مطلقاً.

«عالماً بها قبل ابتدائها» العامل في «عالماً» و مابعدها إمّا «ألزم» أو الأفعال الثلاثة الأخيرة على الترتيب أو الأربعة، أوالعامل في الجميع قوله «أنشأ و ابتدء» بقرينة قوله «قبل ابتدائها».

«محيطاً حدودها و انتهائها» لعلّ المراد بالحدود الأطراف و التشخّصات[١٨] أو الحدود الذهنيّة، و بالانتهاء الانتهاء اللازم للمحدود[١٩] أو انقطاع الوجود. «عارفا بقرائنها» أي مايقترن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض. و «أحنائها» هي جمع «حنو» أي الجانب، و «أحناء الوادي» معاطفه، و يدلّ على جواز إطلاق العارف عليه — سبحانه — ومنعه بعضهم. «ثمّ أنشأ — سبحانه — فتق الأجواء و شقّ الأرجاء و سكائك الهواء»، «الفتق» بالفتح، الشقّ و «الجوّ» مابين السماء و الأرض و قيل: الفضاء الواسع و «الأرجاء» جمع «الرجا» مقصوراً، وهي الناحية و «السكاك

١٦- في بعض النسخ: بها.

١٧- في بعض النسخ: فالمعنى.

١٨- في بعض النسخ: أو التشخّصات.

١٩- في بعض النسخ: للحدود.

والسكاكة» بضمّها، الهواء الملاقي عنان السماء[٢٠].

وقال في النهاية: «السكاك والسكاكة» الجوّ، و هوما بين السماء و الأرض، و منه حديث عليّ – عليه السلام – «شقّ الأرجاء و سكائك الهواء». و «سكائك» جمع «سكاكة» كذؤابة و ذوائب. و «الهواء» بالمدّ، مابين السماء و الأرض، و يقال: كلّ خال هواء، و منه قوله – تعالى –: «وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ»[٢١]. و كلمة «ثمّ» هنا إمّا للترتيب الذكريّ و التدرّج في الكلام يكون لوجوه منها الانتقال من الإجمال إلى التفصيل، و منها الاهتمام بتقديم المؤخّر أو المقارن لوجه آخر، و يستعمل الفاء أيضاً كذلك كمامرّ مراراً، وإمّا بمعنى الواو المفيدة لمطلق الجمع كما قيل في قوله – تعالى –: «ثُمَّ اهْتَدَى»[٢٢]. و على التقديرين لاينافي كون الماء أوّل المخلوقات كما سيأتي، والمراد بفتق الأجواء إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية بناء على وجود المكان بمعنى البعد وجواز الخلاء أو المراد بالجوّ البعد الموهوم، أو أحد العناصر بناء على تقدّم خلق الهواء كماهو الظاهر ممّا سنورده من تفسير عليّ بن إبراهيم، و هذا الكلام لا تصريح فيه بالصادر الأوّل و سيأتي الكلام فيه إن شاء الله. و قوله «و شقّ الأرجاء» كالتفسير لفتق الأجواء أو المراد بالأرجاء الأمكنة والأفضية و بالأجواء عنصر الهواء. و قوله «وسكائك الهواء» بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على «فتق الأجواء» أي أنشأ – سبحانه – سكائك الهواء، و الجرّ كما في بعض النسخ أظهر عطفاً على الأجواء أي أنشأ فتق سكائك الهواء.

قال ابن ميثم: فإن قلت: إنّ الأجواء و الأرجاء و سكائك الهواء أمور عدميّة فكيف تصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة؟ قلت: إنّ هذه الأشياء عبارة عن الخلأ و الأحياز، و الخلاف في أنّ الخلأ و الحيّز و المكان هل هي أمور وجوديّة أو عدميّة مشهور، فإن كانت وجوديّة كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة و يكون معنى فتقها و شقّها شقّ العدم عنها، و إن كانت عدميّة كان معنى فتقها و شقّها و نسبتها إلى القدرة تقديرها

٢٠– «عنان السماء» بالفتح، ما ارتفع منها أو مابدا للناظر.

٢١– ابراهيم: ٤٣.

٢٢– طه: ٨٢.

وجعلها أحيازاً للماء و مقرّاً لها لأنّه لمّا كان تميّزها عن مطلق الهواء و الخلأ بإيجاد اللّه فيها الماء صار تعيّنها بسبب قدرته– تعالى– فتصحّ نسبتها إلى إنشائه، فكان–سبحانه– شقّها و فتقها بحصول الجسم فيها.

و روي أنّ زرارة و هشاماً اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا، فرفع بعض موالي جعفر بن محمّد–عليهما السلام – إليه ذلك فقال له: إنّي متحيّر و أرى أصحابنا يختلفون فيه. فقال– عليه السلام–: «ليس هذا بخلاف يؤدّي إلى الكفر و الضلال». و اعلم أنّه– عليه السلام– إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء اللّه الموكّلين بإيضاح سبله و تثبيت خلقه على صراطه المستقيم لايلتفتون بالذات إلّا إلى أحد أمرين: أحدهما ما يؤدّي إلى الهدى إدّاء ظاهراً واضحاً. والثاني مايصرف عن الضلال و يردّ إلى سواء السبيل. و بيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لايفيد كثير فائدة في أمر المعاد فلايكون الجهل به ممّا يضرّ في ذلك، فكان تركه[٢٣] و الاشتغال بما هو أعمّ منه أولى. [انتهى كلام ابن ميثم– رحمه اللّه–].[٢٤]

«فأجرى فيها ماء متلاطماً تيّاره متراكماً زخّاره»، «اللطم» في الأصل، الضرب على الوجه بباطن الراحة، و «تلاطمت الأمواج» ضرب بعضها بعضاً كأنّه يلطمه، و«التيّار» موج البحر و لجّته، و «تراكم الشيء» اجتمع، و «زخر البحر» مدّ و كثر ماؤه و ارتفعت أمواجه، أي إنّه– سبحانه– خلق الماء المتلاطم الزخّار في الأمواج وخلّاه و طبعه أوّلاً فجرى في الهواء ثمّ أمر الريح بردّه و شدّه كما يدلّ عليه قوله– عليه السلام– بعد ذلك «حتّى تظهر قدرته».

«حمله على متن الريح العاصفة و الزعزع القاصفة»، «المتن من كلّ شيء» ما ظهر منه، و«المتن من الأرض» ما ارتفع منه و صلب، و «عصفت الريح» اشتدّ هبوبها، و«الزعزعة» تحريك الشيء ليقلعه و يزيله، و«ريح زعزع و زعازع» أي يزعزع الأشياء، و«قصفه– كضربه– قصفاً» كسره، و «قصف الرعد وغيره» اشتدّ صوته أي جعل

٢٣- في (خ): ترك بيانه.

٢٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ١٤٠ — ١٤١.

الريح حال قصفها[٢٥] حاملة له فكان متحرّكاً بحركتها، أو جعل الريح الّتي من شأنها العصف و القصف. وهذه الريح غير الهواء المذكور أوّلاً كما سيأتي في قول الصادق- عليه السلام- في جواب الزنديق «الريح على الهواء و الهواء تمسكه القدرة»، فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه أو متأخّرة عنه أو مقارنة له، و يمكن أن يكون المراد بها ما تحرّك منه كما هو المشهور.[٢٦]

«فأمرها بردّه و سلّطها على شدّه و قرنها إلى حدّه» أي أمر الريح أن تحفظ الماء و تردّه بالمنع عن الجري الّذي سبقت الإشارة إليه بقوله «فأجرى فيها ماء» فكان قبل الردّ قد خلّي و طبعه أي عن الجري الّذي يقتضيه طبعه و قوّاها على ضبطه كالشيء المشدود و جعلها مقرونة إلى انتهائه محيطة به. ولعلّ المراد بالأمر هنا الأمر التكوينيّ كما في قوله -[تعالى]-: «كُنْ فَيَكُونُ»[٢٧] وقوله -[تعالى]-: «كُونُوا قِرَدَةً».[٢٨]

قال الكيدريّ: قوله «فأمرها» مجاز لأنّ الحكيم لايأمر الجمادبه.

«الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق» أي الهواء الّذي هو محلّ الريح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء، و«الماء دفيق من فوقها» أي [مصبوب] مندفق، و الغرض أنّه- سبحانه- بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط و هو موضع العجب.

«ثمّ أنشأ- سبحانه- ريحاً اعتقم مهبّها و أدام مربّها» الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها الله محلاً للماء بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرواية، و «الاعتقام» أن تحفر البئر فإذا قربت من الماء احتفرت بئراً صغيراً بقدر ماتجد طعم الماء، فإن كان عذباً حفرت بقيّتها و يكون «اعتقم» بمعنى صار عقيماً، ومنه: «الريح العقيم» و في العين: «الاعتقام» الدخول في الأمر. و قال ابن ميثم تبعاً للكيدريّ: «الاعتقام» الشدّ والعقد.[٢٩] ولم نجده في كتب اللغة. و«المهبّ» مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان، و على

٢٥- في بعض النسخ: عصفها.

٢٦- وحينئذ فالمراد بكونها على الهواء عروضها له.

٢٧- يس: ٨١.

٢٨- البقرة: ٦٥.

٢٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ١٣٣.

الأوّل في الاسناد توسّع، و «ربّ» يأتي بمعنى جمع و زاد ولزم و أقام؛ قيل: المعنى أنّ الله— تعالى— أرسلها بمقدار مخصوص تقتضيه الحكمة ولم يرسلها مطلقاً بل جعل مهبّها ضيقاً كما يحتفر البئر الصغير في الكبير؛ وقيل: المعنى جعلها عقيمة لا تلقح وهذا إنّما يصحّ لوكان الاعتقام بهذا المعنى متعدّياً، أوكان مهبّها مرفوعاً و في النسخ منصوب؛ وقيل: وروي «أقم» فيصحّ، و يحتمل أن يكون بمعنى شدّ مهبّها و عقده على ماتقتضيه الحكمة و المصلحة؛ وقيل: على تقدير كون «اعتقم» بالتاء، المراد أنه أخلى مهبّها من العوائق و أنه أرسلها بحيث لايعرف مهبّها من مربّها. وهو كما ترى و معنى إدامة مربّها جعلها ملازمة لتحريك الماء و إدامة هبوبها؛ وفي بعض النسخ «مدبّها» بالدال، أي جريها.

و«أعصف مجراها» أي جريانها، أو أسند إلى المحلّ مجازاً. «وأبعد منشاها» أي أنشاها من مبدأ بعيد، ولعلّه أدخل في شدّتها و «المنشا» في بعض النسخ بالهمزة على الأصل وفي بعضها بالألف للازدواج. «فأمرها بتصفيق الماء الزخّار»، «الصفق» الضرب الّذي يسمع له صوت، و «التصفيق» أيضاً كذلك لكن مع شدّة. «وإثارة موج البحار» أي تهييجه. «فمخضته مخض السقاء»، «المخض» تحريك السقاء الّذي فيه اللبن ليخرج زبده. «عصفها بالفضاء» أي عصفاً شديداً لأنّ العصف بالفضاء يكون أشدّ لعدم المانع. و «الساجي» الساكن. و «المائر» المتحرّك. يقال: «مار الشيء موراً» أي تحرّك و جاء و ذهب، و به فسّر قوله— تعالى—: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً»[٣٠]. وقال الضحّاك: أي تموج موجاً. و«العباب» بالضمّ، معظم الماء و كثرته و ارتفاعه، و«عبّ عبابه» أي ارتفع، و «عبّ النبت» إذا طال. و «ركام الماء» بالضمّ، ما تراكم منه واجتمع بعضه فوق بعض.

«فرفعه في هواء منفتق» أي رفع الله ذلك الزبد بأن جعل بعضه دخاناً في هواء مفتوق مفتوح بخلق ما خلق سابقاً، أو برفع ذلك الدخان. «وفي جوّ منفهق»، و«الانفهاق» الاتّساع و الانفتاح.

قال ابن ميثم: إنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان، و

٣٠- الطور: ٩.

كلامه– عليه السلام– ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد، و ماورد في الخبر أنّ ذلك الزبَدَ هو الّذي تكوّنت منه الأرض، فلابدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات، فنقول: وجه الجمع بين كلامه– عليه السلام– و بين لفظ القرآن الكريم ماذكره الباقر– عليه السلام– وهو قوله: «فخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار» فخلق منه السماء. ولاشكّ أنّ القرآن الكريم لايريد بلفظ الدخان حقيقته لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار، واتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفسّ الماء و تبخيره بسبب تموّجه فهو إذاً استعارة للبخار الصاعد من الماء، و إذا كان كذلك فنقول: إنّ كلامه– عليه السلام– مطابق للفظ القرآن الكريم و ذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلّا أنّه مادامت الكثافة غالبة عليه و هو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد وما لطف وغلب عليه الأجزاء الهوائيّة فانفصل خصّ باسم البخار و إذا كان الزبد بخاراً و البخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحداً، فكان البخار المنفصل هو الّذي تكوّنت عنه الأرض و هو الزبد؛ وأمّا وجه المشابهة بين الدخان و البخار الّذي صحّت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران: أحدهما حسّيّ و هو الصورة المشاهدة من الدخان و البخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ البصريّ، و الثاني معنويّ و هو كون البخار أجزاءً مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدخان كذلك ولكن عن حرارة النار، فإنّ الدخان أيضاً أجزاء مائيّة انفصلت عن جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلّا بالسبب، فلذلك صحّ استعارة اسم أحدهما للآخر [و بالله التوفيق]. [انتهى كلام ابن ميثم– رحمه الله–].[٣١]

«جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعلياهنّ سقفاً محفوظاً و سمكاً مرفوعاً»، «الكفّ» المنع، و «السقف» معروف؛ و قال الجوهريّ و غيره: «السقف» اسم للسماء. و المعروف ههنا أنسب، و «سمك البيت» سقفه، و «سمك الله السماء سمكاً» رفعها، و «المسموكات» السماوات، أي جعل السماء السفلى موجاً ممنوعاً من

٣١- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ١٤١ – ١٤٢

السيلان إمّا بإمساكه بقدرته أو بأن خلق تحته و حوله جسماً جامداً يمنعه عن الانتشار و السيلان، أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيّالة. و ظاهر هذا الكلام وغيره من الأخبار اختصاص الحكم بالسماء الدنيا.

قال الكيدريّ– رحمه الله–: شبّه السماء الدنيا بالموج لصفائها و ارتفاعها، أو أراد أنّها كانت في الأوّل موجاً ثمّ عقدها، و «المكفوف» الممنوع من السقوط.

وقال ابن ميثم: شبّهها بالموج في الارتفاع واللون الموهوم، و قيل: شبّهت به لارتعاد الكواكب حسّاً؛ و لعلّ المراد بحفظ العليا إمساكها عن النقص والهدم و السقوط و الخرق إلّا بأمره– سبحانه–.

و قال أكثر الشارحين: أي عن الشياطين وهو لايناسب العليا بل السفلى، و يناسب أن يكون المراد بقوله– تعالى–: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً»[٣٢] السماء العليا؛ و يخطر بالبال وجه آخر وهو أن يكون المراد أنّه– تعالى– جعل الجهة السفلى من كلّ من السماوات موّاجة متحرّكة واقعاً أو في النظر، والجهة العليا منها سقفاً محفوظاً تستقرّ عليه الملائكة ولايمكن للشياطين خرقها، فيكون ضمير «زيّنها» وسائر الضمائر راجعة إلى المجموع، فيناسب الآية المتقدّمة وهو قوله– سبحانه–: «وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ»[٣٣]. وقد يمرّ بالخاطر وجه آخر يناسب قواعد الهيئة و هو أنّه – عليه السلام– شبّه السماء الدنيا بالموج المكفوف لكون الحركة الخاصّة للقمر أسرع من جميع الكواكب، فكأنّه دائماً في الموج و مع ذلك لا تسقط، و وصف العليا بالمحفوظيّة لأنّه أبطأها بالحركة الخاصّة فكأنّها محفوظة ثابتة، وعلى الطريقة السابقة يمكن أن يكون المراد بالسفلى من كلّ منها خوارج مراكزها وتداويرها و بالعليا منها ممثلاتها، فالأوّل موّاجة لسرعة حركتها و البواقي محفوظة لبطوئها. لكن هذان الوجهان بعيدان عن لسان الشرع و مقاصد أهله، والوجه الأوّل ممّا أبدعنا لايخلو من قوّة و لطافة.

«بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها»، «العمد» بالتحريك، جمع كثرة

٣٢- الأنبياء: ٣٢.

٣٣- الصافّات: ٧.

لعمود البيت و كذا «العمد» بضمّتين و جمع القِلّة «أعمدة» وقال الخليل في العين: «العمد» بضمّتين ، جمع «عماد» و «الأعمدة» جمع «عمود» من حديد أو خشب. و يظهر من تذكير الفعل أنّه من أسماء الجمع. و «الدعم» بالفتح، أن يميل الشيء فتدعمه بدعام كما تدعم عروش الكرم و نحوه ليصير له مساكاً، و «الدعامة» الخشبة الّتي يدعم بها، و في أكثر النسخ على بناء المجرّد مفتوحة العين و هو أظهر، و في بعضها «يدّعمها» بتشديد الدال على بناء الافتعال من الادّعام بمعنى الاتكاء. و «الدسار» بالكسر، المسمار و جمعه «دسر»، و «نظم اللؤلؤ» جمعه في السلك، وفي بعض النسخ «ينتظمها» و هو أيضاً جاء متعدّياً؛ و الضميران المنصوبان راجعان إلى السماوات أو إلى العليا أو إلى السفلى بقرينة قوله «ثمّ زيّنها بزينة الكواكب» حيث إنّ الظاهر إرجاع الضمير فيه إلى السفلى ليكون أوفق بقوله– تعالى–: «إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ»[٣٤]، لكنّه بعيد لفظاً. و إرجاع الضمير إلى الجميع أظهر و تزيين البعض تزيين للجميع، و هذا ممّا يقرّب الوجه الّذي ذكرنا أوّلاً. و«الزينة» إمّا مصدر أو اسم ما[٣٥] يزان به كالليقة لما يلاق به أي يصلح به المداد.

قال في الكشّاف: قوله– تعالى–: «بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ» يحتملها، فعلى الأوّل إمّا من إضافة المصدر إلى الفاعل بأن تكون الكواكب مزيّنة للأفلاك ، أو إلى المفعول بأن زيّن الله الكواكب و حسّنها لأنّها إنّما زيّنت السماء لحسنها في أنفسها، وعلى الثاني فإضافتها إلى الكواكب بيانيّة. [انتهى كلام الزمخشري]. وتنوين الزينة كما قرئت الآية به ليس موجوداً في النسخ. وزينة الكواكب للسماء إمّا لضوئها أو للأشكال الحاصلة منها كالثريّا و الجوزاء و نحوهما أو باختلاف أوضاعها بحركتها أو لرؤية الناس إيّاها مضيئة في الليلة الظلماء أو للجميع. وقوله– تعالى–: «بِمَصَـٰبِيحَ»[٣٦] في موضع آخر ممّا يؤيّد بعض الوجوه؛ و سيأتي القول في محالّ الكواكب في محلّه.

«وضياء الثواقب» المراد بها إمّا الكواكب، فيكون كالتفسير لزينة الكواكب و

٣٤- الصافّات: ٦.

٣٥- في بعض النسخ: لمايزان. ٣٦- فصّلت: ١٢ والملك: ٥.

الكواكب ثواقب أي مضيئة كأنّها تثقب الظلمة بضوئها، أو الشهب الّتي ترمى بها الشياطين فتثقب الهواء بحركتها و الظلمة بنورها. «فأجرى فيها سراجاً مستطيراً و قمراً منيراً» و في بعض النسخ «وأجرى» بالواو، و المراد بالسراج الشمس، كما قال— تعالى—: «سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً»[٣٧]. قيل: لمّا كان الليل عبارة عن ظلّ الأرض و كانت الشمس سبباً لزواله كان شبيهاً بالسراج في ارتفاع الظلمة به. و«المستطير» المنتشر الضوء، و«استطار» تفرّق و سطع. و «أنارالشيء و استنار» أي أضاء. وقيل: ما بالذات من النور ضوء، و ما بالعرض نور. كما قال— سبحانه—: «هُوَالَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً».[٣٨] وقيل: لأنّ النورأضعف من الضوء، و الاحتمالات في الضمائر السابقة جارية هنا و إن كان الأظهر عند الأكثر رجوعه إلى السفلى.

«في فلك دائر» الظرف إمّا بدل عن «فيها» فيفيد حركة السفلى أو العليا أو الجميع على تقادير إرجاع الضمير بالحركة اليوميّة أو الخاصّة أوالأعمّ، و إمّا في موضع حال عن المنصوبين، فيمكن أن يكون المراد بالفلك الدائر الأفلاك الجزئيّة. و«الفلك» بالتحريك، كلّ شيء دائر، و منه «فلكة المغزل» بالتسكين ويقال: «فلّك ثدي المرأة تفليكاً» إذا استدار.

«وسقف سائر ورقيم مائر»، «الرقيم» في الأصل، الكتاب، فعيل بمعنى مفعول؛ قال ابن الأثير: منه حديث عليّ— رضي الله عنه— في صفة السماء «سقف سائر و رقيم مائر» يريد به وشي السماء بالنجوم. و «المائر» المتحرّك ، وليس هذا بالمور الذي قال الله— تعالى—: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً».[٣٩] وهاتان الفقرتان أيضاً تدلّان على حركة السماء لكن لا تنافي حركة الكواكب بنفسها أيضاً كما هو ظاهر الآية.

«ثمّ فتق مابين السماوات العلى فملأ هنّ أطواراً من ملائكته» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» للترتيب المعنويّ، فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس و القمر بل بعد جعلها سبعاً و خلق الكواكب فيه، و يحتمل أن يكون للترتيب الذكريّ و الظاهر أنّ المراد بفتقها فصل بعضها عن بعض فيؤيّد بعض محتملات الآية كما أشرنا إليه سابقاً. و يدلّ

٣٧- الفرقان: ٦١. ٣٨- يونس: ٥. ٣٩- الطور: ٩.

على بطلان ما ذهبت الفلاسفة[٤٠] إليه من تماسّ الأفلاك وعدم الفصل بينها بهواء ونحوه. و«الأطوار» جمع «طَور» بالفتح، وهو فى الأصل التارة، قال اللّه- تعالى-: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً»[٤١]. قيل: أي طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة. و قيل: أي حالاً بعد حال. و قيل: أي خلقكم مختلفين في الصفات: أغنياء و فقراء، و زمنى[٤٢] و أصحّاء. و لعلّ الأخيرهنا أنسب. ولوكانت الملائكة مخلوقة قبل السماوات كما هوظاهر بعض الأخبار الآتية فقبل فتقها كانوا في مكان آخر يعلمه اللّه.[٤٣]

«منهم سجود لايركعون، و ركوع لاينتصبون، وصافّون لايتزايلون و مسبّحون لايسأمون» السجود و الركوع هنا جمع «ساجد» و «راكع» و فاعل الصفة يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه إيضاً. و «الانتصاب» القيام. و «الصفّ» ترتيب الجمع على خطّ كالصفّ في الصلوة و الحرب. و قال أبوعبيدة: كلّ شيء بين السماء و الأرض لم يضمّ قطريه فهو صافّ، و منه قوله- تعالى-: «وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ»[٤٤] أي نشرت أجنحتها، و بالوجهين فسّر قوله- تعالى-: «وَالصَّافَّاتِ صَفّاً»[٤٥].و«التزايل» التباين و التفارق. و «السأمة» الملالة و الضجر.

«لايغشاهم نوم العيون، و لاسهو العقول، ولافترة الأبدان ولاغفلة النسيان»، «غشيه- كعلمه-» إذا جاءه أي لايعرضهم. و «الفترة» الانكسار و الضعف، و ظاهر الكلام اختصاص الأوصاف بهذا الصنف، ويمكن أن يكون التخصيص بها جميعاً أو ببعضها لأمر آخر غير الاختصاص. «ومنهم أمناء على وحيه» الوحي في الأصل أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاخفاء، و يكون بمعنى الكتابة والإشارة والرسالة. «وألسنة إلى رسله» أي رسلاً إليهم، كما قال- تعالى-: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

٤٠- يعني الفلكيّين.

٤١- نوح: ١٤.

٤٢- «الزمنى» ـ وزان مرضى ـ جمع «الزمين» وهو المبتلى بالزمانة وهي آفة تتعطل بها القوى.

٤٣- هذا على فرض وجود مكان غير السماوات والأرض، وأمّا على فرض عدمه كما لايبعد استظهاره من الآيات والروايات فلامحيص عن الالتزام بتجرّد الملائكة.

٤٤- النور: ٤١.

٤٥- الصافّات: ١.

﴿الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾[٤٦]. «ومختلفون بقضائه» أي[٤٧] مقتضياته كما يأتون به في ليلة القدر وغيرها. «و أمره» أي أحكامه أو الأمور المقدّرة، كما قال ــ تعالى ــ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٤٨]. فالأحكام داخلة في السابقتين، ويمكن تخصيص الأخير بغير الوحي أي يختلفون لتمشية قضائه و أمره[٤٩] وتسبيب أسبابها.

«ومنهم الحفظة لعباده» لعلّ المراد غير الحافظين عليهم الّذين ذكرهم اللّه في قوله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[٥٠]؛ بل من ذكرهم بقوله ــ سبحانه ــ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٥١]. ويمكن أن يكون المراد في كلامه الكاتبين للأعمال بتقدير مضاف، وربما يفهم من بعض الأخبار اتّحاد الصنفين. و «السدنة لأبواب الجنان» هم المتولّون لأمور الجنان و فتح أبوابها و إغلاقها. و أصل السدانة في الكعبة و بيت الأصنام.

«ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم» و في بعض النسخ «في الأرض أقدامهم» و هوأظهر. و الجمع على الأوّل إمّا باعتبار القطعات و البقاع، أو لأنّ كلاًّ من الأرضين السبع موضع قدم بعضهم، والوصف على الأوّل بالقياس على[٥٢] سائر الطبقات، و على الثاني بالقياس إلى السماء. «والمارقة» أي الخارجة، يقال: «مرق السهم من الرمية» إذا خرج من الجانب الآخر. «من السماء العليا» أي السابعة. «والخارجة من الأقطار» أي من جوانب الأرض أوجوانب السماء «أركانهم» أي جوارحهم. فهذا بيان لضخامتهم و عرضهم. «والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم» لعلّ المراد بالمناسبة القرب و الشباهة في العظم، ويمكن أن يراد بها التماسّ، فالمراد بهم حملة العرش. «ناكسة دونه» أي دون العرش «أبصارهم»، و «الناكس» المطأطئ رأسه، وفي إسناده إلى الأبصار دلالة على عدم التفاتهم في التكس يميناً و شمالاً. «متلفّعون تحته بأجنحتهم»، «اللفاع» ثوب يجلّل به الجسد كلّه كساءً كان أوغيره و «تلفّع بالثوب»

٤٦- الحجّ: ٧٥.
٤٧- في بعض النسخ: ومقتضياته.
٤٨- القدر: ٤.
٤٩- في بعض النسخ: قضاء وأمر.
٥٠- الانفطار: ١٠ ــ ١١.
٥١- الرعد: ١١.
٥٢- في (خ): إلى.

إذا اشتمل به. «وبين من دونهم» أي سائر الملائكة أوالبشر أوالجنّ أو الأعمّ؛ وفي بعض النسخ «ناكسة» و «مضروبة» و «متلفّعين» بنصب الجميع.

«لايتوهّمون ربّهم بالتصوير» أي بأن يثبتوا للّه صورة، و الغرض تقديس الملائكة عن إثباتهم لوازم الجسميّة و الإمكان له— سبحانه— و التعريض و التوبيخ للمشبّهين من البشر. و«النظائر» جمع «نظيرة» و هي المثل و الشبه في الأشكال و الأخلاق و الأفعال، و «النظير» المثل في كلّ شيء، وفي بعض النسخ «بالنواظر» أي بالأبصار أي لايجوّزون عليه الرؤية، و في بعضها «بالمواطن» أي الأمكنة.[٥٣]

صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ[٣٤] ٱلْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[٣٥] ، تُرْبَةً سَنَّهَا[٣٦] بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا[٣٧] بِالْبَلَّةِ[٣٨] حَتَّى لَزَبَتْ[٣٩] ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ[٤٠] وَوُصُولٍ ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى ٱسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا[٤١] حَتَّى صَلْصَلَتْ[٤٢] ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ[٤٣] إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا ، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا[٤٤] ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ ٱلْأَلْوَانِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ ٱلْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ ٱلْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ ٱلْمُتَبَايِنَةِ ، مِنَ ٱلْحَرِّ

٥٣– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ١٧٨ — ١٩٢.

وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ ، وَٱسْتَأْدَى(٤٥) ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « ٱسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » ٱعْتَرَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ ، وَٱسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ ٱسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ ، وَٱسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ».

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَٱغْتَرَّهُ(٤٦) عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ ٱلْمُقَامِ ، وَمُرَافَقَةِ ٱلْأَبْرَارِ ، فَبَاعَ ٱلْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَٱلْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَٱسْتَبْدَلَ بِٱلْجَذَلِ(٤٧) وَجَلاً(٤٨) ، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً . ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ ٱلْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ ٱلْبَلِيَّةِ ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ .

بيان: «الحَزن» بالفتح، المكان الغليظ الخشن. و «السهل» ضده. و«سَنّ الماء» صبّه من غير تفريق. و «خلصت» أي صارت طينةً خالصةً، وفي بعض النسخ «خضِلت» بالخاء المعجمة والضاد المعجمة المكسورة أى ابتلّت. «ولاطها بالبلّة» أي جعلها ملتصقاً بعضها ببعض بسبب البلّة. و«لزبت» بالفتح أي لصقت كما قال– تعالى–: «إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ»[54]. و «جبل» بالفتح أي خلق. و «الأحناء»

٥٤- الصافات: ١١.

الأطراف جمع «حنو» بالكسر.[55] و «الوصول» هي الفصول، والاعتبار مختلف. و «أجمدها» أي جعلها جامدة. و«أصلدها» أي صيّرها صلبة. و «صلصلت» أي صارت صلصالاً. واللام في قوله— عليه السلام— «لوقت» إمّا متعلّق بجبل أي خلقها لوقت نفخ الصور أو ليوم القيامة أو بمحذوف أي كائنة لوقت فينفخ حينئذ روحه فيه، و يحتمل أن يكون الوقت مدّة الحياة والأجل منتهاها أو يوم القيامة. و «مثلت» بضمّ الثاء و فتحها، أي قامت منتصباً. و«إنساناً» منصوب بالحاليّة. و«يختدمها» أي يستخدمها. وقوله— عليه السلام— «معجوناً» صفة لقوله «إنساناً» أوحال عنه. و«طينة الإنسان» خلقته و جبلّته. و لعلّ المراد بالألوان الأنواع. و «استأدى وديعته» أي طلب أداءها. و«الخنوع» الذلّ و الخضوع.

والمراد بقوله— عليه السلام— «وقبيله» إمّا ذرّيته بأن يكون له في السماء نسل و ذرّيّةٌ وهو خلاف ظواهر الآثار، أو طائفةٌ خلقها الله في السماء غير الملائكة، أو يكون الإسناد إلى القبيل مجازيّاً لرضاهم بعد ذلك بفعله. و «اعترتهم» أي غشيتهم. و«الشقوة» بالكسر، نقيض السعادة. و«التعزّز» التكبّر. و«النظرة» بكسر الظاء، التأخير والإمهال. و «البليّة» الابتلاء. و «إنجاز عدته» إعطاؤه ما وعده من الثواب على عبادته، وقيل: قد وعده الله الإبقاء. و «أرغد عيشته» أي جعلها رغداً و «الرغد من العيش» الواسع الطيّب. و «المحلّة» مصدر قولك: «حلّ بالمكان» و الإسناد مجازيّ. و «اغترّه» أي طلب غفلته و أتاه على غرّة و غفلة منه. و «نفست عليه الشيء و بالشيء بالكسر، نفاسة» إذا لم تره له أهلاً. و «نفست به» بالكسر أيضاً، أي بخلت به. و«المقام» بالضمّ، الإقامة. و قيل: في بيع اليقين بالشكّ وجوه:

الأوّل: أنّ معيشة آدم في الجنّة كانت على حال يعلمها يقيناً و ما كان يعلم كيف يكون معاشه بعد مفارقتها.

الثاني: أنّ ما أخبره الله من عداوة إبليس بقوله: «إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ»[56] كان يقيناً فباعه بالشكّ في نصح إبليس إذ قال: «إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ

٥٥- أو كلّ مافيه اعوجاج من البدن كالضلع. ٥٦- طه: ١١٧.

النَّاصِحِينَ». ٥٧

الثالث: أنّ هذا مثل قديم للعرب لمن عملا عمل لاينفعه و ترك ماينبغي له أن يفعله.

الرابع: أنّ كونه في الجنّة كان يقيناً فباعه بأن أكل من الشجرة فأُهبط إلى دار التكليف الّتي من شأنها الشكّ في أنّ المصير منها إلى الجنّة أو إلى النار.

و«جذل» كفرح لفظاً و معنى، و سيتّضح لك ما تضمّنته الخطبة في الأبواب الآتية.

بسط مقال لرفع شبهة و اشكال

اعلم أنّه أجمعت الفرقة المحقّة وأكثر المخالفين على عصمة الملائكة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ من صغائر الذنوب و كبائرها، و سيأتي الكلام في ذلك في كتاب السماء و العالم، و طعن فيهم بعض الحشوية بأنّهم قالوا: «أَتَجْعَلُ» ٥٨ و الاعتراض على الله من أعظم الذنوب و أيضاً نسبوا بني آدم إلى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر، ومدحوا أنفسهم بقولهم: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» ٥٩ و هو عُجب، و أيضاً قولهم: «لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» ٦٠ اعتذارٌ و العذر دليل الذنب، و أيضاً قوله ـ[تعالى]ـ: «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ٦١ دلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوه، و أيضاً قوله ـ[تعالى]ـ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ» ٦٢ يدلّ على أنّهم كانوا مرتابين في علمه ـ تعالى ـ بكلّ المعلومات، و أيضاً علمهم بالإفساد و سفك الدماء إمّا بالوحي و هو بعيدٌ وإلّا لم يكن لإعادة الكلام فائدة، و إمّا بالاستنباط والظنّ و هو منهيّ عنه.

وأجيب عن اعتراضهم على الله بأنّ غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الإنكار و لا تنبيه الله على شيء لايعلمه، و إنّما المقصود من ذلك أمور:

منها: أنّ الإنسان إذا كان قاطعاً بحكمة غيره ثمّ رآه يفعل فعلاً لايهتدي ذلك الإنسان إلى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجّباً فكأنّهم قالوا: إعطاء هذه النعم

٥٧- الاعراف: ٢١.

٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢- البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

العظام من يفسد و يسفك لا تفعله إلّا لوجه دقيق و سر غامض، فما أبلغ حكمتك!

ومنها: أنّ إبداء الإشكال طلباً للجواب غير محظور، فكأنّه قيل: إلهنا أنت الحكيم الّذي لا تفعل السفه البتّة، وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ أو أنّ الخيرات في هذا العالم غالبةٌ على شرورها، وترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شر كثير، فالملائكة نظروا إلى الشرور، فأجابهم الله- تعالى- بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[٦٣] أي من الخيرات الكثيرة الّتي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة.

ومنها: أنّ سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله- تعالى- فإنّ العبد المخلص لشدّة حبّه لمولاه يكره أن يكون له عبدٌ يعصيه.

ومنها: أنّ قولهم: «أَتَجْعَلُ» مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن كان ذلك صلاحاً، نحو قول موسى: «أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»[٦٤] أي لا تهلك، فقال- تعالى-: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من صلاحكم و صلاح هؤلاء، فبيّن أنّه اختارهم السماء و هؤلاء الأرض ليرضى كلّ فريق بما اختارالله له.

ومنها: أنّ هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير «ألستم خير من ركب المطايا» أي أنتم كذلك وإلّا لم يكن مدحاً؛ فكأنّهم قالوا: إنّك تفعل ذلك و نحن مع هذا نسبّح بحمدك، لأنّا نعلم في الجملة أنك لا تفعل إلّا الصواب و الحكمة، فقال- تعالى-: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فأنتم علمتم ظاهرهم و هوالفساد و القتل، و أنا أعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الأسرار الخفيّة الّتي يقتضي اتّخاذهم.

والجواب عن الغيبة أنّ من أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرّض لمحلّ الإشكال، فلذلك ذكروا الفساد والسفك مع أنّ المراد أنّ مثل تلك الأفعال يصدر عن بعضهم، ومثل هذا لا يعدّ غيبةً؛ ولو سلّم فلا نسلّم ذلك في حقّ من لم يوجد بعد، ولو سلّم فيكون غيبة للفسّاق وهي مجوّزة، ولو سلّم فلا نسلّم أنّ ذكر مثل ذلك لعلّام الغيوب يكون محرّماً لاسيّما من الملائكة الّذين جماعة منهم مأمورون بتفتيش أحوال الخلائق و إثباتها في

٦٣- البقرة: ٣٠. ٦٤- الأعراف: ١٥٥.

الصحف وعرضها على الباريْ– جلّ اسمه–.

وعن العُجب بأنّ مدح النفس غير ممنوع منه مطلقاً، كما قال– تعالى–: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»[٦٥] على أنهم إنّما ذكروه لتتمّة تقرير الشبهة.

وعن الاعتذار بأنّه لايستلزم الذنب بل قد يكون لترك الأولى.

ثمّ إنّ العلماء ذكروا في إخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوهاً.

منها: أنّهم قالوا ذلك ظنّاً لما رأوا من حال الجنّ الّذين كانوا قبل آدم– عليه السلام– في الأرض، وهو المرويّ عن ابن عبّاس والكلبيّ، و يؤيّده ما رو يناه عن تفسير الإمام– عليه السلام– سابقاً، أو أنّهم عرفوا خلقته و علموا أنّه مركّب من الأركان المتخالفة و الأخلاط المتنافية الموجبة للشهوة الّتي منها الفساد والغضب الّذي منه سفك الدماء.

ومنها أنّهم قالوا ذلك على اليقين، لما يروى عن ابن مسعود وغيره أنّه– تعالى– لمّا قال للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»[٦٦] قالوا: ربّنا ومايكون الخليفة؟ قال: تكون له ذرّيّة يفسدون في الأرض، و يتحاسدون،و يقتل بعضهم بعضاً، فعند ذلك قالوا : ربّنا أتجعل فيها؛ أو أنّه– تعالى– كان قد أعلم الملائكة أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها و يسفك الدماء[٦٧]، أوأنّه لمّا كتب القلم في اللوح ماهو كائن إلى يوم القيامة فلعلّهم طالعوا اللوح فعرفواذلك؛ أو لأنّ معنى الخليفة إذا كان النائب عن اللّه في الحكم و القضاء، و الاحتياج[٦٨] إنّما يكون عند التنازع والتظالم[٦٩] كأنّ الاخبار عن وجود الخليفة إخبار عن وقوع الفساد و الشرّ بطريق الالتزام.

وقيل: لمّا خلق اللّه النّار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا: «لم خلقت هذه

٦٥– الضحى: ١١.

٦٦– البقرة: ٣٠.

٦٧– في المطبوع: وأسفكوا الدماء.

٦٨– أي والاحتياج بوجود الخليفة.

٦٩– الحديث ضعيف بمقاتل بن سليمان، والرجل هومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ابوالحسن البلخي المفسر نزيل مرو؛ يقال له: ابن دوال دوز، عدّوه أصحابنا في كتبهم الرجاليّة من البتريّة ومن العامّة، ورماه العامّة بالكذب والتجسيم. راجع تقريب ابن حجر، ص ٥٠٥.

النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي.» ولم يكن يومئذللّه خلق إلّا الملائكة، فلمّا قال: «إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً» عرفوا أنّ المعصية منهم.

وجملة القول في ذلك أنّه لمّا ثبت بالنصوص وإجماع الفرقة المحقّة عصمة الملائكة لابدّ من تأويل مايوهم صدور المعصية منهم على نحو ما مرّ في عصمة الأنبياء- عليهم السلام-.[٧٠]

[هذا بيان آخر في صفة خلق آدم- عليه السلام-:]

توضيح: «استأدى وديعته» أي طلب أداءها، والوديعة اشارة الى قوله- تعالى-: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً».[٧١] و«الخنوع» الخضوع. و «القبيل» في الأصل، الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتّى، فإن كانوا من أب واحد فهم قبيلة، و ضمّ القبيل[٧٢] هنا إلى ابليس غريب فانّه لم يكن له في هذا الوقت ذرّيّة ولم يكن أشباهه في السماء فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الارض بأن يكونوا مأمورين بالسجود أيضا، وعدم ذكرهم في الآيات و سائر الاخبار لعدم الاعتناء بشأنهم، أو المراد به طائفة خلقها اللّه- تعالى- في السماء غير الملائكة، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل ذرّيّته و يكون إسناد عدم السجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال- عليه السلام- في موضع آخر: إنّما يجمع الناس الرضا و السخط و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم اللّه بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا فقال- سبحانه-: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» (الشعراء: ١٥٧).[٧٣]

«اعترتهم» أي غشيتهم. و«التعزّز» التكبّر. و«استوهنه» أي عدّه وهناً ضعيفاً. «نفاسة» أي بخلاً.[٧٤]

٧٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، ص ١٢٣ — ١٢٦.

٧١- الحجر: ٢٨.

٧٢- قد عرفت أنّ النسخة المطبوعة بمصر والشرح لابن أبي الحديد هما خاليان عنها.

٧٣- نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٤٢.

٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٣، باب ذكر إبليس وقصصه، ص ٢١٣.

اختيار الانبياء

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبياءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُم(٤٩)، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ(٥٠) مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ(٥١) الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ(٥٢) إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ(٥٣) تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ(٥٤) قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ: عَلَى ذلِكَ نَسَلَتِ(٥٥) الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ.

بيان: «على الوحي» أي على أدائه. «واجتالتهم» أي أدارتهم تارةً هكذا و تارةً هكذا. «و واتر إليهم» أي أرسلهم وتراً بعد وتر. والإضافة في «دفائن العقول» بتقدير «في» أي العلوم الكامنة في العقول، أو بيانية أي العقول

المغمورة في الجهالات. و «الأوصاب» الأمراض. و «الأحداث» المصائب. «على ذلك نسلت» أي درجت و مضت.[٧٥]

مبعث النبي

إِلَى أَنْ بَعَثَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ(٥٦)، وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ(٥٧)، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ(٥٨) فِي ٱسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ لْجَهَالَةِ. ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ ٱلْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ(٥٩):

بيان: الضمير في «عدته» راجع إلى الله، و في «نبوّته» إلى الرسول، ويحتمل إرجاعها إلى الرسول بأن يكون الإضافة في عدته إضافة إلى المفعول، كما يحتمل إرجاعها إلى الله بأن يكون المراد بقوله: نبوّته النبوّة التي سنّها وقدرها لإصلاح الخلق.

٧٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، كتاب النبوّة، ص ٦١.

و«السمة» العلامة. و«الميلاد» وقت الولادة. و«الطرائق» المذاهب. و «التشتّت» التفرّق و الانتشار. قوله «ملحد في اسمه» أي يطلق عليه و ينسب إليه مالايليق به، أو يطلق اسمه على غيره. قوله «أومشير إلى غيره» كالدهريّة و عبدة الأصنام. وفي قوله «ملل» و مابعده تقدير مضاف أي ذووا ملل، أوالحمل على المبالغة، أو يقدر المضاف في المبتدأ و بعضها مؤكّدة لبعض، و يمكن الفرق بوجه.[٧٦]

القرآن والاحكام الشرعية

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ : مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ . وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ (٦٠) ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ (٦١) ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ (٦٢) ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ (٦٣) ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ (٦٤) ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ .

٧٦- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢١٧.

ومنها في ذكر الحج

وَفَرضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرَامِ ، ٱلَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ ٱلأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ ٱلْحَمَامِ (٦٥) ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ ٱلْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ . يُحْرِزُونَ ٱلأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلَماً ، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً ، فَرَضَ حَقَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ (٦٦) ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : «وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ» .

٢ — ومن خطبة له عليه السلام

بعد انصرافه من صفين

وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ ، وَٱسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ ، وَٱسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ ؛ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَلَا يَئِلُ (٦٧) مَنْ

عَادَاهُ ، وَلا يَفتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ ما وُزِنَ ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخلَاصُهَا ، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا[٦٨] ، نَتَمَسَّكُ بها أَبَداً ما أَبْقَانَا ، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا ، فَإِنَّها عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمنِ ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ[٦٩] . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالدينِ ٱلمشهُورِ ، وَٱلْعَلَمِ ٱلمَأْثُورِ ، وَٱلْكِتَابِ ٱلمسْطُورِ ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ، وَٱلأَمْرِ الصَّادِعِ ، إِزاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ، وَٱحْتِجَاجاً بِالبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ[٧٠] ، وَالنَّاسُ في فِتَنٍ ٱنْجَذَمَ[٧١] فِيها حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ[٧٢] ، وَٱخْتَلَفَ النَّجْرُ[٧٣] ، وَتَشَتَّتَ ٱلْأَمْرُ ، وَضَاقَ ٱلْمَخْرَجُ ، وَعَمِيَ ٱلمصْدَرُ ، فَالْهُدَى خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ ، وَدَرَسَتْ[٧٤] سُبُلُهُ ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ[٧٥] أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ[٧٦] ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ ، في فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا[٧٧] ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا[٧٨] ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا[٧٩] ، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ ، في خَيْرِ دَارٍ ، وَشَرِّ جِيرَانٍ . نَوْمُهُمْ سُهُودٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بِأَرْضٍ عَالِمُها مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ .

توضيح: قوله «والعلم المأثور» العلم إمّا بالكسر أو بفتحتين أي ما يهتدى به و «المأثور» المقدّم على غيره، والمنقول، ولايخفى مناسبتها. و«الصادع» الظاهر الجليّ. و «المثلات» جمع «مثلة» بفتح الميم وضمّ الثاء، العقوبة. قوله «انجذم» أي انقطع، وفي بعض النسخ بالزاي بمعناه. و«الزعزعة» الاضطراب. و «السواري» جمع «السارية» و هي الدعامة. و «النجر» الأصل والطبع. «فانهارت» أي انهدمت. و «تنكّرت» أي تغيّرت. و «الشُرُكْ » بضمّتين جمع «شَرَكَة» بفتحتين و هي معظم الطريق أو وسطها. قوله «في فتن داستهم» متعلّق بقوله «سارت وقام» أو خبر ثان لقوله «والناس». و «السنابك» أطراف مقدّم الحافر. قوله «في خيردار» إمّا خبر ثالث، أو متعلّق بقوله «تائهون» و ما بعده. والمراد بخيرالدار مكّة و بشرّ الجيران كفّار قريش، والعالم الملجم من آمن به، و الجاهل المكرم من كذّبه؛ و فيه احتمالات أخر لايناسب المقام. وقوله ــ عليه السلام ــ «نومهم سهود و كحلهم دموع» كناية عن كثرة الفتن فيهم بحيث كانوا لاينامون اهتماماً بأنفسهم وإعداداً لقتال عدوّهم و يبكون على قتلاهم و ماذهب منهم من الأموال و غيرها.[٧٧]

ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ (٨٠) ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ (٨١) ، وَمَوْئِلُ (٨٢) حُكْمِهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ (٨٣)

ومنها يعني قوما آخرين

زَرَعُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ (٨٤) ، لا يُقَاسُ

٧٧ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢١٨.

بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً : هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَعِمَادُ ٱلْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي(٨٥) ، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي . وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ ٱلْوِلايَةِ ، وَفِيهِمُ ٱلْوَصِيَّةُ وَٱلْوِرَاثَةُ ؛ ٱلْآنَ إِذْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ !

٣ — ومن خطبة له عليه السلام

وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بالشَّقْشِقِيَّةِ

وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له

أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها(٨٦) فُلانٌ وَإِنَّهُ لِيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنها مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا . يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ؛ فَسَدَلْتُ(٨٧) دُونَهَا ثَوْباً ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً(٨٨) . وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ(٨٩) ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ، (٩٠) يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ !

ترجيح الصبر

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى(٩١) ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً(٩٢) ، أَرَى تُرَاثِي(٩٣) نَهْباً ، حَتَّى مَضَى ٱلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ،

فَأَدْلَى بِهَا[٩٤] إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ. ثم تمثل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا[٩٥] وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَاعَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا[٩٦] في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ـ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[٩٧]! ـ فَصَيَّرَهَا في حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا[٩٨]، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ[٩٩] فِيهَا، وَالْاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[١٠٠] إِنْ أَشْنَقَ[١٠١] لَهَا خَرَمَ[١٠٢]، وَإِنْ أَسْلَسَ[١٠٣] لَهَا تَقَحَّمَ[١٠٤]، فَمُنِيَ[١٠٥] النَّاسُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ بِخَبْطٍ[١٠٦] وَشِمَاسٍ[١٠٧]، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ[١٠٨]؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا للهِ وَلِلشُّورَى[١٠٩]! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ النَّظَائِرِ[١١٠]! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ[١١١] إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَا[١١٢] رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[١١٣]، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[١١٤]، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[١١٥]، بَيْنَ نَثِيلِهِ[١١٦] وَمُعْتَلَفِهِ[١١٧]، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ[١١٨] مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ[١١٩]، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ[١٢٠] عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ[١٢١] عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ[١٢٢] بِهِ بِطْنَتُهُ[١٢٣]!

مبايعة علي

فَمَا رَاعَنِي إلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ [١٢٤] إلَيَّ، يَنْثَالُونَ [١٢٥] عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ [١٢٦]، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ [١٢٧]. فَلَمَّا نَهَضْتُ بالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ [١٢٨]، وَمَرَقَتْ أُخْرَى [١٢٩]، وَقَسَطَ آخَرُونَ [١٣٠]: كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا [١٣١] فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا [١٣٢]!

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ [١٣٣]، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ [١٣٤]، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ [١٣٥]، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا [١٣٦] عَلَى كِظَّةِ [١٣٧] ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ [١٣٨] مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا [١٣٩]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ [١٤٠]!

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد [١٤١] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً [قيل: إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها]، فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته] قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ [١٤٢] من حيث أفضيت [١٤٣]!

فَقَالَ : هَيْهَاتَ يابْنَ عَبَّاسٍ ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ(١٤٤) هَدَرَتْ(١٤٥) ثُمَّ قَرَّتْ(١٤٦) !

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألّا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

قال الشريف رضي الله عنه: قوله عليه السلام « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ؛ يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها أيضاً: ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق »، وإنما قال : « اشنق لها » ولم يقل « أشنقها » لأنه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكأنه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام .

المدارك:

مع و ع : الطالقاني، عن الجلوديّ، عن أحمد بن عمّار بن خالد، عن يحيى بن عبدالحميد الحمّاني، عن عيسى بن راشد، عن عليّ بن حذيفة [٧٨]، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس مثله.

ما: الحفّار، عن أبي القاسم الدعبليّ، عن ابيه، عن أخيه دعبل، عن محمد بن سلامة الشاميّ، عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه — عليهم السلام —، و الباقر— عليه السلام— عن ابن عبّاس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين ، فقال: «والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة»، وذكر نحوه بأدنى تغيير.

شا: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس قال: كنت عند أميرالمؤمنين— عليه السلام— بالرحبة فذكر الخلافة وتقديم من تقدّم عليه فتنفّس الصعداء ثمّ قال: «أم والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة...»، وساق الخبر إلى آخره.

٧٨- خزيمة — خ ل.

إيضاح: هذه الخطبة من مشهورات خطبه ـ صلوات الله عليه ـ روتها الخاصّة والعامّة في كتبهم و شرحوها و ضبطوا كلماتها كما عرفت رواية الشيخ الجليل المفيد و شيخ الطائفة والصدوق، و رواها السيّد الرضيّ ـ رضي الله عنه ـ في نهج البلاغة والطبرسيّ في الاحتجاج ـ قدّس الله أرواحهم ـ و روى الشيخ قطب الدّين الراونديّ ـ قدّس سرّه ـ في شرحه على نهج البلاغه بهذا السند: أخبرني الشيخ أبو نصر الحسن بن محمّدبن إبراهيم، عن الحاجب أبي الوفا محمدبن بديع والحسين بن أحمدبن عبدالرحمن، عن الحافظ أبي بكربن مردويه الإصفهاني، عن سليمان بن أحمد الطبرانيّ، عن أحمدبن عليّ الآباد، عن اسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقيّ، عن خليدبن دعلج، عن عطاءبن أبي رَباح، عن ابن عبّاس قال كنّا مع عليّ ـ عليه السلام ـ بالرحبة فجرى ذكرى الخلافه و من تقدّم عليه فيها، فقال: «أما والله لقد تقمّصها فلان...» إلى آخر الخطبة.

و من أهل الخلاف رواها ابن الجوزيّ في مناقبه، و ابن عبدربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد، و أبوعليّ الجبائيّ في كتابه، و ابن الخشّاب في درسه على ما حكاه بعض الأصحاب، والحسن بن عبدالله بن سعيد العسكريّ في كتاب المواعظ و الزواجر على ماذكره صاحب الطرائف؛ و فسّر ابن الأثير في النهاية لفظ الشقشقة ثمّ قال: و منه حديث علي ـ عليه السلام ـ في خطبة له: «تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت»، و شرح كثيراً من ألفاظها.

وقال الفيروز آبادي في القاموس عند تفسيرها: «الشقشقة» بالكسر، شيء كالرية يخرجه البعير من فيه إذا هاج. والخطبة الشقشقيّة العلويّة لقوله لابن عبّاس لمّا قال: لوأطر دت مقالتك من حيث أفضيت: «يا ابن عبّاس! هيهات، تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت».

وقال عبدالحميد ابن أبي الحديدرداً على من قال إنّها تأليف السيّد الرضيّ: قدوجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ امام البغداديّين من المعتزلة وكان في دولة مقتدر قبل أن يخلق السيّد الرضي بمدّة طويلة،

ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلّمي الامامية وكان من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخيّ و مات قبل أن يكون الرضيّ موجوداً. ثمّ حكى عن شيخه مصدّق الواسطيّ أنّه قال: لمّا قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمّد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب قلت له: أتقول: إنّها منحولة؟

فقال: لاوالله، وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق.

قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضيّ!

فقال لي: أنّى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النفس وهذا الأسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرضيّ وعرفنا طريقته و فنّه في الكلام المنثور.

ثمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب قد صنّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرف أنّها خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبوأحمد والد الرضيّ.[٧٩]

و قال ابن ميثم البحرانيّ — قدّس سرّه —: وجدت هذه الخطبة بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات وزير المقتدر بالله و ذلك قبل مولد الرضيّ بنيّف و ستّين سنة. انتهى.[٨٠]

و من الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أنّ القاضي عبد الجبّار الّذي هو من متعصّبي المعتزلة قد تصدّى في كتاب المغني لتأويل بعض كلمات الخطبة ومنع دلالتها على الطّعن في خلافة من تقدّم عليه ولم ينكر استناد الخطبة إليه.

وذكر السيّد المرتضى — رضي الله عنه — كلامه في الشافي وزيّفه و هوأكبر من أخيه الرضيّ — قدّس الله روحهما — وقاضي القضاة متقدّم عليهما؛ ولوكان يجد للقدح في استناد الخطبة اليه — عليه السلام — مساغاً لما تمسّك بالتأويلات الركيكة في مقام الاعتذار وقدح في صحّتها كما فعل في كثير من الروايات المشهورة و كفى للمنصف وجودها في تصانيف الصدوق — رحمه الله — وكانت وفاته سنة تسع و عشرين و ثلثمائة

٧٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٥ — ٢٠٦، ط بيروت.

٨٠- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٥٢.

وكان مولد الرضيّ – رضي الله عنه – سنة تسع و خمسين وثلا ثمائة.[٨١]

ولنشرح الخطبة ثانياً لمزيد الإيضاح والتبيين وللإشارة إلى ما ذكره في تفسيرها وشرحها بعض المحقّقين ونبني الشرح على ما أورده السيّد – قدّس سرّه – في النهج ليظهر مواضع الاختلاف بينه و بين ما سلف من الروايات مستعيناً بخالق البريّات.

قال السيّد: و من خطبة له – عليه السلام – المعروفة بالشِّقشِقيَة: «أما والله لقد تقمّصها فلان» أي اتّخذها قيصاً، وفي التشبيه بالقميص الملاصق للبدن دون سائر الأثواب تنبيه على شدّة حرصه عليها، والضمير راجع إلى الخلافة كما ظهر من سائر الروايات. و«فلان» كناية عن أبي بكر و كان في نسخة ابن أبي الحديد: «ابن أبي قُحافه»[٨٢] بضمّ القاف و تخفيف الحاء كما في بعض الروايات الأخر، وفي بعضها «أخوتيم»؛ والظاهر أنّ التعبير بالكناية نوع تقيّة من السيّد – رحمه الله –، والنسخة المقروءة عليه كانت متعدّدة فلعلّه عدل في بعضها عن الكناية لزوال الخوف، ويمكن أن تكون التقيّة من النسّاخ و يدلّ على أنّ الكناية ليست من لفظه – عليه السّلام –.

إنّ قاضي القضاة في المغني تصدّى لدفع دلالة تعبيره – عليه السلام – عن أبي بكر بابن أبي قحافة دون الألقاب الما دحة على استخفاف به بأنّه قد كانت العادة في ذلك الزمان أن يسمّي أحدهم صاحبه و يكنّيه و يضيفه إلى أبيه حتّى كانوا ربّما قالوا لرسول الله – صلّى الله عليه و آله –: يا محمّد! فليس في ذلك استخفاف و لادلالة على الوضع.

فأجاب السيّد – رضي الله عنه – بما في الشافي عنه بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم و التبجيل وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة مايقصد إليه من يريد تعظيمه؛ وقوله «أنّ رسول الله – صلّى الله عليه و آله – كان ينادى باسمه» فمعاذالله، ما كان ينادي باسمه إلّا شاكّ فيه أوجاهل من طغام الأعراب؛ و قوله «إنّ

٨١- الظاهر أنّ مراده بالصدوق عليّ بن بابويه (المتوفّى سنة ٣٢٩) والد أبي جعفرالصدوق ـ رحمه الله ـ وإلّا فوفاة الصدوق كانت سنة ٣٨١، فتأمّل.

٨٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٥١، ط بيروت.

ذلك عادة العرب» فلاشكّ أنّ ذلك عادتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصدّيق و نحوه.

«و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى» الواو للحال، و «قطب الرّحى» الحديدة المنصوبة في وسط السفلى من حجري الرّحى الّتي تدور حولها العليا، أي تقمّص الخلافة مع علمه :أنّي مدار أمرها ولا تنتظم إلّا بي ولا عوض لها عنّي كما أنّ الرّحى لا تدور إلّا بالقطب ولا عوض لها عنه. و قال ابن أبي الحديد: عندي أنّه أراد أمراً آخر و هو أنّي من الخلافة في الصميم و في وسطها و بحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائرة الرحى، ولا يخفى نقصان التشبيه حينئذ.

و قال في المغني: أرادأنّه أهل لها و أنّه أصلح منه للقيام بها؛ يبيّن ذلك أنّ القطب من الرّحى لايستقلّ بنفسه ولابدّ في تمامه من الرحى فنبّه بذلك على أنه أحقّ و إن كان قد تقمّصها.

وردّه السيّد ـ رضي الله عنه ـ بأنّ هذا التّأويل مع أنه لايجري في غير هذا اللّفظ من الألفاظ المرويّة عنه ـ عليه السلام ـ فاسد لأنّ مفاد هذا الكلام ليس إلّا التفرّد في الاستحقاق و أنّ غيره لايقوم مقامه، لا أنّه أهل للأمر و موضع له. و قوله «إنّ القطب لايستقلّ بنفسه» تأويل على عكس المراد فإنّ المستفاد من هذا الكلام عند من يعرف اللّغة عدم انتظام دوران الرّحى بدون القطب، لا عدم استقلال القطب بدون الرّحى.

«ينحدر عنّي السّيل، ولا يرقى إليّ الطّير»، «انحدار السّيل» لعلّه كناية عن إفاضة العلوم والكمالات و سائر النّعم الدنيويّة والأخرويّة على الموادّ القابلة. و قيل: المعنى أنّي فوق السّيل بحيث لايرتفع إليّ وهو كماترى. ثمّ إنّه ـ عليه السلام ـ ترقّى في الوصف بالعلوّ بقوله «ولا يرقى إليّ الطّير»، فإنّ مرقى الطّير أعلى من منحدر السّيل فكيف مالا يرقى إليه، والغرض إثبات أعلى مراتب الكمال للدّلالة على بطلان خلافة من تقمّصها لقبح تفضيل المفضول.

«فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً» يقال: «سدل الثّوب يسدله» بالضمّ، أي أرخاه و أرسله. «و دون الشيء» أمامه و قريب منه. والمعنى: ضربت

بيني و بينها حجاباً و أعرضت عنها و يئست منها. و «الكشح» ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع، و يقال: «فلان طوى كشحه» أي أعرض مهاجراً و مال عنّي. و قيل: أراد غير ذلك و هو أنّ من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أنّ من أكل وشبع فقد ملأ كشحه.

«وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء»، «طفق في كذا» أي أخذ و شرع. و «أرتئي في الأمر» أي أفكّر في طلب الأصلح و هو افتعل من رويّة القلب أو من الرأي. و «الصولة» الحملة والوثبة. و «الجذّاء» بالجيم والذال المعجمة، المقطوعة والمكسورة أيضاً كما ذكره الجوهريُّ. و قال في النهاية في حديث عليّ ـ عليه السلام ـ: «أصول بيد جذّاء» كنّي به عن قصور أصحابه و تقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد. و يروي بالحاء المهملة و فسّره في موضعه باليد القصيرة التي لا تمدّ إلى ما يراد، قال: و كأنّها بالجيم أشبه. و «الطخية» بالضم كما صحّح في أكثر النسخ، الظلمة أو الغيم؛ و في بعضها بالفتح. في القاموس: «الطخية» الظلمة، و يثلّث، ولم يذكر الجوهريُّ سوى الضمّ و فسّره بالسحاب. و في النهاية: «الطخية» الظلمة والغيم. و «العمياء» تأنيث الأعمى و وصفه الطخية بها لأنّ الرائي لايبصر فيها شيئاً، يقال: «مفازة عمياء» أي لايهتدي فيها الدليل، و هي مبالغة في وصف الظلمة بالشدّة. و حاصل المعنى أنّي لمّا رأيت الخلافة في يد من لم يكن أهلاً لها كنت متفكّراً مردّداً بين قتالهم بلا أعوان و بين معاينة الخلق على جهالة و ضلالة و شدّة.

«يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه» يقال: «هرم» ـ كفرح ـ أي بلغ أقصى الكبر. و «الشّيب» بالفتح، بياض الشعر. و «الكدح» الكدّ والعمل والسعي. والجُمل الثلاثة أوصاف للطخية العمياء، و إيجابها لهرم الكبير و شيب الصغير إمّا لكثرة الشدائد فيها فإنّها ممّا يسرع بالهرم والشيب أولطول مدّتها و تمادي أيّامها و لياليها أوللأمرين جميعاً؛ و على الوجهين الأوّلين فسّر قوله ـ تعالى ـ: «يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانُ شِيباً». [٨٣] و كدح المؤمن يمكن أن يراد به لاذعه

٨٣ـ المزمّل: ١٧.

أعني التعب و مقاساة الشدّة في الوصول إلى حقّه؛ و قيل: يسعى فلايصل إلى حقّه فالكدح بمعناه؛ و قيل: المراد به أنّ المؤمن المجتهد في الذبّ عن الحقّ و الأمر بالمعروف يسعى فيه و يكدّ و يقاسي الشدائد حتّى يموت. و في رواية الشيخ والطبرسيّ: «يرضع فيها الصغير، و يدبّ فيها الكبير» وهو كناية عنْ طول المدّة أيضاً أي يمتدّ إلى أن يدبّ كبيراً من كان يرضع صغيراً؛ يقال: «دبّ يدبّ دبيباً» أي مشى على هيئته. «فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً»، كلمة «ها» في «هاتا» للتنبيه و «تا» للإشارة إلى المؤنّث؛ أشير بها إلى الطخية الموصوفة. و «أحجى» أي أولى و أجدر و أحقّ، من قولهم «حجى بالمكان» إذا أقام و ثبت؛ ذكره في النهاية. و قيل: أي أليق و أقرب بالحجى و هو العقل. و «القذى» جمع «قذاة» و هي مايسقط في العين و في الشّراب أيضاً من تبن أوتراب أووسخ. و «الشّجى» ما اعترض في الحلق و نشب من عظم و نحوه. و «التراث» ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل من الواو. و «النهب» السّلب والغارة والغنيمة. والجملة بيان لوجود القذى والشّجى.

و في رواية الشيخين والطبرسيّ: «فرأيت الصبر» و في رواية الشيخ: «تراث محمّد ـ صلّى الله عليه و آله ـ نهباً» و في تلخيص الشافي: «من أن أرى تراثي نهباً».

والحاصل أنّي بعد التردّد في القتال استقرّ رأيي على أنّ الصبر أجدر و ذلك لأداء القتال إلى استيصال آل الرسول ـ صلّى الله عليه و آله ـ كلمة الإسلام لغلبة الأعداء.

و قال بعض الشارحين: في الكلام تقديم و تأخير و التقدير: ولا يرقى إليّ الطّير فطفقت أرتئي بين كذا و كذا فرأيت الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً و طويت عنها كشحاً و صبرت و في العين قذى... الى آخر الفصل. لأنّه لايجوز أن يسدل دونها ثوباً و يطوي عنْها كشحاً ثمّ يرتئي. والتقديم والتأخير شايع في لغة العرب، قال الله ـ تعالى ـ: «اَلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً». [٨٤]

٨٤- الكهف: ١.

انتهى. ويمكن أن يقال: سدل الثوب وطيّ الكشح لم يكن على وجه البتّ و تصميم العزم على الترك، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبّر في عاقبة الأمر، و لعلّ الفقرتين بهذا المعنى أنسب.

«حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده» قيل: تقديره مضى على سبيله، وأدلى بها إلى فلان أي ألقاها إليه و دفعها. والتعبير بلفظ «فلان» كمامرّ. و في نسخة ابن أبي الحديد بلفظ ابن الخطّاب[٨٥] و في بعض الروايات إلى عمر. و «إدلاؤه إليه بها» نصبه للخلافة. و كان ابن الخطّاب يسمّي نفسه خليفة أبي بكر، و يكتب إلى عمّاله: من خليفة أبي بكر...حتّى جاءه لبيدبن ربيعة و عديُّبن حاتم، فقالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا على أميرالمؤمنين، فخاطبه عمرو بن العاص بأميرالمؤمنين، فجرى ذلك في المكاتيب من يومئذ؛ ذكر ذلك ابن عبدالبرّ في الاستيعاب.

ثمّ تمثّل — عليه السلام — بقول الأعشى:

شتّان مايومي على كورها * و يوم حيّان أخي جابر

تمثّل بالبيت أنشده للمثل، والأعشى ميمون بن جندل. و«شتّان» اسم فعل وفيه معنى التعجّب. و «الكور» بالضم، رحل البعير بأداته و الضمير راجع إلى الناقة. و «حيّان» كان صاحب حصن باليمامة و كان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قومه يصله كسرى في كلّ سنة وكان في رفاهية ونعمة مصوناً من وعثاء السفر، لم يكن يسافر أبداً، و كان الأعشى يناديه وكان أخوه جابرأصغر سنّاً منه. يروى أنّ حيّان عاتب الأعشى في نسبته إلى أخيه فاعتذر بأن اضطرّني إلى ذلك، فلم يقبل عذره.

ومعنى البيت كما أفاده السيّد المرتضى — رضي الله عنه — إظهار البعد بين يومه و يوم حيّان لكونه في شدّة من حرّ المواجر وكون حيّان في راحة و خفض، وكذا غرضه — عليه السلام — بيان البعد بين يومه صابراً على القذى و الشجى و بين يومهم فائزين بما طلبوا من الدنيا. و هذا هو الظاهر المطابق للبيت التالي له، وهو ممّا تمثّل به — عليه السلام — على مافي بعض النسخ وهو قوله:

٨٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٦٢، ط بيروت.

أرمي بها البيد[٨٦] إذ هجّرت وأنت بين القرو والعاصر

و«البيد» بالكسر، جمع البيداء و هي المفازة. و «التهجير» السير في الهاجرة و هي نصف النهار عند شدّة الحرّ. و «القرو» قدح من الخشب و قيل: إناء صغير أو إجّانة للشرب. و «العاصر» الّذي يعصر العنب للخمر؛ أي أنا في شدّة حرّ الشمس أسوق ناقتي في الفيافي وأنت في عيش و شرب. وقال بعض الشارحين: المعنى: ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة أداب و أنصب و بين يومي منادماً حيّان أخي جابر في خفض و دعة. فالغرض عن التمثّل إظهار البعد بين يومه– عليه السلام– بعد وفات الرسول– صلّى اللّه عليه و آله– مقهوراً ممنوعاً عن حقّه و بين يومه في صحبة النبيّ– صلّى اللّه عليه و آله–. «فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته» أصل «ياعجباً» يا عجبي قلبت الياء ألفاً كأنّ المتكلّم ينادي عجبه ويقول له: آحضر فهذا أو إنّ حضورك. و «بينا» هي «بين» الظرفيّة أشبعت فتحتها فصارت ألفاً و تقع بعدها إذا الفجائيّة غالباً. و«الاستقالة» طلب الإقالة وهو في البيع فسخه للندم، و تكون في البيعة و العهد أيضاً. و استقالته قوله بعد مابويع: «أقيلوني فلست بخيركم و عليّ– عليه السلام– فيكم». وقدروى خبر الاستقالة الطبريُّ في تاريخه، والبلاذريّ في أنساب الأشراف، والسمعانيّ في الفضائل، و أبوعبيدة في بعض مصنّفاته على ما حكاه بعض أصحابنا، ولم يقدح الفخر الرازيّ في نهاية العقول في صحّته و إن أجاب عنه بوجوه ضعيفة، و كفى كلامه– عليه السلام– شاهداً على صحّته. وكون العقد لآخر بين أوقات الاستقالة لتنزيل اشتراكهما في التحقيق والوجود منزلة اتّحاد الزمان أو لأنّ الظاهر من حال المستقيل لعلمه بأنّ الخلافة حقّ لغيره بقاء ندمه و كونه متأسّفاً دائماً خصوصاً عند ظهور أمارة الموت. وقوله «بعد وفاته» ليس ظرفاً لنفس العقد بل لترتّب الآثار على المعقود بخلاف قوله «في حياته»، والمشهور أنّه لمّا احتضر أحضر عثمان و أمره أن يكتب عهداً و كان يمليه عليه فلمّا بلغ قوله «أمّا بعد» أغمي عليه، فكتب عثمان: «قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب»؛ فأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ!

٨٦– في شرح النهج لابن أبي الحديد: البيداء.

فقرأه، فكبّر أبوبكر و قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام و أهله.

ثمّ أتمّ العهد و أمره أن يقرأه على الناس. و ذهب إلى عذاب الله في ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاثة عشر على ماذكره ابن أبي الحديد. و قال في الاستيعاب: قول الأكثرأنّه توفّي عشيّ يوم الثلثاء المذكور. وقيل: ليلته، وقيل: عشيّ يوم الاثنين. قال: ومكث في خلافته سنتين و ثلاثة أشهر إلّاخمس ليال أوسبع ليال، و قيل: أكثر من ذلك إلى عشرين يوماً. والسبب على ماحكاه عن الواقديّ أنّه اغتسل في يوم باردفحمّ و مرض خمسة عشريوماً، و قيل: سلّ، وقيل: سمّ. وغسلته زوجته أسماء بنت عُميس وصلّى عليه عمربن الخطاب و دفن ليلاً في بيت عايشة.

«لشدّما تشطّرا ضرعيها» اللام جواب القسم المقدّر، و «شدّ» أي صار شديداً، و كلمة «ما» مصدريّة و المصدر فاعل شدّ، ولايستعمل هذا الفعل إلّا في التعجّب. و «تشطّرا» إمّا مأخوذ من «الشطر» بالفتح بمعنى النصف، يقال: «فلان شطر ماله» أي نصفه. فالمعنى:أخذ كلّ واحد منهما نصفاً من ضرعي الخلافة. وإمّا منه بمعنى خلف الناقة بالكسر، أي حلمة ضرعها، يقال: «شطّر ناقته تشطيراً» إذا صرّ خِلفين من أخلافها، أي شدّ عليهما الصرار و هو خيط يشدّ فوق الخلف لئلّا يرضع منه الولد؛ وللناقة أربعة أخلاف خلفان قادمان و هما اللّذان يليان السرّة و خلفان آخران؛ و سمّى—عليه السلام— خلفين منها ضرعاً لاشتراكهما في الحلب دفعة، ولم نجد التشطّر على صيغة التفعّل في كلام اللغويّين.

وفي رواية المفيد— رحمه الله— وغيره «شاطرا» على صيغة المفاعلة، يقال: «شاطرت ناقتي» إذا احتلبت شطراً و تركت الآخر، و «شاطرت فلاناً مالي» إذا ناصفته. وفي كثير من روايات السقيفة إنّه— عليه السلام— قال لعمربن الخطاب بعد يوم السقيفة: «احلب حلباً لك شطره، اشددوله اليوم يردّه عليك غداً». وقدمهّد عمر أمرالبيعة لأبي بكريوم السقيفة ثمّ نصّ أبوبكر عليه لمّا حضرأجله وكان قد استقضاه

في خلافته و جعله وزيراً في أمرها مساهماً في وزرها، فالمشاطرة تحتمل الوجهين. و في رواية الشيخ و الطبرسيّ ذكر التمثّل في هذالموضع بعد قوله «ضرعيها».

«فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، و يخشن مسّها، و يكثر العثار فيها والاعتذار منها» و ليست «فيها» في كثير من النسخ و«الحَوزة» بالفتح، الناحية و الطبيعة. و«الغلظ» ضدّ الرقّة. و«الكلم» بالفتح، الجرح، و في الإسناد توسّع. وخشونة المسّ و الإيذاء والإضرار و هي في غير مايستفاد من الخشناء فإنّها عبارة عن كون الحوزة بحيث لاينال ماعندها و لايفوز بالنجاح من قصدها، كذا قيل؛ و قال بعض الشرّاح: يمكن أن يكون من في «الاعتذار منها» للتعليل، أي و يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم و حركاتهم لأجل تلك الحوزة. وقال بعض الأفاضل: الظاهر أنّ المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولّي للخلافة بالأرض الخشناء في ناحية الطريق المستوي، و تشبيه الخلافة بالراكب السائر فيها أو بالناقة، أي أخرجها عن مسيرها المستوي وهومن يستحقّها إلى تلك الناحية الحزنة فيكثر عثارها أوعثار مطيّها فيها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشية من خشونة الناحية، وهو في الحقيقة اعتذار من الناحية فالعاثر والمعتذر حينئذ هي الخلافة توسّعاً و الضمير المجرور في منها راجع إلى الحوزة أو الى العثرات المفهومة من كثرة العثار، و من صلة للاعتذار أوللصفة المقدّرة للاعتذار أوحالاً عن يكثر، أي الناشي أو ناشياً منها؛ وعلى ما في كثيرمن النسخ يكون الظرف المتضمّن لضمير الموصوف أعني «فيها» محذوفاً. و العثار والاعتذار على النسختين إشارة إلى الخطأ في الأحكام و غيرها والرجوع عنها كقصّة الحاملة و المجنونة و ميراث الجدّ و غيرها.

وفي الاحتجاج: «فصيّرها واللّه في ناحية خشناء يجفو مسُّها، و يغلظ كلمها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم، يكثر فيها العثار، و يقلّ فيها الاعتذار»، فالمعنى أنّه كان يعثر كثيراً ولايعتذر منها لعدم المبالاة أوللجهل أولأنّه لم يكن لعثراته عذر حتّى يعتذر، فالمراد بالاعتذار إبداء العذر ممّن كان معذوراً ولم يكن مقصّراً. وفي رواية الشيخ ــ رحمه اللّه ــ «فعقدها و اللّه في ناحية خشناء يخشن مسُّها». و في بعض النسخ: «يخشى مسُّها، و يغلظ كلمها، و يكثر العثار والاعتذار فيها، صاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها عصفت به».

«فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، و إن أسلس لها تقحّم»
الصعبة من النوق غير المنقادة. و «أشنق بعيره» أي جذب رأسها بالزمام، و يقال: «أشنق البعير بنفسه» إذا رفع رأسه، يتعدّى ولا يتعدّى، واللغة المشهورة «شنق» ــ كنصر ــ متعدّياً بنفسه، و يستعملان باللام كما صرّح به في النهاية.

قال السيّد ــ رحمه اللّه ــ في النهج بعد إتمام الخطبة: قوله ــ عليه السلام ــ في هذه الخطبة «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم» يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها، و إن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها؛ يقال: «أشنق الناقة» إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه، و شنقها أيضاً. ذكر ذلك ابن سكّيت في إصلاح المنطق، و إنّما قال: «أشنق لها» ولم يقل «أشنقها» لأنّه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكأنّه ــ عليه السلام ــ قال: إن رفع رأسها بالزمام بمعنى أمسكه عليها. انتهى. فاللام للازدواج. و «الخزم» الشقّ، يقال: «خرم فلاناً» ــ كضرب ــ أي شقّ وترة أنفه، وهي مابين منخريه، فخرم هو كفرح، والمفعول محذوف و هو ضمير الصعبة كما يظهر من كلام بعض اللغويّين أو أنفها كما يدلّ عليه كلام السيّد و ابن الاثير و بعض الشارحين. و «أسلس لها» أي أرخى زمامها لها. و «تقحّم» أي رمى نفسه في مهلكة، و «تقحّم الانسان الأمر» أي رمى فيها من غير رويّة. و ذكروا في بيان المعنى وجوهاً:

منها: أنّ الضمير في «صاحبها» يعود إلى الحوزة المكنّى بها عن الخليفة أو أخلافه، و المراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار و غيره؛ والمعنى أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة فلو تسرّع إلى إنكار القبائح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينها و فساد الحال، ولو سكت و خلّاه و ما يصنع أدّى إلى خسران المال.

و منها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة، والمراد بصاحبها نفسه ــ عليه السلام ــ والمعنى أنّ قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل و فساد أمر الخلافة رأساً و تفرّق نظام المسلمين، و سكوتي عنه يورث التقحّم في موارد الذلّ و

الصغار.

و منها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة، و صاحبها من تولّى أمرها مراعياً للحق و ما يجب عليه، والمعنى أنّ المتولّي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحقّ و زجر الناس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم و تفرّقهم عنه لشدّة الميل إلى الباطل، و إن فرّط في المحافظة على شرائطها ألقاه التفريط في موارد الهلكة؛ و ضعف هذا الوجه و بعده واضح.

هذا ما قيل من الوجوه و لعلّ الأوّل أظهر و يمكن فيه تخصيص الصاحب به ـ عليه السلام ـ فالغرض بيان مقاساته الشدائد في أيّام تلك الحوزة الخشناء للمصاحبة، وقد كان يرجع إليه ـ عليه السلام ـ بعد ظهور الشناعة في العثرات و يستشيره في الأمور للأغراض.

ويحتمل عندي وجه آخر وهو أن يكون المراد بالصاحب عمر، و بالحوزة سوء أخلاقه، ويحتمل إرجاع الضمير إلى الخلافة؛ والحاصل أنّه كان لجهله بالأمور وعدم استحقاقه للخلافة و اشتباه الأمور عليه كراكب الصعبة فكان يقع في أمور لايمكنه التخلّص منها، أولم يكن شيء من أموره خالياً عن المفسدة، فإذا استعمل الجرأة و الجلادة و الغلظة كانت على خلاف الحقّ، و إن استعمل اللّين كان للمداهنة في الدين.

«فمُني الناس ـ لعمرالله ـ بخبط و شماس، و تلوّن و اعتراض»، «مني» على المجهول، أي ابتلى. و«العمر» بالضمّ و الفتح، مصدر «عمرالرجل» بالكسر، إذا عاش زماناً طو يلاً، ولايستعمل في القسم إلّا «العَمر» بالفتح، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء واللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف، والتقدير «لعمرالله قسمي»، و إن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر. والمعنى على التقديرين: أحلف ببقاء الله و دوامه. و «الخبط» بالفتح، السير على غير معرفة و في غير جادّة. و«الشماس» بالكسر، النفار، يقال: «شمس الفرس شموسا و شماساً» أي منع ظهره فهو فرس شموس بالفتح و به شماس. و«التلوّن» في الإنسان أن لايثبت على خُلق واحد. و«الاعتراض» السير على

غير استقامة كأنّه يسير عرضاً؛ والغرض بيان شدّة ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله واستبداده برأيه مع تسرّعه إلى الحكم و إيذائهم بحدّته و بالخشونة في الأقوال و الأفعال الموجبة لنفارهم عنه و بالنفارعن الناس كالفرس الشموس، و التلوّن في الآراء و الأحكام لعدم ابتنائها على أساس قويّ و بالخروج عن الجادّة المستقيمة الّتي شرعها اللّه لعباده، أو بالوقوع في الناس في مشهدهم و مغيبهم، أو بالحمل على الأمور الصعبة و التكاليف الشاقّة، و يحتمل أن يكون الأربعة أوصافاً للناس في مدّة خلافته، فإنّ خروج الوالي عن الجادّة يستلزم خروج الرعيّة عنها أحياناً، و كذا تلوّنه و اعتراضه يوجب تلوّنهم و اعتراضهم على بعض الوجوه، و خشونته يستلزم نفارهم. و سيأتي تفاصيل تلك الأمور في الأبواب الآتية إن شاء اللّه– تعالى–.

«فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم»، وفي تلخيص الشافي: «زعم أنّي سادسهم»؛ و «المحنة» البليّة الّتي يمتحن بها الإنسان. و «الزعم» مثلّثة، قريب من الظنّ، وقال ابن اثير، إنّما يقال: زعموا في حديث لاسند له و لا ثبت فيه. و قال الزمخشريّ: هي مالايوثق به من الأحاديث. و روي عن الصادق– عليه السلام– أنّه قال: «كلّ زعم في القرآن كذب». و كانت مدّة غصبه للخلافة على مافي الاستيعاب عشر سنين وستّة أشهر، وقال: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين. و قال الواقدي وغيره: لثلاث بقين منه، طعنه أبولؤلؤة فيروزغلام المغيرة بن شعبة. واشتهر بين الشيعة أنه قتل في التاسع من ربيع الأوّل، وسيأتي فيه بعض الروايات والجماعة الّذين أشار– عليه السلام– إليهم أهل مجلس الشورى وهم ستّة على المشهور: عليّ– عليه السلام– وعثمان وطلحة والزبير وسعدبن أبي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف. وقال الطبريّ لم يكن طلحة ممّن ذكر في الشورى ولاكان يومئذ بالمدينة. وقال أحمدبن أعثم: لم يكن بالمدينة، فقال عمر: انتظروا بطلحة ثلاثة أيّام فإن جاء وإلّا فاختاروا رجلاً من الخمسة.

«فيالله وللشورى»، «الشورى»– كبشرى– مصدر بمعنى المشورة، واللام في «فيالله» مفتوحة لدخولها على المستغاث، أُدخلت للدلالة على اختصاصهابالنداء

للاستغاثة، وأمّا في «وللشورى» فكسورة دخلت على المستغاث له، والواو زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً، قيل: كأنّه قال: «فيالعمر و للشورى، أولي و للشورى» ونحوه؛ و الأظهر فيالله لما أصابني عنه أو لنوائب الدهر عامّة وللشورى خاصّة، والاستغاثة للتألّم من الاقتران بمن لايدانيه في الفضائل ولايستأهل للخلافة. و سيأتي قصّة الشورى في بابها.

«متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر!». وفي رواية الشيخ وغيره «فياللشُورى، والله متى اعترض الريب فيّ مع الأوّلين فأنا الآن أُقرن». و في الاحتجاج «مع الأوّلين منهم حتّى صرت الآن يقرن بي هذه النظائر». يقال: «اعترض الشيء» أي صار عارضاً كالخشبة المعترضة في النهر. و«الريب» الشكّ. و المراد بالأوّل أبوبكر، و «أقرن إليهم» على لفظ المجهول، أي أُجعل قريناً لهم ويجمع بيني وبينهم. و النظائر الخمسة أصحاب الشورى، وقيل: الأربعة، كماسيأتي. والتعبير عنهم بالنظائر لأنّ عمر جعلهم نظائر له ــ عليه السلام ــ، أولكون كلّ منهم نظير الآخرين.

«لكنّي أسففت إذ أسفّوا، وطرت إذطاروا». و في رواية الشيخ: «ولكنّي أسففت مع القوم حيث أسفّوا، و طرت مع القوم حيث طاروا.» قال في النهاية في شرح هذه الفقرة: «أسفّ الطائر» إذا دنا من الأرض، و«أسفّ الرجل للأمر» إذا قاربه. و«طرت» أي ارتفعت استعمالاً للكلّي في أكمل الأفراد بقرينة المقابلة. و قال بعض الشارحين: أي لكنّي طلبت الأمر إن كان المنازع فيه جليل القدر أوصغير المنزلة لأنّه حقّي ولم أستنكف من طلبه، و الأظهر أنّ المعنى أنّي جريت معهم على ماجروا، و دخلت في الشورى مع أنّهم لم يكونوا نظرآء لي، وتركت المنازعة للمصلحة؛ أوالأعمّ من ذلك بأن تكلّمت معهم في الاحتجاج أيضاً بما يوافق رأيهم و بنيت الكلام على تسليم حقيّة مامضى من الأمور الباطلة، و أتممت الحجّة عليهم على هذا الوجه.

«فصغى رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره، مع هن و هن»، «الصغي» الميل، و منه: «أصغت إليه» إذا ملت بسمعك ونحوه، و«الضغن» بالكسر،

الحقدوالعداوة. و «الصهر» بالكسر، حرمة الختونة، وقال الخليل: «الأصهار» أهل بيت المرأة، و من العرب من يجعل الصهر من الأحماء و الأختان جميعاً. و «هن» على وزن أخ، كلمة كناية و معناه شيء، وأصله هنو؛ وقال الشيخ الرضي — رضي الله عنه —: «الهن» الشيء المنكر الّذي يستهجن ذكره من العورة، و الفعل القبيح وغير ذلك. و الّذي مال للضغن سعدبن أبي وقّاص لأنّه — عليه السلام — قتل أباه يوم بدر وسعد أحد من قعد عن بيعة أميرالمؤمنين — عليه السلام — عند رجوع الأمراليه؛ كذا قال الراوندي — رحمه الله —، وردّه ابن أبي الحديد بأنّ أباوقّاص — واسمه مالك بن وهيب — مات — في الجاهليّة حتف أنفه، وقال: المرادبه طلحة وضغنه لأنّه تيميّ و ابن عمّ أبي بكر، و كان في نفوس بني هاشم حقد[87] شديد من بني تيم لأجل الخلافة و بالعكس، والرواية الّتي جائت بأنّ طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى و إن صحّت، فذو الضغن هو سعد لأنّ أُمّه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبدشمس، والضغنة الّتي كانت عنده من قبل أخواله الّذين قتلهم عليّ — عليه السلام — ولم يعرف أنّه — عليه السلام — قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضّغن إليه. والّذي مال لصهره هوعبدالرّحمن لأنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبدالرّحمن و هي أخت عثمان من أمّه أروى بنت كويزبن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. و في بعض نسخ كتب الصدوق — رحمه الله — «فمال رجل بضبعه» بالضّاد المعجمة والباء، وفي بعضها باللام. وقال الجوهريّ: «الضبع» العضد و«ضبعت الخيل» مدّت أضباعها في سيرها. و قال الأصمعيّ: «الضبع» أن يهوي بحافره إلى عضده و كذا في ضبع فلان بالضمّ، أي في كنفه و ناحيته، و قال: يقال: «ضلعك مع فلان» أي ميلك معه و هواك، و يقال: «خاصمت فلاناً فكان ضلعك عليّ» أي ميلك. و في رواية الشيخ: «فمال رجل لضغنه، و أصغى آخرلصهره». و لعلّ المراد بالكناية رجاءه أن ينتقل الأمر إليه بعد عثمان و ينتفع بخلافته والانتساب إليه باكتساب الأموال و الاستطالة والترفّع على الناس، أونوع من الانحراف عنه — عليه السلام — وقد عدّمن المنحرفين، أو غير ذلك ممّا

٨٧ — في بعض النسخ: حنق.

هو— عليه السلام— أعلم به. ويحتمل أن يكون الظرف متعلّقاً بالمعطوف و المعطوف عليه كليهما فالكناية تشتمل ذا الضغن أيضاً.

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنوأبيه يخضعون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». و في رواية الشيخ: «أن قام الثالث نافجاً حضنيه، بين نثيله و معتلفه منها، و أسرع معه بنوأبيه في مال الله يخضعونه». و «الحِضن» بالكسر، مادون الإبط إلى الكشح. و«النفج» بالجيم، الرفع يقال: «بعير منتفج الجنبين» إذا امتلأمن الأكل فارتفع جنباه، و«رجل منتفج الجنبين» إذا افتخرىما ليس فيه؛ وظاهر المقام التشبيه بالبعير. و قال ابن الأثير: كنّي به عن التعاظم و الخيلاء،قال: و يروى «نافخاً» بالخاء المعجمة، أي منتفخاً مستعدّاً لأن يعمل عمله من الشرّ. والظاهر على هذه الرواية أنّ المراد كثرة الأكل. و «النثيل» الرّوث. و «المعتلف» بالفتح، موضع الاعتلاف و هو أكل الدابّة العلف، أي كان همّه الأكل والرجع كالبهائم، وقدمرّ تفسير مافي رواية الصدوق —رحمه الله—. قال في القاموس: «النّثيل» بالكسر، وعاء قضيب البعيرأو القضيب نفسه. و «الخضم» الأكل بجميع الفم، و يقابله القضم أي بأطراف الأسنان.

وقال في النهاية: في حديث عليّ— عليه السلام— «فقام معه بنوأبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». «الخضم»الأكل بأقصى الأضراس،و«القضم» بأدناها، و منه حديث أبي ذرّ: «تأكلون خضماً، ونأكل قضماً» وقيل: «الخضم» خاصّ بالشيء الرطب و«القضم» باليابس، والفعل «خضم»— كعلم— على قول الجوهريّ وابن الأثير، وفي القاموس: كسمع وضرب. و أُعرب المضارع في النسخ على الوجهين جيعاً. و قالوا: «النبتة» بالكسر، ضرب من فعل النبات، يقال: إنّه لحسن النّبتة، والكلام إشارة إلى تصرّف عثمان و بني أميّة في بيت مال المسلمين و إعطائه الجوائز و إقطاعه القطايع كما سيأتي إن شاء الله.

«إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته». و في الاحتجاج: «الى أن كبت به بطنته، و أجهز عليه عمله». و «الانتكاث» الانتقاض،

يقال: «نكث فلان العهد والحبل فانتكث» أي نقضه فانتقض. و«فتل الحبل» برمه وليّ شقيّه. و «الإجهاز» إتمام قتل الجريح وإسراعه، وقيل: فيه إيماء إلى ما أصابه قبل القتل من طعن أسنّة الألسنة وسقوطه عن أعين الناس. و «كبا الفرس» سقط على وجهه و «كبابه»... أسقطه. و «البطنة» الكظّة أي الا متلاء من الطعام. و الحاصل أنّه استمرّت أفعالهم المذكورة إلى أن رجع عليه حيَله وتدابيره ولحقه وخامة العاقبة فوثبوا عليه و قتلوه كما سيأتي بيانه.

«فما راعني إلّا والناس ينثالون عليّ من كلّ جانب». و في الاحتجاج: «إلّا والناس رسل إليّ كعرف الضبع يسألوني [أن] أبايعهم و انثالوا عليّ حقّي». وفي رواية الشيخ: «فما راعني من الناس إلّا وهم رسل كعرف الضبع يسألوني أبايعهم و آبى ذلك وانثالوا عليّ». و«الرّوع» بالفتح، الفزع و الخوف، يقال: «رعت فلاناً وروّعته فارتاع» أي أفزعته ففزع و «راعني الشيء» أي أعجبني، والأوّل هنا أنسب. و«الثول» صبّ ما في الإناء و «انثال» انصبّ، و في بعض النسخ الصحيحة: «والناس إليّ كعرف الضّبع ينثالون». و«العرف» الشعر الغليظ النابت على عنق الدابّة، و «عرف الضبع» ممّا يضرب به المثل في الازدحام، و في القاموس: «الرّسَل» محرّكة، القطيع من كلّ شيء و «الرّسل» بالفتح، المترسّل من الشعر، و«قدرسل — كفرح — رسلاً» أي ما أفزعني حالة إلّا حالة ازدحام الناس للبيعة، وذلك لعلمهم بقبح العدول عنه — عليه السلام — إلى غيره.

«حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفاي». «الوطء» الدّوس بالقدم. و«الحسنان» السبطان — صلوات الله عليهما —. و نقل عن السيّد المرتضى — رضي الله عنه — أنّه قال: روى أبو عمرو أنّهما الإبهامان، و أنشد للشفريّ: «مهضومة الكشحين خزماء الحسن». و روي أنّه — صلوات الله عليه — كان يومئذ جالساً محتبياً وهي جلسة رسول الله — صلّى الله عليه و آله — المسمّاة بالقرفصاء فاجتمعوا ليبايعوه، زاحموا حتّى وطؤوا إبهاميه و شقّوا ذيله. قال: ولم يعن الحسن و الحسين — عليهما السلام — وهما رجلان كسائر الحاضرين. و «عطف الرجل» بالكسر، جانباه، فالمراد شقّ جانبي قميصه —

عليه السلام— أورداثه لجلوس النّاس أو وضع الأقدام و زحامهم حوله، وقيل: أراد خدش جانبيه— عليه السلام— لشدّة الاصطكاك و الزّحام. و في بعض النُّسخ الصّحيحة: «وشقّ عِطافي» وهو بالكسر الرداء و هو أنسب.

«مجتمعين حولي كربيضة الغنم»، «الربيض و الربيضة» الغنم المجتمعة في مربضها أي مأويها، وقيل: إشارة إلى بلادتهم و نقصان عقولهم لأنّ الغنم توصف بقلّة الفطنة.

«فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، و مرقت أُخرى، وفسق آخرون». و في رواية الشيخ و الاحتجاج: «وقسط آخرون». «نهض»— كمنع— قام و «النكث» النقض. و«المروق» الخروج. و «فسق الرجل»— كنصر و ضرب— فجر، وأصله الخروج. و «القسط» العدل و الجور، والمرادبه هنا الثاني، والمراد بالنّاكثة أصحاب الجمل— و قدروي أنّه - عليه السلام - كان يتلو وقت مبايعتهم: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»[88] —و بالمارقة أصحاب النهروان و بالفاسقة أوالقاسطة أصحاب صفّين. و سيأتي إخبار النبيّ— صلّى الله عليه و آله— بهم و بقتاله — عليه السلام— معهم.

كأنّهم لم يسمعوالله-سبحانه - يقول: «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَفَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[89].الظاهر رجوع ضمير الجمع إلى الخلفاء الثلاثة لا إلى الطوائف كما توهّم إذ الغرض من الخطبة ذكرهم لاالطوائف وهو المناسب لما بعد الآية لاسيّما ضمير الجمع في «سمعوها و وعوها». والغرض تشبيههم في الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا و زخارفها للأغراض الفاسدة بمن أعرض عن نعيم الآخرة لعدم سماع الآية و شرائط الفوز بثوابها؛ و المشار إليها في الآية هي الجنّة والإشارة للتعظيم، أي تلك الدار الّتي بلغك وصفها. و«العلوّ» هو التكبّر على عبادالله و الغلبة عليهم و الاستكبار عن العبادة. و«الفساد» الدّعاء إلى عبادة غيرالله أوأخذ المال

٨٨- الفتح: ١٠.
٨٩- القصص: ٨٣.

وقتل النفس بغير حقّ أو العمل بالمعاصي والظلم على النّاس. والآية لمّا كانت بعد قصّة قارون و قبله قصّة فرعون فقيل: العلوّ إشارة إلى كفرفرعون لقوله- تعالى-: «عَلَا فِي الْأَرْضِ»[٩٠] والفساد إلى بغي قارون لقوله- تعالى-: «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ»[٩١]. في كلامه يحتمل كون الأوّل إشارة إلى الأوّلين، والثاني إلى الثالث، أو الجميع إليهم جميعاً، أو إلى جميع من ذكر في الخطبة كما قيل.

«بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها». و في رواية الشيخ: «بلى والله لقد سمعوها ولكن راقتهم دنياهم، وأعجبهم زبرجها». «وعى الحديث» - كرمى- فهمه و حفظه. و «حلى فلان بعيني و في عيني» بالكسر، إذا أعجبك، وكذلك «حلى- بالفتح- يحلو حلاوة». و«راقني الشيء» أعجبني. و «الزبرج» الزينة من وَشْي أو جوهرأو نحو ذلك، قال الجوهريّ: و يقال: الذهب. وفي النهاية: الزينة والذهب والسحاب.

«أما والّذي فلق الحبّة و برأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود النّاصر». و في رواية الشيخ: «لولا حضور النّاصر، ولزوم الحجّة، وما أخذ الله من أولياء الأمر». «الفلق» الشقّ. و «برأ» أي خلق، وقيل: قلّما يستعمل في غير الحيوان. و«النَّسَمَة» محرّكة، الإنسان أوالنفس والروح، والظاهر أنّ المراد بفلق الحبّة شقّها و إخراج النّبات منها، وقيل خلقها، وقيل: .هو الشّقّ الّذي في الحبّ. و«حضور الحاضر» إمّا وجود من حضر للبيعة فا بعده كالتفسيرله، أو تحقّق البيعة على ماقيل، أو حضوره- سبحانه- وعلمه، أو حضور الوقت الّذي وقّته الرّسول- صلّى الله عليه و آله- للقيام بالأمر.

«وما أخذ الله على العلماء أن لايقارّوا على كظّة ظالم ولاسغب مظلوم»، كلمة «ما» مصدريّة والجملة في محلّ النصب لكونها مفعولاً لـ«أخذ» ، أوموصولة والعائد مقدّرو الجملة بيان لما أخذه الله بتقدير حرف الجرّ، أو بدل منه، أوعطف بيان له. و «العلماء»

٩٠- القصص: ٤.
٩١- القصص: ٧٧.

إمّا الأئمة — عليهم السلام — أوالأعمّ فيدلّ على وجوب الحكم بين النّاس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط؛ و في الاحتجاج: «على أولياء الأمرأن لايقرّوا» و «المقارّة» — على ماذكره الجوهريّ — أن تقرّمع صاحبك وتسكن، وقيل: إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمرو تراضيها به. و «الكظّة» مايعتري الإنسان من الامتلاء من الطعام. و «السغب» بالتحريك، الجوع.

«لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها» الضمائر راجعة إلى الخلافة. و «الغارب» مابين السنام و العنق أومقدّم السنام. و«إلقاء الحبل عليه» ترشيح لتشبيه الخلافة بالناقة الّتي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولايبالي من يأخذها ومايصيبها، وذكر الحبل تخييل. و «الكأس» إناء فيه شراب أو مطلقاً. وسقيها بكأس أوّلها تركها و الإعراض عنها لعدم النّاصر، وقال بعض الشارحين: التعبير بالكأس لوقوع النّاس بذلك الترك في حيرة تشبه السكر.

«و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز». و في الاحتجاج: «ولألفوا دنياهم أهون عندي». قوله — عليه السلام — «ألفيتم» أي وجدتم، وإضافة الدنيا إلى المخاطبين لتمكّنها في ضمائرهم و رغبتهم فيها، والإشارة للتحقير. و «الزهد» خلاف الرغبة، و«الزهيد» القليل، وصيغة التفضيل على الأوّل على خلاف القياس كأشهر وأشغل. و «العنز» بالفتح، أنثى المعز، و«عفطها» مايخرج من أنفها عند النّثرة وهي منها شبه العطسة؛ كذا قال بعض الشارحين. وأورد عليه أنّ المعروف في العنز النفطة بالنون وفي النعجة العفطة بالعين، صرّح به الجوهريّ والخليل في العين، وقال بعض الشارحين: العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان و هوغيرمعروف، وقال ابن الأثير: أي ضرطة عنز.

«قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته قال ابن عباس — رحمة اللّه عليه —: يا أميرالمؤمنين! لوأطردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال له: هيهات يابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت». «أهل السواد» ساكنوا القرى، و تسمّى القرى سواداً

لخضرتها بالزرع و الأشجار، والعرب تسمّي الأخضر أسود. و«ناوله» أعطاه، و يحتمل أن يكون «أطردت» على صيغة الخطاب من باب الإفعال، ونصب المقالة على المفعوليّة أوعلى صيغة المؤنّث الغايب من باب الافتعال و رفع المقالة على الفاعليّة والجزاء محذوف أي كان حسناً، أوكلمة «لو» للتمنّي. وقدمرّ تفسير «الشّقشِقة» بالكسر. و«هدير الجمل» ترديده الصوت في حنجرته و إسناده إلى الشّقشِقة تجوّز. و «قرّت» أي سكنت، و قيل: في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التـأثير في السامعين كما ينبغي، أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنها سلطنة، أوللإشعار بانقضاء مدّته– عليه السلام– فإنّها كانت في قرب شهادته– عليه السلام–، أولنوع من التقيّة، أولغيرها.

«قال ابن عباس: فواللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام ألّا يكون أميرالمومنين– عليه السلام– بلغ منه حيث أراد»، «الأسف» بالتحريك، أشدّ الحزن، والفعل كعلم، و«قطُّ» من الظروف الزمانيّة بمعنى أبداً.

وحكى ابن أبي الحديد عن ابن الخشّاب أنّه قال: لوسمعت ابن عبّاس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمرلم يبلغه لتتأسّف؟ والله مارجع عن الأوّلين ولاعن الآخرين.[٩٢]

أقول. إنّما أطنبت الكلام في شرح تلك الخطبة الجليلة لكثرة جدواها وقوّة الاحتجاج بها على المخالفين وشهرتها بين جميع المسلمين وإن لم نوفّ في كلّ فقرة حقّ شرحها حذراً من كثرة الإطناب و تعو يلاً على مابيّنته في سائر الأبواب.[٩٣]

٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٥، ط بيروت.

٩٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، كتاب «الفتن والمحن»، ص ١٥٤، ط تبريز.

٤ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم
ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير

بِنَا ٱهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمْ (١٤٧) ذُرْوَةَ ٱلْعَلْيَاءِ، وبِنَا أَفْجَرْتُمْ (١٤٨) عَنِ السِّرَارِ (١٤٩). وُقِرَ (١٥٠) سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ ٱلْوَاعِيَةَ (١٥١)، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ (١٥٢) مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟ رُبِطَ جَنَانٌ (١٥٣) لَمْ يُفَارِقْهُ ٱلْخَفَقَانُ. مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ ٱلْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ (١٥٤) بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ (١٥٥)، حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ (١٥٦)، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ. أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ ٱلْحَقِّ فِي جَوَادِّ ٱلْمَضَلَّةِ (١٥٧)، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلا تُمِيهُونَ (١٥٨).

ٱلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ ٱلْعَجْمَاءَ (١٥٩) ذَاتَ ٱلْبَيَانِ! عَزَبَ (١٦٠) رَأْيُ ٱمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي! مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ خِيفَةً (١٦١) عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلالِ! ٱلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا (١٦٢) عَلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ!

بيان[٩٤]: قوله ــ عليه السلام ــ: «وتسنّمتم العلياء» أي ركبتم سنامها، وسنام

٩٤- هذه الخطبة رواها من «الإرشاد» للمفيد ــ رحمه الله ــ وفسّره ثمّ قال: «ورواه في النهج بأدنى تغيير»، ونحن نذكر ذلك التفسير في شرحنا هذا.

كلّ شيء أعلاه، أي بتلك الهداية على قدركم. «و بنا انفجرتم» و روي «أفجرتم»، قال ابن أبي الحديد: هو نحو «أغد البعير» أي صرتم ذوي فجر.[٩٥] و«عن» للمجاوزة أي منتقلين عن السرار. و«السرار» الليلة و الليلتان يسترفيهما القمر في آخر الشهر. **أقول:** وعلى الرواية الأخرى لعلّ المعنى: انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل. «وقرسمع» دعاء على السمع الّذي لم يفقه كلام الداعي إلى الله بالثقل و الصمّ. «كيف يراعي الغَبأة» أي من أصمّته الصيحة القويّة فإنّه لم يسمع الصوت الضعيف، والمعنى: من لم ينتفع بالمواعظ الجليّة كيف ينتفع بالعبر الضعيفة، ولعلّه كناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى دعاء الله و رسوله. «ربط جنان» دعاء للقلوب الخائفة الوجلة الّتي لا تزال تخفق من خشية الله و الإشفاق من عذابه بالسكينة والثبات و الاطمئنان، والتقدير: ربط جنان نفسه؛ و من روى بضمّ الراء فالمعنى: ربط الله جناناً كانت كذلك وهو أظهر. «الخَفَقان» بالتحريك، التحرّك والاضطراب. «مازلت أنتظربكم» الخطاب لبقيّة أصحاب الجمل أومع المقتولين أو الأخير فقط و إضافة عواقب الغدر بيانيّة أولاميّة. و«التوسّم» التفرّس، أي كنت أتفرّس منكم أنكم ستغترّون بالشبه الباطلة.

«سترني عنكم جلباب الدين» أي الدين حال بينكم و بيني فلم تعرفوا ما أقوى عليه من الغلظة عليكم و قتلكم، وسترني عن أعين قلوبكم ما وقفني عليه الدين من الرفق و الشفقة وسحب ذيل العفوعلى الجرائم، و يحتمل أن يكون المعنى: إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منّي مع علمي بنفاقكم فأجريتكم مجرى المخلصين، وهذا أنسب بمارواه بعضهم «ستركم عنّي». «و بصّرنيكم صدق النيّة» أي يجعلني بصيراً بكم إخلاصي لله- تعالى- و به صارت مرآة نفسي صافية كما قال النبيّ - صلّى الله عليه و آله-: «المؤمن ينظر بنورالله»، ذكره ابن ميثم[٩٦] والراونديّ. و يحتمل أن يكون المراد بصدق النيّة العلم الصادق الحاصل له- عليه السلام- بنفاقهم من العلامات كما

٩٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٨، ط بيروت.

٩٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٧٣، ط بيروت.

قال الله- تعالى-: «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ»[٩٧]. أي أنزلكم منزلة المخلصين لظاهر إسلامكم مع علمي واقعاً بنفاقكم.

و قال الراونديّ- رحمه الله-: ويحتمل وجه آخر و هوأن يكون المعنى: إنّما أخفى رتبتي و منزلتي عليكم ما أنا متباطئة التخلّق بأخلاق الديانة و هو أنّه لايعرّفهم نفسه لِمفاخرها و مآثرها فيكون من باب قوله «إنَّ هيهنا لعلماً جمّاًلوأصبت له حملة»، وعلى هذا يكون معناه: إنكم إن قد صدقت نيّاتكم و نظرتم بعين صحيحة و أنصفتموني أبصرتم منزلتي.

«أقمت لكم على سنن الحقّ» أي قمت لكم على جادّة طريق الحقّ حيث يضلّ من تنكب عنه ولا دليل غيري، وحيث تحتفرون الآبار لتحصيل الماء. «ولا تُميهون» أي لاتجدون ماءً. «اليوم أنطق لكم العجماء» كنّي بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحة وماحلّ لقوم فسقوا عن أمرربّهم وعمّا هو واضح من كمال فضله -عليه السلام- وعن حال الدين و مقتضى أوامر الله- تعالى- فإنّ هذه الأمورعجماء لانطق لها مقالاً ذات البيان حالاً. و لمّا بيّنها- عليه السلام- لهم و عرّفهم مايقوله لسان حالها فكأنّه -عليه السلام- أنطقها لهم، وقيل: «العجماء» صفة لمحذوف، أي الكلمات العجماء، والمراد بها مافي هذه الخطبة من الرموز الّتي لانطق لها مع أنّهاذات بيانٌ عند أولي الألباب. «عزب» أي بعد، و يحتمل الإخبار والدعاء. و«أوجس في نفسه خيفة» أضمر. «اليوم تواقفنا» أي أنا واقف على سبيل الحقّ وأنتم على الباطل. «من وثق بماء» لعلّ المراد من كان على الحقّ و أيقن ذلك واعتمد على ربّه لايبالي بما وقع عليه كما أنّ من وثق بماء لم يفزعه عطشه.

وقال الشارحون: أي إن سكنتم إلى قولي ووثقتم به كنتم أبعد عن الضلال و أقرب الى اليقين.

و قال القطب الراونديّ - رحمه الله-: أخبر نابهذه الخطبة جماعة عن جعفر الدوريستيّ، عن أبيه محمّدبن العبّاس، عن محمّد بن عليّ بن موسى، عن محمّد بن

٩٧- محمّد: ٣٠.

عليّ الاسترآبادي، عن عليّ بن محمد بن سيّار، عن أبيه، عن الحسن العسكريّ، عن آبائه، عن أمير المؤمنين —عليهم السلام—.[٩٨]

٥ — ومن خطبة له عليه السلام

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة (وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه)

النهي عن الفتنة

أَيُّها النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ ٱلْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تِيجَانَ ٱلْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ (١٦٣) ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا (١٦٤) كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ .

خلقه وعلمه

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا : جَزِعَ (١٦٥) مِنَ ٱلْمَوْتِ ! هَيْهَاتَ (١٦٦) بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي (١٦٧) ! وَٱللهِ لَٱبْنُ

٩٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٣، ط كمپاني وص ٤١٣، ط تبريز.

أبي طَالِبِ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ(١٦٨) عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ(١٦٩) في الطَّوِيِّ(١٧٠) الْبَعِيدَةِ!

٦ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما أشير عليه بألا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال
وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ(١٧١)، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا(١٧٢) رَاصِدُهَا(١٧٣)، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ(١٧٤) أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا

بيان: «اللدم» صوت الحجر أوالعصا أوغيرهما يضرب بها الأرض ضرباً ليس بشديد، يحكى أنّ الضبع يستغفل في حجرها بمثل ذلك فيسكن حتى يصاد، ويضرب بها المثل في الحمق.[٩٩]

٧ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يذم فيها أتباع الشيطان

٩٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٢١، ط كمپاني وص ٣٩٣، ط تبريز.

ٱتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً(١٧٥) ، وَٱتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً(١٧٦) ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ(١٧٧) في صُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرَجَ(١٧٨) في حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ(١٧٩) ، وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلْخَطَلَ(١٨٠) ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ(١٨١) الشَّيْطَانُ في سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ بِٱلْبَاطِلِ عَلَىٰ لِسَانِهِ !

بيان: «مِلاك الأمر» بالكسر، مايقوم به. و «الأشراك» إمّا جمع «شريك» أي عدّهم من شركائه في إضلال الناس، أوجمع «شرك» بالتحريك، أي جعلهم حبائل لاصطياد الخلق. «فباض وفرّخ» كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. و«الدبّ» المشي الضعيف و«الدرج» أقوى منه، و هما كنايتان عن تربيتهم الباطل و ملازمة الشيطان لهم حتّى صاروا كالوالدة له.[١٠٠] و«الزلل» في الأعمال، و«الخطل» في الأقوال. و الباء في «ركب بهم» للتعدية، والضمير في «سلطانه» راجع إلى «من» أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله له من السلطان على الأعمال و الأقوال، أو إلى الشيطان فيما جعله الله، أي كأنّهم الأصل في سلطانه و قدرته على الإضلال.[١٠١]

٨ — ومن كلام له عليه السلام

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في البيعة ثانية

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِٱلْبَيْعَةِ ، وَٱدَّعَىٰ ٱلْوَلِيجَةَ(١٨٢) . فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا

١٠٠- في بعض النسخ: حتّى صاروا كالوالدين.

١٠١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمباني و ص ٦٦٠، ط تبريز.

خَرَجَ مِنْهُ .

بيان: «الوليجة» البطانة، والأمر يسرّ و يكتم. قال ابن أبي الحديد:[١٠٢] كان الزبير يقول: بايعت بيدي لابقلبي، وكان يدّعي تارة أنّه أكره عليها و يدّعي أنّه ورّى في البيعة تورية، فقال— عليه السلام—: بعد الإقرار لايسمع دعوى بلابيّنة ولابرهان.[١٠٣]

٩ — ومن كلام له عليه السلام

في صفته وصفة خصومه ويقال إنها في أصحاب الجمل

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا(١٨٣) ، وَمَعَ هٰذَيْنِ ٱلْأَمْرَيْنِ ٱلْفَشَلُ(١٨٤) ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ(١٨٥) ، وَلا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

بيان: يقال: «أرعد الرجل وأبرق» إذاتوعّد وتهدّد. قوله— عليه السلام— «حتّى نوقع» لعلّ المعنى: لسنا نهدّد حتّى نعلم أنّا سنوقع. قوله— عليه السلام— «حتّى نمطر» أي إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالإيقاع غيره من خصومنا.[١٠٤]

١٠ — ومن خطبة له عليه السلام

يريد الشيطان أو يكني به عن قوم

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ(١٨٦) ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَّسْتُ عَلَىٰ نَفْسِي(١٨٧) ، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَٱيْمُ

١٠٢– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣٠، ط بيروت.

١٠٣– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط تبريز.

١٠٤– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط تبريز.

اَللهِ لَأُفْرِطَنَّ(١٨٨) لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(١٨٩)! لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ، (١٩٠) وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل ملتقط ملفّق من خطبة له ـ عليه السّلام ـ لما بلغه أنّ طلحة والزّبير خلعا بيعته و هو غير منتظم[١٠٥].

و «الرّجل» جمع راجل. و قال ابن أبي الحديد في قوله ـ عليه السّلام ـ «لأفرطنّ لهم»: من رواها بفتح الهمزة فأصله «فرط» ثلاثيّ، يقال: «فرط القوم» سبقهم، و رجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيّئ لهم الأرشية والدّلاء، و منه قوله ـ عليه السلام ـ «أنا فرطكم على الحوض» و يكون التّقدير: لأفرطنّ لهم إلى حوض فخذف الجارّ وعدّي الفعل بنفسه كقوله ـ تعالى ـ: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ»[١٠٦] ويكون اللاّم في «لهم» إمّا للتقوية كقوله «يؤمن للمؤمنين» أي يؤمن المؤمنين، أو يكون اللاّم للتّعيل أي لأجلهم، و من رواها «لأفرطنّ» بضمّ الهمزه فهو من «أفرط المزادة» أي ملأها. و «الماتح» المستقي، «متح يمتح» بالفتح. و «المايح» بالياء الّذي ينزل إلى البئرفيملأ الدلو. و قال: «أنا ماتحه» أي خبيربه، كما يقول من يدّعي معرفة الدّار: «أنا باني هذه الدّار».[١٠٧]

و حاصل المعنى: لأملأنّ لهم حياض حرب، أولأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب بها مجرّب لها، إذا وردوها لايصدرون عنها، يعني قتلهم و من فرّمنها لايعود إليها.[١٠٨]

١١ — ومن كلام له عليه السّلام

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

١٠٥- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٨٥، ط بيروت.

١٠٦- الأعراف: ١٥٥.

١٠٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤١، ط بيروت.

١٠٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط تبريز.

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ! عَضَّ عَلَىٰ نَاجِذِكَ[١٩١]. أَعِرِ[١٩٢] ٱللّٰهَ جُمْجُمَتَكَ. تِدْ[١٩٣] فِي ٱلْأَرْضِ قَدَمَكَ. ٱرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ[١٩٤]، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ.

بيان: قوله ــ عليه السلام ــ «تزول الجبال» خبر فيه معنى الشّرط، فالمعنى: إن زالت الجبال فلا تزل. و «النّواجذ» أقصى الأضراس، و قيل: الأضراس كلّها. والعضّ على النّاجذ يستلزم أمرين: أحدهما رفع الرعدة والاضطراب في حال الخوف كما يشاهد ذلك في حال البرد، و ثانيها أنّ الضرب في الرأس لايؤثّر مع ذلك كما ذكر ــ عليه السلام ــ في موضع آخر: «عضّوا على النواجذ فإنّه أبنى للسّيوف عن الهام»؛ فيحتمل أن يراد به شدّة الحنق والغيظ. قوله ــ عليه السلام ــ «أعر اللّه» أمر من الإعارة، أي ابذلها في طاعة اللّه. والجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدّماغ، قيل: ذلك إشعار بأنّه لايقتل في ذلك الحرب لأنّ العارية مردودة بخلاف مالوقال: «بع اللّه جمجمتك» و هذا الوجه و إن كان لطيفاً لكنّ الظّاهر أنّ إطلاق الإعارة باعتبار الحياة عندربّهم و في جنّة النّعيم. قوله عليه السّلام ــ «تد» أي أثبتها في الأرض كالوتد. قوله ــ عليه السلام ــ «ارم ببصرك» أي اجعل مطمح نظرك أقصى القوم ولا تقصر نظرك على الأداني و أجل عليهم فإذا حملت و عزمت فلا تنظر إلى شوكتهم و سلاحهم، ولا تبال ما أمامك. قوله ــ عليه السلام ــ «وغضّ بصرك» أي عن بريق السّيوف و لمعانها لئلّا يحصل خوف بسببه.[١٠٩]

١٢ ــ ومن كلام له عليه السلام

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

١٠٩ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٣٤، ط كمپاني وص ٤٠٥، ط تبريز.

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَهوَى (١٩٥) أَخيكَ مَعَنا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَدْ شَهِدَنَا ، وَلَقَدْ شَهِدَنَا ! في عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ في أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ (١٩٦) ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .

بيان: «سيرعف بهم الزمان»، «الرُّعاف» الدم الخارج من أنف الإنسان، والمعنى: سيخرجهم الزمان من العدم إلى الوجود، من قبيل الإسناد إلى الظرف أوالشرط.[١١٠]

١٣ — وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ (١٩٧) ؛ رَغَا (١٩٨) فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ (١٩٩) فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ (٢٠٠) ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ (٢٠١) ، وَٱلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ (٢٠٢) بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ (٢٠٣) قَدْ بَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهَا ٱلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا .

وفي رواية : وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّىٰ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ (٢٠٤)

١١٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٥، ط كمپاني وص ٤١٤، ط تبريز.

وفي رواية : كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ في لُجَّةِ بَحْرٍ (٢٠٥)

وفي رواية أخرى : بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ (٢٠٦) بِلَادِ ٱللهِ تُرْبَةً : أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ ، ٱلْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ ، وَٱلْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا ٱلْمَاءُ ، حَتَّىٰ مَا يُرَىٰ مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ ٱلْمَسْجِدِ (٢٠٧) ، كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ في لُجَّةِ بَحْرٍ !

١٤ — وَمِن كلامٍ لهُ عليهِ السَّلامُ

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ (٢٠٨) ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ (٢٠٩) لِنَابِلٍ (٢١٠) ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ (٢١١) .

[البيان التالي للخطبتين رقم ١٣ و ١٤]

بيان: «وأتباع البهيمة» لأنّ جمل عايشة كان راية عسكر البصرة. و «الرغاء» صوت الإبل.

قوله ــ عليه السلام ــ «أخلاقكم دقاق» قال ابن أبي الحديد: «الدقّ من كلّ شيء» حقيره و صغيره، يصفهم باللوم، و في الحديث: إنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّي

أحبّ أن أنكح فلانة إلاّ أنّ في أخلاق أهلها دقّة، فقال له: «إيّاك و خضرآء الدمن».[١١١]

و «الشّقاق» الخلاف والافتراق. و «الزعاق» المالح، و سبب ملوحة مائهم قربهم من البحر و امتزاج مائه بمائهم، قيل: ذكرها في معرض ذمّهم لعلّه من سوء اختيارهم هذا الموضع أوكونها سبباً لسوء المزاج والبلادة و غيرذلك كما تقوله الأطبّاء.

قوله ــ عليه السّلام ــ «بين أظهركم» أي بينكم على وجه الاستظهار والاستناد إليكم، و أمّا كونه مرتهناً بذنبه فلأنّ المقيم بينهم لابدّ و أن ينخرط في سلكهم و يكتسب من رذائل أخلاقهم فيكون موثقاً بذنوبه، أو إنّ كونه بينهم يجري مجرى العقوبة بذنبه، والخارج من بينهم لحقّه رحمة اللّه فوفّقه لذلك. و «جؤجؤ السّفينة» صدرها، ويقال: «جثم الطائر جثوماً» و هو بمنزلة البروک للإبل.

و قال ابن ميثم: و أمّا وقوع المخبر عنه فالمنقول أنها غرقت في أيّام القادر باللّه و في أيّام القائم غرقت بأجمعها، و غرق من في ضمنها، و خربت دورها، ولم يبق إلّا مسجدها الجامع. قال: و يمكن أن يكون المراد بقربها من الماء و بعدها من السّماء كون موضعها هابطاً قريباً من البحر، و قيل: المراد ببعدها من السّماء كونها بعيدة من دائرة معدل النّهار فإنّ الأرصاد دلّت على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن معدل النّهار الأُبلّة و الأُبلّة قصبة البصرة، و قيل: المراد بعدها عن سمآء الرّحمة مستعدّة لنزول العذاب.[١١٢] انتهى.

ولعلّ مراده أنّها أبعد بلاد العرب عن المعدل و إلّا فظاهر أنّ الأُبلّة ليست أبعد موضع في المعمورة و «الأُبلّة» بضمّ الهمزة والباء و تشديد اللّام المفتوحة، إحدى الجنّات الأربع و هي الموضع الّذي فيه الدّور و الأبنية الآن. و «السّفه» رذيلة مقابل الحلم. و «التّابل» ذوالتّبل. و «الأكلة» المأكول. و «الفريسة» مايفترسه السّبع. و «الصّولة» الحملة و الوثبة.[١١٣]

١١١– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٥٢، ط بيروت.
١١٢– شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤، ط بيروت.
١١٣– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٥، ط كمباني وص ٤١٤، ط تبريز.

١٥ — ومن كلام له عليه السلام

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه(٢١٢)

وَٱللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ ، وَمُلِكَ بِهِ ٱلْإِمَاءُ ؛ لَرَدَدْتُهُ ؛ فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ ، فَٱلْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ !

١٦ — ومن كلام له عليه السلام

لما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم
وفيها يقسمهم الى اقسام

ذِمَّتي(٢١٣) بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ(٢١٤) . وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٢١٥) . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ(٢١٦) عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْمَثُلاتِ(٢١٧) ، حَجَزَتْهُ(٢١٨) التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ(٢١٩) . أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا(٢٢٠) يَوْمَ بَعَثَ ٱللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ(٢٢١) بَلْبَلَةً ، وَلَتُغَرْبَلُنَّ(٢٢٢) غَرْبَلَةً ، وَلَتُسَاطُنَّ(٢٢٣) سَوْطَ ٱلْقِدْرِ(٢٢٤) ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا ، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا . وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٢٢٥) ، وَلا كَذَبْتُ

كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذَا ٱلْمَقَامِ وَهٰذَا ٱلْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ(٢٢٦) حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا(٢٢٧) ، فَتَقَحَّمَتْ(٢٢٨) بِهِمْ فِي النَّارِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلتَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ(٢٢٩) ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمُ ٱلْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ ، فَلَئِنْ أَمِرَ ٱلْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ ٱلْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ !

قال السيد الشريف : وأقول : إن في هــذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وان حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به. وفيه ــ مع الحال التي وصفنا ــ زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، ولا يطّلع فجها إنسان(٢٣٠) ، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق ، وجرى فيها على عرق(٢٣١). « وما يعقلها إلا العالمون » .

ومن هذه الخطبة وفيها يقسم الناس الى ثلاثة أصناف

شُغِلَ مَنِ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ أَمَامَهُ ! سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَىٰ . ٱلْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ ٱلْوُسْطَى هِيَ ٱلْجَادَّةُ(٢٣٢) ، عَلَيْهَا بَاقِي ٱلْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ ٱلْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنِ ٱدَّعَىٰ ، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ . مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ . وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ . لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَىٰ سِنْخُ(٢٣٣) أَصْلٍ ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا

فِي بُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

بيان: «الزعيم» الكفيل. «إنّ من صرّحت» أي كشفت. و«المثلات» العقوبات. و«قحم في الأمر و تقحّمه» رمى بنفسه فيه. و«الشبهات» ما اشتبه حقيّته وحلّيته، وقيل: أراد بالشبهات مايتوهم كونه حقاً ثابتاً باقياً من الأمور الزائلة الفانية. وقدمرّ تفسير باقي الكلام في باب شكايته — عليه السلام — .[١١٤]

١٧ — ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

وفيها : أبغض الخلائق إلى الله صنفان

الصنف الأول : إِنَّ أَبْغَضَ ٱلْخَلَائِقِ إِلَى ٱللهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ[٢٣٤] ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[٢٣٥] ، مَشْغُوفٌ[٢٣٦] بِكَلَامِ بِدْعَةٍ[٢٣٧] ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ ٱفْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[٢٣٨].

الصنف الثاني : وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً[٢٣٩] ، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ ٱلْأُمَّةِ[٢٤٠] ، عَادٍ[٢٤١] فِي أَغْبَاشِ[٢٤٢] ٱلْفِتْنَةِ ، عَمٍ[٢٤٣] بِمَا فِي عَقْدِ ٱلْهُدْنَةِ[٢٤٤] ؛ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَٱسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ ، مَا قَلَّ

١١٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٠، ط كمپاني وص ٣٧٥، ط تبريز.

مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ (٢٤٥)، وَاكْتَثَرَ (٢٤٦) مِن غَيْرِ طَائِلٍ (٢٤٧)، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ (٢٤٨) مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ (٢٤٩)، فَإنْ نَزَلَتْ بِهِ إحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً (٢٥٠) رَثّاً (٢٥١) مِن رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ في مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ؛ فَإنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ. جَاهِلٌ خَبَّاطُ (٢٥٢) جَهَالَاتٍ، عَاشٍ (٢٥٣) رَكَّابُ عَشَوَاتٍ (٢٥٤)، لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ. يَذْرُو (٢٥٥) الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ (٢٥٦). لَا مَلِيٌّ (٢٥٧) - وَاللهِ - بِإصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا أَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ (٢٥٨)، لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ في شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ (٢٥٩) لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ (٢٦٠). إلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ (٢٦١) مِنَ الْكِتَابِ إذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ (٢٦٢) بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ!

شا: روى ثقاة أهل النقل عند العامة والخاصة عن أمير المؤمنين - عليه السلام - كلام افتتاحه: الحمد لله والصلاة على نبيه؛ أما بعد، فذمّتي بما أقول رهينة

وأنابه زعيم إنّه لايهيج على التقوى زرع قوم، ولايظمأ عنه سنخ أصل، و إنّ الخير كلّه فيمن عرف قدره، و كفى بالمرء جهلاً أن لايعرف قدره، وأنّ أبغض الخلق عندالله رجل وكله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج فيها بالصوم و الصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌ عن هدى من كان قبله، مضلٌ لمن اقتدى به، حمّال خطا يا غيره، رهين بخطيئته، قدقمش جهلا في جهّال غشوه، غارٍّ بأغباش الفتنة، عميّ عن الهدى، قدسمّاه أشباه الناس عالماً، ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكّر فاستكثر ممّا[115] قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن و استكثر من غير طائل، جلس للناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، و إن نزلت به إحدى المهمّات هيّأ لها حشواً من رأيه ثمّ قطع عليه، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لايدري أصاب أم أخطأ؟! ولايرى أنّ من وراء مابلغ مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذّب رأيه، و إن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من نفسه من الجهل و النقص والضرورة كيلا يقال: إنّه لايعلم، ثمّ أقدم بغير علم فهو خائض عشوات، ركّاب شبهات، خبّاط جهالات، لايعتذر ممّا لايعلم فيسلم، ولايعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم، يدري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، و تصرخ منه الدماء، و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم به الحلال، لايسلم باصدار ما عليه ورد، ولايندم على مامنه فرّط.

أيّها الناس عليكم بالطاعة و المعرفة بمن لاتعذرون بجهالته، فإنّ العلم الّذي هبط به آدم و جميع ما فضّلت به النبيّون إلى محمّد خاتم النبيّين في عترة محمّد — صلّى الله عليه و آله —، فأين يُتاه بكم؟ بل أين تذهبون. يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة فهذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا في هاتيك من نجا كذلك ينجو في هذي[116] من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقّاً، و ما أنا من المتكلّفين. الويل لمن تخلّف ثمّ

١١٥- في النهج: من جمع ماقلّ منه.

١١٦- في الإرشاد المطبوع المصحح: هذه.

الويل لمن تخلّف. أما بلغكم ماقال فيهم نبيّكم — صلّى اللّه عليه وآله — حيث يقول في حجّة الوداع: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ألاهذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملحٌ أجاجٌ فاجتنبوا.

نهج: مرسلاً مثله.

إيضاح: «فذمّتي بما أقول رهينة و أنا به زعيم»، «الذمّة» العهد و الأمان و الضمان و الحرمة والحقّ. أي حرمتي أوضماني أو حقوقي عنداللّه مرهونة لحقّيّة ما أقوله. قال في النهاية: و في حديث عليّ — عليه السلام —: «ذمّتي رهينة و أنابه زعيم» أي ضماني وعهدي رهن في الوفاء به. وقال: «الزعيم» الكفيل. «إنّه لايهيج على التقوى زرع قوم»، قال الجزريّ: «هاج النبت هياجاً» أي يبس واصفرّ، و منه حديث عليّ — عليه السلام —: لايهيج على التقوى زرع قوم. أراد مَن عمل للّه عملاً لم يفسد عمله ولايبطل كما يهيج الزرع فيهلك. «ولايظمأ عنه سنخ أصل»، «الظمأ» شدّة العطش؛ قال الجزريّ: وفي حديث عليّ — عليه السلام —: «ولايظمأُ على التقوى سنخ أصل» السنخ والأصل واحد فلمّا اختلف اللفظان أضاف أحدهما إلى الآخر.

أقول: الفقرتان متقاربتان في المعنى، ويحتمل أن يكون المراد بهما عدم فوت المنافع الدنيويّة أيضاً بالتقوى، ويحتمل أن يراد بإحداهما إحداهما و بالاُخرى الاُخرى. وفي نهج البلاغة: «لايهلك على التقوى سنخ أصل، ولايظمأُ عليها زرع قوم».

«وإنّ الخير كلّه فيمن عرف قدره» قال ابن ميثم: أي مقداره و منزلته بالنسبة إلى مخلوقات اللّه — تعالى — و أنّه أيّ شيء منها، ولأيّ شيء خلق، وماطوره المرسوم له في كتاب ربّه و سنن أنبيائه.

«جائر عن قصد السبيل»، «الجائر» الضالّ عن الطريق، و«القصد» استقامة الطريق و وسطه، وفي بعض نسخ الكافي: «حائرٌ» بالحاء المهملة من الحيرة. «مشغوف بكلام بدعة»، قال الجوهريّ: «الشغاف» غلاف القلب و هو جلدة دون الحجاب،

يقال: «شغفه الحبّ» أي بلغ شغافه. «قد لهج فيها بالصوم و الصلاة»، قال الجوهريّ: «اللّهج بالشيء» الولوع به، وضمير فيها راجع إلى البدعة أي هو حريص في مبتدعات الصلاة والصوم، و«فيها» غير موجود في الكافي. «ضالٌّ عن هدى من كان قبله» هدى بضمّ الهاء و فتح الدال أوفتح الهاء و سكون الدال. وفي النهج بعد ذلك: مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته. وفي الكافي: و بعد موته.

«رهين بخطيئته» أي هو مرهون بها، قال المطرزيّ : «هورهين بكذا» أي مأخوذبه. «قدقمش جهلاً في جهّال». و في الكتابين: و رجل قمش جهلاً. و«القمش» جمع الشيء المتفرّق. «غشوه» أي أحاطوا به وليس فيها. «غارٌ بأغباش الفتنة»، قال الجوهريّ: «الغبش» ظلمة آخر اللّيل والجمع «أغباش» أي غفل وانخدع و اغترّ بسبب ظلمة الفتن و الجهالات أوفيها. «ولم يغن فيه يوماً سالماً»، قال الجزريّ: وفي حديث عليّ— عليه السلام—: «ورجل سمّاه الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً تامّاً» من قولك «غنيت بالمكان أغني» إذا أقمت به. انتهى.

قوله «سالماً» أي من النقص بأن يكون نعتاً لليوم، أوسالماً من الجهل بأن يكون حالاً عن ضمير الفاعل. «بكّر فاستكثر ممّا قلّ منه خير ممّا كثر» أي خرج في الطلب بكرةً، كنايةٌ عن شدّة طلبه و اهتمامه في كلّ يوم أوفي أوّل العمر وابتداء الطلب، و «ما» موصولة، و هي مع صلتها صفة لمحذوف أي من شيء ماقلّ منه خير ممّا كثر، ويحتمل أن تكون «ما» مصدريّة أيضاً وقيل: «قلّ» مبتدأ بتقدير «أن» و«خير» خبره، كقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ و المراد بذلك الشيء إمّا الشبهات المضلّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، أوزهرات الدنيا. «حتّى إذا ارتوى من آجن»، «الآجن» الماء المتعفّن المتغيّر، استعير للآراء الباطلة والأهواء الفاسدة. «واستكثر من غير طائل»، قال الجوهريّ: «هذا أمر لاطائل فيه» إذا لم يكن فيه غناء ومزيّة.

وان نزلت به إحدى الملهمّات— وفي الكتابين: المبهمات— هيّأها حشواً» أي كثيراً لافائدة فيها. «ثمّ قطع عليه» أي جزم به. «فهو من لبس الشبهات في مثل غزل

العنكبوت»، قال ابن ميثم: وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات الّتي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضية مبهمة تكثر فتلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلايهتدي له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت و ذهنه فيها يشبه لذباب الواقع فيه، فكمالا يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل لايقدر على التخلّص من تلك الشبهات.

أقول: ويحتمل أيضاً أن يكون المراد تشبيه مايلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها وظهور بطلانها، لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلايقدرون على التخلّص منها لجهلهم وضعف يقينهم، والأوّل أنسب بما بعده.

«لايرى أنّ من وراء مابلغ مذهباً» أي أنّه لوفورجهله يظنّ أنّه بلغ غاية العلم فليس بعد مابلغ إليه فكره لأحد مذهب و موضع تفكّر. «فهو خائض عشوات» أي يخوض و يدخل في ظلمات الجهالات والفتن. «خبّاط جهالات»، «الخبط» المشي على غير استواء، أي خبّاط في الجهالات أو بسببها. «ولايعضّ في العلم بضرس قاطع» كناية عن عدم إتقانه للقوانين الشرعيّة و إحاطته بها، يقال: «لم يعضّ فلان على الأمر الفلانيّ بضرس» إذا لم يحكمه. «يذري الروايات ذروالريح الهشيم»، قال الفيروز آباديّ: «ذرت الريح الشيء ذرواً و أذرته و ذرّته» أطارته و أذهبته. و قال: «الهشيم» نبت يابس متكسّر، أو يابس كلّ كلاء و كلّ شجر، و وجه التشبيه صدور فعل بلارويّة من غيرأن يعود إلى الفاعل نفعٌ وفائدة، فإنّ هذا الرجل المتصفّح للروايات ليس له بصيرة بها ولاشعور بوجه العمل بها بل هويمرّ على رواية بعدأخرى و يمشي عليها من غير فائدة، كما أنّ الريح الّتي تذري الهشيم لاشعور لها بفعلها، ولايعود إليها من ذلك نفع و إنّما أتى الذرو مكان الإذراء لاتّحاد معنييها. وفي بعض الروايات: يذروا الرواية. قال الجزريّ: يقال: «ذرته الريح و أذرته تذروه و تذريه» إذا أطارته، و منه حديث عليّ — عليه السلام —: «يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم» أي يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت.

«تبكي منه المواريث و تصرخ منه الدماء». الظاهر أنّها على المجاز، و يحتمل

حذف المضاف أي أهل المواريث و أهل الدماء. «لايسلم بإصدارما عليه ورد» أي لايسلم عن الخطأ في إرجاع ما عليه ورد من المسائل أي في جوابها. و في الكتابين: «لاملّيءٌ — واللّه— بإصدارما عليه ورد» أي لايستحقّ ذلك ولايقوي عليه. قال الجزرىّ: «الملي،» بالهمز، الثقة الغنيّ و قد ملؤفهو المليء بيّن الملآءة بالمدّ— وقد أولع الناس بترك الهمزة و تشديد الياء— ومنه حديث عليّ— عليه السلام—: «لامليٌّ — واللّه— بإصدارما ورد عليه».

«ولايندم على مامنه فرّط» أي لايندم على ما قصّرفيه. وفي الكافي: «ولاهو أهلٌ لما منه فرط» بالتخفيف، أي سبق على الناس و تقدّم عليهم بسببه من ادّعاء العلم، وليست هذه الفقرة أصلاً في نهج البلاغة؛ وقال ابن أبي الحديد: في كتاب ابن قتيبة: «ولأاهل لما فرط به» أي ليس بمستحقّ للمدح الّذي مدح به.

ثمّ اعلم أنّه على نسخة المنقول عنه جميع تلك الأوصاف لصنف واحد من الناس، وعلى ما في الكتابين من زيادة: ورجل عندقوله: «قمّش جهلاً»؛ فالفرق بين الرجلين إمّا بأن يكون المراد بالأوّل الضالّ في أصول العقائد كالمشبّهة و المجبرة، والثاني هو المتفقّه في فروع الشرعيّات وليس بأهل لذلك، أو بان يكون المراد بالأوّل من نصب نفسه لسائر مناصب الإفادة دون منصب القضاء، و بالثاني من نصب نفسه له.

«فأين يُتاه بكم» من «التيه» بمعنى التحيّر و الضلال، أي أين يذهب الشيطان أو الناس بكم متحيّرين؟! بل أين تذهبون؟! إضراب عمّا يفهم سابقاً من أنّ الداعي لهم على ذلك غيرهم، وأنّهم مجبورون على ذلك، أي بل أنتم باختياركم تذهبون عن الحقّ إلى الباطل. «يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة»، «النسخ» الإزالة و التغيير، أي كنتم في أصلاب من ركب سفينة نوح فأُنزلتم عن تلك الأصلاب فاعتبروا بحال أجدادكم و تفكّروا في كيفيّة نجاتهم فإنّ مثل أهل البيت كمثل سفينة نوح. و«تي» و «ذي» للإشارة إلى المؤنّث. «قسماً حقّاً» أي أُقسم قسماً حقّاً. «وما أنا من المتكلّفين» أي المتصنّعين بمالست من أهله، ولست ممّن يدّعي الباطل و يقول الشيء من غير حقيقة.

«إنّي تارك فيكم الثقلين»، قال الجزريّ: فيه: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذبها و العمل بها ثقيل و يقال لكلّ خطير نفيس: ثقيل. فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما و تفخيماً لشأنهما. «ما إن تمسّكتم بهما» بدل من الثقلين. « وإنّهما لن يفترقا» يدلّ على أنّ لفظ القرآن و معناه عندهم ـ عليهم السّلام ـ.[١١٧] «ألاهذا» أي سبيل الحقّ الّذي أريتكموه «عذبٌ فراتٌ» أي شديد العذوبة، و«هذا» أي سبيل الباطل الّذي حذّرتكموه «ملحٌ أُجاجٌ» أي مالح شديد الملوحة و المرارة.[١١٨]

١٨ ــ ومن كلام له عليه السلام

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

وفيه يذم أهل الراي ويكل أمر الحكم في امور الدين للقرآن

ذم أهل الرأي

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ ٱلْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ ٱلْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ ٱلْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْإِمَامِ ٱلَّذِي ٱسْتَقْضَاهُمْ(٢٦٣)، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ـ وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ

١١٧ ـ الظاهر أنّ هذه الاستفادة منه ـ رحمه الله ـ انتصار للأخبار الدالّة على تحريف الكتاب مع أنّ قوله «لن يفترقا» إنّما يدلّ على أنّ المعارف القرآنيّة بحقائقها عند أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ولا نظر فيه إلى التفرقة بين لفظ القرآن ومعناه وعدمها كما هو ظاهر. ط

١١٨ ـ بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٩٩ ــ ١٠٤.

فَعَصَوْهُ !

الحكم للقرآن

أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَٱسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهِ ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَىٰ ؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ ٱلْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَنَّهُ لَا ٱخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً » . وَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ(٢٦٤) وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَىٰ عَجَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

١٩ — ومن كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ! حَائِكٌ ٱبْنُ حَائِكٍ ! مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ ! وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ ٱلْكُفْرُ مَرَّةً وَٱلْإِسْلَامُ

أُخْرَىٰ ! فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ ! وَإِنَّ ٱمْرَأً دَلَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنَهُ ٱلْأَبْعَدُ !

قال السيد الشريف : يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة . وأما قوله : دل على قومه السيف : فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة ، غرّ فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، وكان قومه بعد ذلك يسمونه « عُرْفَ النار » وهو اسم للغادر عندهم .

بيان: قال الشُرّاح: الكلام الّذي اعترضه الأشعث أنّه -عليه السلام- كان يذكر في خطبته أمرالحكمين فقام رجل من أصحابه و قال له: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا به! فماندري أيّ الأمرين أرشد؟ فصفق -عليه السلام- إحدى يديه على الأخرى وقال: «هذا جزاء من ترك العقدة» و كان مراده -عليه السلام-: هذا جزاؤكم إذتركتم الرأي و الحزم، فظنّ الأشعث أنّه -عليه السلام- أراد: هذا جزائي حيث تركت الحزم و الرأي. وقيل: كان مراده -عليه السلام-: هذا جزائي حيث وافقتكم على ما ألزمتموني من التحكيم، وكان موافقته -عليه السلام- لهم خوفاً منهم على أن يقتلوه فجهل الأشعث أوتجاهل أنّ المصلحة قدتترك لأمر أعظم منها فاعترضه.

قوله -عليه السلام- «حائك بن حائك» قيل: كان الأشعث وأبوه ينسجان برود اليمن؛ و قيل: إنّه كان من أكابر كندة و أبناء ملوكها، وإنّما عبّر عنه -عليه السلام- بذلك لأنّه إذا كان مشى يحرّك منكبيه و يفحج بين رجليه، وهذه المشية تعرف بالحياكة، وعلى هذا فلعلّ الأقرب أنّه كناية عن نقصان عقله. و ذكر ابن أبي الحديد أنّ أهل اليمن يعيرون بالحياكة و ليس هذا ممّا يخصّ الأشعث.[119]

وأمّا التعبير بالحياكة فقيل: إنّه لنقصان عقولهم، وقيل لأنّه مظنّة الخيانة والكذب؛ ويمكن أن يكون المراد بالحياكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذّاباً

١١٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٩٧، ط بيروت.

كما روي عن أبي عبدالله –عليه السلام– أنّه ذكر عنده –عليه السلام– «أنّ الحائك ملعون» فقال: إنّما ذاك الّذي يحوك الكذب على الله و على رسوله –صلّى الله عليه و آله–.

قوله –عليه السلام– «لقد أسرك» إلى قوله «فما فداك» أي مانجاك من الوقوع فيها مالك ولاحسبك، ولم يردا الفداء الحقيقيّ فإنّ مراداً لمّا قتلت أباه خرج الأشعث طالباً بدمه فأُسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، وهذا هوالمراد بأسره في الكفر، و أمّا أسره في الإسلام فإنّه لمّا قبض رسول الله ارتدّ بحضر موت و منع أهلها تسليم الصدقة، فبعث أبوبكر إليه زيادبن لبيد ثمّ اردفه بعكرمة بن أبي جهل في جمّ غفيرمن المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كندة قتالاً شديداً، فالتجأ بقومه إلى حصنهم، وبلغ بهم جهد العطش فبعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه و لم يطلبه لنفسه، فلمّا نزل أسره زياد وبعث به مقيّداً إلى أبي بكر فأطلقه أبوبكروزوّجه أُخته أمّ فروة.

قوله –عليه السلام– «دلّ على قومه»، قال ابن ميثم: إشارة إلى غدره بقومه، فإنّ الأشعث لمّا طلب الأمان من زياد طلبه لنفريسير من وجوه قومه فظنّ الباقون أنّه طلبه لجميعهم فنزلوا على ذلك الظنّ، فلمّا دخل زياد الحصن ذكروه الأمان فقال الأشعث: لم يطلب الأمان إلّا العشرة من قومه فقتل منهم من قتل حتى وافاه كتاب أبي بكر بالكفّ عنهم وحملهم إليه، فحملهم.

وقال ابن أبي الحديد[١٢٠]: فيما ذكره السيّد لم نعرف في التواريخ هذا ولاشبهه، و أين كندة واليمامة؟ كندة باليمن و اليمامة لبني حنيفة، ولاأعلم من أين نقله السيّد– رضي الله عنه–.[١٢١]

١٢٠– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٩٦، ط بيروت.
١٢١– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمپاني وص ٥٧١، ط تبريز.

٢٠ — ومن كلام له عليه السلام

وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ[٢٦٥]، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ! وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ[٢٦٦]، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ[٢٦٧] إِلَّا الْبَشَرُ.

٢١ — ومن خطبة له عليه السلام

وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ[٢٦٨] تَحْدُوكُمْ[٢٦٩]. تَخَفَّفُوا[٢٧٠] تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

قال السيد الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكل كلام لمال به راجحاً، وبرّز عليه سابقاً. فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة! وأنقع[٢٧١] نطفتها[٢٧٢] من حكمة! وقد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها وشرف جوهرها.

٢٢ — ومن خطبة له عليه السلام

حين بلغه خبر الناكثين ببيعته

وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددهم بالحرب

ذم الناكثين

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ[٢٧٣]، وَٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ[٢٧٤]، لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَىٰ أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ[٢٧٥] وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصفاً[٢٧٦].

دم عثمان

وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ: فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي، فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ[٢٧٧]، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ. يا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامَ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ.

التهديد بالحرب

فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ! وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ! هَبِلَتْهُمُ[٢٧٨] ٱلْهَبُولُ[٢٧٩]! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِٱلْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ

بِالضَّرْبِ ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

بيان: قوله «قد ذمّ» يروى بالتخفيف والتشديد. وأصله الحثّ و الترغيب. و«الجلب» الجماعة من النّاس وغيرهم يجمع و يؤلّف. قوله —عليه السلام— «إلى أوطانه» يروى: «ليعود الجور إلى قطابه». و«القطاب» مزاج الخمر بالماء، أي ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان، ويجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب وهو مدخل الرأس فيه، أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه. و«النصاب» الأصل. والّذي أنكروه، قتل عثمان. و«النّصف» بالكسر، الاسم من الانصاف.

قوله —عليه السلام— «يرتضعون أمّاً» أي يطلبون» الشيء بعد فواته لأنّ الاُمّ إذا فَطمت ولدها فقد انقضى رضاعها، ولعلّ المراد به أنّ طلبهم لدم عثمان لغولا فائدة فيه. وقال ابن ميثم: استعار لفظة الاُمّ للخلافة فبيت المال لبنها، والمسلمون أولادها المرتضعون، وكنّى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه— عليه السلام— من الصلات و التفضيلات مثل ماكان عثمان يصلهم، وكونها قد فطمت عن منعه —عليه السلام—.

وقوله —عليه السلام— «يُحيُون بدعة قد أُميتت» إشارة إلى ذلك التفضيل فيكون بمنزلة التأكيد للقرينة السابقة، ويحتمل أن يكون المراد بالاُمّ الّتي قد فطمت ماكان عادتهم في الجاهليّة من الحميّة والغضب و إثارة الفتن و بفطامها اندراسها بالإسلام فيكون مابعده كالتفسير له. والنداء في قوله —عليه السلام— «ياخيبة الداعي» كالنداء في قوله— تعالى—: «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ»[١٢٢]. أي يا خيبة احضري فهذا أوانك، والداعي هو أحد الثلاثة: طلحة والزبير و عائشة. ثمّ قال على سبيل الاستحقار لهم: «من دعا، وإلى ما أُجيب» أي أحقر بقوم دعاهم هذا الداعي و أقبح بالأمر الّذي أجابوه إليه فما أفحشه و أرذله. وقال الجوهريّ: «هبلته أُمّه» بكسر الباء، أي ثكلته، و«الهبول من النساء» الثكول.

قوله —عليه السلام— «لقد كنت» قال ابن أبي الحديد: أي مازلت لا أُهدّد بالحرب، والواوزائدة، وهذه كلمة فصيحة كثيراً مايستعملها العرب، وقدورد في القرآن

١٢٢– يس: ٣٠.

العزيز «كان» بمعنى «مازال» في قوله «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً».[١٢٣]

أقول: قال ابن ميثم — رحمه الله — بعد إيراد تلك الفقرات: أكثر هذا الفصل من الخطبة الّتي ذكرنا أنّه — عليه السلام — خطبها حين بلغه أنّ الطلحة والزبير خلعا بيعته، وفيه زيادة و نقصان ونحن نوردها بتمامها و هي بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسوله:

أيّها النّاس! إنّ الله افترض الجهاد فعظّمه وجعله نصرته وناصره، والله ما صلحت دين ولا دنيا إلّا به، وقد جمع الشيطان حزبه، واستجلب خيله ومن أطاعه ليعود له دينه وسنّته. وقد رأيت أموراً قد تمخّضت، والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه، ودماً سفكوه. فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه، وإن كانوا لولوه دوني فما الطّلبة إلّا قبلهم، وإنّ أوّل عدلهم لعلى أنفسهم، ولا أعتذر ممّا فعلت، ولا أتبرّأ ممّا صنعت، وإنّ معي لبصيرتي، مالبّست ولا لُبّس عليّ، وإنّها للفئة الباغية فيها الحمّ والحمّة طالت جلبتها، وانكفت جونتها، ليعودنّ الباطل إلى نصابه. ياخيبة الدّاعي، لوقيل: ما أنكر من ذلك، وما أمامه وفيمن سنّته، والله إذاً لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه، وما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج، والله ماتاب من قتلوه قبل موته ولا تنصّل عن خطيئته وما اعتذر إليهم فعذروه، ولا دعا فنصروه، وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لايصدرون عنه بريّ ولا يعبّون حسوة أبداً، وإنّها لطيّبة نفسي بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم، وإنّي داعيهم فمعذر إليهم، فإن تابوا وقبلوا وأجابوا وأنابوا فالتوبة مبذولة والحقّ مقبول وليس عليّ كفيل، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصر المؤمن، ومع كلّ صحيفة شاهدها وكاتبها. والله إنّ الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وهم مبطلون.

و قال — رحمه الله —: «تمخّضت» تحرّكت. و «التّبعة» مايلحق الإنسان من درك. و «الحمّ» بفتح الحاء و تشديد الميم، بقيّة الالية الّتي أُذيبت و أُخذ دهنها. و

١٢٣- النساء: ١٧.

«الحمة» السواد، وهما استعارتان لأراذل النّاس و عوامهم لمشابهتهم حمّ الألية و ما اسودّمنها في قلّة المنفعة و الخير. و «الجلبة» الأصوات. و «جونتها» بالضمّ، سوادها. «وانكفت و استكفت» أي استدارت. و«زاح وانزاح» تنحّى. و «تنصّل من الذنب» تبرّأ منه. و«العبّ» الشرب من غير مصّ. و«الحسوة» بضمّ الحاء، قدرما يحسى مرّة واحدة. و«الجلاد» المضاربة بالسيف. و«الهبول» الثّكلى، و«الهُبل» الثّكل.

واعلم أنّه —عليه السلام— نبّه أوّلاً على فضل الجهاد لأنّ غرضه استفادهم لقتال أهل البصرة. وقوله «وقد رأيت أُموراً» إشارة الى تعيين ما يستنفرهم إليه وهوما يحسّ به من مخالفة القوم ورهبتهم لقتاله. و قوله «واللّه ما أنكروا» إشارة الى بطلان ما ادّعوه منكراً و نسبوه إليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه، فأنكرأوّلاً إنكارهم عليه تخلّفه عن عثمان الّذي زعموا أنّه منكر و لمّالم يكن منكراً كان ذلك الإنكار عليه هوالمنكر.

وقوله «وإنّهم ليطلبون» إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركآء فيه. روى الطبريّ في تاريخه أنّ عليّاً—عليه السلام- كان في مال بخيبر لمّا أراد النّاس حصر عثمان فقدم المدينة والنّاس مجتمعون على طلحة في داره، فبعث عثمان إليه يشكوأمر طلحة، فقال: أنا أكفيكه، فانطلق إلى دارطلحة وهي مملوءة بالنّاس، فقال له: ياطلحة ماهذا الأمر الّذي صنعت بعثمان؟ فقال طلحة يا أباالحسن! أبعد أن مسّ الحزام الطّبْيَيْن! فانصرف عليٌّ —عليه السلام— إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح، فكسر الباب و فرّق مافيه على النّاس، فانصرفوا من عند طلحة حتّى بقي وحده، فسرّ عثمان بذلك، وجاء طلحة إلى عثمان فقال له يا أميرالمؤمنين! إنّي أردت أمراً فحال اللّه بيني و بينه وقد جئتك تائباً فقال: واللّه ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوباً، اللّه حسيبك ياطلحة.

وروى الطبريّ أيضاً أنّه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً فقال له طلحة يوماً: قد تهيّأ مالُك فاقبضه، فقال: هولك معونة على مروّتك. فلمّا حضر عثمان، قال عليّ —عليه السلام— لطلحة: أنشدك اللّه أن لا كففت عن عثمان، فقال: لا واللّه حتّى

تعطي بنو أُميّة الحقّ من أنفسها. فكان عليّ بعد ذلك يقول: لحاالله ابن الصعبة، أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل. وروي أنّ الزبير لمّا برزلعليٍّ —عليه السلام— يوم الجمل قال له: ما حملك يا أبا عبدالله على ماصنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان، فقال له: أنت و طلحة ولّيتماه ، و إنّما توبتک من ذلك أن تقدم نفسك وتسلّمها إلى ورثته. و بالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر.

قوله — عليه السلام— «وإنّ أوّل عدلهم» أي إنّ العدل الّذي يزعمون أنّهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي أن يضعوه أوّلاً على أنفسهم. قوله «ولا أعتذر» أي الاعتذار الّذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار و التبرّء منه. و قوله «طالت جلبتها» كناية عمّا ظهر من القوم من تهديدهم و توعّدهم بالقتال. «وانكفت جونتها» أي استدار سوادها و اجتمع كناية عن تجمّع جماعتهم لما يقصدون. و قوله— عليه السلام— «ليعودنّ» توعّدهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهليّة، و استفار إلى القتال. و قوله «يا خيبة الدّاعي» خرج مخرج التعجّب من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله و من دعا. «وإلى ما أُجيب» استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله و النّاصرين إذ كانوا عوامّ النّاس و رعاعهم، وللمدعوّ إليه و هوالباطل الّذي دعوا لنصرته.

وقوله «لوقيل» إلى قوله «وانقطع لسانه» متّصلة معناه، لوسأل سائل مجادلاً لهؤلاء الدعاة إلى الباطل عمّا أنكروه من أمري و عن إمامهم الّذي به يقتدون و فيمن سنّتهم الّتي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم بأنّي أنا إمامهم و في سنّتهم، فانزاح باطلهم الّذي أتوابه، و انقطع لسانه على الاستعارة، أوبحذف المضاف، أي لسان صاحبه. و قوله «وما أظنّ» عطف على قوله «وانقطع لسانه». و«واضح» مبتدأ و «فيه» خبره، و الجملة في محلّ النصب مفعول ثانٍ لـ«أظنّ»، أي ما أظنّ لوسأل السائل عن ذاك أنّ الطريق الّذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بيّن و مسلك واضح حيث سلك بل كيف توجّه في الجواب انقطع. و قوله «والله ماتاب» إلى قوله «فنصروه» إشارة إلى عثمان و ذمّ لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يعذروه، و دعاهم إلى نصرته في

حصاره فلم ينصروه مع تمكّنهم من ذلك. و قوله «ولايعبّون حسوة» كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الأمر أوشيء منه. و قوله «وإنّها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم» نفسي منصوب بدلاً من الضمير المتصل بأن، أو بإضمار فعل تفسيراً له. و«حجّة الله» إشارة إلى الأوامر الصادرة بقتل الفئة الباغية كقوله— تعالى—: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي».[١٢٤] أي إنّي راضٍ بقيام حجة الله عليهم و علمه بما يصنعون. و قوله «وليس عليّ كفيل» أي لاأحتاج فيما أبذله لهم من الصفح و الأمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن. و «شافياً» و «ناصراً» منصوبان على التمييز. و قوله «ومع كلّ صحيفة» الواو للحال، أي إنّهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حدّ السيف، و الملائكة الكرام الكاتبون يكتب كلّ منهم أعمال من وكلّ به في صحيفته و يشهد بها في محفل القيامة.[١٢٥] انتهى.

قوله «من اعتذر إليهم» الظاهر أنّه حمل الكلام على الاستفهام الإنكاريّ، ويحتمل وجهاً آخر بأن يكون المراد نفي توبته وتنصّله و اعتذاره ودعوته فليستحقّ النصرة، لكن ماذكره أوفق بالأخبار. و الضمير في «أنها» يحتمل أن يكون للقصّة.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى أبومخنف عن مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال: لمّا رجعت رسل عليٍّ —عليه السلام— من عند طلحة و الزّبير و عائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمدالله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال:

أيّها النّاس! إنّي قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم، وعرّفتهم بغيهم فلم يستحيوا، وقد بعثوا إليّ أن أبرز للطّعان وأصبر للجلاد، إنّما تمنّيك نفسك أمانيّ الباطل وتعدك الغرور، ألاهبلتهم الهبول لقد كنت وما أُهدّد بالحرب ولا أرهب بالضرب، ولقد أنصف القارة من راماها، فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديماً وعرفوا نكايتي فقد [فكيف ـ خ ل] رأوني أنا أبوالحسن الّذي فللت حدّ المشركين، وفرّقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوّي اليوم وإنّي لعلى ماوعدني ربّي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غيرشبهة من ديني.

١٢٤– الحجرات: ٩.

١٢٥– شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٣٣٣ — ٣٣٧، ط بيروت.

أيها النّاس! إنّ الموت لايفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولامحيص، من لم يقتل مات، إنّ أفضل الموت القتل، والّذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش. اللّهمّ إنّ طلحة نكث بيعتي وألّب على عثمان حتّى قتله ثمّ عضهني به ورماني. اللّهمّ فلا تمهله، اللّهمّ إنّ الزّبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت.

قال: وروى أبوالحسن المدائنيّ عن عبدالله بن جنادة قال: قدمت من الحجازأريد العراق في أوّل إمارة عليّ — عليه السلام — فررت بمكّة فاعتمرت ثمّ قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله — صلّى الله عليه و آله — إذانودي: الصلاة جامعةً، فاجتمع النّاس و خرج عليّ — عليه السلام — متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمدالله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون النّاس، لاينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذا تنزّى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غيرما كنّالهم عليه، فولّى الأمر ولاة لم يألوا النّاس خيراً، ثمّ استخرجتموني أيّها النّاس من بيتي فبايعتموني على شين منّي لأمركم وفراسة تصدقني عمّا في قلوب كثير منكم؛ وبايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع ـ تعلمون ذلك ـ وقد نكثا وغدراو نهضا إلى البصرة بعايشة ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذة رابية ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقلّ لهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً فإنّهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه، اللّهمّ إنّي أقتضيك وعدك فإنّك قلت وقولك الحقّ لمن بغى عليه لينصرنّه الله، اللّهمّ فأنجزلي موعدك ولا تكلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيءٍ قدير.

ثمّ نزل.

و روى الكلبيّ، قال: لمّا أراد عليّ ـ عليه السلام ـ المسير إلى البصرة، قام فخطب الناس فقال بعد أن حمدالله و صلّى على رسوله:

إنّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حقّ نحن أحق به من النّاس كافّة فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفک دمائهم، والنّاس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن و يعكسه أقلّ خلق، فولّى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثمّ انتقلوا إلى دارالجزاء، والله وليّ تمحيص سيّئاتهم والعفو عن هفواتهم. فما بال طلحة والزّبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتّى وثبا و مرقا و نازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أمّاً قد فطمت و يحييان بدعة قد أميتت، أدم عثمان زعما والله ما التّبعة إلّا عندهم و فيهم، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم و أناراض بحجّة الله عليهم و علمه فيهم، فإن فاءا و أنابا فحظّهما أحرزا و أنفسهما غنما و أعظم بها غنيمة و إن أبيا أعطيتهما حدّ السيف و كفى به ناصراً لحقّ و شافياً من باطل.

ثمّ نزل.

وروى أبو مخنف عن زيدبن صوحان، قال: شهدت عليّاً ـ عليه السلام ـ بذي قار و هومعتمّ بعمامة سوداء ملتفّ بساج يخطب فقال في خطبته:

الحمدلله على كلّ أمروحال في الغدوّ والآصال وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب حبلها وعبدالشيطان في أكنافها واشتمل عدوّالله إبليس على عقائد أهلها فكان محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب الّذي أطفأ الله به نيرانها، وأخمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها، إمام الهدى النبيّ المصطفى ـ صلّى الله عليه وآله ـ فلقد صدع بما أمربه وبلّغ رسالات ربّه، فأصلح الله به ذات البين، وآمن به السبل، وحقن به الدّماء، وألّف به بين ذي الضغائن الواغرة في الصدور حتّى أتاه اليقين، ثمّ قبضه الله إليه حميداً. ثمّ استخلف النّاس أبابكر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف أبوبكر عمر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف النّاس عثمان فنال منكم ونلتم منه حتّى إذا كان من أمره

ما كان أتيتموني لتبايعوني، فقلت: لاحاجة لي في ذلك، ودخلت منزلي، فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها، وتداككتم عليّ حتى ظننت أنكم قاتلي وأنّ بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غيرمسرور بذلك ولاجذل، وقد علم الله ـ سبحانه ـ أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أمّة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولقد سمعته ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمر أمّتي إلّا أتى به من يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق ثمّ ينشر كتابه فإن كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى». حتّى اجتمع عليّ ملأكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما والنكث في أعينهما، ثمّ استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا العمرة يريدان فسارا إلى مكّة واستخفّا عائشة وخدعاها وشخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، وياعجباً لاستقامتهما لأبي‌بكر وعمر وبغيهما عليّ وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عنّي وخرجا يوهمان الطغام والأعراب أنّهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرا عليّ منكراً ولاجعلا بيني وبينهم نصفاً، وإنّ دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما، ياخيبة الدّاعي إلام دعا وبماذا أجيب؟ والله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء وجهالة عمياء، وإنّ الشيطان قد ذمّر لهما حزبه واستجلب منهما خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه.

ثمّ رفع يديه فقال:

اللّهمّ إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبا عنّي ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءة فيا عملا وأملا.

قال أبو مخنف: فقام إليه الأشتر فقال:

الحمدلله الّذي منّ علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك يا أميرالمؤمنين ولقد أصبت ووفّقت وأنت ابن عمّ نبيّنا وصهره ووصيّه وأوّل مصدّق به

ومصلّ معه، شهدت مشاهده كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأُمّة فمن اتّبعك أصاب حظّه واستبشر بفلجه، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أُمّه الهاوية. لعمري يا أميرالمؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعايشة علينا بمخيّل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلافيه، وفارقا على غيرحدث أحدثت ولاجور صنعت، فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى النّاس بدمه، وأشهدالله لئن لم يدخلا فيما خرجامنه لنلحقهما بعثمان، فإنّ سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنّا أمس.

ثمّ قعد.[١٢٦]

توضيح: «ارعوى عن القبيح» أي كفّ. و قال الجوهريّ: «القارة» قبيلة سمُّوا قارة لإجماعهم و التفافهم لمّا أراد ابن الشداخ أن يفرّقهم في بني كنانة و هم رماة؛ و في المثل: «أنصف القارة من راماها». و قال الجوهريُّ. «نكيت في العدوّ نكاية» إذا قتلت فيهم و جرحت. و قال: «عضهه عضهاً» رماه بالبهتان. و قال: «التنزّي» التوثّب والتسرُّع. انتهى. و في بعض النسخ: «اذانبرى اعترض» و هو أصوب.

و «السوقة» خلاف الملك. قوله ـ عليه السلام ـ «لم يألوا النّاس خيراً فيه تقيّة و مصلحة، قال الجوهريّ: «ألايألو» أي قصر، و فلان لايألوك نصحاً و قال: قال الفرّاء في قوله ـ تعالى ـ: «أَخْذَةً رَابِيَةً»[١٢٧] أي زائدة، كقولك: «أربيت» إذا أخذت أكثر ممّا أعطيت. و قال: «الفَواق والفُواق» ما بين الحلبتين من الوقت لأنّها تحلب ثمّ تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثمّ تحلب، يقال: ما أقام عنده إلّا فواقاً. قوله ـ عليه السلام ـ «لمن بغى عليه» أي قال في حقّ من بغى عليه، والمقول لينصرنّه اللّه، و

١٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٥ ـ ٣١١، ط بيروت.
١٢٧- الحاقة: ١٠.

الآية هكذا: «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ».[١٢٨] و«الوطب» بالفتح، الزقّ الّذى يكون فيه السمن واللبن، و المراد بالخلق إمّا قدم اللبن و مضيّ زمان عليه أو خلق الزقّ فإنّه يفسد اللبن. و «أعظم بها» للتعجّب، أي ما أعظمها. و«الجَزَل» بالتحريك، الفرح. «لمعصوب بها» أي مشدود عليها.[١٢٩]

[هذا بيان آخر في شرح جزء من هذه الخطبة:]

بيان: قوله ـ عليه السلام ـ «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» هيهنا تامّة، والواو للحال، أي خلقت و وجدت بهذه الصفة.[١٣٠] و يجوز أن تكون الواو زائدة و «كان» ناقصة و خبرها «ما أهدّد». و«تجرّد في الأرض» أي جدّفيه؛ ذكره الجوهريّ. و قال في النهاية في حديث عليّ ـ عليه السلام ـ: «أراد أن يغالط بما أجلب فيه» يقال: «أجلبوا عليه» إذا تجمّعوا و تألّبوا، و «أجلبه» أي أعانه، و «أجلب عليه» إذا صاح به واستحثّه.

و قال الجوهريّ: «لبّست عليه الأمر ألبّس» وقال: «أعذر» أي صار ذا عذر. و في النهاية: فما نهنها شيء دون العرش، أي مامنعها و كفّها عن الوصول إليه. و«الركود» السكون والثبات.[١٣١]

٢٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة

تهذيب الفقراء

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ إِلَى

١٢٨- الحج: ٦٠.
١٢٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٢، ط كمپاني و ص ٣٧٦، ط تبريز.
١٣٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٥، ط بيروت.
١٣١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤١١، ط كمپاني و ص ٣٨٦، ط تبريز.

كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً(٢٨٠) فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ ، كَانَ كَالْفَالِجِ(٢٨١) الْيَاسِرِ(٢٨٢) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ . وَكَذٰلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ : إِمَّا دَاعِيَ اللهِ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ اللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ(٢٨٣) ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ(٢٨٤) لِمَنْ عَمِلَ لَهُ . نَسْأَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

تأديب الاغنياء

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ عِتْرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً(٢٨٥) مِنْ وَرَائِهِ ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ(٢٨٦) ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ

إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصِّدْقِ(٢٨٧) يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ .

ومنها : أَلاَ لاَ يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ(٢٨٨) أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ(٢٨٩) ؛ وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ

قال السيد الشريف: أقول : الغفيرة ها هنا الزيادة والكثْرة ، من قولهم للجمع الكثير : الجم الغفير ، والجماء الغفير . ويروى « عِفْوَة من أهل أو مال » والعِفْوَة : الخيار من الشيء ، يقال : أكلت عِفْوَةَ الطعام ، أي خياره . وما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله : « ومن يقبض يده عن عشيرته... » إلى تمام الكلام ، فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة، فإذا احتاج إلى نصرتهم، واضطر إلى مرافدتهم(٢٩٠)، قعدوا عن نصره ، وتثاقلوا عن صوته ، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة ، وتناهض الأقدام الجمة .

٢٤ — ومن خطبة له عليه السلام

وهي كلمة جامعة له ، فيها تسويغ قتال المخالف ، والدعوة إلى طاعة الله ، والترقي فيها لضمان الفوز

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ الْغَيَّ(٢٩١) ، مِنْ إِدْهَانٍ(٢٩٢) وَلَا إِيهَانٍ(٢٩٣) . فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ(٢٩٤) ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ(٢٩٥) ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ(٢٩٦) ،

فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ(٢٩٧) آجِلًا ، إنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا .

بيان: قيل: إنّما قال ذلك في ردّ قول من قال: إنّ مصانعته ـ عليه السلام ـ لمحاربيه و مخالفيه و مداهنتهم أولى من محاربتهم.

قوله ـ عليه السلام ـ «وخابط الغيّ» ذكر المخابطة هنا للمبالغة من الجانبين. و «الإدهان» المصانعة. و «نهجه» أوضحه. قوله ـ عليه السلام ـ «عصبه بكم» أي أناطه و ربطه بكم و جعله كالعصابة الّتي تشدّبها الرّأس. و «المنحة» العطيّة.[١٣٢]

٢٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وقد تواترت(٢٩٨) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نَمْرَان لما غلب عليهما بُسْرُ بن أبي أَرْطَاة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ، ومخالفتهم له في الرأي ، فقال :

مَا هِيَ إلَّا ٱلْكُوفَةُ ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا(٢٩٩) ، إنْ لَمْ تَكُونِي إلَّا أَنْتِ ، تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ(٣٠٠) فَقَبَّحَكِ ٱللهُ !

وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا عَمْرُو إنَّني عَلَى وَضَرٍ(٣٠١) ـ مِنْ ذَا ٱلْإنَاءِ ـ قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام :

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ ٱلْيَمَنَ(٣٠٢) ، وَإنِّي وَٱللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمَ

١٣٢ ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٥٤، ط كمباني وص ١٤٨، ط تبريز.

سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ[٣٠٣] بِٱجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ[٣٠٤] لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ[٣٠٥] . ٱللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي ، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي ، ٱللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ[٣٠٦] كَمَا يُمَاثُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ ، أَمَا وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ .

هُنَالِكَ ، لَوْ دَعَوْتَ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر

قال السيد الشريف : أقول : الأرمية جمع رَمِيّ وهو السحاب، والحميم ها هنا : وقت الصيف ، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً ، وأسرع خفوفاً[٣٠٧] ، لأنه لا ماء فيه ، وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء ، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دُعوا، والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل على ذلك قوله :

« هنالك، لو دعوت، أتاك منهم ... »

بيان: قوله– عليه السلام– «ماهي إلّا الكوفة» أي مامملكتي إلّا الكوفة. «أقبضها و أبسطها» أتصرّف فيها كما يتصرّف الانسان في ثوبه بقبضه و بسطه، و الكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرّفي فيها مع حقارتها، و يحتمل أن يكون المراد عدم التمكّن التامّ من التصرّف فيها لنفاق أهلها كمن لايقدر على لبس ثوب بل

على قبضه و بسطه، أوالمراد بالبسط بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم، و بالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة، وفي قوله «إن لم تكوني» التفات. قوله ـ عليه السلام ـ: «تهبّ أعاصيرك» الجملة في موضع الحال، و خبركان محذوف، ولفظ الأعاصير على حقيقته فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الأعصار فيها، و يحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير إن لم تكوني إلّا أنت عدّة لي وجنّة ألقى بها العدوّ و حظّاً من الملك والخلافة مع مافيك من المذامّ فقبحاً لك و بعداً؛ و يمكن أن يقدّم المستثنى منه حالاً، أي إن لم تكوني على حال إلّا أن تهبّ فيك الأعاصيردون أن يكون فيك من يستعان به على العدوّ. و «الإعصار» ريح تَهُبُّ و تمتدّمن الأرض كالعمود نحو السماء، وقيل: كلّ ريح فيها العصار، وهو الغبار الشديد.

و«الوضر» بفتح الضاد، الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل، و يستعار لكلّ بقيّة من شيء يقلّ الانتفاع بها، واستعار بلفظ الإناء للدنيا و بلفظ الوضر القليل لما فيها لحقارتها. وروي «من ذاالألاء» فإنّما أراد:إنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الألاء مع عدم انتفاعه بشيء آخر، فإنّ الألاء ـ كسحاب ـ شجر حسن المنظر مُرّالطعم.

قوله ـ عليه السلام ـ «قد اطّلع اليمن» أي غلبها و غزاها و أغار عليها، من الاطّلاع و هو الإشراف من مكان عال. قوله ـ عليه السلام ـ « سيدالون منكم» أي يغلبونكم وليكون لهم الدّولة عليكم. ولعلّ التفرّق عن الحقّ و معصية الإمام واحد أتى بهما تأكيداً، وقيل: المراد بالحقّ الّذي تفرّقوا، تصرّفهم في الفيء والغنائم وغيرها بإذن الإمام، و«أداء الأمانة» الوفاء بالعهد والبيعة أومطلقاً. و «الصّلاح في البلاد» ترك التعرّض للنّاس و تهييج الفتن. و«القعب» القدح الضخم. قوله ـ عليه السلام ـ «أن يذهب بعلاقته» الضمير المستتر راجع إلى الأحد، والباء للتعدية، أوالى القعب والباء بمعنى مع.

و قوله ـ عليه السلام ـ «خيراً منهم، و شرّاً منّي» صيغة أفعل فيه بمنزلتها في قوله ـ تعالى ـ: «أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» [١٣٣] على سبيل التنزّل و التهكّم أو أريد

١٣٣ـ الفرقان: ١٥.

بالصّيغة أصل الصفة بدون تفضيل، ولعلّ المراد بقوله «خيراً منهم» قوم صالحون ينصرونه و يوفّقون لطاعته أومابعد الموت من مرافقة النبيّ — صلّى الله عليه وآله— وغيره من الأنبياء —عليهم السلام— و تمنّيه —عليه السلام— لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيّد الأوّل؛ و يروى أنّ اليوم الّذي دعافيه —عليه السلام— ولد الحجّاج، وروي أنّه ولد بعد ذلك بمدّة يسيرة، وفعل الحجّاج بأهل الكوفة مشهور، و يقال: «ماث زيد الملح فى الماء» أي أذابه. قوله: «لوددت» البيت لأبي جندب الهزليّ، وبنوفراس حيّ مشهور بالشجاعة. و «الجفول» الإسراع، و «الخفوف» العجلة.[١٣٤]

٢٦ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له

العرب قبل البعثة

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ(٣٠٨) بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ(٣٠٩)، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ(٣١٠)، تَشْرَبُونَ ٱلْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ ٱلْجَشِبَ(٣١١)، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. ٱلْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَٱلْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ(٣١٢).

ومنها صفته قبل البيعة له

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَوْتِ،

١٣٤– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧٠٢، ط كمپاني وص ٦٥٠، ط تبريز.

وَأَغْضَيْتُ(٣١٣) عَلَىٰ الْقَذَىٰ، وَشَرِبْتُ عَلَىٰ الشَّجَا(٣١٤)، وَصَبَرْتُ عَلَىٰ أَخْذِ الْكَظَمِ (٣١٥)، وَعَلَىٰ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّىٰ شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهِ عَلَىٰ الْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ(٣١٦) أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ (٣١٧)، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا(٣١٨)، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا(٣١٩)، وَعَلَا سَنَاهَا(٣٢٠)، وَاسْتَشْعِرُوا(٣٢١) الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَىٰ إِلَىٰ النَّصْرِ.

بيان: قوله- عليه السلام- «شرّدار» أي باعتبار شمول الكفر والضلالة، أو باعتبار أنّ أكثرها البوادي، ولقلّة المعمورة و قلّة الماء فلاينافي كونها خيردار للصالحين لشرافة المكان، ويحتمل أن يكون المراد الدار المجازيّة أي دار الجاهلية. و«الاناخة» الإقامة بالمكان. و «الحيّة الصمّاء» الّتي لا تنزجر بالصوت كأنّها لا تسمع و ربّما يرادبها الصلبة الشديدة، و قيل: يجوز أن يعنى بالحجارة و الحيّات المجاز، يقال للأعداء حيّات و إنّه لحجر خشن المسّ إذا كان ألدّ الخصام. و «الجشب» الطعام الغليظ الخشن و الّذي لاإدام معه. قوله- عليه السلام- «معصوبة» أي مشدودة[١٣٥].

[البيان الثاني في شرح الخطبة:]

بيان: قوله- عليه السلام- «ولم يبايع» قال الشارحون: إشارة إلى ما اشتهر من أنّ أميرالمؤمنين- عليه السلام- لمّانزل بالكوفة بعد فراغه من البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة، فدعا قوماً من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه و أشارإليه أخوه بالاستعانة بعمروبن العاص، فلمّاقدم عليه وعرف حاجته إليه تباعد عنه و جعل يمدح علياً في وجهه حتى رضي معاوية أن يعطيه المصر فبايعه، فذلك معنى قوله- عليه السلام- «أن يؤتيه على البيعة ثمناً». ثمّ أردف ذلك بالدعاء على البائع

١٣٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا، ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٢٦.

لدينه و هو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن أوشيء ممّا يأمله، و ألحقه بالتوبيخ للمبتاع و هو معاوية بذكر هوان أمانته عليه وهي بلاد المسلمين و أموالهم، ويحتمل أن يكون إسناد الخزي إلى الأمانة إسناداً مجازيّاً، و ذهب بعض الشارحين إلى أنّ المراد بالبائع معاوية وبالمبتاع عمرو، وهو ضعيف لأنّ الثمن إذا كان مصراً فالمبتاع هو معاوية. كذا ذكر ابن ميثم[١٣٦].

و قال ابن أبي الحديد: و في أكثر النسخ «فلاظفرت يدالمبائع» بميم المفاعلة، و الظاهر مارويناه[١٣٧].

قوله– عليه السلام– «فقد شبّ لظاها» أى أُوقدت نارها و أُثيرت، وروي بالبناء للفاعل أي ارتفع لهبها. و«السنا» بالقصر، الضوء. أقول: قال ابن أبي الحديد[١٣٨]: روى ابن قتيبة في عيون الأخبار، قال: رأى عمروبن العاص معاوية يوماً فضحك، فقال: ممّ تضحك يا أميرالمؤمنين! أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك حين إبدائك[١٣٩] سوأتك يوم ابن أبي طالب [–عليه السلام–]، والله لقد وجدته منّاناً، ولوشاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو: يا أميرالمؤمنين! أما والله إنّى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك وانتفخ سَحَرك وبدامنك ما أكره ذكره، فمن نفسك أضحك أو فزّع.[١٤٠]

[البيان الثالث في شرح الخطبة:]

بيان: «الكظم» بفتح الظاء، مخرج النفس. قوله –عليه السلام–: «احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة» المراد بالثمرة إمّا الرسول –صلّى الله عليه و آله– والإضاعة عدم اتّباع نصبه، أو أميرالمؤمنين و أهل البيت– عليهم السلام– تشبيهاً له– صلّى الله عليه و آله– بالأغصان، أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره كما قيل؛ والغرض

١٣٦– شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢٧، ط بيروت.
١٣٧– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٦٠ – ٦١، ط بيروت.
١٣٨– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٠٧، ط بيروت.
١٣٩– في بعض النسخ: أبدأت.
١٤٠– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٣٣، ط كمپاني وص ٤٩٤، ط تبريز.

إلزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته –صلّى الله عليه و آله– فإن تمّ، فالحقّ لمن هو أقرب و أخصّ وإلّا فالأنصار على دعواهم.[١٤١]

٢٧ – ومن خطبة له عليه السلام

وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا . وفيها يذكر فضل الجهاد ، ويستنهض الناس ، ويذكر علمه بالحرب ، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته

فضل الجهاد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ(٣٢٢) ٱلْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ(٣٢٣) أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ ، وَشَمِلَهُ ٱلْبَلَاءُ ، وَدُيِّثَ(٣٢٤) بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءَةِ(٣٢٥) ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلْإِسْهَابِ(٣٢٦) ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ(٣٢٧) بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ(٣٢٨) ، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ(٣٢٩) .

استنهاض الناس

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً ، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً ، وَقُلْتُ لَكُمْ : ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ ، فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ(٣٣٠) إِلَّا ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ(٣٣١) وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ

١٤١– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٧، ط كمپاني وص ١٧١، ط تبريز.

عَلَيْكُمُ ٱلْغَارَاتُ(٣٣٢)، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ. وَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ(٣٣٣)، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا(٣٣٤)، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ، وَٱلْأُخْرَىٰ ٱلْمُعَاهَدَةِ(٣٣٥)، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا(٣٣٦) وَقُلْبَهَا(٣٣٧) وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا(٣٣٨)، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ(٣٣٩). ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ(٣٤٠) مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ(٣٤١)، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً؛ فَيَا عَجَباً! عَجَباً - وَٱللهِ - يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيَجْلِبُ ٱلْهَمَّ مِنَ ٱجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً(٣٤٢)، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً(٣٤٣) يُرْمَىٰ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَىٰ ٱللهُ وَتَرْضَوْنَ! فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ ٱلْحَرِّ قُلْتُمْ: هٰذِهِ حَمَارَّةُ ٱلْقَيْظِ(٣٤٤)، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا ٱلْحَرُّ(٣٤٥)، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ ٱلْقُرِّ(٣٤٦)، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ؛ كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ تَفِرُّونَ؛ فَأَنْتُمْ وَٱللهِ مِنَ ٱلسَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ ٱلْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ[٣٤٧]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَٱللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[٣٤٨]. قَاتَلَكُمُ ٱللهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً[٣٤٩]، وَشَحَنْتُمْ[٣٥٠] صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[٣٥١] ٱلتَّهْمَامِ[٣٥٢] أَنْفَاساً[٣٥٣]، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِٱلْعِصْيَانِ وَٱلْخِذْلَانِ؛ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِٱلْحَرْبِ.

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً[٣٥٤]، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ، وَهَاأَنَذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى ٱلسِّتِّينَ[٣٥٥]! وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!

بيان: قال ابن ميثم و غيره[١٤٢]: هذه الخطبة مشهورة ذكرها أبوالعبّاس المبرّد و غيره، والسبب المشهور لها أنّه ورد عليه من الأنبار فأخبره أنّ سفيان بن عوف الغامديّ قدورد في خيل معاوية إلى الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البكريّ، فصعد ـ عليه السلام ـ المنبر و خطب النّاس و قال:

إنّ أخاكم البكريّ قد أُصيب بالأنبار، فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً مابقوا.

ثمّ سكت رجاء أن يجيبوه بشيء، فلمّا رأى صمتهم نزل و خرج يمشي راجلاً حتّى أتى النخلية و النّاس يمشون خلفه حتّى أحاط به قوم من أشرافهم و قالوا: ترجع يا أميرالمؤمنين ونحن نكفيك، فقال ماتكفوني و لا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتّى ردّوه إلى منزله؛ فبعث سعيدبن قيس الهمد انيّ في ثمانية آلآف في طلب سفيان فخرج حتّى

١٤٢- أشار العلّامة بجميع الشارحين والمحدّثين، منهم: ابن أبي الحديد في شرحه للنهج، ج ٢، ص ٧٥، ط بيروت.

انتهى إلى أداني أرض قنّسرين ورجع، و كان ــ عليه السلام ــ في ذلك الوقت عليلاً لايقوى على القيام في النّاس بما يريده من القول فجلس بباب السُّدّة الّتي تصل إلى المسجد و معه الحسن والحسين ــ عليهما السلام ــ و عبداللّه بن جعفر، و دعا سعيداً مولاه فدفع إليه كتاباً كتب فيه هذه الخطبة و أمره أن يقرأه على النّاس بحيث يسمع و يسمعونه. و في رواية المبرد: إنّه لمّا انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار و قتل حسّان خرج مغضباً يجرّ رداءه حتّى أتى النخيلة ومعه الناس، و رقا رُباوةً من الأرض فحمداللّه و أثنى عليه و صلّى على النبيّ ــ صلّى اللّه عليه و آله ــ.[١٤٣] ثمّ ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح و البيان.

قوله ــ عليه السلام ــ «باب من أبواب الجنّة» روي عن النبي ــ صلّى اللّه عليه و آله ــ أنّه قال: «للجنّة باب يقال له: باب المجاهدين؛ يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم». و في: «لخاصّة أوليائه، و سوّغهم كرامة منه لهم، و نعمة ذخرها، والجهاد لباس التقوى» فقوله ــ عليه السّلام ــ «نعمة» عطف على «باب» أوعلى «كرامة». قوله ــ عليه السلام ــ «و هو لباس التقوى» أي به يتّقى في الدنيا من غلبة الأعادي و في الآخرة من النار، أو هو يدفع المضارّعن التقوى و يحرسها، أوعن أهلها بحذف المضاف؛ و كونه تأويلاً لقوله ــ تعالى ــ: «وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ»[١٤٤]، يحتاج إلى تكلّف مّا. «ودرع اللّه» أي درع جعلها اللّه لحفظ عباده والمراد درع الحديد، وهي مؤنّثة وقد تذكّر «الحصينة» الواقية. و الجنّة ــ بالضمّ ــ كلّ ما وقاك واستترت به. و «الوثيقة» المحكمة، «فمن تركه» في: «رغبة عنه» أي كراهة له بغير علّة. «لباس الذلّ» الإضافة للبيان. قوله ــ عليه السلام ــ «و شمله البلاء» ربّما يقرأ بالتّاء و هي كساء تغطّى به، والفعل أظهر

١٤٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٣١، ط بيروت.
١٤٤- الأعراف: ٢٦.

كما هو المضبوط.

قوله ــ عليه السلام ــ «وديّث بالصّغار» أي ذلّل كمامرّ؛ و «الصّغار» الذلّ والضيم. و «القمآء» ممدودة، الذلّ و الصّغار، ورواه الرّاونديّ مقصوراً و هو غير معروف. و في في: «القماءة». قوله ــ عليه السلام ــ «و ضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروزآباديّ: «و ضربت عليه بالسّداد» سدّت عليه الطرق و عميت عليه مذاهبه؛ و في بعض النسخ: «بالإسهاب»، يقال: «أسهب الرجل» على البناء للمفعول، إذا ذهب عقله من أذىً يلحقه. «و أُديل الحقّ منه» أي يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوبال لترك الحقّ، كقوله ــ عليه السلام ــ في الصحيفة «أدل لنا ولا تدل منّا» و «الادالة» الغلبة. و الباء في قوله «بتضييع الجهاد» للسببيّة. و قال في النهاية في حديث عليّ ــ عليه السّلام ــ: «من ترک الجهاد ألبسه اللّه الذّلّة». «وسِيمَ الخسفَ»، «الخسف» النقصان والهوان، وأصله أن تحبس الدابّة على غير علف، ثمّ استعير لموضع الهوان.[١٤٥] و «سِيمَ» كلّف و أُلزم. «و منع النصف» أي لايتمكّن من الانتصاف و الانتقام. و «عُقر الشيء» أصله و وسطه. و «تواكل القوم» اتكل بعضهم على بعض[١٤٦] وترك الأمر إليه. و «تخاذلوا» أي خذل بعضهم بعضاً.

و «شنّت» أي فُرّقت، قال ابن أبي الحديد: ما كان من ذلك متفرّقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة، فهو بالشين المعجمة، و ما كان إرسالاً غير متفرّق فبالسّين المهملة.[١٤٧]

وكلمة «على» في «ملكت عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر و الغلبة، أي أخذوا الأوطان منكم بالقهر. و «أخوغامد» هوسفيان بن عوف الغامديّ. و «الأنبار» بلد قديم من بلاد العراق. و «حسّان» من أصحابه ــ عليه السلام ــ كان والياً عليه. و «المسالح» جمع المسلحة و هي الحدود الّتي يرتّب فيها ذوو الأسلحة لدفع العدوّ كالثّغر. و «الحجل» بكسر الحاء و فتحها، الخلخال. و «القُلب» بالضّم، السوار المصمت. و

١٤٥- في بعض النسخ: ثمّ استعير فوضع موضع الهوان.

١٤٦- في بعض النسخ: تكل بعضهم بعضاً.

١٤٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٧٨، ط بيروت.

«الرعاث» جمع «رعثة»، بفتح الرّاء و سكون العين و فتحها، و هي القرط، والرعاث أيضاً ضرب من الحليّ و الخرز. و «الاسترجاع» قول «إنّا للّه و إنّا إليه راجعون»، و قيل: ترديد الصوت في البكاء. و «الاسترحام» مناشدة الرحم، أي قول «أنشدك اللّه والرحم» و قيل: طلب الرحم و هو بعيد. قوله ــ عليه السلام ــ «وافرين» أي تامّين، يقال: «وفرالشيء» أي تمّ و «وفرت الشيء» أي أتممته، و في رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. و «الكلم» الجراحة.

قوله ــ عليه السلام ــ «فيا عجبا» أصله يا عجبى، أي احضر هنا أوانك؛ و عجباً منصوب بالمصدريّة، أي أيها النّاس تعجّبوا منهم عجباً. والقسم معترض بين الصفة والموصوف. و «الترح» محرّكة، ضدّ الفرح. و «حمارّة القيظ» بتشديد الرّاء، شدّة حرّه، و ربّما خفّفت للضرورة في الشعر. و «صبارّة الشّتاء» بتشديد الرّاء، شدّة برده. و في القاموس: «تسبّخ الحرُّ» فتر و سكن، كسبّخ تسبيخاً. و «الحلوم» جمع «الحلم» بالكسر و هوالأناة والعقل. و «ربّات الحجال» النّساء، أي صواحبها أو اللّاتي ربّين فيها. و في بعض النسخ بنصب الحلوم والعقول، في الكلام تقدير، أي ياذوي حلوم الأطفال و ذوي عقول النساء؛ و في بعضها بضمّها، أي حلومكم حلوم الأطفال، و عقولكم عقول النساء.

قوله ــ عليه السلام ــ «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفاً أي عرفتكم معرفة. «أعقبت ذمّاً» أي ذمّي إيّاكم و إيّاها. و في بعض النسخ: «سدماً» وهو بالتحريك الهمّ أومع ندم أوغيظ. و «مقاتلة اللّه» كناية عن اللعن والإبعاد. و «القيح» الصديد بلادم. قوله ــ عليه السلام ــ «وشحنتم» أي ملأتم. و «النغب» جمع «نغبة» و هي الجرعة. و «التهمام» بفتح التاء، الهمّ. «أنفاساً» أي جرعة جرعة. قوله ــ عليه السلام ــ «للّه أبوهم» كلمة مدح و لعلّها استعملت هنا للتعجّب. و «المراس» بالكسر، العلاج. و الضمائر الثلاثة للحرب، وهي مؤنثة و قد يذكّر. قوله ــ عليه السلام ــ «ذرّفت» بتشديد الراء، أي زدت.[١٤٨]

١٤٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٢، ط كمباني وص ٦٣١، ط تبريز.

٢٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وهو فصل من الخطبة التي أولها « الحمد لله غير مقنوط من رحمته »
وفيه أحد عشر تنبيهاً

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَدْبَرَتْ ، وَآذَنَتْ(٣٥٦) بِوَدَاعٍ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ(٣٥٧) ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ(٣٥٨) ، وَغَداً السِّبَاقَ ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ(٣٥٩) ، وَالْغَايَةُ النَّارُ ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ(٣٦٠) ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ(٣٦١) ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ(٣٦٢) ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى ، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(٣٦٣) . وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ(٣٦٤) غَداً .

قال السيد الشريف ــ رضي الله عنه ــ وأقول : إنّهُ لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال ،

وقادحاً زناد الاتعاظ والازدجار، ومِنْ أعجبه قوله عليه السلام: «ألا وَإنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةَ وَالغَايَةُ النَّارُ» فإن فيه – مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه – سرّاً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «والسَّبَقَةُ الجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: «السَّبَقَةُ النَّارُ» كما قال: «السَّبَقَةُ الجَنَّةُ»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار، نعوذ بالله منها! فلم يجز أن يقول: «والسَّبَقَةُ النَّارُ» بل قال: «والغَايَةُ النَّارُ»: لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها، ومن يسره ذلك، فصَلَح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصِيرَكُمْ إلى النَّارِ» ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم – بسكون الباء – إلى النار، فتأمل ذلك، فباطنه عجيب، وغوره بعيد لطيف. وكذلك أكثر كلامه عليه السلام. وفي بعض النسخ: وقد جاء في رواية أخرى «والسُّبْقَةُ الجنة» – بضم السين – والسبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض، والمعنيان متقاربان، لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود.

٢٩ – ومن خطبة له عليه السلام

بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين
وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ(٣٦٥)، كَلامُكُمْ يُوهِي(٣٦٦) الصُّمَّ الصِّلابَ(٣٦٧)، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ(٣٦٨)، فَإذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي

حَيَادِ[٣٦٩]! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ[٣٧٠]، وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ[٣٧١]، دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ[٣٧٢]. لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ! وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ! أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ ـ وَٱللهِ ـ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ[٣٧٣]، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ[٣٧٤] نَاصِلٍ[٣٧٥]. أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ. مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ. أَقَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ!؟

بيان: قال الشرّاح: لـمّا سمع معاوية اختلاف النّاس على عليّ ــعليه السّلام ــ و تفرّقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضحّاك بن قيس في أربعة آلاف و أوعز إليه بالنهب و الغارة، فأقبل يقتل و ينهب حتّى مرّ بالثعلبيّة و أغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود صاحب رسول الله ــصلّى الله عليه و آله ــ وقتل معه ناساً من أصحابه فلمّا بلغ ذلك عليّاً ــ عليه السلام ــ استصرخ أصحابه واستشارهم إلى لقاء العدوّ فتلكّأ واوراى منهم فشلاً فخطبهم بهذه الخطبة.[١٤٩]

و«الوهي» الضعف، و«وهى الحجر و السقاء» ــكوقى ــ أي انشقّ، و«أوهاه» شقّه. و «الصمّ و الصِّلاب» من أوصاف الحجارة، و «الصّخرة الصمّاء» الّتي ليس فيها صدع و لاخرق. و «كيت و كيت» كناية عن القول.

قوله ــعليه السلام ــ «حيدي حياد» قال ابن أبي الحديد: هي كلمة يقولها

١٤٩ــ شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥٠، ط بيروت، وأيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢،ص١١٣، ط بيروت. وقد رواه العلّامة عن «الغارات» للثقفي.

المارب الفانّ، وهي نظير قولهم «فيحي فياح» أي اتّسعي.[١٥٠] وقال ابن ميثم: «حياد» اسم للغارة، والمعنى اعدلي عنّا أيّتها الحرب، ويحتمل أن يكون «حياد» من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتنحّي مرّتين بلفظين مختلفين.[١٥١]

أقول: قسّم الشيخ الرضيّ —رحمه الله— صيغة فعال المبنيّ إلى أربعة أقسام وعدّمنها ماكانت صفة للمؤنّث غير لازمة للنداء، وعدّمن هذا القسم حياد و فياح، و قال: «حيدي حياد» أي ارجعي ياراجعة، وجعل حذف حرف النداء عن «حياد» وأمثالها دليلاً على أنّها أعلام للأجناس وحينئذ لايكون «حياد» اسماً للغارة ولابمعنى الأمر، وهي و أمثالها مبنيّة على الكسر. و«العزّة» الغلبة و الشدّة، و في الإسناد إلى الدعوة توسّع. و«لااستراح» أي ماوجدالرّاحة. و قاساه: كابده. و الباء في قوله —عليه السلام— «بأضاليل» متعلّقة بأعاليل، أي يتعلّلون بالأضاليل الّتي لاجدوى لها.

و قال ابن ميثم —رحمه الله—: أعاليل و أضاليل جمع أعلال و أضلال وهما جمع «علّة» اسم مايتعلّل به من مرض أوغيره، و«ضلّة» اسم الضلال، و هو خبر مبتدأ محذوف، أي إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم و هي أعاليل باطلة ضالّة عن سبيل الله.[١٥٢]

قوله —عليه السلام— «دفاع» قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون تشبيهاً لدفاعهم بدفاع ذي الدّين المطول فيكون منصوباً بحذف الجارّ، ويحتمل أن يكون استعارة لدفاعهم ليكون مرفوعا.[١٥٣]

و«المطول» كثير المطال و هو تطويل الوعد و تسويفه. و «الضيم» الظلم. قوله —عليه السلام— «أيّ دار بعد داركم» أي دارالاسلام أوالعراق، أي إذا أخرجكم العدوّ عن دياركم و مساكنكم فمن أيّ دار أو في أيّ دار تمنعونهم؛ و في بعض النُّسخ: «تمتّعون» على التفعّل بحذف إحدى التائين، أي بأيّ دارتنتفعون. «المغرور» أي الكامل الغرور، أوليس المغرور إلّا من غررتموه ، و التعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكّم.

١٥٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١١١، ط بيروت.

١٥١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥٠، ط بيروت.

١٥٢ و ١٥٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥١، ط بيروت.

وقال ابن ميثم: «والأخيب» أشدّ خيبة و هي الحرمان.[١٥٤] و«السهم الأخيب» الّتي لاغنم لها في الميسر كالثلاثة المسمّاة بالأوغاد أو الّتي فيها غرم كالّتي لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة؛ و يكون إطلاق الفوز على حصولها مجازاً من باب إطلاق أحد الضدّين على الآخر. و«الأفوق» السهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه. و «الناصل» الّذي لانصل فيه. و «الإيعاد» والوعيد في الشرّ غالباً كالوعد و العدة في الخير، وعدم الإيعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم أولعدم خوف العدوّ منهم. و«البال» الحال والشأن.

قوله —عليه السلام— «ماطبّكم؟» أي ما علاجكم ، وقيل: أي ماعادتكم.

قوله —عليه السلام— «أقولاً بغير علم!» نصب المصادر بالأفعال المقدرة، وقولهم «بغيرعلم» قولهم إنّا نفعل بالخصوم كذا و كذا، مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب، أودعواهم الإيمان والطّاعة مع عدم الإطاعة، فكأنّهم لايذعنون بما يقولون؛ و في بعض النسخ: «بغير عمل» و هو أظهر. و«غفلة» أي عمّا يصلحكم من غيرورع يحجزكم عن محارم اللّه. و ينبّهكم عن الغفلة؛ و في بعض النسخ: «وعفّة من غير ورع! وطمعاً في غير حقّ». لعلّه —عليه السلام— كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم طمعهم في أن يعطيهم زيادة على مايستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله.[١٥٥]

٣٠ — ومن كلام له عليه السلام

في معنى قتل عثمان

وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ

١٥٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥١، ط بيروت.

١٥٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٣، ط كمپاني وص ٦٣٢، ط تبريز.

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ(٣٧٦)، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ(٣٧٧)، وَلِلهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه لأنّ الّذين نصروه كانوا فسّاقاً كمروان بن الحكم و أضرّوابه، و خذله المهاجرون و الأنصار.[١٥٦]

و«المستأثر بالشيء» المستبدّ به، أي أساء عثمان في استقلاله برأيه في الخلافة و إحداث ما أحدث. قوله –عليه السلام– «للّه حكم واقع» أي ثابت محقّق في علمه– تعالى–، فالحكم يحتمل الدنيويّ والأخرويّ، أوسيقع و يتحقّق خارجاً في الآخرة أو في الدنيا لأنّ مجموعه لم يتحقّق بعدُ وإن تحقّق بعضه.[١٥٧]

٣١ – ومن كلام له عليه السلام

لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ(٣٧٨) يَرْكَبُ الصَّعْبَ(٣٧٩) وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ . وَلٰكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً(٣٨٠)، فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا(٣٨١)

قال السيد الشريف : وهو – عليه السلام – أوّل من سمعت منه هذه الكلمة ، أعني :

١٥٦– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٢٨، ط بيروت.

١٥٧– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٦، ط كمپاني وص ٣٥٤، ط تبريز.

« فما عدا مما بدا ».

بيان: «يستفيئه» أي يسترجعه. «إن تلقه تجده» في رواية «إن تلفه» بالفاء، أي تجده. «عاقصاً» أي عاطفاً قد التوى قرناه على أذنيه، يقال: «عقص شعره» أي ضفره و فتله. والأعقص من التّيوس و غيرها ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه؛ و «عاقصاً» إمّا مفعول ثان لـ «تجده»، أوحال عن الثور. «يركب الصعب» أي يستهين بالمستصعب من الأمور. و «العريكة» الطبيعة. والتعبير بابن الخال كقول هارون لموسى ــ عليه السلام ــ «يابن أمّ» للاستمالة بالإذكار بالنسب والرحم.

قوله ــ عليه السلام ــ «فاعدامّما بدا» قال ابن أبي الحديد: معنى الكلام: فاصرفك عمّا بدامنك، أي ظهر، أي ما الّذي صدّک عن طاعتي بعد إظهارك لها؛ و «من» هيهنا بمعنى «عن»، وقد جاءت في كثير من كلامهم، وحذف ضمير المفعول كثير جداً. و قال الراونديّ: له معنيان، أحدها: ما الّذي منعك ممّا كان قد بدامنك من البيعة قبل هذه الحالة. الثّاني: ما الّذي عاقك من البداء الّذي يبدو للانسان؛ و يكون المفعول الأوّل لـ «عدا» محذوفاً يدلّ عليه الكلام، أي ماعداك، يريد مامنعك عمّا كان بدالك من نصرتي.[158]

و قال ابن ميثم[159]: أقول: هذه الوجوه و إن احتملت أن تكون تفسيراً إلّا أنّ في كلّ منها عدولاً عن الظاهر، والحقّ أن يقال: إنّ «عدا» بمعنى جاوز، و «من» لبيان الجنس، والمراد: ما الّذي جاوزبك عن بيعتي ممّا بدالك بعدها من الأمور الّتي ظهرت لك، و حينئذ تبق الألفاظ على أوضاعها الأصليّة مع استقامة المعنى و حسنه.

و روي عن الصّادق جعفربن محمّد، عن أبيه، عن جدّه ــ عليهم السلام ــ، قال: سألت ابن عبّاس عن تلك الرسالة فقال: بعثني فأتيت الزبير، فقلت له، فقال: إنّي أريد ما تريد، كأنّه يقول الملك، ولم يزدني على ذلك فرجعت إلى أميرالمؤمنين ــ

۱۵۸- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ۲، ص ۱۶۳ ــ ۱۶۴، ط بيروت.

۱۵۹- شرح النهج لابن ميثم، ج ۲، ص ۶۱ ــ ۶۲، ط بيروت.

عليه السلام ــ فأخبرته.[١٦٠]

٣٢ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا

معنى جور الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ[٣٨٢]، وَزَمَنٍ كَنُودٍ[٣٨٣]: يُعَدُّ فِيهِ ٱلْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً[٣٨٤] حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

أصناف المسيئين

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلَالَةُ حَدِّهِ[٣٨٥]، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[٣٨٦]. وَمِنْهُمُ ٱلْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَٱلْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَٱلْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ[٣٨٧] وَرَجِلِهِ[٣٨٨]، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ[٣٨٩]، وَأَوْبَقَ دِينَهُ[٣٩٠] لِحُطَامٍ[٣٩١] يَنْتَهِزُهُ[٣٩٢]، أَوْ مِقْنَبٍ[٣٩٣] يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[٣٩٤]. وَلَبِئْسَ ٱلْمَتْجَرُ أَنْ تَرَىٰ الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ ٱللهِ عِوَضاً! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ ٱلْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ[٣٩٥] مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ

١٦٠ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٧، ط كمپاني وص ٣٨٢، ط تبريز.

خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللهِ ذَرِيعَةً(٣٩٦) إِلَىٰ ٱلْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ(٣٩٧) ، وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَلَىٰ حَالِهِ ، فَتَحَلَّىٰ بِٱسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ(٣٩٨) وَلَا مَغْدًى(٣٩٩)

الراغبون في الله

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ(٤٠٠) ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ(٤٠١) ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ(٤٠٢) ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَثَكْلَانَ(٤٠٣) مُوجَعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ(٤٠٤) ٱلتَّقِيَّةُ(٤٠٥) ، وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ(٤٠٦) ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ(٤٠٧) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ(٤٠٨) ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّىٰ مَلُّوا(٤٠٩) ، وَقُهِرُوا حَتَّىٰ ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّىٰ قَلُّوا .

التزهيد في الدنيا

فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ(٤١٠) ٱلْقَرَظِ(٤١١) ، وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ(٤١٢) ، وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ؛ وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ(٤١٣) .

قال الشريف ــ رضي الله عنه ــ : أقول : وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرّغام[٤١٤] ! وأين العذب من الأجاج ! وقد دلّ على ذلك الدليل الخرّيت[٤١٥] ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب « البيان والتبيين » وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها ، جملته أنه قال : وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف، أليق . قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ومذاهب العُبّاد !

بيان: «عند عن الطريق» ــ كنصر ــ عدل و مال، و «العنود» فعول بمعنى فاعل، و قيل: مفاعل. والزمن اسم لقليل الوقت و كثيره. و قيل: الشديد بمعنى البخيل؛ و في بعض النسخ: «وزمن كنود» و هو الكفور، و قيل: اللوّام؛ و وصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله. و «عدّالمحسن مسيئاً» إمّا لعدم الإذعان بالحقّ، أولحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة كزعم العابد مرائياً. و «العتوّ» الاستكبار و مجاوزة الحدّ.

قوله ــ عليه السلام ــ «لا تنتفع» التعبير بلفظ المتكلّم مع الغير من قبيل «إيّاك أعني واسمعي ياجاره» وعدم الانتفاع بالعلم لترك العمل وعدم السؤال لعدم العلم بفضله مع عدم الرغبة في العمل به. و «القارعة» الخطب العظيم والداهية. و«مهانة النفس» حقارتها، من «مهن» أو«هان». و «كَلّ» حدّ السيف وغيره إذا وقف عن القطع. و «نضيض وفره» أي قلّة ماله، وهذا القسم هم المريدون للدّنيا غيرالقادرين عليها. و «المجلب» اسم فاعل من «أجلب عليهم» أي تجمّع و تألّب، و كذلك إذا صاح به واستحثّه، و «أجلبه» أي أعانه. و«الرجِل» جمع راجل. «قد أشرط نفسه» أي هيّأها و أعدّها للفساد في الأرض. و «الحطام» المال، وأصله ماتكسّر من اليبس. و«الانتهاز» الاختلاس والاستلاب بقدر الإمكان. و «المقنب» بكسر الميم وفتح النون، الجمع من الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين. «يفرعه» أي يعلوه.

و«عمل الدنيا» مايفعله المكلّف فيها، أومايصير بانضمام القربة و التوصل به إلى الطاعة طاعةً. و«قدطامن» أي خفض، و يقال: «طامن منه» أي سكّنه. و «قارب من خطوه» أي لم يسرع و مشى رو يداً. و «شمّر» أي قصر ثوبه، أورفعه إظهاراً لمتابعة السنّة. و «زخرف» أي زيّن، «للأمانة» أي لأن يجعلوه أميناً على أموالهم و أعراضهم، ويحتمل تعلّقه بالأخير وبالجميع. «واتّخذستراللّه» أي التقوى والعمل بشرائع الدّين، فإنّ اللّه حرّم تتبّع عورات من ظاهره الصلاح و ذكر عيوبه.

قال الكيدريّ في كتاب المضاف و المنسوب: «ستر اللّه» الإسلام و الشيب و الكعبة وضمائر صدور النّاس، يعني جعل ظاهر الإسلام و مايجنّه صدره بحيث لايطّلع عليه مخلوق وسيلةً وطريقاً إلى معصية اللّه. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه اتّخذ ستراللّه على عيوبه حيث لم يفضحه ولم يطّلع الناس على بواطنه ذريعةً إلى أن يخدع الناس. و«الضؤولة» الحقارة. و«السبب» الحبل ومايتوصّل به إلى غيره. و«المراح» المكان الّذي تأوي إليه الماشية في الليل. و«المَغدى» ماتأوي إليه بالغداة، ولعلّ المعنى: ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولاليله كليلهم في العبادات. و«المرجع» بكسر الجيم، مصدر أواسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد، أوالقيامة، أوالرجوع إليها. وغضّ البصر عن المعاصي أوالأعمّ لخشوعهم أوللحياء أوأبصار قلوبهم عمّا سوى اللّه. و«الشريد» الطريد. و«النادّ» المنفرد، والمراد به المتوحّش من الناس الذاهب في الأرض إمّا لعدم صبره على رؤية المنكرات أولكثرة أذى الظالمين في الأوطان لإنكاره المنكر وأشباه ذلك. و«قمعه» ضربه بالمقمعة وقهره و ذلّه. و «المكعوم» الّذي لايمكنه الكلام كأنّه شُدّ فوه من التقيّة بالكعام الّذي يجعل في فم البعيرعند الهياج. و«الثكل» الحزن على فقد الأقارب، ولعلّ المعنى أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، وبعضهم لم يترك ذلك و ينكرمنكراً ثمّ يخاف ممّا يجري عليه بعد ذلك ، ومنهم من هو بينهم ولاينهاهم تقيّة ومعرض عنهم و مشتغل بالدعاء، ومنهم من هوبينهم بالضرورة و يرى أعمالهم ولايؤثّر نهيه فيهم فهو كالثكلان الموجع.

و«خمل ذكره وصوته» خفي. «فهم في بحر أجاج» كناية عن عدم استماعهم بالدنيا كالسّابح في ماء مالح فإنّه لايمكنه التروّي منه و شربه وإن بلغ غاية العطش. «أفواههم ضامزة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة، أو بالراء المهملة كناية عن صومهم وعدم أكلهم من المحرّمات و الشبهات، قال الكيدريّ: أي ساترة خفيّة من الضمير، و يروى بالزاي، أي مشدودة بالسكوت. و«قلوبهم قرحة» لكثرة المنكرات مع عدم تمكّنهم من إنكارها، أولخوفهم من الله أومن النّاس. و«القرظ» ورق السَّلَم يدبغ به، و«حثالته» مايسقط منه. و «الجلَم» المقصّ يجزّ به أوبارالإبل، و«قراضته» مايسقط من قرضه و قطعه. «وارفضوها ذميمة» أي اتركوا ماحاله الحقارة والذمامة. و «الشعف» الحبّ الشديد.[161]

٣٣ — ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة ، وفيها حكمة مبعث الرسل ، ثم يذكر فضله ويذم الخارجين

قال عبدالله بن عباس ــ رضي الله عنه ــ : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصِف نعله[(416)] ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمةَ لها ! فقال عليه السلام : والله لَهِيَ أَحَبُّ إليّ من إمرتكم ، إلا أن أُقيم حقًّا ، أو أدفع باطلًا ، ثم خرج فخطب الناس فقال :

حكمة بعثة النبي

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ

١٦١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٩، ط كمپاني وص ٦٣٧، ط تبريز.

يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ(٤١٧) ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(٤١٨) ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ(٤١٩) .

فضل علي

أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا(٤٢٠) حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا(٤٢١) : مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ ، وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا ؛ فَلَأَنْقُبَنَّ(٤٢٢) الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ .

توبيخ الخارجين عليه

مَالِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ ! وَاللهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ(٤٢٣) صَابِحاً
وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا
وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ عَلِيّاً ، وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا

بيان: قوله –عليه السلام– «حتّى بوّأهم محلّتهم» أي أسكنهم منزلتهم التي خلقوا لأجلها من الإسلام و الإيمان والعلم وسائر الكمالات بحسب استعداداتهم.

و«المنجاة» محلّ النجاة. و «القناة» الرمح و«استقامتها» كناية عن القوّة و الغلبة و الدولة. و«الصفاة» الحجر الأملس المنبسط، استعيرت لحالهم الّتي كانوا عليها من النهب والغارة والخوف والتزلزل، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل، فاطمأنّت أحوالهم وسكنوا في مواطنهم بسبب مقدمه ــصلّى الله عليه و آله ــ.[١٦٢]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «ذوقار» موضع قريب من البصرة. «حتّى بوّأهم» أي أسكنهم محلّتهم، أي ضرب النّاس بسيفه على الإسلام حتّى أوصلهم إليه.

وقال ابن ميثم: المراد بالقناة القوّة و الغلبة والدّولة الّتي حصلت لهم، مجازاً من باب إطلاق السبب على المسبّب، فإنّ الرُّمح أوالظهر سبب للقوّة و الغلبة.[١٦٣]

و«الصفاة» الحجارة الملساء، أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنهب و الغارة و أمثالها. «إن كنت لفي ساقتها» هي جمع «سائق» كحائك وحاكة، ثمّ استعملت للأخير لأنّ السائق إنّما يكون في آخر الركب والجيش، و شبّه ــ عليه السلام ــ أمر الجاهليّة إمّا بعجاجة ثائرة أوبكتيبة مقبلة للحرب، فقال: إنّي طردتها فولّت بين يديّ، أطردها حتّى لم يبق منها شيء. «لمثلها» أي لمثل تلك الحالة الّتي كنت عليها معهم في زمن الرسول ــصلّى الله عليه و آله ــ.

«فلأنقبنّ» في بعض النسخ «لأبقرنّ الباطل حتّى أُخرج الحقّ من خاصرته». شبّه ــعليه السلام ــ الباطل بحيوان ابتلع جوهراً ثميناً أعزّ منه فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع.

وفي نسخة ابن أبي الحديد بعد قوله ــعليه السلام ــ «صاحبهم اليوم»: «والله ماتنقم منّا قريش إلّا أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلنا هم في حيّزنا كما قال الأوّل:

أدمت لعمري شربك المحض صابحا ... وأكلك بالزّبد المقشّرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن ... عليّاً وحطنا حولك الجرد والسمرا[١٦٤]

١٦٢- بحار الانوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢٦.

١٦٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٧٣، ط بيروت.

١٦٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٨٥، ط بيروت.

أقول: «المقشّرة» التمرة الّتي أُخرج منها نواتها. و«البُجر» بالضم، الأمر العظيم والعجب، ولعلّه هنا كناية عن الكثرة أوالحسن أواللطافة، ويحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق، يقال: «بجر ـ كفرح ـ فهو بجر» امتلأ بطنه من اللبن و الماء و لم يرو، و«تبجّر النبيذ» ألحّ في شربه، وكثير بجير اتباع. و«الجرد» بالضمّ، جمع «الأجرد» وهو الفرس الّذي رقّت شعرته وقصرت وهو مدح. و «السمر» جمع «الأسمر» وهو الرُّمح.[165]

نهج: أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله ـ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة ولاوحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر الساعة أن تنزل بهم؛ يحسر الحسير، ويقف الكسير، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلّا هالكاً لاخير فيه حتّى أراهم منجاتهم وبوّأهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم.[166]

إيضاح: قوله «وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً» أي في زمانه ـ صلى الله عليه السلام ـ وماقاربه، فلاينافي بعثة هود وصالح و شعيب ـ عليهم السلام ـ في العرب؛ و أمّا خالدبن سنان فلوثبت بعثته فلم يكن يقرأ كتاباً و يدّعي شريعة، و إنّما نبوّته كانت مشابهة لنبوّة جماعة من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لهم كتب ولاشرائع، مع أنه يمكن أن يكون المراد الزمان الّذي بعده.

قوله ـ عليه السلام ـ «و يبادر الساعة أن تنزل بهم» أي يسارع إلى هدايتهم و تسليكهم لسبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله. قوله ـ عليه السلام ـ «يحسر الحسير»، «الحسير» الّذي أعيى في طريقه، والغرض وصفه ـ صلّى الله عليه و آله ـ بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي أنّه كان يسير في آخرهم، و يفتقد المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلايزال يلطف به حتّى يبلغه أصحابه إلّا مالا يمكن إيصاله ولايرجى؛ أوالمراد من وقف

١٦٥ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٧، ط كمپاني وص ٣٨٢، ط تبريز.
١٦٦ـ روى العلّامة جزءً من الخطبة المذكورة بهذه الصورة وفسّرها؛ فنحن أوردناه هنا لنكمّل بحثنا هذا.

قدم عقله في السلوك إلى الله؛ أو انكسر لضلاله كان -صلّى الله عليه و آله- هو المقيم له على المحجّة البيضاء ويهديه حتى يوصله إلى الغاية المطلوبة إلّا من لايرجى فيه الخير كأبي جهل وأبي لهب و أضرابهما. و«منجاتهم» نجاتهم، أومحلّ نجاتهم. و«محلّتهم» منزلهم. و«استدارة رحاهم» كناية عن اجتماعهم و اتساق أمورهم.[١٦٧]

٣٤ - ومن خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد

أُفٍّ لَكُمْ![٤٢٤] لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ،[٤٢٥] كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ،[٤٢٦] وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ. يُرْتَجُ[٤٢٧] عَلَيْكُمْ حَوَارِي[٤٢٨] فَتَعْمَهُونَ،[٤٢٩] وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ،[٤٣٠] فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي،[٤٣١] وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ[٤٣٢] بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ[٤٣٣] عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ - لَعَمْرُ اللهِ - سُعْرُ[٤٣٤] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ؛[٤٣٥] لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ! وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ

١٦٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا -صلّى الله عليه وآله-، ص ٢٢٠.

حَمِسَ[٤٣٦] ٱلْوَغَى[٤٣٧]، وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوْتُ[٤٣٨]، قَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ الرَّأْسِ[٤٣٩]. وَٱللهِ إِنَّ ٱمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ[٤٤٠]، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي[٤٤١] جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ[٤٤٢]. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ؛ فَأَمَّا أَنَا فَوَٱللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ[٤٤٣] تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ[٤٤٤]، وَتَطِيحُ[٤٤٥] السَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ.

طريق السداد

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ[٤٤٦] عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالوَفَاءُ بِٱلْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي ٱلْمَشْهَدِ وَٱلْمَغِيبِ، وَٱلْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

بيان: روي أنّه ـ عليه السلام ـ خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالنهروان فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد، فإنّ الله ـ تعالى ـ قد أحسن نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشّام.

فقالوا له: قد نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به.

فأجابهم: يا قوم! ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على

أدباركم فتنقلبوا خاسرين.

فتلكّأوا عليه وقالوا: إنّ البرد شديد.

فقال: إنّهم يجدون البرد كما تجدون؛ ثمّ تلاقوله — تعالى —: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَيهُنَا قَاعِدُونَ». [١٦٨]

فقام ناس منهم واعتذروا بكثرة الجراح في النّاس و طلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أيّاماً ثمّ يخرج، فرجع بهم غير راضٍ وأنزلهم نخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم و يقلّوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه إلّا قليل، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال:

أيّها النّاس! استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحقّ لاينصرونه، موزعين بالجور والظلم لايعدلون به، وجفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكّعون في غمرة الضلالة، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً.

فلم ينفروا فتركهم أيّاماً ثمّ خطبهم بهذه الخطبة.

و«أفّ» بالضمّ و التشديد والتنوين، كلمة تضجّر و تكرّه، ولغاتها أربعون، منها كسر الفاء كما في بعض النسخ. و «عوضاً» و«خلفاً» نصبهما على التميز. و«دوران أعينهم» إمّا للخوف من العدوّ أوللحيرة و التردّد بين مخالفته — عليه السلام — والإقدام على الحرب، و في كليهما خطر عندهم. و «الغمرة» الشدّة، وغمرات الموت سكراته الّتي يغمر فيها العقل. و «السكر» بالفتح، ضدّ الصحو، و الاسم بالضمّ، وسكرة الموت شدّته و غشيته، و في الكلام إشارة إلى قوله — تعالى —: «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ». [١٦٩] «يرتج عليكم حواري» أي يغلق عليكم

١٦٨- المائدة: ٢٤.
١٦٩- الأحزاب: ١٩.

محاورتي و مخاطبتي. و«الألس» الجنون واختلاط العقل، يقال: ألس فهو مألوس. «سجيس الليالي» كلمة يقال للأبد، تقول: لاأفعله سجيس الليالي، أي أبداً.

«يمال بكم» أي يستند إليكم و يمال بكم إلى العدق، أوالباء بمعنى إلى. و«زوافرالرجل» أنصاره و عشيرته، و«زفرت الحمل» حملته؛ و«زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفاً على المجرور، وفي بعضها بالنصب عطفاً على الظرف. و «الإبل» اسم للجمع. «ضلّ رعاتها» أي ضاع وفقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أولم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها. «لبئس- لعمر اللّه-» اللام جواب القسم، و التكرير للتأكيد، و«العمر» بالفتح، العمر وهو قسم ببقاء اللّه. و«السُّعر» اسم جمع لساعر، و«إسعار النّار و سعرها» إيقادها. و«الامتعاض» الغضب. و «ايم» مخفّف «أيمن» وهوجمع يمين، أي ايم اللّه قسمي. و«حمس» -كفرح- اشتدّ. و «الوغا» الأصوات و الجلبة و منه قيل للحرب: وغا. و«استحرّالموت» أي اشتدّ و كثر.

«قد انفرجتم» أي تفرّقتم. و«انفراج الرأس» مثل لشدّة التفرّق؛ قيل: أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفي في وصيّة له: يابنيّ! لاتنفرجواعند الشدائد انفراج الرأس فإنكم بعد ذلك لاتجتمعون على عزّ. وفي معناه أقوال؛ الأوّل: قال ابن دريد: معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لايعود إليه. الثّاني: قال المفضّل: الرأس اسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها: بيت الرأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قدانفرج عن قومه و مكانه فلم يعد فضرب به المثل. الثّالث: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان بعيداً عن الالتيام والعود إلى الصحّة. الرّابع: قيل: معناه انفرجتم عنّي رأساً، وردّبأنّ رأساً لايعرف. الخامس: قيل: المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف رأسه عنه. السّادس: قيل: «الرأس» الرجل العزيز لأنّ الأعزّاء لايبالون بمفارقة أحد. السّابع: قيل: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فإنّه في غاية الشدّة نحو قوله- عليه السلام- في موضع آخر «انفراج المرأة عن قبلها» و بعده واضح.

و«عرق اللّحم» - كنصر- أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. و«هشم

العظم» —كضرب— كسره. و «فريت الشيء» قطعته. و «الجوانح» الاضلاع الّتي تحت الترائب و هي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر، وماضمّت عليه هو القلب، والمذكورات كنايات عن النهب والأسروالاستئصال وأنواع الضرر.

قوله —عليه السلام— «فكن ذاك إن شئت» قال ابن أبي الحديد: خاطب من يمكن عدوّه من نفسه خطاباً عامّاً، لكنّ الرواية وردت بأنّه —عليه السلام— خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه قال لعليّ —عليه السلام— حين يلوم الناس على تقاعدهم: هلّا فعلت فعل ابن عفّان؟ فقال: إنّ فعل ابن عفّان مخزاة على من لادين له، ولاوثيقة معه، إنّ امرأً أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفري جلده،لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت، فأمّا أنا فدون أن أُعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة... إلى آخر الفصل.[170] انتهى.

أقول: سيأتي تمام القول برواية المفيد.[171]

«فأمّا أنا فواللّه» الظّاهر أنّ خبر «أنا» الجملة الّتي خبرها «دون» و المبتدأ «ضرب» وذلك إشارة إلى تمكين العدوّ، أوفعل مافعله عثمان. و «المشرفيّة» بفتح الميم والرّاء، سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. و «فراش الهام» العظام الرقيقة تلي القحف. و «طاح يطيح» أي سقط. و«أوزعه بالشيء» أغراه. و «سكع» —كمنع و فرح—: مشى مشياً متعسّفاً لايدري أين يأخذ من بلاد اللّه و تحيّر كتسكّع. «كيلا تجهلوا» أي تبقوا على الجهالة.[172]

٣٥ — ومن خطبة له عليه السّلام

بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكمين
وفيها حمد الله على بلائه، ثم بيان سبب البلوى

١٧٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٩١، ط بيروت.

١٧١- راجع الأمالي للمفيد — رحمه الله —، المجلس الثامن عشر، ص ١٤٥، تحت رقم ٦، ط جماعة المدرّسين بقم.

١٧٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٤، ط كمپاني وص ٦٣٢، ط تبريز.

الحمد على البلاء

اَلْحَمْدُ لِلّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (٤٤٧)، وَالْحَدَثِ (٤٤٨) الْجَلِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

سبب البلوى

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي (٤٤٩)، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ (٤٥٠) أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ (٤٥١)، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ (٤٥٢):

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى (٤٥٣) فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

بيان: «الخطب» الأمر العظيم. و«الفادح» الثقيل. وقال الجوهريّ: «المجرّب» الّذي قد جرّبته الأمور و أحكمته، فإن كسرت الرّاء جعلته فاعلاً إلّا أنّ العرب تكلّمت به بالفتح. قوله- عليه السلام- و«نخلت» أي أخلصت وصفيت من نخلت الدقيق بالمنخل. قوله -عليه السلام- «لوكان يطاع» هومثل يضرب لمن خالف ناصحه؛ و أصل المثل أنّ قصيراً كان مولى الجذيمة بن الأبرش بعض ملوك العرب وقدكان جذيمة قتل أبا الزبّا ملكة الجزيرة، فبعثت إليه ليتزوّج بها خدعة، وسألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلّف باقي جنوده مع ابن أخته،

وقد كان قصير أشار عليه بأن لايتوجّه إليها فلم يقبل،فلمّا قرب من الجزيرة استقبلته جنود الزبّابالعدة ولم ير منهم إكراماً له، فأشار عليه قصير بالرجوع و قال: من شأن النساء الغدر، فلم يقبل، فلمّا دخل عليها قتله، فعندها قال قصير: «لايطاع لقصير أمر» فصار مثلاً لكلّ ناصح عصى.

وقال ابن ميثم: وقديتوهّم أنّ جواب «لو» ههنا مقدّم، والحقّ أنّ جوابها محذوف، والتعبير أنّي أمرتكم و نصحت لكم فلو أطعتموني لفعلتم ما أمرتكم به. فقوله —عليه السلام— «فأبيتم ...»إلى آخره في تقدير استثناء لنقيض التّالي وتقديره: لكنّكم أبيتم عليّ إباء المخالفين[١٧٣]. انتهى.

ولعلّ الأنسب على تقدير الجواب أن يقال: لوأطعتموني لما أصابتكم حسرة وندامة، أولكان حسناً،ونحوهما، ويحتمل أن يكون للتمنّي فلايحتاج إلى تقدير جواب على بعض الأقوال.

وقال في القاموس: «الانتباذ» التنحّي وتحيّز كلٍّ من الفريقين في الحرب كالمنابذة.

قوله— عليه السلام— «حتّى ارتاب الناصح» لعلّه محمول على المبالغة، أي لوكان ناصح غيري لارتاب. قوله —عليه السلام— «وضنّ الزند بقدحه»، «الزند» العود الّذي يقدح به النّار؛ قيل: هومثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجدلها قابلاً عارفاً بحقّها. و «أخوهوازن» هو الدريد بن الصمة، والبيت من قصيدة له في الحماسة، و قصّته أنّ أخاه عبدالله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم و استاق إبلهم فلمّا كان بمنعرج اللوى، قال: والله لاأبرح حتّى أنحر النقيعة— و هي ماينحر من النهب قبل القسمة—، فقال أخوه: لا تفعل فإنّ القوم في طلبك، وأبى عليه و أقام و أنحر النقيعة وبات. فلمّا أصبح هجم القوم عليه وطعن عبدالله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد، فنهنه عنه القوم حتّى طعن هوأيضاً وصرع وقتل عبدالله، و حال الليل بين القوم فنجادريد بعد طعنات وجراح، فأنشد القصيدة. و مطابقة المثل للمضرب ظاهرة.[١٧٤]

١٧٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٨٧، ط بيروت.

١٧٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٩٥، ط كمپاني وص ٥٤٩، ط تبريز.

٣٦ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان(٤٥٤)

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى(٤٥٥) بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ(٤٥٦) هٰذَا الْغَائِطِ(٤٥٧)، عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ(٤٥٨) بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ(٤٥٩)، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ(٤٦٠)، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ(٤٦١)؛ وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً(٤٦٢)، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً.

بيان: «الأهضام» جمع «هضم» و هو المطمئنّ من الوادي. و «الغائط» ماسفلت من الأرض. و«السلطان» الحجّة؛ ولعلّ المراد بالبيّنة الحجّة الشرعيّة و بالسلطان الدليل العقليّ. و قال الجوهريّ: «طاح يطوح و يطيح» هلك وسقط وكذلك إذا تاه في الأرض،و«طوّحه» أي توّهه و ذهب به ههنا و ههنا. و المراد بالدّارالدنيا. «واحتبلكم» أي أوقعكم في الحبال. و «المقدار» قضاء الله و قدره. و«الهام» جمع الهامة و هي الرأس، و«خفّتها» كناية عن قلّة العقل و عن الطيش وعدم الثبات في الرأي. و «الأحلام» جمع «حِلم» بالكسر، وهوالأناة والعقل. و «لاأبالك» كلمة تستعمل في المدح كثيراً و في الذمّ أيضاً وفي معرض التعجّب، و الظّاهر هنا الذمّ أوالتعجّب. و «البجر» الأمر العظيم و الداهية، و يروى «هجراً» وهوالسّاقط من القول، و يروى «عراً» و «العرو» معرّة الإثم.[175]

١٧٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٣، ط كمپاني وص ٥٥٦، ط تبريز.

٣٧ – ومن كلام له عليه السلام

يجري مجرى الخطبة

وفيه يذكر فضائله – عليه السلام – قاله بعد وقعة النهروان

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا[٤٦٣] ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا[٤٦٤] ، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا[٤٦٥] ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً[٤٦٦] ، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا[٤٦٧] ، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا[٤٦٨] . كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ . لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ[٤٦٩] . الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ . أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي ، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي .

بيان: «التعتعة» الاضطراب في الكلام من حصر أو عيّ. و «الفوت» السبق إلى الشيء. والضميران في «عنانها و رهانها» راجعان إلى الفضيلة بقرينة المقام. و «الاستبداد» الانفراد. قوله – عليه السلام – «فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي» أي طاعتي لرسول الله –صلّى الله عليه و آله– فيما أمرني به من ترك القتال معهم إذا غصبوا خلافتي ولم أجد ناصراً سبقت بيعتي وصارت سبباً لها، و ميثاق الرسول في ذلك كان في عنقي؛ أو المعنى: لمّا أطاعني الناس لم أجد بدّاً من قبول بيعتهم لي، فصار ميثاق بيعتهم في عنقي؛ أو طاعتي لغيري سبقت و غلبت بيعة الناس لي في زمن الرسول وصار الأمر ظاهراً بالعكس، فحصل لغيري من خلفاء الجور في عنقي الميثاق. كذا خطر بالبال وهو عندي

أظهر؛ وقيل: المراد بالطاعة طاعته لله ولرسوله، وبالميثاق بالبيعة بيعته للخلفاء، أي لايضرّني بيعتي لهم ولايلزمني القيام بلوازمها، فإنّ طاعتي لله قد سبقت بيعتي، فإنّي أوّل من أطاع الله و آمن به و برسوله، فلا يلزمني مبايعتي لهم مع كونها خلاف ما أمرالله و رسوله به.[١٧٦]

٣٨ — ومن كلام له عليه السلام

وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى[(٤٧٠)] وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

٣٩ — ومن خطبة له عليه السلام

خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، وفيها يبدي عذره، ويستنهض الناس لنصرته

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ[(٤٧١)] وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ؛ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ[(٤٧٢)]! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً[(٤٧٣)]، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً[(٤٧٤)]، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ

١٧٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٩، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، ص ٣٥٢.

ٱلْمَساءَةِ ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ(٤٧٥) جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَسَرِّ(٤٧٦) ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلْأَدْبَرِ(٤٧٧) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ « كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » .

قال السيد الشريف : أقول : قوله عليه السلام : « مُتَذَائِبٌ » أي مضطرب، من قولهم : تذاءبت الريح، أي اضطرب هبوبها . ومنه سمي الذئب ذئباً ، لاضطراب مشيته .

٤٠ — ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله »

قال عليه السلام : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلَّا للهِ ، وَلٰكِنَّ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا إِمْرَةَ إِلَّا للهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ ٱلْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ ٱللهُ فِيهَا ٱلْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ ٱلْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ ٱلْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ ٱلسُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

وقال : أَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ؛ وَأَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إلى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

بيان: قوله —عليه السلام— «كلمة حقّ» الظّاهر أنّ المراد بالكلمة قولهم: «لاحكم إلّا للّه»، والباطل الّذي أريدبها المعنى الّذي قصدوه لامايفهم من كلام بعض الشارحين من أنّ دعاء أصحاب معاوية إيّاكم إلى كتاب اللّه كلمة حقّ، لكن مقصودهم بها ليس العمل بكتاب اللّه بل فتوركم عن الحرب و تفرّق أهوائكم؛ ومعناها الحقّ حصر الحكم حقيقة فيه —سبحانه— إذحكم غيره —تعالى— إنّما يجب متابعة لأنّه حكمه —تعالى—.[١٧٧]

قوله —عليه السلام— «وإنّه لابدّ للنّاس— الخ» قال بعض الشّارحين[١٧٨]: الألفاظ كلّها ترجع إلى إمرة الفاجر؛ قال: «يعمل فيها المؤمن» أي ليست بمانعة للمؤمن من العمل. «و يستمتع فيها الكافر» أي يتمتّع بمدّته. «و يبلّغ اللّه فيها الأجل» لأنّ إمارة الفاجر كإمارة البرّ في أنّ المدّة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقّت للانسان. وقال بعضهم[١٧٩]: الضمير في «إمرته» راجع إلى الأمير مطلقاً، فالإمرة الّتي يعمل فيها المؤمن الإمرة البرّة، والّتي يستمتع فيها الكافر الفاجرة، والمراد بعمل المؤمن في إمرة البرّ عمله على وفق أوامر اللّه و نواهيه، و باستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهاكه في اللذّات الحاضرة. «و يبلّغ اللّه فيها الأجل» أي في إمرة الأميرسواء كان برّاً أوفاجراً، وفائدتها تذكير العصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم به؛ و يؤيّد هذا الوجه الرواية الأُخرى.

ويمكن أن يكون المعنى أنّه لابدّ في انتظام أُمور المعاش أمير برّأو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنّات النعيم، و يتمتّع فيها الكافر ليكون حجّة عليه، و لعلّه

١٧٧– ويمكن أن يكون المعنى: الحقّ الّذي لم يريدوه حصر الحكم الّذي يجب إطاعته من حيث إنّه حكم به ذلك الحاكم؛ فلا ينافي صدق الحكم من غيرتجوّز على حكم الرسول والإمام وقضاة العدل لإطلاق الحكم مطلقاً على حكمهم في كثير من الآيات والأخبار. وقد شنّعوا تجويز الحكم مطلقاً، ونفي الإمرة من لوازمه، فتدبّر. منه ـ رحمه اللّه ـ.

١٧٨– المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد؛ فراجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٠٩،

١٧٩– المراد من «بعضهم» هو ابن ميثم في شرحه للنهج، ج ٢، ص ١٠٣، ط بيروت.

أظهر لفظاً.

ومعنى قوله —عليه السلام— «حتّى يستريح»:

كلمة «حتّى» إمّالبيان الغاية، والمعنى: تستمرّتلك الحال حتّى يستريح البرّمن الأُمراء، وهو الظاهر أومطلقاً، و يستريح النّاس من الأمير الفاجر أومطلقاً بالموت أوالعزل، وفيها راحة للبرّلأنّ الآخرة خير من الأُولى ولايجري الأُمور غالباً على مراده ولايستلذّ كالفاجر بالانهماك في الشهوات، وراحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره وإن انتظم به نظام الكلّ في المعاش.

وإمّا لترتّب الغاية، أي حتّى يستريح البرّ من الناس في دولة البرّ من الأُمراء و يستريح الناس مطلقاً من بغي بعض الفجّار و من الشرور و المكاره في دولة الأمير مطلقاً برّاً كان أوفاجراً، ولاينافي ذلك إصابة المكروه من فاجرأحياناً.

قوله —عليه السلام— «حكم الله أنتظر» أي جريان القضاء بقتلهم وحلول وقته. قوله—عليه السلام— «إلى أن تنقطع مدّته» أي مدّة دولته أوحياته.[180]

٤١ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ[(٤٧٨)]، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً[(٤٧٩)] أَوْقَى[(٤٨٠)] مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً[(٤٨١)]، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ[(٤٨٢)] وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ

١٨٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٤، ط كمباني و ص ٥٥٦، ط تبريز.

فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ (١٨٣)

بيان: «الوفاء» لزوم العهد والبقاء عليه كما ينبغي، و يكون في الأفعال والأقوال. و «الصدق» يعمّ العهد وغيره، فبينهما عموم من وجه، وقديقال: الوفاء في الإنشاء و الصدق في الأخبار، ولايجتمعان؛ و يردّه صادق الوعدو إن كان مجازاً، أوالمراد تلازمهما غالباً مع تشاركهما في الفضل وترتّب الآثار الحسنة. و «المرجع» مصدر، أي الرجوع إلى الله، أو اسم مكان. و «الكيس» الفطنة والذكاء. و الضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أوالغدر. و«الحُوّل القُلّب» هو الّذي كثر تحوّله و تقلّبه في الأُمور و جرّبها وعرف وجوهها . و«الوجه» الجهة، والضمير في «دونه» يعودإليه، أي قبل الوصول إليه، أوإلى الحوّل أي أمامه. وفي بعض النسخ: «دونها» فيعود إلى الحيلة.

«رأي عين» أي رؤية معاينة، فهو منصوب على المصدر من «يدع» بتقدير موصوف، أي يتركها تركاً معايناً غيرناش عن غفلة؛ أوعلى الحاليّة، أي حال كونها مرئيّة له. وجوّز بعضهم في قوله- تعالى-: «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ» [١٨١] أن يكون ظرف مكان. و«الحريجة» التحرّج و هو التحرّز، من «الحرج» والاسم، وقيل: «الحريجة» التقوى. [١٨٢]

٤٢ — ومن كلام له عليه السلام

وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَانِ : ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى ، وَطُولُ ٱلْأَمَلِ (١٨٤) ؛ فَأَمَّا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ (١٨٥) ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا

١٨١- آل عمران: ١٣.

١٨٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٣٨، ط كمباني.

صُبَابَةً[٤٨٦] كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا[٤٨٧] . أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَداً حِسَابٌ ، وَلَا عَمَلَ .

قال الشريف: أقول : الحذاء ، السريعة ، ومن الناس من يرويه «جذّاء»[٤٨٨]

٤٣ — ومن كلام له عليه السلام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ[٤٨٩] فَأَرْوِدُوا[٤٩٠] ، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ[٤٩١] .

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ[٤٩٢] ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ . إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً ، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالاً[٤٩٣] ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا .

بيان: جرير بن عبدالله البجليّ كان عاملاً لعثمان على ثغر همدان فلمّا صار الأمر إليه طلبه فأجاب بالسمع و الطّاعة وقدم إليه ــعليه السلام ــ فأرسله إلى معاو ية. وروي أنّه ــعليه السلام ــ لمّا أراد بعثه قال جرير: والله يا أميرالمؤمنين ما أدّخرك من نصرتي شيئاً و ما أطمع لك في معاو ية، فقال ــ عليه السلام ــ: قصدي حجّة أُقيمها. ثمّ كتب معه:

فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام...

إلى آخرما مرّ برواية نصر بن مزاحم.[١٨٣]

فأجابه معاو ية:

أمّا بعد، فلعمري لو بايعك القوم الّذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي‌بكر وعمر وعثمان، ولكنّك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف، وقد أبى أهل الشّام إلّا قتالك حتّى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ماحجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير لأنّهما بايعاك ولم أبايعك، ولاحجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة لأنّهم أطاعوك ولم يطعك أهل الشّام، فأمّا شرفك في الإسلام وقرابتك من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وموضعك من قريش فلست أدفعه.

وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل:

أرى الشام يكره أهل العراق ... وأهل العراق لها كارهونا

و يروى أنّ الكتاب الّذي كتبه ــعليه السلام ــ مع جرير كانت صورته:

إنّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير، والسلام.

وقال لجرير: «صن نفسك عن خداعه، فإن سلّم إليك الأمر وتوجّه إليّ فأقم أنت بالشام، وإن تعلّل بشيء فارجع». فلمّا عرض جرير الكتاب على معاو ية تعلّل بمشاورة أهل الشام وغير ذلك فرجع جرير.

١٨٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٧٠ ــ ٩١.

فكتب معاوية في إثره في ظهر كتاب عليّ —عليه السلام—:

من ولّاك حتّي تعزلني؟! والسلام.

و يقال: أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه.

والمراد بالخير الطاعة، و«الأناة» — كالقناة— اسم من التأنّي. و«أرودوا» علي صيغة الإفعال، أي ارفقوا. و«الإعداد» التهيّة كالاستعداد، وربّما يتوهم التنافي بين ذكر مفسدة الاستعداد أوّلاً وعدم كراهة الإعداد ثانياً؛ و دُفع بوجوه:

منها: أنّه كره استعداد نفسه بجمع العسكر و عرضهم و تحريصهم على القتال دون إعداد أصحابه بإصلاح كلّ منهم فرسه و أسلحته.

ومنها: أنّ المكره إظهار الإعداد دون الإعداد سرّاً. و تركنا بعض الوجوه لوهنها.

و«ضرب الأنف والعين» مثل للعرب يراد منه الاستقصاء في البحث و التأمّل. و«قلب الظهر و البطن» التأمّل في ظاهر الأمر و باطنه. و إطلاق الكفر هنا على المبالغة، أو بالمعنى الّذي يطلق على ترك الفرائض وفعل الكبائر كما سيأتي في أبواب الإيمان والكفر. و يحتمل على بُعدٍ اختصاص ذلك بالإمام.

والمراد بالوالي عثمان، و بالأحداث البدع و الأُمور المنكّرة. و «أوجد النّاس مقالاً» أي أبدى لهم طريقاً إليه بأحداثه؛ وتفسير «أوجد» ههنا بأغضب —كما قيل— غريب. و «نقموا» — كضربوا— أي عتبوا و طعنوا عليه.[184]

٤٤ — ومن كلام له عليه السّلام

لما هرب مَصقَلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به[٤٩٤] وهرب إلى الشام

١٨٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٧٣، ط كمباني وص ٤٣٨، ط تبريز.

قَبَّحَ ٱللهُ(٤٩٥) مَصْقَلَةَ ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ ، وَفَرَّ فِرَارَ ٱلْعَبِيدِ ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّىٰ أَسْكَتَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّىٰ بَكَّتَهُ(٤٩٦) ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ(٤٩٧) ، وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ(٤٩٨).

بيان: أقول: قد مضى هذا الكلام و مضت قصّته في أبواب أحوال الخوارج. و قال الشرّاح: «بنوناجية» ينسبون أنفسهم إلى قريش، و قريش تدفعهم عنه و ينسبونهم إلى ناجية وهي أمّهم، وقد عدّوامن المبغضين لعليّ —عليه السلام—، و اختلفت الرواية في سببهم، ففي بعضها أنّه لمّا انقضى أمرالجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية، فبعث إليهم عليّ —عليه السلام— رجلاً من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم و قال لهم: مالكم عسكرتم و قد دخل في الطاعة غيركم؟

فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا و نبايع، فأمرهم، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فلم نسلم وخرجنا مع القوم الّذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً فخرجنا معهم، فهزموافنحن ندخل فيما دخل الناس فيه و نعطيكم الجزية كما أعطيناهم؛ فقال: اعتزلوا! فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيكم الجزية كالنصارى؛ فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام! فأبوا، فقاتل مقاتلهم و سبى ذراريهم، فقدم بهم على أميرالمؤمنين.[185]

وفي بعضها: أنّ أميراً من قبل عليّ —عليه السلام— كان معقل بن قيس، ولمّا انقضى أمرالحرب لم يقتل من المرتدّين من بني ناجية إلّا رجلاً واحداً، ورجع الباقون إلى الإسلام، واسترقّ من النصارى منهم الّذين ساعدوا في الحرب و شهروا السيف على جيش الإمام، ثمّ أقبل بالأسارى حتّى مرّعلى مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ وهو عامل لعليّ —عليه السلام— على أردشير خُرّة وهم خمسمائة إنسان ، فبكت إليه النساء

١٨٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٢٧، ط بيروت.

والصبيان و تصايح الرجال و سألوا أن يشتريهم و يعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم، فأرسل إليه أميرالمؤمنين —عليه السلام— أباحرّة الحنفيّ ليأخذ منه المال فأدّى إليه مائتي ألف درهم و عجز عن الباقي، فهرب إلى معاوية، فقيل له —عليه السلام—: اردد الأسارى في الرقّ فقال: ليس ذلك في القضآء بحقّ، قد عتقوا إذ أعتقهم الّذي اشتراهم، وصارمالي ديناً عليه.[186]

أقول: فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدّين عن الإسلام ولايجوز سبي ذراريهم عندنا و عند الجمهور أيضاً إلّا أنّ أبا حنيفة قال بجواز استرقاق المرأة المرتدّة إذا ألحقت بدار الحرب، و أيضاً مافيها من أنّه قدم بالأسارى إلى عليّ —عليه السلام— يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق، و قدقال بعض الأصحاب بجواز سبي البغاة إلّا أنّ الظّاهر أنّه مع إظهار الكفر والارتداد لايبقى حكم البغي، والصحيح مافي الرواية الثانية من أنّ الأسارى كانت من النصارى.

و«خاس به» أي غدر وخان، و «خاس بالوعد» أي أخلف. و «قبّحه اللّه» أي نحّاه عن الخير. و«السّادة» جمع السيّد، و يطلق على الربّ و المالک و الشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمّل الأذى من قومه و الرئيس والمقدّم.

قوله —عليه السلام— «حتّى أسكته» قيل: كلمة «حتّى» تحتمل أن تكون بمعنى اللام، أي أنّه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهربه، فإنّ إسكاته لوقصد لايتصوّر إلّا بعد إنطاقه و هولم يتمّم فعله الّذي يطلب به إنطاق مادحه فكيف يقصد إسكاته بهربه؟ و يحتمل أن يكون المراد أنّه لسرعة اتّباعه الفضيلة بالرذيلة كأنّه جمع بين غايتين متنافيتين.

و «التبكيت» التقريع و التعنيف و التوبيخ و استقبال الرجل بمايكره. و«الميسور» ماتيسّر، وقيل: مصدر على مفعول، وقيل: الغنى والسّعة. و«الوفور» بالضمّ، مصدر «وفرالمال» — ككرم و وعد— أي تمّ وزاد؛ و في بعض النسخ: «موفورة» و هو الشيء التامّ، أي انتظرنا حصول الموفور في يده؛ والغرض دفع عذره في الهرب وهو توهّم التشديد عليه.[187]

١٨٦– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٣٦، ط بيروت.
١٨٧– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٧٧، ط كمپاني وص ٦٢٥، ط تبريز.

٤٥ — ومن خطبة له عليه السلام

وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر ، وفيها يحمد الله ويذم الدنيا

حمد الله

اَلْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ(٤٩٩) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ(٥٠٠) عَنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

ذم الدنيا

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ(٥٠١) لَهَا اَلْفَنَاءُ ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا اَلْجَلَاءُ(٥٠٢) ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ ، وَاَلْتَبَسَتْ(٥٠٣) بِقَلْبِ النَّاظِرِ ؛ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ اَلْكَفَافِ(٥٠٤) ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ اَلْبَلَاغِ(٥٠٥) .

٤٦ — ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام

وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ(٥٠٦) ، وَكَآبَةِ اَلْمُنْقَلَبِ(٥٠٧) ، وَسُوءِ اَلْمَنْظَرِ فِي اَلْأَهْلِ وَاَلْمَالِ وَاَلْوَلَدِ . اَللّٰهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْتَ

ٱلْخلِيفَةُ فِي ٱلْأَهْلِ ، وَلَا يَجْمَعُهُما غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ ٱلْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً ، وَٱلْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

قال السيد الشريف رضي الله عنه : وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفّاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام ؛ من قوله : « ولا يجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ » إلى آخر الفصل .

بيان: قال ابن ميثم: روي أنّه دعا بهذا الدعاء عندوضعه رجله في الركاب متوجّهاً إلى حرب معاوية. و«الوعثاء» المشقة.[188]

و«الكآبة» الحزن. و«المنقلب» مصدر «انقلب منقلباً» رجع. و«سوء المنظر» هوأن يرى في نفسه أو أهله أوماله مايكرهه.[189]

٤٧ — ومن كلام له عليه السلام

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلْأَدِيمِ (٥٠٨) ٱلْعُكَاظِيِّ (٥٠٩) ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ (٥١٠) ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ !

بيان: «الأديم» الجلد أومدبوغه، و «عُكاظ» بالضمّ، موضع بناحية مكّة كانت العرب تجتمع في كلّ سنة و يقيمون به سوقاً مدّة شهر ويتعاكظون أي يتفاخرون و يتناشدون، و ينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه، والأديم العكاظيّ مستحكم الدباغ

١٨٨ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ١٢١، ط بيروت.

١٨٩ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٧٣، ط كمپاني وص ٤٣٨، ط تبريز.

شديد المدّ، وذلك وجه الشبه. و «العرك» الدلك والحكّ، و«عركه» أي حمل عليه الشرّ، و«عركت القوم في الحرب» إذا مارستهم حتّى أتعبتهم. و «النوازل» المصائب و الشدائد. و«الزلازل» البلايا. و «تركبين» — على بناء المجهول كالفعلين السابقين— أي تُجعلين مركوبة لها أوبها على أن تكون الباء للسببيّة كالسابقة. والشدائد الّتي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير.

وروي عن أميرالمؤمنين —عليه السلام— أنّه قال: هذه مدينتنا و محلّنا و مقرّ شيعتنا. و عن الصادق —عليه لسلام— أنّه قال: تربة تحبّنا و نحبّها. و عنه— عليه السلام—: اللّهمّ ارم من رماها، و عاد من عاداها.

وقال محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح النهج: فمن الجبابرة الّذين ابتلاهم اللّه بشاغل فيها زياد، وقدجمع الناس في المسجد ليلعن عليّاً— صلوات اللّه عليه— فخرج الحاجب وقال: انصرفوا، فإنّ الأميرمشغول، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة! و ابنه عبيداللّه بن زياد وقد أصابه الجذام، والحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّى هلك، و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف وقد أصابها البرص، وخالد القسريّ و قد حبس فطولب حتّى مات جوعاً. وأمّا الّذين رماهم اللّه بقاتل فعبداللّه بن زياد، و مصعب بن الزبير، وأبوالسرايا وغيرهم قتلوا جميعاً، و يزيد بن المهلّب قتل على أسوأحال.[١٩٠]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «العُكاظ» بالضمّ، اسم موضع بناحية مكّة. و «الأديم العكاظيّ» دباغ شديد المدّ؛ استعارة لماينال الكوفة من العنف والخبط وشدّة الظلم.[١٩١]

١٩٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٢١٠.
١٩١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٠٠، كتاب المزار، ص ٣٨٥.

٤٨ — ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير إلى الشام

قيل: إنه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا وَقَبَ(٥١١) لَيْلٌ وَغَسَقَ(٥١٢)، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ(٥١٣)، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ، وَلَا مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي(٥١٤)، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ(٥١٥)، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ(٥١٦) مِنْكُمْ، مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ(٥١٧) دَجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ(٥١٨) الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال السيد الشريف: أقول: يعني — عليه السلام — بالملطاط ها هنا السَّمْتَ الذي أمرهم بلزومه، وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها.

بيان: قال ابن ميثم: روي أنّه — عليه السلام — خطب بها و هو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجّهاً إلى صفّين لخمس بقين من شوّال سنة سبع و ثلاثين.[١٩٢]

و«وقب الليل» أي دخل. و «غسق» أي أظلم. و«لاح» أي ظهر. و «خفق النجم و أخفق» إذا انحطّ في المغرب وغاب. و« كافأته مكافأة و كفاء» أي جازيته، وكلّ شيء ساوى شيئاً فهو مكافئ له. و «الإفضال» الاحسان. و«مقدّمة الجيش» بالكسر وقديفتح، أوّله و متقدّموه. و«النطفة» بالضمّ، الماء الصافي قلّ أوكثر. و«الشرذمة» بالكسر، القليل من الناس، و الجارّ متعلّق بمحذوف، أي متوجّهاً إليهم. و

١٩٢– شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ١٢٥، ط بيروت.

«أوطن المكان ووطّنه و استوطنه» اتّخذه وطناً، والمراد بهم قوم من أهل المدائن؛ روي أنهم كانوا ثمانمائة رجل. و«الكنف» بالتحريك، الجانب والناحية. و «نهض» —كمنع— قام، و«أنهضه غيره» أقامه. و «الأمداد» جمع «مدد» بالتّحريك، وهوالمعين و الناصر.

وقال ابن أبي الحديد: وزاد أصحاب السير في هذه الخطبة:

وقد أمّرت على المصر عقبة بن عمر، ولم آلكم إلّا[١٩٣] نفسي، فإيّاكم والتخلّف والتربّص فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعيّ وأمرته أن لايترك متخلّفاً إلّا ألحقه بكم عاجلاً إن شاءالله.

و روى نصر بن مزاحم عوض قوله «عدوّكم»، «إلى عدوّالله».[١٩٤]

أقول: وجدت في كتاب صفّين زيادة وهي:

الحمدلله غيرمفقود النّعم ولا مكافأ الإفضال، وأشهد أن لا إله إلّا الله، ونحن على ذلكم من الشاهدين، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله. أمّا بعد.... الخ.

وقال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحيّ فقال: يا أميرالمؤمنين! والله مايتخلّف عنكم إلّاظنين، ولايتربّص بك إلّا منافق، فمر مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلّفين.

فقال: قد أمرته بأمري، وليس بمقصّر إن شاء الله.

قال: وقال مالك بن حبيب— وهو آخذ بعنان دابّته —عليه السلام—: يا أميرالمؤمنين! أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلّفني في حشر الرجال؟

فقال له عليّ —عليه السلام—: إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، و أنت ههنا أعظم غناءً منك عنهم لوكنت معهم.

قال: سمعاً وطاعة يا أميرالمؤمنين.

١٩٣- في المصدر: ولا.

١٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠١ — ٢٠٢، ط بيروت.

قال نصر: ثمّ سار— عليه السلام— حتّى انتهى إلى مدينة بهرسير وإذارجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى و يتمثّل بقول الأسودبن يعفر:

جرت الرياح على محلّ ديارهم　　فكأنّما كانوا على ميعاده

فقال —عليه السلام—: ألّا قلت: كم تركوا من جنّات وعيون وزروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء و الأرض وما كانوا منظرين. إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، لم يشكروا النعمة فسلبوادنياهم بالمعصية؛ إيّاكم وكفرالنعم لاتحلّ بكم النقم، انزلوا بهذه الفجوة.[١٩٥]

٤٩ — ومن كلام له عليه السلام

وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الالهي

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَطَنَ[٥١٩] خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ[٥٢٠] الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَىٰ عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ. لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَىٰ تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَىٰ إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً!

١٩٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٧٩، ط كمباني وص ٤٤٣، ط تبريز.

بيان: «بطن خفيّات الأمور» أي علم بواطنها، وقيل: أي دخل بواطن الأمور الخفيّة أي هو أخفى عندالعقول منها. قوله— عليه السلام— «فلاعين من لم يره» أي لا تنكر وجوده عين من لم يره لشهادة فطرته على ظهور وجوده، أوأنّه لاسبيل من جهة عدم إبصاره إلى إنكاره، إذكان حظّ العين إدراك ماصحّ إدراكه بها لامطلقاً.

قوله— عليه السلام— «يبصره» أي يحيط بكنهه. قوله— عليه السلام— «على إقرار» أي تشهدأعلام وجوده لغاية ظهورها ووضوحها على أنّ الجاحد إنّما يجحد بلسانه لابقلبه كما مرّمراراً.[196]

٥٠ — ومن كلام له عليه السلام

وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ ، وَيَتَوَلَّىٰ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا ، عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ ٱللهِ . فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ[٥٢١] ؛ وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ، ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ ؛ وَلٰكِن يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ[٥٢٢] ، وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ ، فَيُمْزَجَانِ ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي ٱلشَّيْطَانُ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو « ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَىٰ ».

٥١ — ومن خطبة له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة[٥٢٣] الفرات بصفين ومنعوهم الماء

١٩٦- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣٠٨.

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ ٱلْقِتَالَ(٥٢٤)، فَأَقِرُّوا عَلَىٰ مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَٱلْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً(٥٢٥) مِنَ ٱلْغُوَاةِ، وَعَمَّسَ(٥٢٦) عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَرَ، حَتَّىٰ جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ(٥٢٧) ٱلْمَنِيَّةِ.

٥٢ — ومن خطبة له عليه السلام

وهي في التزهيد في الدنيا، وثواب الله للزاهد، ونعم الله على الخالق

التزهيد في الدنيا

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِٱنْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا(٥٢٨) وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(٥٢٩)، فَهِيَ تَحْفِزُ(٥٣٠) بِٱلْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو(٥٣١) بِٱلْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ(٥٣٢) فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً(٥٣٣)، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ ٱلْإِدَاوَةِ(٥٣٤) أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ ٱلْمَقْلَةِ(٥٣٥)، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ(٥٣٦) لَمْ يَنْقَعْ(٥٣٧). فَأَزْمِعُوا(٥٣٨) عِبَادَ ٱللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ ٱلْمَقْدُورِ(٥٣٩) عَلَىٰ أَهْلِهَا الزَّوَالُ؛ وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا ٱلْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا ٱلْأَمَدُ

ثواب الزهد

فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ ٱلْوُلَّهِ ٱلْعِجَالِ(٥٤٠)، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ(٥٤١)،

وَجَاَرْتُمْ جُؤَارَ[٥٤٢] مُتبتِّلِي[٥٤٣] الرُّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إلَى ٱللهِ مِنَ ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلاَدِ ، ٱلْتِماسَ ٱلْقُرْبَةِ إلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَة عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرَان سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُم مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

نعم الله

وَتَاللهِ لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلوبُكُمُ ٱنْمِيَاثاً[٥٤٤] ، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ ٱلْعِظَامَ ، وَهُدَاهُ إيَّاكُمْ لِلإيمَانِ .

٥٣ — ومن خطبة له عليه السلام

في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية

وَمِنْ تَمَامِ ٱلأُضْحِيَةِ[٥٤٥] ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا[٥٤٦] ، وَسَلاَمَةُ عَيْنِهَا ، فَإذَا سَلِمَتِ ٱلأُذُنُ وَٱلْعَيْنُ سَلِمَتِ ٱلأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ ٱلْقَرْنِ[٥٤٧] تَجُرُّ رِجْلَهَا إلَى ٱلْمَنْسَكِ[٥٤٨]

قال السيد الشريف : والمنسك ها هنا المذبح.

٥٤ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام

فَتَدَاكُّوا(٥٤٩) عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ(٥٥٠) يَوْمَ وِرْدِهَا(٥٥١)، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا(٥٥٢)؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.

بيان: قال ابن ميثم: هذا إشارة إلى صفة أصحابه بصفّين لمّا طال منعهم[١٩٧] من قتال أهل الشام.[١٩٨] كما هوالظاهر من آخر الكلام، لكن كثيرمن الشواهد تدلّ على أنّه لبيان حالة البيعة كما سيأتي بعضهم لاسيّما ماكان في نسخة ابن أبي الحديد فإنّه ذكرالعنوان هكذا: ومن كلام له —عليه السلام— في ذكر البيعة.[١٩٩]

قوله —عليه السلام— «تداكّوا» أي دكّ بعضهم بعضاً، و«الدكّ» هوالدقّ، وقيل أصله الكسر. و«الهيم» العطاش. و«الورد» بالكسر، النصيب من الماء و الإشراف عليه؛ وفي بعض النسخ: «ورودها» وهو حضورها لشرب الماء. و«أرسلها» أي أهملها و أطلقها. و «المثاني» جمع «مثناة» بفتح الميم و كسرها، و هي حبل من صوف أوشعر أوغيره تثنى و يعقل بها البعير. و«قاتليّ» على صيغة الجمع مضافة إلى يآء المتكلّم. و«وجدتني» على صيغة المتكلّم، وجملة «يسعني» مفعول ثان، والضمير في

١٩٧- في المصدر: منعه لهم.

١٩٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ١١٤، ط بيروت.

١٩٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦، ط بيروت.

قتالهم يعود إلى معاوية و أصحابه على الأوّل، وإلى الناكثين على الثاني. و«المعالجة» المزاولة. و«موتات الدنيا» شدائدها و أهوالها و متاعبها بقرينة «موتات الآخرة»، ويحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت، و بالثانية الشدائد التي هي أشدّ من الموت.[٢٠٠]

٥٥ — ومن كلام له عليه السلام

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ ٱلْمَوْتِ ؟ فَوَٱللهِ مَا أُبَالِي ، دَخَلْتُ إِلَىٰ ٱلْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ ٱلْمَوْتُ إِلَيَّ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً في أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَٱللهِ مَا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي ، وَتَعْشُوَ[٥٥٣] إِلَىٰ ضَوْئِي ، وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَىٰ ضَلَالِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ[٥٥٤] بِآثَامِهَا .

توضيح: «استبطأ» أي عدّه بطيئاً وزعم أنّ المصلحة في التعجيل. روى ابن ميثم أنّه —عليه السلام— لمّا ملك الماء بصفّين وسمح بأهل الشام في المشاركة كماسبق مكث أيّاماً لايرسل إلى معاوية أحداً ولايأتيه من عنده أحد، قال له أهل العراق: يا أميرالمؤمنين! خلّفنا نساءنا وذرارينا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتّخذها وطناً، فأذن لنا في القتال فإنّ الناس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية الموت، ومنهم من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشام، فأجابهم —عليه السلام— بذلك.

و«كلّ» مرفوع و«كراهية» منصوب في أكثر النسخ و روي «كلَّ ذلك» بالنصب وهو مفعول فعل مقدّر، أي تفعل كلَّ ذلك، و«كراهية» منصوب بأنّه مفعول لأجله؛ ومن رواه بالرفع أجاز في كراهية الرفع والنصب، أمّا الرفع فبالخبريّة، و أمّا

٢٠٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٠٧، ط كمپاني وص ٤٧١، ط تبريز.

النصب فلكونه مفعولاً له للخبر المحذوف. و «عشى النار وإليها عشواً و عشوّاً» رآها ليلاً من بعيد ببصر ضعيف فقصدها، و يقال لكلّ قاصد «عاش» وفيه تعريض بضعف بصائر أهل الشّام. و «تبوء بآثامها» أي ترجع إلى ربّها متلبّسة بمعاصيها.[٢٠١]

٥٦ — ومن كلام له عليه السلام

يصف أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، نَقْتُلُ آبَاءَنا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ، وَمُضِيّاً عَلَى ٱللَّقَمِ[٥٥٥] ، وَصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْأَلَمِ[٥٥٦] ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ ؛ وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا وَٱلْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ[٥٥٧] ٱلْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا[٥٥٨] : أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ ٱلْمَنُونِ ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَىٰ ٱللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا ٱلْكَبْتَ[٥٥٩] ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ٱلنَّصْرَ ، حَتَّىٰ ٱسْتَقَرَّ ٱلْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ[٥٦٠] ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا ٱخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً[٥٦١] ، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً !

توضيح: «اللقم» منهج الطريق. و «المضض» حرقة الألم. «يتصاولان» أي يحمل كلّ من القرنين على صاحبه. و«التخالس» التسالب. «أنفسهما» أي كلٌّ منهما

٢٠١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٠٧، ط كمپاني وص ٤٧١، ط تبريز.

يختلس نفس صاحبه أو نفسه من يد صاحبه، والأوّل أظهر. و«المنون» الموت. و«الكبت» الإذلال و الصرف. و«الجران» مقدّم عنق البعير من منحره إلى مذبحه، والقاؤه كناية عن استقراره في قلوب عباداللّه كالبعير الّذي أخذ مكانه و استقرّفيه. و«تبوّأ وطنه» سكن فيه، ولعلّه شبّه الإسلام بالرجل الخائف المتزلزل الّذي استقرّفي وطنه بعد خوفه. «لتحتلبنّها» الضمير المؤنّث مبهم يرجع في المعنى إلى أفعالهم، وكذا في قوله «لتتبعنّها» شبّهها بالناقة الّتي أُصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها، والمقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلاً و آجلاً.[۲۰۲]

۵۷ — ومن كلام له عليه السلام

في صفة رجل ملموم، ثم في فضله هو عليه السلام

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ[۵۶۲] عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ[۵۶۳]، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ[۵۶۴]، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: «مندحق البطن» بارزها، و«الدحوق من النوق» الّتي يخرج رحمها بعد الولادة. و «سيظهر» سيغلب. و«رحب البلعوم» واسعه. وكثير من الناس يذهب إلى أنّه —عليه السلام— عنى زياداً، وكثير منهم يقول: إنّه عنى الحجّاج، وقال قوم: إنّه عنى المغيره بن شعبة، والأشبه عندي أنّه عنى معاوية لأنّه كان

۲۰۲– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ۸، ص ۵۰۶، ط كمپاني وص ۴۷۰، ط تبريز.

موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل و كان بطناً.[٢٠٣]

ثمّ قال: وروى صاحب كتاب الغارات عن يوسف بن كليب المسعوديّ، عن يحيى بن سليمان العدويّ[٢٠٤] عن أبي مريم الأنصاريّ عن محمّد بن عليّ الباقر -عليه السلام-، قال: خطب عليّ -عليه السلام- على منبر الكوفة فقال:

سيعرض عليكم سبّي وستذبحون عليه، فإن عرض عليكم سبّي فسبّوني و إن عرض عليكم البراءة منّي فإنّي على دين محمّد- صلّى الله عليه وآله-.

و لم يقل: فلا تبرّؤوا منّي.

وقال أيضاً: حدّثني أحمد بن المفضل عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمّد -عليهما السلام-، قال: قال عليّ -عليه السلام-: ليذبحنّ[٢٠٥] على سبّي - وأشار بيده إلى حلقه- ثمّ قال: فإن أمروكم بسبّي فسبّوني وإن أمروكم أن تتبرّؤوا[٢٠٦] منّي فإنّي على دين محمّد -صلّى الله عليه و آله- ولم ينههم عن إظهار البراءة. ثمّ قال: إنّه أباح لهم سبّه عند الإكراه لأنّ الله- تعالى- قد أباح عند الإكراه التلفّظ بكلمة الكفر فقال[الله]: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» [٢٠٧]. وأمّا قوله «فإنّه لي زكاة ولكم نجاة» فمعناه أنّكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك، و معنى الزكاة يحتمل أمرين: أحدهما ماورد في الأخبار النبويّة أنّ سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته، الثاني أن يريد أنّ سبّهم لي لاينقص في الدنيا من قدري بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدروشياع ذكر، فالزكاة بمعنى النماء و الزيادة.

فان قيل: فأيّ فرق بين السبّ والبراءة وكيف أجازلهم السبّ ومنعهم من التبرّي[٢٠٨] والسبّ أفحش من التبرّي؟

فالجواب: أمّا الّذي يقوله أصحابنا في ذلك فإنّه لافرق عندهم بين السبّ و

٢٠٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٧، ط بيروت.

٢٠٤- في المصدر: العبدي.

٢٠٥- في المصدر: والله لتذبحنّ.

٢٠٦- في المصدر: أن تبرؤوا.

٢٠٧- النحل: ١٠٦.

٢٠٨- في المصدر: عن التبرّي.

التبرّي منه في أنّ كلّاً منها فسق وحرام وكبيرة وأنّ المكره عليها يجوز له فعلها عندخوفه على نفسه كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عندالخوف، ويجوز أن لايفعلها و إن قتل إذا قصد بذلك إعزاز الدين كما يجوز له أن يسلّم نفسه للقتل ولايظهر كلمة الكفر إعزازاً للدين، وإنّما استفحش -عليه‌السلام- البراءة لأنّ هذه اللّفظة ماوردت في القرآن العزيز إلّا من المشركين ألاترى إلى قوله- تعالى-: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».[٢٠٩] وقال الله- تعالى-: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ».[٢١٠] فقد صارت بحكم العرف الشرعيّ مطلقة على المشركين خاصّة، فإذن يحمل هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على تحريم لفظ السبّ و إن كان حكمها واحداً، ألاترى أنّ إلقاء المصحف في العذرة[٢١١] أفحش من إلقائه في دنّ الشراب و إن كانا جميعاً محرّمين وكان حكمها واحداً، فأمّا الامامية فتروي عنه أنّه قال: «إذا عرضتم على البراءة منّا فمدّوا الأعناق». و يقولون: إنّه لايجوز التبرّي عنه و إن كان الحالف صادقاً وأنّ عليه الكفّارة و يقولون: إنّ للبراءة من الله و من الرسول و من إحدى الأئمّة حكماً واحداً و يقولون: الاكراه على السبّ يبيح إظهاره و لايجوز الاستسلام للقتل و يجوز أن يظهر التبرّي[٢١٢]، والأولى أن يستسلم للقتل.

فإن قيل: كيف علّل نهيه لهم من البراءة منه بقوله «فإنّي ولدت على الفطرة» فإنّ هذا التعليل لايختصّ به لأنّ كلّ ولديولد على الفطرة و إنّما أبواه يهوّدانه و ينصّرانه؟

والجواب أنّه علّل نهيه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور و هوكونه ولد على الفطرة وسبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يعلّل بآحاد هذا المجموع و مراده هنا بالولادة على الفطرة أنّه لم يولد في الجاهليّة لأنّه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبيّ أرسل لأربعين مضت من عام‌الفيل، وقدجاء في الأخبار الصحيحة أنّه مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت و يرى الضوء ولايخاطبه أحد، وكان ذلك إرهاصاً

٢٠٩- التوبة: ١.

٢١٠- التوبة: ٣.

٢١١- في المصدر: في القذر.

٢١٢- في المصدر: وأمّا الإكراه على البراءة فإنّه يجوز معه الاستسلام للقتل و يجوز أن يظهر التبرّي.

لرسالته[٢١٣] فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته- صلّى الله عليه و آله- فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولّي لتربيته مولود في أيّام كأيّام النبوّة وليس بمولود في جاهليّة محضة، ففارقت حاله حال من يدّعي له من الصحابة مماثلته في الفضل، وقدروي أنّ السنة الّتي ولد فيها هذه السنة الّتي بدئ فيها رسول الله -صلّى الله عليه وآله- فأُسمع الهتاف من الأحجار و الأشجار و كشف عن بصره، فشاهد أنواراً و أشخاصاً ولم يخاطب منها[٢١٤] بشيء، وهذه السنة هي السنة الّتي ابتدأ فيها بالتبتّل والانقطاع و العزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتّى كوشف بالرسالة و أُنزل عليه الوحي، وكان رسول الله -صلّى الله عليه و آله- يتيمّن بتلك السنة و بولادة عليّ -عليه السلام- فيها، و يسمّيها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته- وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهيّة ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً-: «لقد ولدلنا[٢١٥] مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة». و كان كما قال- صلوات الله عليه- فإنّه كان ناصره و المحامي عنه و كاشف الغمّ عن وجهه، و بسيفه ثبت دين الإسلام ورست[٢١٦] دعائمه و تمهّدت قواعده.

وفي المسألة تفصيل آخر وهو أن يعني بقوله «فإنّي ولدت على الفطرة» الّتي لم تتغيّر ولم تحل، وذلك أنّ معنى قول النبيّ -صلّى الله عليه و آله- «كلّ مولود يولد على الفطرة» أنّ كلّ مولود فإنّ الله -تعالى- قدهيّأه بالعقل الّذي خلقه فيه و بصحّة الحواسّ و المشاعر لأن يتعلّم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك ولكنّ التربية والعقيدة في الوالدين والألف لاعتقادهما وحسن الظنّ فيهما يصدّه عمّا فطر عليه؛ وأمير المؤمنين -عليه السلام- دون غيره ولد على الفطرة الّتي لم تحل ولم يصدّ عن مقتضاها مانع لامن جانب الأبوين ولامن جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة ولكنّه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها.

٢١٣- «أرهص الحائط» بنى رهصه، وهو أوّل من الطين الّذي يبنى عليه.

٢١٤- في المصدر: ولم يخاطب فيها.

٢١٥- في المصدر: لقد ولدلنا الليلة.

٢١٦- «رسا الشيء وأرسى» ثبت ورسخ.

ويمكن أن يفسّر أنّه أراد بالفطرة العصمة، وأنّه منذولد لم يواقع قبيحاً ولاكان كافراً طرفة عين، ولامخطئاً ولاغالطاً في شيء من الأشياء المتعلّقة بالدين وهذا تفسير الإمامية.[٢١٧] انتهى كلامه.

وأقول: الأخبار في البراءة من طرق الخاصّة و العامّة مختلفة، والأظهر في الجمع بينها أن يقال بجواز التكلّم بها عند الضرورة الشديدة وجواز الإمتناع عنه و تحمّل ما تترتّب عليه، وأمّا أنّ أيّها أولى ففيه إشكال، بل لايبعد القول بذلك في السبّ أيضاً. وذهب إلى ماذكرناه في البراءة جماعة من علمائنا. وأمّا مانسبه ابن أبي الحديد إليهم جميعاً من تحريم القول بالبراءة فلعلّه اشتبه عليه ماذكروه من تحريم الحلف بالبراءة اختياراً، فإنّهم قطعوا بتحريم ذلك وإن كان صادقاً، ولا تعلّق له بأحكام المضطرّ.

وقال الشيخ الشهيد في قواعده: التقيّة تنقسم بانقسام الأحكام الخمسة، فالواجب إذا علم أوظنّ نزول الضرر بتركها به أو ببعض المؤمنين، والمستحبّ إذا كان لايخاف ضرراً عاجلاً و يتوهّم ضرراً آجلاً أوضرراً سهلاً، أوكان تقيّة في المستحبّ كالترتيب في تسبيح الزهراء— عليها السلام— وترك بعض فصول الأذان، و المكروه التقيّة في المستحبّ حيث لاضررعاجلاً ولا آجلاً، ويخاف منه الالتباس على عوامّ المذهب. و الحرام التقيّة حيث يؤمن الضرر عاجلاً وآجلاً أوفي قتل مسلم، قال أبوجعفر —عليه السلام—: «إنّما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء فإذا بلغ الدم فلا تقيّة». والمباح التقيّة في بعض المباحات الّتي رجّحها العامّة[٢١٨] ولايصل بتركها ضرر.[٢١٩]

ثمّ قال— رحمه الله—: التقيّة يبيح كلّ شيء حتّى إظهار كلمة الكفر، ولوتركها حينئذ أثم إلّا في هذا المقام ومقام التبرّي من أهل البيت— عليهم السلام— فإنّه لايأثم بتركها بل صبره إمّا مباح أو مستحبّ، وخصوصاً إذا كان ممّن يقتدى به.[٢٢٠]

٢١٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٦ — ١١٦، ط بيروت.
٢١٨- في المصدر: يرجّحها العامّة وفي (م) و (د): رجّها العامّة.
٢١٩- في المصدر: ولا يصير تركها ضرراً.
٢٢٠- القواعد والفوائد، ص ٢٦١.

وقال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ: قال أصحابنا: التقيّة جائزة في الأحوال كلّها[٢٢١] عند الضرورة، وربما وجب فيها لضرب من اللّطف والاستصلاح، وليس يجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولافيما يعلم أو يغلب على الظنّ أنّه استفساد في الدين. قال المفيد ـرضي الله عنهـ: إنّها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، وتجوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقديكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً و معفوّاً عنه متفضّلاً عليه بترك اللّوم عليها. وقال الشيخ أبوجعفر الطوسيّ ـرحمه اللهـ: ظاهر الروايات يدلّ على أنّها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصته في جواز الإفصاح بالحقّ عنده.[٢٢٢] انتهى.

أقول: سيأتي تمام القول في ذلك في باب التقيّة إن‌شاء الله ـتعالىـ.[٢٢٣]

٥٨ ــ وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: أن لا حكم إلا لله

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ(٥٦٥)، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ(٥٦٦). أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! «لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ!» فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ(٥٦٧)، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ(٥٦٨). أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً(٥٦٩) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

٢٢١- في المصدر: في الأقوال كلّها.

٢٢٢- مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٣٠.

٢٢٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٩، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٠.

قال الشريف : قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروى على ثلاثة أوجه :

أحدها أن يكون كما ذكرناه : «آبِرٌ» بالراء، من قولهم للذي يأبر النخل — أي: يصلحه — ويروى «آثِرٌ» وهو الذي يأثر الحديث ويرويه أي يحكيه ، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال : لا بقي منكم مخبر ! ويروى «آبِز» — بالزاي المعجمة — وهو الواثب . والهالك أيضاً يقال له : آبز .

بيان: روي أنّه —عليه السلام— كلّمهم بهذا الكلام لمّا اعتزلوا وتنادوا من كلّ ناحية: «لاحكم إلّا للّه، الحكم للّه يا عليّ لالك» وقالوا: « بان لنا خطاؤنا فرجعناو تبنا، فارجع إليه أنت و تب». وقال بعضهم: «أشهد على نفسك بالكفر، ثمّ تب منه حتّى نطيعك». و«الحاصب» الريح الشديدة الّتي تثير الحصباء وهي صغار الحصاء، وإصابة الحاصب كناية عن العذاب، وقيل: أي أصابكم حجارة من السماء. و «الأوب» بالفتح، و«الإياب» بالكسر، الرجوع. و«الأعقاب» مؤخّر الأقدام، و«أثرها» بالتحريك، علامتها، والرجوع على العقب هوالقهقرى، فهو كالتاكيد للسّابق؛ قيل: هوأمرلهم بالإياب والرجوع إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهراً كأنّ القاهر يضرب في وجوههم يردّهم على أعقابهم، والرجوع هكذا شرّالأنواع، وقيل: هودعاء عليهم بالذلّ وانعكاس الحال.

أقول: ويحتمل أن يكون الأمر على التّهديد كقوله— تعالى—: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ» [٢٢٤]! و«الأثرة» بالتحريك، الاسم من قولك: «فلان يستأثر على أصحابه» أي يختار لنفسه أشياء حسنة ويخصّ نفسه بها، و«الاستئثار» الانفراد بالشيء، أومن «آثر يؤثر إيثاراً» إذا أعطى، أي يفضل الظالمون غيركم عليكم في نصيبكم و يعطونهم دونكم. وقيل: يجوز أن يكون المراد بالآبر النمّام. [٢٢٥]

٢٢٤- التوبة: ١٠٥.
٢٢٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٤، ط كمپاني و ص ٥٥٧، ط تبريز.

٥٩ — وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له:
إن القوم عبروا جسر النهروان!

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلَا يَهْـلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً. وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضيّ ما أشبهه.

بيان: وقال ابن أبي الحديد[٢٢٦]: هذا الخبر من الأخبار الّتي تكاد تكون متواترة لاشتهاره و نقل الناس كافّة له، وهومن معجزاته و أخباره المفصّلة عن الغيوب الّتي لايحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعيّن في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب من غير زيادة ولانقصان، ولقد كان له من هذا الباب مالم يكن لغيره و لمشاهدة الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا، حتّى نسب إلى أنّ الجوهر الإلهيّ حلّ في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى —عليه السلام— انتهى.[٢٢٧]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

و«النهروان» بفتح النون و الراء وجوّز تثليث الراء، ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل بين واسط و بغداد. و«الصرع» الطرح على الأرض، و«المصرع» يكون مصدراً و موضعاً، والمراد هنا مواضع هلاكهم. و«الإفلات و التفلّت و الانفلات» التخلّص من الشيء فجأةً من غير تمكّث.

وهذا الخبر من معجزاته —عليه السلام— المتواترة، وروي أنّه لمّا قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعة تفرّقوا في البلاد، ووجدوا المقتول من أصحابه —عليه السلام— ثمانية، ويمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التعبير بعدم

٢٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤١٣، ط بيروت.
٢٢٧- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين —عليه السلام—، ص ٣٤٨.

هلاك العشرة للمشاكلة والمناسبة بين القرينتين.[٢٢٨]

٦٠ — وقال عليه السلام

لما قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم!

كَلَّا وَٱللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ(٥٧٠)، كُلَّمَا نَجَمَ(٥٧١) مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ.

بيان: «نجم» طلع و ظهر. و «القرن» كناية عن رؤسائهم. و«قطعه» قتله.[٢٢٩]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

توضيح: «القرار والقرارة» بالفتح، ماقرّفيه شيء و سكن، والمراد هنا الأرحام. و«نجم» كنصر، ظهر وطلع. و«القرن» كناية عن الرئيس وهوفي الإنسان موضع قرن الحيوان من رأسه، و«قطع القرن» استئصال رؤسائهم و قتلهم. و«اللصوص» بالضمّ، جمع «لصّ» مثلّثة. و«السلب» الاختلاس. روي أن جماعة من الخوارج لم يحضروا القتال ولم يظفر بهم أميرالمؤمنين —عليه السلام—؛ وأمّا المفلتون من القتل، فانهزم اثنان منهم إلى عمّان و اثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان و اثنان إلى الجزيرة و واحد إلى تلّ «مَوزِن» فظهرت بدعهم في البلاد وصاروا نحواً من عشرين فرقة وكبارهاستّ: الأزارقة أصحاب دافع بن الأزرق وهم أكبر الفرق، غلبوا على الأهواز و بعض بلاد فارس و كرمان في أيّام عبدالله بن الزبير؛ والنّجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفيّ؛ والبيهسيّة أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر، وكان بالحجاز وقتل في زمن الوليد؛ والعجاردة أصحاب عبدالكريم بن عجرد؛ والإباضيّة أصحاب عبدالله بن إباض

٢٢٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٤، ط كمپاني وص ٥٥٧، ط تبريز.

٢٢٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٥٥.

قتل في أيّام مروان بن محمّد؛ والثّعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر. وتفصيل خرافاتهم مذكور في كتب المقالات.[٢٣٠]

٦١ — وقال عليه السلام

لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ .

قال الشريف : يعني معاوية وأصحابه .

بيان: لعلّ المراد: لا تقتلوا الخوارج بعدي مادام ملك معاويه و أضرابه، كما يظهر من التعليل، وقد كان يسبّه —عليه السلام— و يبرأمنه في الجمع والأعياد، ولم يكن إنكاره للحقّ عن شبهة كالخوارج، ولم يظهر منهم من الفسوق ماظهر منه، ولم يكن مجتهداً في العبادة وحفظ قوانين الشرع مثلهم فكان أولى بالجهاد.[٢٣١]

٦٢ — ومن كلام له عليه السلام

لما خُوِّف من الغيلة (٥٧٢)

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً (٥٧٣) حَصِينَةً ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي ؛ فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ (٥٧٤) ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ (٥٧٥) .

٦٣ — ومن خطبة له عليه السلام

يحذر من فتنة الدنيا

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا :

٢٣٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمپاني وص ٥٧٢، ط تبريز.
٢٣١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمپاني وص ٥٧٢، ط تبريز.

ٱبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً ، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً[٥٧٦] حَتَّىٰ قَلَصَ[٥٧٧] ، وَزَائِداً حَتَّىٰ نَقَصَ .

٦٤ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في المبادرة إلى صالح الأعمال

فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[٥٧٨] ، وَٱبْتَاعُوا[٥٧٩] مَا يَبْقَىٰ لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا[٥٨٠] فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ[٥٨١] ، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ[٥٨٢] ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى[٥٨٣] ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ ٱلْجَنَّةِ أَوِ ٱلنَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ ٱلْمُدَّةِ . وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ[٥٨٤] ٱلْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَحَرِيٌّ[٥٨٥] بِسُرْعَةِ ٱلْأَوْبَةِ[٥٨٦] . وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِٱلْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ ٱلْعُدَّةِ . فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا ، مِنَ الدُّنْيَا ، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً[٥٨٧] . فَاتَّقَىٰ عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ

مُوَكَّلٌ بِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا[٥٨٨] ، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا. فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَىٰ كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ ! نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ[٥٨٩] ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ.

٦٥ — وَمِن خُطبَة لهُ عَلَيهِ السَّلام

وفيها مباحث لطيفة من العلم الالهي

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً ، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً ، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً ؛ كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ[٥٩٠] عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا ، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ. لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ عَلَىٰ نِدٍّ[٥٩١] مُثَاوِرٍ[٥٩٢] ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ[٥٩٣] ، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ[٥٩٤] ؛ وَلٰكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ[٥٩٥] ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ[٥٩٦] ،

لَمْ يَحْلُلْ فِي ٱلْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ : هُوَ كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْأَ(٥٩٧) عَنْهَا فَيُقَالَ : هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ(٥٩٨) . لَمْ يَؤُدْهُ(٥٩٩) خَلْقُ مَا ٱبْتَدَأَ ، وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ(٦٠٠) ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ(٦٠١) عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ(٦٠٢) . ٱلْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ ، ٱلْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ !

بيان: قوله —عليه السلام— «لم تسبق له حال حالاً» إمّا مبنيّ على مامرّ من عدم كونه —تعالى— زمانياً، فإنّ السبق والتقدّم و التأخر إنّما تلحق الزمانيّات المتغيّرات، وهو —تعالى— خارج عن الزمان؛ أوالمعنى أنّه ليس فيه تبدّل حال و تغيّر صفة بل كلّ ما يستحقّه من الصفات الذاتيّة الكماليّة يستحقّها أزلاً وأبداً فلايمكن أن يقال: كان استحقاقه للأوّليّة قبل استحقاقه للآخريّة، أوكان ظاهراً ثمّ صار باطناً بل كان أزلاً متّصفاً بجميع مايستحقّه من الكمالات، وليس محلّاً للحوادث و التغيّرات؛ أوأنّه لايتوقّف اتّصافه بصفة على اتّصافه بأُخرى بل كلّها ثابتة لذاته من غير ترتيب بينها ولعلّ الأوسط أظهر.

قوله —عليه السلام— «كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل» قيل: المعنى أنّه —تعالى— لايوصف بالقلّة وإن كان واحداً إذ المشهور من معنى الواحد كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عاداً لهاومكيالاً، وهوالّذي تلحقه القلّة والكثرة الإضافيّتان، فإنّ كلّ واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة إلى الكثرة الّتي تصلح أن تكون مبدأ لها، ولمّا كان— تعالى— منزّهاً عن الوصف بالقلّة و الكثرة لما يستلزمانه من الحاجة و النقصان اللازمين لطبيعة الإمكان أثبت القلّة لكلّ ماسواه فاستلزم إثباتها لغيره في معرض المدح له نفيها عنه؛ وقيل: إنّ المراد بالقليل الحقير لأنّ أهل العرف يحقّرون القليل و يستعظمون الكثير.

أقول: الأظهر أنّ المراد أنّ الوحدة الحقيقيّة مخصوصة به— تعالى—، وإنّما يطلق على غيره بمعنى مجازيّ مؤوّل بقلّة معاني الكثرة فإنّ للكثرة معانٍ مختلفة: الكثرة بحسب

الأجناس أوالأنواع أوالأصناف أوالأفراد و الأشخاص أوالأعضاء أوالأجزاء الخارجيّة أوالعقليّة أوالصفات العارضة؛ فيقال للجنس: جنس واحد مع اشتماله على جميع أنواع التكثّرات لكون كثرته أقلّ ممّا اشتمل على التكثّر الجنسيّ أيضاً وهكذا فظهرأنّ معنى الواحد في غيره– تعالى– يرجع إلى القليل، ولذا قال– عليه السلام–: كلّ مسمّى بالوحدة إشارة إلى أنّ غيره– تعالى– ليس بواحد حقيقة. هذا ماخطر بالبال والله يعلم. و قدمرّ تفسير سائر الفقرات و نظائرها مراراً.[٢٣٢]

٦٦ — ومن كلام له عليه السلام

في تعليم الحرب والمقاتلة

والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين

مَعَاشِرَ ٱلْمُسْلِمِينَ: ٱسْتَشْعِرُوا ٱلْخَشْيَةَ[٦٠٣]، وَتَجَلْبَبُوا[٦٠٤] السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ[٦٠٥]، فَإِنَّهُ أَنْبَى[٦٠٦] لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ[٦٠٧]. وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ[٦٠٨]، وَقَلْقِلُوا[٦٠٩] السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا[٦١٠] قَبْلَ سَلِّهَا. وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْرَ[٦١١]، وَٱطْعُنُوا الشَّزْرَ[٦١٢]، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا[٦١٣]، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِٱلْخُطَا[٦١٤]، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللهِ، وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ. فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ، وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ[٦١٥]، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي ٱلْأَعْقَابِ[٦١٦]، وَنَارٌ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ. وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَٱمْشُوا إِلَى ٱلْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[٦١٧]، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ ٱلْمُطَنَّبِ[٦١٨]، فَٱضْرِبُوا ثَبَجَهُ[٦١٩]، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[٦٢٠]، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً. فَصَمْداً صَمْداً[٦٢١]! حَتَّى يَنْجَلِيَ

٢٣٢– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣٠٨.

لَكُمْ عَمُودُ ٱلْحَقِّ" وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ، وَٱللهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ »(٦٢٢).

إيضاح: قال بعض الشارحين: هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين -عليه السلام- في اليوم الّذي كانت عشيّته ليلة الهرير في كثير من الروايات. وفي رواية نصر بن مزاحم: إنّه خطب به أوّل أيّام الحرب بصفّين وذلك في صفر من سنة سبع و ثلاثين.[٢٣٣]

و«المعشر» الجماعة. و «استشعار الخشية» أن يجعلوا الخوف من الله- عزّوجلّ- ملازماً لهم كالشعار وهو من اللباس ما يلي شعر الجسد، ويحتمل على بعد أن يراد به إخفاء الخوف عن العدوّ إذا لم يمكن سلبه عن النفس. و «الجِلباب» بالكسر، القميص أوثوب واسع للمرأة دون الملحفة، أوالملحفة أوالخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها و ظهرها وصدرها و «تجلبب» أي اتّخذ. و«السكينة» الوقار و التأنّي في الحركة و السير.

و «النواجذ» أقاصي الأضراس وهي أربعة بعد الأرحاء، وقيل: هي الضواحك الّتي تبدو عندالضحک ، وقيل: أنياب، وقيل: الّتي يليها، وقيل: الأضراس كلّها. «نبا السيف عن الضريبة» إذا لم يعمل فيها. و«الهام» جمع هامة وهي رأس كلّ شيء. والأمر إمّا محمول على الحقيقة لأنّ هذا العضّ تصلّب الأعصاب والعضلات فيكون تأثير السيف في الرأس أقلّ، أوكناية عن شدّة الاهتمام بأمرالحرب، أوالصبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فإنّه أشدّ إبعاداً لسيف العدوّ عن الرأس و أقرب إلى النصر. والضمير في قوله «وإنّه» يعود إلى المصدر الّذي دلّ عليه «عضّوا» كقولك: من أحسن كان خيراً له. و«اللأمة» بفتح اللام والهمزة السّاكنة، الدرع، وقيل: جميع آلات الحرب والسلاح، و«إكمال اللأمة» على الأوّل أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوهما و اتّخاذها كاملة شاملة للجسد. و«القلقلة» التحريک. و «الغمد» بالكسر، جفن السيف. و«سلّ السيف» إخراجه عن الغمد، وقيل: «سلّها» أي قبل وقت الحاجة إلى سلّها.

و«اللحظ» النظر بمؤخّر العين. و«الخزر» بسكون الزّاي، النظر بلحظ العين.

٢٣٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٧٥، ط بيروت.

و«الشزر» بالفتح، الطعن عن اليمين و الشمال، وقيل: أكثر مايستعمل في الطعن عن اليمين خاصّة؛ وقال ابن الأثير في النّهاية في حديث عليّ –عليه السلام–: «الحظوا الشزر، واطعنوا اليسر» و «الشزر» النّظر بمؤخّر العين و هو نظر الغضبان، و«اليَسْر» بالفتح، الطعن حذاء الوجه، والخزر والشزر صفتان لمصدرين محذوفين أي الحظوا لحظاً خزراً، و اطعنوا طعناً شزراً، واللام للعهد. و فائدة الأمر الأوّل واضحة فإنّ النظر بمؤخّر العين يهيّج الحميّة والغضب و يدفع طمع العدوّ و يغفله عن التعرّض، وبملأ العين يورث الجبن وعلامة له عندالعدوّ و يصير سبباً لتحرّزه وأخذاً هبته و التوجّه إلى القرن. وأمّا الأمر الثّاني فقيل: إنّه يوسّع المجال على الطاعن، و أكثر المناقشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه وعن شماله، ويمكن أن تكون الفائدة أنّ احتراز العدوّ عن الطعن حذاء الوجه أسهل والغفلة عنه أقلّ؛ هذا على مافي الأصل، ومافي النّهاية يخالفه.

و«المنافحة» المضاربة والمدافعة. و«الظبى» جمع «ظُبة» بالضمّ فيهما، وهي طرف السيف وحدّه ، ويطلق على حدّ السيف والسنان؛ قيل: المعنى: قاتلوا بالسّيوف، وأصله أن يقرب أحدالمتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أي ريحه و نفسه إلى صاحبه، وقيل: أي ضاربوا بأطراف السيوف، وفائدته أنّ مخالطة العدوّ والقرب الكثير منه يشغل عن التمكّن من حربه، و أيضاً لايؤثّر الضرب كماينبغي مع القرب المفرط.

قوله –عليه السلام– «وصلوا السيوف بالخطا» وصل الشيء بالشيء جعله متّصلاً به. و«الخطى» جمع «خُطوة» بالضمّ فيهما، والمعنى: إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدّموا تلحقوا ولا تصبروا حتّى يلحقكم العدوّ، وهذا التقدّم يورث إلقاء الرعب في قلب العدوّ.

و روي أنّه قيل له –عليه السلام– في بعض الغزوات: ما أقصر سيفك! فقال: أطوله بخطوة. وفي رواية ابن الأثير «صِلُوا السيوف بالخُطى، والرُّماح بالنبل» أي إذا لم تلحقهم بالرماح فارموهم بالسهام. و المراد بكونهم بعين الله أنّه –سبحانه– يريهم و يعلم أعمالهم، والباء مثلها في قولك: «أنت بمرأى منّي ومسمع» أي بحيث أراك وأسمع كلامك، فيكون تمهيداً للنهي عن الفرار و أنّه– سبحانه– يحفظهم و ينصرهم

لكونهم على الحقّ كما يناسب كونهم مع ابن عمّ الرسول- صلّى الله عليه وآله-. و«الكرّ» الرجوع و الحملة، ومعاودته عندالتحرّف للقتال أوالتحيّز إلى فئة أوعند الفرار جبناً لوكان، أوالمراد: لاتقصروا على حملة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحملوا كرّة بعدأخرى.

و«الأعقاب» جمع «عقب» بالضمّ و بضمّتين، أي العاقبة، والمعنى أنّ الفرار عار في عاقبة أمركم و مايتحدّث به النّاس في مستقبل الزمان على ماقيل، أو جمع «عقب» - ككتف- أو «عقب» بالفتح، أي الولد وولدالولد، والمعنى أنّ الفرارممّا يعيّر به أولادكم. و«طاب نفسي بالشيء و طيب به نفساً» إذا لم يكرهك عليه أحد، والتعدية بـ«عن» لتضمين معنى التجافي والتجاوز، و«نفساً» منصوب على التميز، وافراده مع عدم اللبس أولى؛ ولعلّ المعنى: وطّنوا أنفسكم على بذلها في سبيل الله، وارضوا به للحياة الباقية و اللذّات الدائمة. و«السُّجُح» بضمّتين، السهل. و«سواد الناس» عامّتهم، والمراد معظم القوم المجتمعين على معاوية. و«الرواق»- ككتاب- الفصطاط و القبّة، وقيل: هومابين يدي البيت. و «المطنّب» المشدود بالأطناب، والمراد مضرب معاوية وكان في قبّة عالية وحوله صناديد أهل الشّام. و «ثبَج الشيء» بالتحريك، وسطه ومعظمه. و«كمن» - كنصر وسمع- أي استخفى. و«كسر الخبأ» بالكسر، الشقّة السفلى يرفع أحياناً و يرخى أُخرى. و«الوثبة» الطفرة. و«نكص» - كنصر وضرب- أي رجع.

و«الشيطان» هو إبليس لامعاوية- كما قيل- لأنّه كان بارزاً في الصدر لاكامناً في الكسر إلّا أن يكون ذلك لبيان جبنه. وتقديم اليد للوثبة و تأخير الرجل للنكوص لاينافي إرادة إبليس فإنّه كان من رفقاء معاوية و أصحابه يثب بوثوبهم و يرجع برجوعهم، ويمكن أن يراد بوثبته طمعه في غلبة أصحاب معاوية وتحريصهم على القتال و بالنكوص مايقابله، ويحتمل أن يراد بالشيطان عمروبن العاص، والأوّل أظهر، وحمله على القوّة الوهميّة- كماقيل- من الأوهام الفاسدة. و «الصمد» بالفتح، القصد، وناصبه محذوف، و التأكيد للتحريص على قصد العدوّ والصبر على الجهاد،

أوالتقرّب إلى الله– تعالى– وإخلاص النيّة في الأعمال الّتي من جملتها الجهاد.

و«انجلى الشيء و تجلّى» أي انكشف وظهر. و«عمود الحقّ» لعلّه للتشبيه بالفجر الأوّل، وفيه إشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كماينبغي. «وأنتم الأعلون» الواوللحال، أي الغالبون على الأعداء بالظفر أوبأنكم على الحقّ. «والله معكم» أي بالنصر و الحياطة أو لأنكم أنصاره. و«لن يتركم» أي لاينقصكم الله جزاء أعمالكم بل يوفّيكم أجوركم، وقيل: أي لايضيع أعمالكم، من «وترت الرّجل» إذا قتلت له حميماً. ولعلّ حاصل المعنى: اقصدوا ربّكم بأعمالكم الّتي منها جهادأعدائكم، واخلصوا نيّاتكم حتّى ينجلي لكم أنكم على الحقّ كما قال– تعالى–: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [٢٣٤]. والجملة الحاليّة تفيد أنّهم على الحقّ ومن أنصارالله و حزبه، أواقصدوا أعداءكم بتصميم العزم حتّى يظهر آية النّصر و ينجزالله لكم ما وعد من الظفر، ووعده الحقّ، ويمكن أن يراد بالحقّ الطريقة المستقيمة وأن يكون الظفر سبباً لظهوره للقوم.[٢٣٥]

٦٧ — ومن كلام له عليه السلام

قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة[٦٢٣] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام:

ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير؛ قال عليه السلام:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

٢٣٤– العنكبوت: ٦٩.

٢٣٥– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٠٧، ط كمپاني وص ٤٧١، ط تبريز.

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتِ ٱلْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ ٱلْوَصِيَّةُ بِهِـمْ

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قَالوا : احتجت بـأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : ٱحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ .

بيان: قوله –عليه السلام– «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» المراد بالثمرة إمّا الرسول –صلّى اللّه عليه وآله– و«الاضاعة» عدم اتّباع نصبه، أو أميرالمؤمنين وأهل البيت –عليهم السلام– تشبيها له– صلّى اللّه عليه وآله– بالأغصان أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره، كما قيل. والغرض الزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته –صلّى اللّه عليه وآله– فإن تمّ فالحقّ لمن هو أقرب وأخصّ وإلّا فالأنصار على دعواهم.[٢٣٦]

٦٨ — ومن كلام له عليه السلام

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِـمَ بْنَ عُتْبَةَ ؛ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ ٱلْعَرْصَةَ(٦٢٤) ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ ٱلْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً ، وَكَانَ لِي رَبِيباً .

٢٣٦– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٧، ط كمپاني وص ١٧١، ط تبريز.

بيان: «لمّا قلّد» أي جعله واليها كأنّ ولايتها قلادة في عنقه لأنّه مسؤول عن خيرها وشرّها، و يقال: «ملكه عليه» أي أخذه منه قهراً واستولى عليه. و «انهاز الفرصة» إمّا تأكيد لتخلية العرصة، والمراد بهماتمكين العدوّ وعدم التدبير في دفعه كما ينبغي، أو التخلية كناية عن الفرار والانهاز عن تمكين الأعداء. وعدم استحقاق الذمّ لكون هذا التمكين عن عجزه لاعن التقصير والتواني. و «كان إليّ حبيباً» أي كنت أحبّه، ومجبوبه -عليه السلام- لايستحقّ الذمّ. و «ربيب الرجل» ابن امرأته من غيره. وأمّ محمّد أسماء بنت عميس كانت عند جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله، ولمّا استشهد جعفر تزوّجها أبوبكر فولدت له محمّداً ثمّ تزوّجها أميرالمؤمنين -عليه السلام- ونشأ محمّد في حجره ورضع الولاء و التشيّع، وكان جارياً عنده -عليه السلام- مجرى بعض ولده. و أمّا هاشم فهو ابن عتبة أبي وقّاص وهو المرقال، سمّي به لأنّه كان يُرقل في الحرب أي يسرع، قتل بصفّين -رضي الله عنه-.[٢٣٧]

٦٩ — ومن كلام له عليه السلام

في توبيخ بعض أصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى ٱلْبِكَارُ ٱلْعَمِدَةُ(٦٢٥)، وَالثِّيَابُ ٱلْمُتَدَاعِيَةُ(٦٢٦)! كُلَّمَا حِيصَتْ(٦٢٧) مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ(٦٢٨) مِنْ آخَرَ، كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ(٦٢٩) مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَٱنْجَحَرَ(٦٣٠) ٱنْجِحَارَ الضَّبَّةِ في جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا(٦٣١). الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ

٢٣٧- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٥٥، ط كمپاني وص ٦٠٤، ط تبريز.

نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ(٦٣٢) . إِنَّكُمْ ـ وَٱللهِ ـ لَكَثِيرٌ فِي ٱلْبَاحَاتِ(٦٣٣) ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ(٦٣٤)ْ ، وَلٰكِنِّي لَا أَرَىٰ إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي . أَضْرَعَ ٱللهُ خُدُودَكُمْ(٦٣٥) ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ(٦٣٦) ! لَا تَعْرِفُونَ ٱلْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ ٱلْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ ٱلْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ ٱلْحَقَّ !

إيضاح: «البكار» بالكسر، جمع «بكر» بالفتح، وهوالفتى من الإبل. و«العمدة» بكسر الميم، من «العمد» الورم و الدبر، وقيل: «العمدة» الّتي كسرها ثقل حملها، وقيل: الّتي قد انشدخت أسنمتها من داخل و ظاهرها صحيح. و «الثياب المتداعية» الخلقة الّتي تتخرّق فكأنّه يدعو الباقي إلى الانخراق. و«حاص الثوب يحوصه حوصاً» خاطه. و «تهتّكت» أي تخرّقت. و«أطلّ عليكم» أي أقبل إليكم ودنامنكم، وفي بعض النسخ بالمهملة أي أشرف. و «المنسر» ــ كمجلس و كمنبر ــ القطعة من الجيش تمرّ قدّام الجيش الكثير. و«الجحر» بالضمّ، كلّ شيء يحتفره السباع و الهوامّ لأنفسها، و«جحرالضبّ» ــ كمنع ــ أي دخله، و «جحره غيره» أدخله فانجحر و تجحّر و كذلك «أجحره». و «الضبع» مؤنّثة. و«وجارها» بالكسر، جحرها. و«الأفوق» المكسور الفوق. و«النّاصل» المنزوع النصل. و «الباحة» الساحة. و«الراية» العلم. و«الأود» بالتحريك، العوج. و المراد بما يصلحهم إقامة مراسم السياسة من القتل و التعذيب والحيل و التدابير المخالفة لأمرالله ــتعالى ــ. و«الضراعة» الذلّ و الاستكانة. و«التعس» الهلاك والانحطاط. و«الجدّ» البخت و الحظّ والغرض الدعاء عليهم بالخزي والخيبة.

قوله ــعليه السلام ــ «لا تعرفون الحقّ» المراد بالحقّ إمّا أوامر الله ــ تعالى ــ وأمور الآخرة، و بالباطل زخارف الدنيا، أوالحقّ متابعته ــعليه السلام ــ ونصره، والباطل عصيانه و ترك نصرته، أوالحقّ الدلائل الدالّة على فرض طاعته، والباطل الشّبه الفاسدة كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة. و المعرفة إمّا العلم أوالعمل بما يقتضيه

من نصرة الحقّ وإنكار المنكر.[٢٣٨]

٧٠ — وقال عليه السلام

في سحرة[(٦٣٧)] اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي[(٦٣٨)] وَأَنَا جَالِسٌ ، فَسَنَحَ[(٦٣٩)] لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : «ٱدْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي .

قال الشريف : يعني بالأود الاعوجاج ، وباللدد الخصام . وهذا من أفصح الكلام .

بيان: «السحرة» بالضمّ، السحر الأعلى. و«ملك العين» كناية عن غلبه النوم. و«سنح لي» أي رأيته في المنام، أومرّبي معترضاً. وبناء التفضيل في «شرّاً» على اعتقاد القوم فإنّهم لمّا لم يطيعوه حقّ الطاعة فكأنّهم زعموا فيه شرّاً.[٢٣٩]

٧١ — ومن خطبة له عليه السلام

في ذم أهل العراق

وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم ، ثم تكذيبهم له

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا

٢٣٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٥، ط كمباني وص ٦٣٤، ط تبريز.

٢٣٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٥، ط كمباني وص ٦٣٤، ط تبريز.

أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ(٦٤٠) وَمَاتَ قَيِّمُهَا(٦٤١)، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا(٦٤٢)، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ ٱخْتِيَاراً؛ وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ! فَعَلَىٰ مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى ٱللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلَّا وَٱللهِ، لٰكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُ امِّهِ(٦٤٣) كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ. «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ».

توضيح: «أملصت» ألقت ولدها ميتاً، و«المملاص» معتادته. و«قيّم المرأة» زوجها لأنّه يقوم بأمرها. و «تأيّم المرأة» خلوّها من الزوج. و«أبعدها» من لم يكن قرابة الولد ونحوه، و التشبيه بالمرأة الموصوفة لأنهم تحمّلوامشاقّ الحرب فلمّا قرب الظفر رضوا بالتحكيم وحرموا الظفر وصار بعضهم خوارج و بعضهم شكّاكاً. والمراد بالسوق الاضطرار، كأنّ القضاء ساقه ــعليه السلام ــ إليهم فإنّه ــعليه السلام ــ خرج لقتال أهل الجمل واحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة واتّصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشام فاضطرّ إلى المقام بينهم؛ وفي بعض النسخ «ولاجئتكم شوقاً».

و«قاتلكم الله» أي قتلكم الله و لعنكم الله. و«كلّا» للردع و الإنكار أوبمعنى حقاً. و«اللهجة» اللّسان أو يتجوّز بها عن الكلام، والمراد ما لهجته ــعليه السلام ــ أي ما أخبركم به أُمورغابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها ولستم أهلاً لفهمها، أولهجة رسول الله ــصلّى الله عليه وآله ــ أي سمعت كلامه ــصلّى الله عليه و آله ــ ولم تسمعوه، ولو سمعتموه لم تكونوا من أهله.

و«الويل» حلول الشرّ وكلمة عذاب أوواد في جهنّم، وإضافته إلى الأمّ دعاء عليهابأن تصاب بأولادها من قبيل ثكلته أمّه، والضمير راجع إلى المكذّب، وقيل: إلى مادلّ عليه الكلام من العلم الّذي خصّه به الرسول ــصلّى الله عليه و آله ــ، وقال

هذه الكلمة قد تطلق للتعجّب والاستعظام، يقال: «و يل أمّه فارساً» و مرادهم التعظيم والمدح. و«كيلاً» انتصب لأنّه مصدر في موضع الحال التميز ، أي أنا أكيل لكم العلم و الحكمة كيلاً ولا أطلب لذلك ثمناً لووجدت حاملاً للعلم، وقيل: الكلمة تستعمل للترحّم و التعجّب والضمير راجع إلى الجاهل المكذّب فالمفاد الترحّم عليهم لجهلهم أوالتعجّب من قوّة جهلهم أومن كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها. و قال في النهاية : قديرد الويل بمعنى التعجّب ومنه الحديث: «و يل امّه مسعّر حرب» تعجّباً من شجاعته و جرأته و إقدامه، ومنه حديث عليّ –عليه السلام–: «و يل امّه كيلاً بغير ثمن لوأنّ له وعاءً» أي يكيل العلوم الجمّة بلاعوض إلّا أنّه لايصادف واعياً، وقيل «وي» كلمة مفردة، ولأُمّه مفردة، وهي كلمة تفجّع و تعجّب وحذفت الهمزة من أُمّه تخفيفاً وأُلقيت حركتها على اللام و ينصب مابعدها على التمييز. انتهى.

و«الحين» بالكسر، الدهر أووقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أوقصر، والمعنى: لتعلمنّ ثمرة تكذيبكم و إعراضكم عمّا أبيّن لكم، إنّي صادق فيما أقول.[240]

٧٢ — ومن خطبة له عليه السلام

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله و فيها بيان صفات الله سبحانه وصفة النبي و الدعاء له

صفات الله

اَللّهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ(٦٤٤)، وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ(٦٤٥)، وَجَابِلَ ٱلْقُلُوبِ(٦٤٦) عَلَى فِطْرَتِهَا(٦٤٧): شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا.

صفة النبي

اجْعَلْ شَرَائِفَ(٦٤٨) صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ(٦٤٩) بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ

٢٤٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٠، ط كمپاني وص ٦٣٩، ط تبريز.

عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ٱلْخَاتِمِ (٦٥٠) لِمَا سَبَقَ ، وَٱلْفَاتِحِ لِمَا ٱنْغَلَقَ (٦٥١) ، وَٱلْمُعْلِنِ ٱلْحَقَّ بِٱلْحَقِّ ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ ٱلْأَبَاطِيلِ (٦٥٢) ، وَٱلدَّامِغِ صَوْلَاتِ ٱلْأَضَالِيلِ (٦٥٣) ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ (٦٥٤) ، قَائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً (٦٥٥) فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ (٦٥٦) عَنْ قُدُمٍ (٦٥٧) ، وَلَا وَاهٍ (٦٥٨) فِي عَزْمٍ ، وَاعِياً (٦٥٩) لِوَحْيِكَ ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ ، مَاضِياً عَلَىٰ نَفَاذِ أَمْرِكَ ؛ حَتَّىٰ أَوْرَىٰ قَبَسَ ٱلْقَابِسِ (٦٦٠) ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ (٦٦١) ، وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ (٦٦٢) ٱلْفِتَنِ وَٱلْآثَامِ ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ (٦٦٣) ، وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ (٦٦٤) ، وَشَهِيدُكَ (٦٦٥) يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ (٦٦٦) بِٱلْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلَىٰ ٱلْخَلْقِ .

الدعاء للنبي

ٱللَّهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ (٦٦٧) ؛ وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ (٦٦٨) مِنْ فَضْلِكَ. ٱللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَىٰ بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ، وَٱجْزِهِ مِنِ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ . ٱللَّهُمَّ ٱجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ (٦٦٩) ، وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ (٦٧٠) ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ (٦٧١) ، وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ ، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ (٦٧٢) .

تبيين: «الخاتم لما سبق» أي الوحي والرسالة. و«الفاتح لما انغلق» يقال: «انغلق واستغلق» إذا عسر فتحه، أي فتح ما انغلق و أبهم على الناس من مسائل الدين و التوحيد والشرائع، والسبيل إلى الله–تعالى–. و«المعلن الحقّ بالحقّ» أي مظهر الدين بالمعجزات، أو بالحرب و الخصومة، يقال: «حاق فلاناً فحقه» أي خاصمه فغلبه، أو بالبيان الواضح، أو بعضه ببعض، فإنّ بالأصول تظهر الفروع، أو بمعونة الحقّ –تعالى–. و«الجيشات» جمع «جيشة» من «جاشت القدر» إذا ارتفع غليانها. و«الأباطيل» جمع «باطل» على غيرقياس، أي دافع ثوران الباطل و فتن المشركين وما كانت عادة لهم من الغارات و الحروب. و«الدامغ» المهلك، من «دمغه» إذا شجّه حتّى بلغ الدماغ، وفيه الهلاك. و«الأضاليل» أيضاً جمع «ضالّ» على غيرقياس. و«الصولة» الحملة و الوثبة والسطوة. قوله– عليه السلام– «كما حمل» الكاف للتعليل، أي صلّ عليه لذلك أو للتشبيه، أي صلاة تشبه وتناسب مافعل. قوله «فاضطلع» أي قوى على حمله، من الضلاعة، وهي القوة. قوله «مستوفزاً» أي مستعجلاً، و«النكول» الرجوع. و«القدم» بالضمّ، التقدّم والإقدام، أي لم يرجع عن التقدّم في الجهاد وغيره من أمور الدين. و«الوهي» الضعف. وتقول: «وعيت الحديث» إذا حفظته وفهمته. و«مضى في الأمر» نفذ، أي كان مصرّاً في إنفاذ أمرك وإجرائه. و يقال: «ورى الزند» أي خرجت ناره، وأوريته أنا. و«القبس» الشعلة و«القابس» الّذي يطلب النار، والمراد بالقبس هنانور الحقّ، أي أشعل أنوار الدين حتّى ظهر الحقّ للمقتبسين. قوله «للخابط» أي الّذي يخبط لولاضوء نوره. قوله «بعد خوضات الفتن»، «خاض الماء» دخله، أي بعد أن خاضوا في الفتن أطواراً. و«الأعلام» جمع «علم» وهو مايستدلّ به على الطريق من منار وجبل ونحوهما. و«الموضحات» يحتمل الفتح و الكسر كما لايخفى. و «نيّرات الأحكام» أي الأحكام الواضحة الحقّة. و«المأمون» تأكيد،و المراد بالعلم المخزون الأمور الّتي لا تتعلّق بالتكاليف لأنّها لايخزن عن المكلّفين. قوله– عليه السلام– «وشهيدك» أي شاهدك على الخلق. قوله «و بعيثك» أي مبعوثك بالدين الثابت.[٢٤١]

٢٤١– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا –صلّى الله عليه وآله–، ص ٣٧٨.

٧٣ — ومن كلام له عليه السلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أُخِذَ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل ، فاستشفع (٦٧٣) الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فكلماه فيه ، فخلى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام :

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ (٦٧٤) ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ (٦٧٥) . أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ (٦٧٦) ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ !

توضيح: «كف يهوديّة» أي من شأنها الغدر والمكر، فإنّه من شأنهم. و «السبّة» الإست. و«الإمرة» بالكسر، الولاية. و«كبش القوم» رئيسهم، والتشبيه لمدّة ملكه بلعقة الكلب أنفه للتنبيه على قصر أمرها، وكانت مدّة إمرته أربعة أشهر وعشراً، وروي ستّة أشهر؛ و«الأكبش الأربعة» أربعة ذكور لصلبه، وهم عبدالملك وولي الخلافة، وعبدالعزيز وولي مصر، وبشر وولي العراق، ومحمّد وولي الجزيرة؛ ويحتمل أن يريد بالأربعة أولاد عبدالملك، وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام — لعنهم الله —، وكلّهم ولي الخلافة ولم يلها أربعة إخوة إلّاهم. و«اليوم الأحمر» كناية عن شدّته، ومن لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر، ولعلّه لكون الحمرة وصف الدم كنّي به عن القتل، ويروى: موتاً أحمر.[٢٤٢]

٢٤٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٥٥.

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

إيضاح: الحكم بن أبي العاص أبومروان هوالّذي طرده رسول الله –صلّى الله عليه وآله– وآواه عثمان كمامرّ. والضمير في «إنّها» يعود إلى الكفّ المفهوم من البيعة لجريان العادة بأن يضع المبايع كفّه في كفّ المبتاع، والنسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم. و«السبّة» بالفتح، الإست، أي لوبايع في الظاهر لغدر في الباطن، وذكر السبّة إهانة له. و«الإمرة» بالكسر، مصدر كالإمارة، وقيل: اسم. و«لعقه»– كسمعه– لحسه، والغرض قصر مدّة إمارته، وكانت تسعة أشهر، وقيل: ستّة أشهر، وقيل: أربعة أشهر وعشرة أيّام. و«الكبش» بالفتح، الحمل إذا خرجت رباعيته، و«كبش القوم» رئيسهم. وفسّر الأكثر الأكبش ببني عبدالملك: الوليد وسليمان و يزيد وهشام؛ ولم يل الخلافة من بني أميّة ولامن غيرهم أربعة إخوة إلاهؤلاء، وقيل هم بنومروان لصلبه: عبدالملك الّذي ولي الخلافة، وعبدالعزيز الّذى ولي مصر، وبشر الّذي ولي العراق، ومحمّد الّذي ولي الجزيرة،ولكلّ منهم آثار مشهورة. و«الولد» بالتحريك، مفرد وجمع. و«اليوم الأحمر» الشديد؛ وفي بعض النسخ: «موتاً أحمر» وهوكناية عن القتل. [٢٤٣]

٧٤ – ومن خطبة له عليه السلام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ (٦٧٧)

بيان: قوله –عليه السلام– «أنّي أحقّ بها» أي بالخلافة، والتفضيل كما في

٢٤٣– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٣، ط كمپاني وص ٤١٢، ط تبريز.

قوله — تعالى —: «قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» [٢٤٤]. و«الجور عليه — عليه السلام — خاصّة» غصب حقّه، وفيه دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقاً. والتسليم على التقدير المفروض وهو سلامة أمور المسلمين وإن لم يتحقّق الفرض لرعاية مصالح الإسلام والتقيّة. و«التماساً» مفعولاً له للتسليم. و«التنافس» الرغبة في النفيس المرغوب للانفراد به. و«الزخرف» بالضمّ، الذهب وكمال حسن الشيء. و«الزبرج» بالكسر، الزينة. [٢٤٥]

٧٥ — ومن كلام له عليه السلام

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي (٦٧٨)؟ أَوَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي. أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ (٦٧٩)، وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ (٦٨٠)، وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ (٦٨١)، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ!

توضيح: «قرفه» — كضربه — أي اتّهمه. و«وزعه عنه» صرفه وكفّه. و«السابقة» الفضيلة والتقدّم، والمراد باللسان القول. و«الحجيج» المغالب بإظهار الحجّة. و«المارقون» الخارجون من الدين. و«الخصيم» المخاصم. و«المرتابون» الشاكّون في الدين أوفي إمامته أوفي كلّ حقّ. و«المحاجّة» المخاصمة إمّا في الدنيا أوفيها و في الآخرة.

وقال بعض الشارحين [٢٤٦] للنهج: روي عن النبيّ — صلّى الله عليه وآله — أنّه

٢٤٤- الفرقان: ١٥.

٢٤٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمپاني وص ١٧١، ط تبريز.

٢٤٦- المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد في شرحه للنهج، ج ٦، ص ١٧٠، ط بيروت.

سئل عن قوله ـ تعالى ـ: «هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»[٢٤٧] فقال: عليّ و حمزة وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد... إلى آخر ما مرّ في الأخبار الكثيرة في غزوة بدر.

قال: وكان عليّ ـ عليه السلام ـ يكثر من قوله «أنا حجيج المارقين»؛ و يشير إلى هذا المعنى، وأشار إلى ذلك بقوله «على كتاب الله تعرض الأمثال» يريد قوله [ـ تعالى ـ]: «هَٰذَانِ خَصْمَانِ...» الآية.

وقال بعضهم: لمّا كان في أقواله و أفعاله ـ عليه السلام ـ مايشبه الأمر بالقتل أوفعله فأوقع في نفوس الجهّال شبهة القتل نحو ما روي عنه ـ عليه السلام ـ: «الله قتله و أنامعه»، و كتخلّفه في داره عن الخروج يوم قتل، فقال: ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله، فإن دلّ على كون شيء من ذلك قتلاً فليحكم به وإلّا فلا.

ويحتمل أن يراد بالأمثال الحجج أو الأحاديث كما ذكرها في القاموس، أي ما أحتجّ به في مخاصمة المارقين والمرتابين ما يختصمون به في مخاصمتي ينبغي عرضها على كتاب الله حتّى يظهر صحّتها أوفسادهما؛ أومايسندون إليّ في أمر عثمان و مايروى في أمري و أمرعثمان يعرض على كتاب الله.

و «بما في الصدور» اي بالنيّات و العقائد، أوبما يعلمه الله من مكنون الضمائر ـ لاعلى وفق مايظهره المتخاصمان عندالاحتجاج ـ يجازي الله العباد.[٢٤٨]

٧٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الحث على العمل الصالح

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً[(٦٨٢)] فَوَعَى[(٦٨٣)]، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا[(٦٨٤)]، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ[(٦٨٥)] هَادٍ فَنَجَا. رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً،

٢٤٧- الحجّ: ١٩.

٢٤٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٦، ط كمباني وص ٣٥٤، ط تبريز.

وَعَمِلَ صَالِحاً. اكْتَسَبَ مَذْخُوراً[٦٨٦]، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، وَرَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً. كَابَرَ هَوَاهُ[٦٨٧]، وَكَذَّبَ مُنَاهُ. جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ[٦٨٨]، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ[٦٨٩] الْبَيْضَاءَ. اغْتَنَمَ الْمَهَلَ[٦٩٠]، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

توضيح: «سمع حكماً» بالضمّ، أي حكمة و علماً نافعاً. «فوعى» أي حفظ علماً وعملاً، و«الرشاد» الصلاح وهو خلاف الغيّ و الضلال،وهو إصابة الصواب. و«رشد» – كتعب وقتل– والاسم «الرشاد»؛ كذا في المصباح. «فدنا» أي من الداعي أوالحقّ. و«الحجزة» بالضمّ، موضع شدّ الإزار ثمّ قيل للإزار: «حجزة» للمجاورة، والأخذ بالحجزة مستعار للاعتصام و الالتجاء و التمسّك بأحد. «فنجا» أي خلص من الضلالة وعواقبها. و«المراقبة» الترصّد والمحافظة، و«مراقبة الربّ» الترصّد لأمره والعمل به والإقبال بالقلب إليه.

«قدّم خالصاً» أي عملاً خالصاًلله لم يشبه رئاء ولاسمعة، و«تقديمه» فعله قبل أن يخرج الأمر من يده و بعثه إلى دارالجزاء قبل الوصول إليه. و«الاكتساب» الكسب. و«المذخور» الشيء النفيس المعدّ لوقت الحاجة إليه، وهو الأعمال الصالحة. و«المحذور» مايحترز منه من سيّئات الأعمال و الأخلاق. و«الغرض» الهدف والمراد رميه إصابة الحقّ كمن رمى الغرض في المراماة ففاز بالسبق، وهوالمراد باحراز العوض أي الفوز بالثواب، وقيل: المراد به أن يقصد بفعله غرضاً صحيحاً.[٢٤٩]

٧٧ – ومن كلام له عليه السلام

وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه

٢٤٩– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٩٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣١٠.

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً، وَٱللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ ٱلْوِذَامَ التَّرِبَةَ!

قال الشريف: ويروى «التراب الوَذِمَة»، وهو على القلب[٦٩١].

قال الشريف: وقوله عليه السلام «لَيُفَوِّقُونَنِي» أي: يعطونني من المال قليلاً كفُوَاق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها. والوِذَامُ: جمع وَذَمَة، وهي الحُزَّة[٦٩٢] من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

بيان: «الحُزَّة» بالضمّ، هي القطعة من اللحم وغيره، **وقيل:** خاصّة بالكبد، **وقيل:** قطعة من اللحم قطعت طولاً. و«الكرش»- ككتف- كما في النسخ و بالكسر، لكلّ مجترّ بمنزلة المعدة للإنسان، وهي مؤنّثة. و«نفض الثّوب و غيره» تحريكه ليسقط منه التراب وغيره.

وقال ابن الأثير في النّهاية: «التّراب» جمع «تَرْب» تخفيف «تَرِب» يريد اللحوم الّتي تعفّرت بسقوطها في التراب. و«الوذمة» المنقطعة الأوذام، وهي السيور الّتي يشدّبها عرى الدلو. قال الأصمعيّ: سألت شعبة عن هذا الحرف فقال: ليس هو هكذا، إنّما هو «نفض القصّاب الوذام التربة» و هي الّتي قد سقطت في التراب. وقيل: الكروش كلّها تسمّى تربة، لأنّها يحصل فيها التراب من المرتع. و«الوذمة» الّتي أخمل باطنها، والكروش وذمة لأنّها مخملة، و يقال: أخملها الوذم. ومعنى الحديث: لئن وليتهم لأُطهّرنّهم من الدنس، ولأُطيّبنّهم من [بعد] الخبث: وقيل: أراد بِالقصّاب السبع، والتراب أصل ذراع الشاة، والسبع إذا أخذ الشّاة قبض على ذلك المكان ثمّ نفضها. انتهى.

والظاهر أنّ المراد من النفض منعهم من غصب الأموال وأخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة ودفع بغيهم وظلمهم ومجازاتهم بسيّئات أعمالهم.

وقال ابن أبي الحديد[٢٥٠]: اعلم أنّ أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج الإصفهانيّ في كتاب الأغاني بإسناد رفعه إلى الحرب بن حبيش، قال: بعثني سعيد بن

٢٥٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٧٤، ط بيروت.

العاص وهو يومئذ أميرالكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى أهل المدينة و بعث معي هديّة إلى عليّ –عليه السلام– وكتب إليه: إنّي لم أبعث إلى أحد أكثر ممّا بعثت به إليك إلّا أميرالمؤمنين. فلمّا أتيت عليّاً –عليه السلام– وقرأ كتابه، قال: لشدّما تحظر[٢٥١] عليّ بنوأميّة تراث محمّد –صلّى الله عليه و آله– أما والله لئن وليتها لأنفضها نفض القصّاب التراب الوذمة.

قال أبوالفرج: وهذا خطأ، وإنّما هو الوذام التربة.

قال: وحدّثني بذلك أحمدبن عبدالعزيز الجوهريّ، عن عمر بن شبة بإسناد ذكره في الكتاب: أنّ سعيدبن العاص حيث كان أميرالكوفة بعث مع ابن أبي عايشة مولاه إلى عليّ بن أبي طالب –عليه السلام– بصلة، فقال عليّ –عليه السلام–: والله لايزال غلام من غلمان بني أميّة يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة، والله لئن بقيت لأنفضنها كما ينفض القصّاب التراب الوذمة.[٢٥٢]

٧٨ — ومن دعاء له عليه السلام

من كلمات كان، عليه السلام، يدعو بها

اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ[٦٩٣] مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي. اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَاني، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ[٦٩٤]، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ[٦٩٥]، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ[٦٩٦]، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ[٦٩٧].

٢٥١– في المصدر: يحظر.

٢٥٢– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧١، ط كمپاني وص ٣٤٩، ط تبريز.

٧٩ — ومن كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، وقد قال له : إن سرت يا أمير المؤمنين ، في هذا الوقت ، خشيت ألا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم

فقال عليه السلام

أَتزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الْضُّرُّ (٦٩٨) ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الإسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ، لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ ، وَأَمِنَ الضُّرَّ !!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ ، إلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإنَّهَا تَدْعُو إلَى الْكَهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ (٦٩٩) ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ! سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ .

بيان: «فمن صدقك بهذا» كأنه أسقط السيّد [ـرحمه اللهـ] من الرواية شيئاً كما هو دأبه، وقدمرّ تمامه. وعلى ما تقدّم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابّة، وإن لم يكن سقط هنا شيء فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله ـعزّوجلّـ: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً» ٢٥٣ ولقوله ـسبحانهـ: «قُلْ

٢٥٣- لقمان: ٣٤.

لَايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»[٢٥٤] وقوله— جلّ وعلا—: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّاهُوَ»[٢٥٥] وما أفاد مثل هذا المعنى؛ ويمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أنّ قول المنجّم بأنّ صرف السوء و نزول الضرّ تابع للساعة، سواء قال بأنّ الأوضاع العلويّة مؤثرة تامّة في السفليّات ولايجوز تخلّف الآثار عنها، أوقال بأنّها مؤثّرات ناقصة ولكن باقي المؤثّرات أمور لايتطرّق إليها التغيّر، أوقال بأنّها علامات تدلّ على وقوع الحوادث حتماً فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه —سبحانه— يمحو ما يشاء و يثبت، وأنّه يقبض و يبسط و يفعل ما يشاء و يحكم مايريد ولم يفرغ من الأمر، وهو—تعالى— كلّ يوم في شأن، والظاهر من أحوال المنجّمين السابقين وكلماتهم، جلّهم بل كلّهم، أنهم لايقولون بالتخلّف وقوعاً أو إمكاناً، فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن وماعلم من الدين والإيمان من هذا الوجه، ولو كان منهم من يقول بجواز التخلّف ووقوعه بقدرة الله واختياره، وأنّه تزول نحوسة الساعات بالتوكّل و الدعاء والتوسّل والتصدّق، و ينقلب السعد نحساً والنحس سعداً، بأنّ الحوادث لايعلم وقوعها إلّا إذا علم أنّ الله —سبحانه— لم تتعلّق حكمته بتبديل أحكامها كان كلامه —عليه السلام— مخصوصاً بمن لم يكن كذلك؛ فالمراد بقوله «صرف عنه السوء وحاق به الضرّ» أي حتماً. قوله— عليه السلام— «في قولك» أي على قولك، أو بسبب قولك، أو هي للظرفيّة المجازيّة.

«إلّا مايهتدى به» إشارة إلى قوله— سبحانه— «وَهُوَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»[٢٥٦]. و«الكهانة» بالفتح، مصدر قولك «كهن» بالضمّ، أي صار كاهناً، و يقال: «كهن يكهن كهانة» مثل كتب يكتب كتابة، إذا تكهّن. والحرفة الكهانة بالكسر، وهي عمل يوجب طاعة بعض الجانّ له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة، وهو قريب من السحر. قيل: قدكان في العرب كهنة كشقّ وسطيح وغيرهما، فنهم من يزعم أنّ له تابعاً من الجنّ و رئيّاً يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدّمات و أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصّونه باسم العراف، كالّذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ومكان

٢٥٤- النمل: ٦٥. ٢٥٥- الأنعام: ٥٩. ٢٥٦- الأنعام: ٩٧.

الضالّة ونحوهما. ودعوة علم النجوم إلى الكهانة إمّا لأنّه ينجرّ أمر المنجّم إلى الرغبة في تعلّم الكهانة و التكسّب به، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن. والسحر قيل: هوكلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنه عقد الرجل عن زوجته، و إلقاء البغضاء بين الناس، ومنه استخدام الملائكة و الجنّ و استنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب، واستحضارهم و تلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة و كشف الغائب على لسانه. [انتهى]. والظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر، وسيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت وماروت وتمام تحقيقه في باب الكبائر. ووجه الشبه في تشبيه المنجّم بالكاهن إمّا الاشتراك في الإخبار عن الغائبات، أو في الكذب والاخبار بالظنّ و التخمين و الاستناد إلى الأمارات الضعيفة و المناسبات السخيفة، أو في العدول و الانحراف عن سبيل الحقّ والتمسّك في نيل المطالب و درك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة و صدّهم عن التوسّل إلى الله —تعالى— بالدعاء والصدقة و سائر أصناف الطاعة، أو في البعد عن المغفرة والرحمة. و يجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين الأخيرين، و المشبّه به في التشبيهات أقوى، ونتيجة الجميع دخول النار. ويمكن أن يكون قوله «والكافر في النار» إشارة إلى وجه الشبه وإن كان بعيداً، والمراد إمّا الخلود أو الدخول و الأخير أظهر و إن كان تحقّقه في الكافر في ضمن الخلود.

وقال ابن ميثم[٢٥٧] —رحمه الله— في شرح هذا الكلام منه —عليه السلام—: اعلم أنّ الّذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبويّة عن تعلّم[٢٥٨] النجوم أمران:

أحدهما اشتغال متعلّميها[٢٥٩] بها و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب والأوقات و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله —تعالى— والغفلة عن الرجوع إليه فيمايهمّ من الأحوال و قد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع، إذ كان غرضه ليس إلّا دوام

٢٥٧- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢١٦ — ٢٢٠، ط بيروت.

٢٥٨- في (خ): تعليم.

٢٥٩- في (خ): متعلّمها.

التفات الخلق إلى الله و تذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثاني أنّ الأحكام النجوميّة إخبارات عن أمور، وهي تشبه الاطّلاع على الأمور الغيبيّة، وأكثر الخلق من العوامّ أو النساء و الصبيان لايميّزون بينها و بين علم الغيب والإخبار به، فكان تعلّم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات، إذ الإخبار عن الكائنات منها، و كذا في عظمة بارئهم و يشكّكهم في عموم صدق قوله -تعالى-: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» [260] [وقوله- تعالى-:] «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» [261] وقوله [- تعالى-:] «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ -» الآية [262]. فالمنجّم إذا حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غداً و بأيّ أرض تموت، وذلك عين التكذيب للقرآن و كأنّ هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر و العزائم ونحوها. وأمّا مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أنّ أهل النظر إمّا متكلّمون فإمّا معتزلة أو أشعريّة.

أمّا المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجّم على أحد الأمرين: أحدهما أنّ الشريعة كذّبته وعندهم أنّ كلّ حكم شرعيّ فيشتمل على وجه عقليّ وإن لم يعلم عين ذلك الوجه، والثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أوفساد.

وأمّا الأشعريّة فهم و إن قالوا لامؤثّر في الوجود إلّا الله -تعالى- وزعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب، إلّا أنّه لامانع على مذهبهم أن يجعل الله -تعالى- اتّصال نجم بنجم أو حركته علامة على كون كائن أوفساده، وذلك ممّا لايبطل على المنجّم قاعدة، فيرجعون أيضاً إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه و مناقشته في ذلك.

و أمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت في أصولهم أنّ كلّ كائن فاسد في هذا العالم فلابدّ له من أسباب أربعة: فاعليّ ومادّيّ وصوريّ و غائيّ. أمّا السبب الفاعليّ القريب فالحركات السماويّة والّذي هو أسبق منها فالمحرّك لها إلى أن ينتهي إلى الجود

٢٦٠- النمل: ٦٥.
٢٦١- الأنعام: ٥٩.
٢٦٢- لقمان: ٣٤.

الإلهيّ المعطي لكلّ قابل ما يستحقّه، وأمّا سببه المادّيّ فهو القابل لصورته، وتنتهي القوابل إلى القابل الأوّل وهو مادّة العناصر المشتركة بينها، وأمّا الصوريّ فصورته الّتي تقبلها مادّته، وأمّا الغائيّ فهي الّتي لأجلها وجد. أمّا الحركات السماويّة فإنّ من الكائنات مايحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك، ومنها مايحتاج إلى بعض دورة، ومنها مايحتاج إلى جملة من أدواره و اتّصالاته. وأمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضاً أنّ قبولها لكلّ كائن معيّن مشروط باستعداد معيّن له، وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه، وهكذا قبل كلّ [صورة] صورة معدّة لحصول الصورة بعدها وكلّ صورة منها أيضاً يستند إلى الاتّصالات و الحركات الفلكيّة، ولكلّ استعداد معيّن زمان معيّن وحركة معيّنة واتّصال معيّن يخصّه لايفي بدركها القوّة البشريّة.

إذا عرفت ذلك فنقول: الأحكام النجوميّة إمّا أن تكون جزئيّة أو كلّيّة.

أمّا الجزئيّة فأن يحكم مثلاً بأنّ هذا الانسان يكون من حاله كذا و كذا، وظاهر أنّ مثل هذا الحكم لاسبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهة أسبابه، أمّا الفاعليّة فأن يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتّصال المعيّن سبب لملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلاً وأنّه لاسبب فاعليّ لذلك إلّا هو، والأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أوهومع غيره؛ أقصى مافي الباب أن يقال: إنّما كانت هذه الدورة وهذا الاتّصال سبباً لهذا الكائن لأنّها كانت سبباً لمثله في الوقت الفلانيّ، لكن هذا أيضاً باطل لأنّ كونها سبباً للكائن السابق لايجب أن يكون لكونها مطلقاً دورة و اتّصالاً، بل لعلّه أن يكون لخصوصيّة كونها تلك المعيّنة الّتي لاتعود بعينها فيما بعد، وحينئذ لايمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث لأنّ المؤثّرات المختلفة لايجب تشابه آثارها، والثاني أيضاً باطل لأنّ العقل يجزم بأنّه لااطّلاع له على أنّه لامقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلّا الاتّصال المعيّن، وكيف وقد ثبت أنّ من الكائنات مايفتقر إلى أكثر من اتّصال واحد ودورة واحدة أوأقلّ. وأمّا القابليّة فأن يعلم أنّ المادّة قد استعدّت لقبول مثل هذا الكائن واستجمعت جميع شرائط قبوله الزمانيّة والمكانيّة والسماويّة والأرضيّة، وظاهر أنّ الإحاطة بذلك غيرممكنة للانسان.

وأمّا أحكامهم الكلّية فكان [كما] يقال كلّما حصلت الدورة الفلانيّة كان كذا، فالمنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم عن جزئيّات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متكرّرة، ولذلك يعدلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربة، وقد علمت أنّ التجربة تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ والعقل يحصل منها حكماً كلّياً كحكمه بأنّ كلّ نارمحرقة، فإنّه لمّا أمكن للعقل استثبات الإحراق بواسطة الحسّ أمكنه الجزم الكلّي بذلك.

فأمّا التشكّلات الفلكيّة و الاتّصالات الكوكبيّة المقتضية لكون ما يكون، فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت و إن جاز أن يكون تشكّلات و عودات متقاربة الأحوال ومتشابهة إلّا أنّه لايمكن للانسان ضبطها ولا الاطّلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت، وذلك أنّ حساب المنجّم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهور والأيّام و الساعات والدرج و الدقائق وأجزائها وتقسيم الحركة بإزائها ورفع بينها نسبة عدديّة، وكلّ هذه أمور غير حقيقيّة وإنّما تؤخذ على سبيل التقريب؛ أقصى مافي الباب أنّ التفاوت فيها لايظهر في المدد المتقاربة، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة، ومع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلّي الثابت الّذي لايتغيّر باستمرار أثرها على وتيرة واحدة؟

ثمّ لوسلّمنا أنّه لايظهر تفاوت أصلاً إلّا أنّ العلم بعودتلك الدورة لايقتضي بمجرّده العلم بعود الأثر السابق لتوقّف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد و سائر أسبابه العلويّة و السفليّة، وعلى ضبطها فإنّ العلم التجربيّ إنّما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها و تكرّرها، وكلّ ذلك ممّا لاسبيل للقوّة البشريّة إلى ضبطه، فكيف يمكن دعوى التجربة؟

ثمّ قال: واعلم أنّ الّذي ذكرناه ليس إلّا بيان أنّ الأُصول الّتي يبني عليها الأحكاميّون أحكامهم وما يخبرون به في المستقبل أُصول غيرموثوق بها، فلايجوزالاعتماد عليها في تلك الأحكام و الجزم بها، وهذالاينافي كون تلك القواعد ممهّدة بالتقريب، كقسمة الزمان وحركة بالفلك والسنة والشهر واليوم مأخوذاً عنها حساب يبنى عليه

مصالح إمّا دينيّة كمعرفة أوقات العبادات كالصوم و الحجّ ونحوهما أودنيو يّة كآجال المداينات و سائر المعاملات و كمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كلّ منها ما يليق به من الحراثة و السفر و أسباب المعاش، وكذلك معرفة قوانين تقريبيّة من أوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها و على سمتها المسافرون في برّ أوبحر، فإنّ ذلك القدر منها غير محرّم، بل لعلّه من الأُمور المستحبّة لخلوّ المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاسد الّتي تشتمل عليها الأحكام كما سبق؛ ولذلك امتنّ اللّه— تعالى— على عباده بخلق الكواكب في قوله: «هُوَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» [٢٦٣] و قوله «لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ». [٢٦٤]

أقول: وروى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط ممّا أورده السيّد —رحمه اللّه— نقلاً من كتاب صفّين لابن ديزيل مرسلاً، قال: عزم عليّ— عليه السلام— على الخروج من الكوفة إلى الحروريّة وكان في أصحابه منجّم، فقال له: يا أميرالمؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذىً وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة الّتي أمرتك بها ظفرت و ظهرت و أصبت ما طلبت.

فقال له عليّ —عليه السلام—: أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثى؟

قال: إن حسبت علمت.

فقال —عليه السلام—: فمن صدّقك بهذا فقد كذّب بالقرآن، قال اللّه— تعالى—: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية [٢٦٥].

ثمّ قال —عليه السلام—: إنّ محمّداً - صلّى اللّه عليه وآله— ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سارفيها، وتصرف عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها؟ فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة باللّه — جلّ وعزّ— في صرف المكروه عنه، وينبغي للموقن بأمرك أن يولّيك الحمد دون اللّه —جلّ جلاله— لأنّك بزعمك هديته إلى الساعة الّتي يصيب النفع من

٢٦٣- الأنعام: ٩٧. ٢٦٤- يونس: ٥. ٢٦٥- لقمان: ٣٤.

سارفيها وصرفته عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سارفيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون اللّه ضدّاً وندّاً. اللّهمّ! لاطير إلّا طيرك، ولاضير إلّا ضيرك، ولا إله غيرك.

ثمّ قال: بل نخالف و نسير في الساعة الّتي نهيتنا.

ثمّ أقبل على الناس فقال: أيّها الناس! إيّاكم و التعلّم للنجوم إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر، إنّما المنجّم كالكاهن، و الكاهن كالكافر، والكافر في النار. أما واللّه إن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأخلّدنّك السجن أبداً مابقيت، ولأحرمنّك العطاء ماكان لي سلطان.

ثمّ سار في الساعة الّتي نهاه عنه المنجّم فظفر بأهل النهر، وظهر عليهم ثمّ قال: لوسرنا في الساعة الّتي أمرنا بها المنجّم لقال الناس: سارفي الساعة الّتي أمربها المنجّم و ظفر وظهر. أما إنّه ما كان لمحمّد -صلّى اللّه عليه و آله- منجّم ولالنا من بعده حتّى فتح اللّه علينا بلاد كسرى و قيصر. أيّها الناس! توكّلوا على اللّه و ثقوابه، فإنّه يكفي ممّن سواه.[٢٦٦]

وأقول: قال السيّد الجليل عليّ بن طاووس -رحمه اللّه- في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلاً من النهج: إنّني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمّد بن بابويه -رحمه اللّه- حديث المنجّم الّذي عرض لمولانا عليّ - عليه السلام - عند مسيره إلى النهروان مسنداً عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن نصر بن مزاحم المقري، عن عمر ابن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبداللّه بن عوف بن الأحمر، قال: «لمّا أراد أميرالمؤمنين -عليه السلام- المسير إلى النهروان أتاه منجّم ...» ثمّ ذكر حديثه.

فأقول: إنّ في هذا الحديث عدّة رجال لايعمل علماء أهل البيت- عليهم السلام- على روايتهم، ويمنع من يجوّز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و

٢٦٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٠، ط بيروت.

شهادتهم، وفيهم عمر بن سعد ابن أبي وقّاص مقاتل الحسين– عليه السلام–، فإنّ أخباره ورواياته مهجورة ولايلتفت عارف بحاله إلى مايرو يه أو يسندإليه؛ ثمّ طعن في الرواية بأنّها لوكانت صحيحة لكان –عليه السلام– قدحكم في هذا على صاحبه الّذي قد شهد مصنّف نهج البلاغة أنّه من أصحابه أيضاً بأحكام الكفّار، إمّا بكونه مرتدّاً عن الفطرة فيقتله في الحال، أو بردّة عن غير الفطرة فيتوبه، أويمتنع من التوبة فيقتل لأنّ الرواية قد تضمّنت أنّ المنجّم كالكافر. أوكان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأنّ الرواية تضمّنت أنّه كالكاهن و الساحر.

وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفّار ولاالسحرة ولا الكهنة ولا أبعده ولا عزّره، بل قال: سيروا على اسم اللّه. والمنجّم من جملتهم لأنّه صاحبه، و هذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل.

ثمّ قال: و ممّا نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الرواي فيها «إنّ من صدّقك فقد كذّب القرآن و استغنى عن الاستعانة باللّه» و نعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش و كثير من النحوس و يبشّرون بالسلامة، ما ألزم من ذلك أن يولّيهم الحمد دون ربّهم.

ثمّ إنّا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوّذ من أهل الكهانة و السحرة، فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدعية التعوّذمنه، وما عرفنا في الأدعية التعوّذ من النجوم و المنجّم إلى وقتنا هذا؛ ومن التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبيّ –صلّى اللّه عليه و آله– أنه لم يكن كاهناً ولاساحراً، وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم، فلو كان المنجّم كالكاهن و الساحرما كان يبعد أن يتضمّنه بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات. [انتهى].

وأقول: أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة و العامّة ولذا أورده السيّد في النهج، إذ دأبه فيه أن يروي ماكان مقبول الطرفين؛ وضعف سند الرواية الّتي أورده الصدوق –رحمه اللّه– لايدلّ على ضعف سائر الأسانيد، وعمر بن

سعد الّذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الّذي كان محارب الحسين — عليه السلام — كما يظهر من كتابه كتاب الصفّين الّذي عندنا فإنّ أكثر ماروواه فيه رواه عن هذا الرجل، وفي كثير من المواضع «عمرو» مكان «عمر» ولم يكن الملعون من جملة رواة الحديث وحملة الأخبار، حتّى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة؛ و أيضاً رواية نصر عنه بعيدة جدّاً، فإنّ نصراً كان من أصحاب الباقر —عليه السلام— والمعلون لم يبق بعد شهادة الحسين— عليه السلام— إلّا قليلاً، والشواهد على كونه غيره كثيرة لاتخفى على المتدرّب في الأخبار العارف بأحوال الرجال، وهذا من السيّد— رحمه الله— غريب.

وأمّا قوله «أنه —عليه السلام— لم يحكم بكفر المنجّم فيردعليه» أنّ الظاهر من التشبيه بالكافر أنه ليس بكافر، وإنّما يدلّ على اشتراكه معه في بعض الصفات لافي جميع الأحكام حتّى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة، على أنّه —عليه السلام— لم يشبّهه بالكافر بل بالمشبّه بالكافر. وأمّا قوله «ولاأبعده و لاعزّره» ففيه أنّه قدظهر ممّا رواه ابن أبي الحديد الإبعاد بالحبس المؤبّد و التحريم من العطاء، ولم يعلم أنّه أصرّ المنجّم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتّى يستحقّ تعزيراً أونكالاً، وعدم اشتمال رواية السيّد على هذه الزيادة لايدلّ على عدمها، فإنّ عادة السيّد الاقتصار على ما اختاره من كلامه —عليه السلام— بزعمه لااستيفاء النقل و الرواية، مع أنّ عدم النقل في مثل هذا لايدلّ على العدم؛ وكونه من أصحابه وبينهم لايدلّ على كونه مرضيّاً، فإنّ جيشه —عليه السلام— كان مشتملاً على كثير من الخوارج و المنافقين كالأشعث أخي هذا المنجّم على ماذكره السيّد وغيره أنه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين و مثيرأكثر الفتن وأمّا قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بيّن، فإنّ مايهدي إليه الطلائع و نحوهم ليست أموراً يترتّب عليها صرف السوء ونيل المحبوب حتماً، بل يتوقّف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع، وكلّ ذلك لايتيسّر الظفربها إلّا بفضل مسبّب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر يترتّب حتماً على الخروج في الساعة الّتي اختاره و أمّا عدم التعوّذ من النجوم والمنجّم فلأنّ المنجّم إنّما يعود

ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنّه يترتّب منهما ضرر كثير على الناس، مع أنّ الدعاء الّذي رواه السيّد في كتاب الاستخارات – وأوردناه في هذا الباب– يتضمّن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم وطلب الاختيارات منها و أمّا عدم وصف النبيّ –صلّى الله عليه وآله– بأنّه لم يكن منجماً لأنّ الكفّار إنّما كانوا يصفونه –صلّى الله عليه و آله– بالسحر و الكهانة والشعر، فورد براءته عنها ردّاً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم، مع أنّه كان عالماً بالحقّ من علم النجوم وكان من فضائله.[٢٦٧]

٨٠ – ومن خطبة له عليه السلام

بعد فراغه من حرب الجمل ، في ذم النساء ببيان نقصهن

مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَىٰ ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ . فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَىٰ حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّىٰ لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ .

توضيح: الغرض ذمّ عايشة وتوبيخ من تبعها وإرشاد النّاس إلى ترك طاعة النساء. و«نقصان الايمان بالقعود عن الصلاة والصيام» لعلّه مبنيّ على أنّ الأعمال أجزاء الإيمان وقعودهنّ وإن كان بأمرالله –تعالى– إلّا أنّ سقوط التكليف لنوع من النقص فيهنّ، وكذا الحال في الشهادة والميراث. و«ترك طاعتهنّ في المعروف» إمّا

٢٦٧– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٨، كتاب السماء والعالم، ص ٢٥٨ – ٢٦٨.

بالعدول إلى فرد آخرمنه، أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهنّ بل لكونه معروفاً، أوترك بعض المستحبّات فيكون الترك حينئذٍ مستحباً كماورد تركها في بعض الأحوال كحال الملال.[٢٦٨]

٨١ — ومن كلام له عليه السلام

في الزهد

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ ٱلْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَالتَّوَرُّعُ(٧٠٠) عِنْدَ ٱلْمَحَارِمِ ، فَإِنْ عَزَبَ(٧٠١) ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ، وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَدْ أَعْذَرَ(٧٠٢) ٱللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ(٧٠٣) ظَاهِرَةٍ ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ(٧٠٤) وَاضِحَةٍ .

٨٢ — ومن كلام له عليه السلام

في ذم صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ(٧٠٥) ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ . مَنِ ٱسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنِ ٱفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاهَا(٧٠٦) فَاتَتْهُ ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ(٧٠٧) ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ .

٢٦٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٦، ط كمباني وص ٤١٤، ط تبريز.

قال الشريف: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ» وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن إليه قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ» فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و«أبصر إليها» واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً! صلوات الله وسلامه عليه.

٨٣ — ومن خطبة له عليه السلام

وهي الخطبة العجيبة وتسمى «الغراء»

وفيها نعوت الله جل شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الاعراض، ثم فضله عليه السلام في التذكير

صفته جل شأنه

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ(٧٠٨)، وَدَنَا بِطَوْلِهِ(٧٠٩)، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ(٧١٠). أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ(٧١١)، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً(٧١٢)، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ(٧١٣) وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ(٧١٤).

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ(٧١٥)، وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ(٧١٦)، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ(٧١٧)، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ(٧١٨)، وَأَحَاطَ

بِكُمُ الْإِحْصَاءَ[٧١٩]، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ[٧٢٠]، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ[٧٢١] الرَّوَافِغِ[٧٢٢]، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ[٧٢٣]، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً[٧٢٤]، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ[٧٢٥]، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

التنفير من الدنيا

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ[٧٢٦] مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ[٧٢٧] مَشْرَعُهَا، يُونِقُ[٧٢٨] مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ[٧٢٩] مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ[٧٣٠]، وَضَوْءٌ آفِلٌ[٧٣١]، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ[٧٣٢]، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا[٧٣٣]، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا[٧٣٤]، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا[٧٣٥]، وَأَقْصَدَتْ[٧٣٦] بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ[٧٣٧] الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ[٧٣٨] قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ[٧٣٩]، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ[٧٤٠] وَثَوَابِ الْعَمَلِ[٧٤١]، وَكَذٰلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ[٧٤٢]، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً[٧٤٣]، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ[٧٤٤] اجْتِرَاماً[٧٤٥]، يَحْتَذُونَ مِثَالاً[٧٤٦]، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً[٧٤٧]، إِلَى غَايَةِ الْانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ[٧٤٨].

بعد الموت البعث

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ[٧٤٩]، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ[٧٥٠] الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ[٧٥١]

السِّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ ٱلْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَىٰ أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ(٧٥٢) إِلَىٰ مَعَادِهِ ، رَعِيلاً صُمُوتاً(٧٥٣) ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يَنْفُذُهُمُ ٱلْبَصَرُ(٧٥٤) ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلاسْتِكَانَةِ(٧٥٥) ، وَضَرَعُ(٧٥٦) ٱلاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ. قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلأَمَلُ ، وَهَوَتِ ٱلأَفْئِدَةُ(٧٥٧) كَاظِمَةً(٧٥٨) ، وَخَشَعَتِ ٱلأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً(٧٥٩) ، وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ(٧٦٠) ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ(٧٦١) ، وَأُرْعِدَتِ(٧٦٢) ٱلأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي(٧٦٣) إِلَىٰ فَصْلِ ٱلْخِطَابِ(٧٦٤) ، وَمُقَايَضَةِ(٧٦٥) ٱلْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ(٧٦٦) ٱلْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ .

تنبيه الخلق

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَاراً(٧٦٧) ، وَمَقْبُوضُونَ ٱحْتِضَاراً(٧٦٨) ، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً(٧٦٩) ، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً(٧٧٠) ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً(٧٧١) ، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً(٧٧٢) . قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُدُوا سَبِيلَ ٱلْمَنْهَجِ(٧٧٣) ؛ وَعُمِّرُوا مَهَلَ ٱلْمُسْتَعْتِبِ(٧٧٤) ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ(٧٧٥) ، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ ٱلْجِيَادِ(٧٧٦) ، وَرَوِيَّةِ ٱلارْتِيَادِ(٧٧٧) ، وَأَنَاةِ ٱلْمُقْتَبِسِ ٱلْمُرْتَادِ(٧٧٨) ، فِي مُدَّةِ ٱلأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ ٱلْمَهَلِ(٧٧٩) .

فضل التذكير

فَيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً(٧٨٠) ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً ، وَآرَاءً عَازِمَةً ، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً ! فَاتَّقُوا ٱللهَ

تَقِيَّةَ مَنْ سَمِـعَ فَخَشَعَ ، وَٱقْتَرَفَ[٧٨١] فَاعْتَرَفَ ، وَوَجِلَ[٧٨٢] فَعَمِلَ ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ[٧٨٣] ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ[٧٨٤] ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ ، وَزُجِرَ فَٱزْدَجَرَ[٧٨٥] ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ[٧٨٦] ، وَرَاجَعَ فَتَابَ ، وَٱقْتَـدَى فَاحْتَذَى[٧٨٧] ، وَأُرِيَ فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِباً ، وَنَجَا هَارِباً ، فَأَفَـادَ ذَخِيرَةً[٧٨٨] ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَاداً ، وَٱسْتَظْهَرَ زَاداً[٧٨٩] ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ[٧٩٠] ، وَحَالِ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ ، وَٱحْذَرُوا مِنْـهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَٱسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ[٧٩١] لِصِدْقِ مِيعَادِهِ ، وَٱلْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

التذكير بضروب النعم

ومنها : جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا[٧٩٢] ، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ[٧٩٣] عَنْ عَشَاهَا[٧٩٤] ، وَأَشْلاَءً[٧٩٥] جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا ، مُلاَئِمَةً لِأَحْنَائِهَا[٧٩٦] ، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا ، وَمُدَدِ عُمُرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[٧٩٧] ، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ[٧٩٨] لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلِّلاَتِ[٧٩٩] نِعَمِهِ ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ ، وَحَوَاجِزِ[٨٠٠] عَافِيَتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ ٱلْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ[٨٠١] ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ[٨٠٢] . أَرْهَقَتْهُمُ ٱلْمَنَايَا[٨٠٣] دُونَ ٱلْآمَالِ ، وَشَذَّ بِهِمْ عَنْهَا[٨٠٤] تَخَرُّمُ[٨٠٥] ٱلْآجَالِ . لَمْ يَمْهَدُوا[٨٠٦] فِي سَلاَمَةِ ٱلْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي

أُنُفِ[٨٠٧] ٱلْأَوَانِ . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ[٨٠٨] الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ ٱلْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ[٨٠٩] الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ ٱلْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ ٱلْفَنَاءِ ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ[٨١٠] ، وَأُزُوفِ[٨١١] ٱلانْتِقَالِ ، وَعَلَزِ[٨١٢] ٱلْقَلَقِ ، وَأَلَمِ ٱلْمَضَضِ[٨١٣] ، وَغُصَصِ ٱلْجَرَضِ[٨١٤] ، وَتَلَفُّتِ ٱلاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ وَٱلْأَقْرِبَاءِ ، وَٱلْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ ! فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ[٨١٥] ، وَقَدْ غُودِرَ[٨١٦] فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً[٨١٧] ، وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً ، قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ[٨١٨] جِلْدَتَهُ ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ[٨١٩] جِدَّتَهُ ، وَعَفَتِ[٨٢٠] ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا ٱلْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ[٨٢١] ، وَصَارَتِ ٱلْأَجْسَادُ شَحِبَةً[٨٢٢] بَعْدَ بَضَّتِهَا[٨٢٣] ، وَٱلْعِظَامُ نَخِرَةً[٨٢٤] بَعْدَ قُوَّتِهَا ، وَٱلْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا[٨٢٥] ، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ[٨٢٦] مِنْ سَيِّىءِ زَلَلِهَا[٨٢٧] ! أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلْأَقْرِبَاءَ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ[٨٢٨] ، وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ[٨٢٩] ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ ٱلْمَعْنِيَّ سِوَاهَا[٨٣٠] ، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

التحذير من هول الصراط

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ[٨٣١] عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ[٨٣٢] ، وَأَهَاوِيلِ

زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ(٨٣٣) ؛ فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ(٨٣٤) ٱلْخَوْفُ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ(٨٣٥) نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ(٨٣٦) يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ(٨٣٧) الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَوْجَفَ(٨٣٨) الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ ٱلْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ(٨٣٩) ٱلْمَخَالِجَ(٨٤٠) عَنْ وَضَحِ(٨٤١) السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ ٱلمَسَالِكِ(٨٤٢) إِلَى النَّهْجِ ٱلْمَطْلُوبِ ؛ وَلَمْ تَفْتِلْهُ(٨٤٣) فَاتِلَاتُ ٱلْغُرُورِ ، وَلَمْ تَعْمَ(٨٤٤) عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ ٱلْأُمُورِ ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ النُّعْمَى(٨٤٥) ، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنِ يَوْمِهِ . وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ(٨٤٦) حَمِيداً ، وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيداً ، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ(٨٤٧) ، وَأَكْمَشَ(٨٤٨) فِي مَهَلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ(٨٤٩) . فَكَفَى بِٱلْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً! وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً ! وَكَفَى بِٱلْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً(٨٥٠) !

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَٱحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً ، وَنَفَثَ فِي ٱلآذَانِ نَجِيّاً(٨٥١) ، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ فَمَنَّى(٨٥٢) ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ ٱلْجَرَائِمِ ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ ٱلْعَظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا ٱسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ(٨٥٣) ، وَٱسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ(٨٥٤) ،

أَنْكَرَ مَا رَيَّنَ (٨٥٥) ، وَٱسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

ومنها في صفة خلق الانسان

أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَشُغُفِ ٱلْأَسْتَارِ (٨٥٦) ، نُطْفَةً دِهَاقاً (٨٥٧) ، وَعَلَقَةً مِحَاقاً (٨٥٨) ، وَجَنِيناً (٨٥٩) وَرَاضِعاً ، وَوَلِيداً وَيَافِعاً (٨٦٠) ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً ، وَلِساناً لَافِظاً ، وَبَصَراً لَاحِظاً ، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً ، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً ؛ حَتَّىٰ إِذَا قَامَ ٱعْتِدَالُهُ ، وَٱسْتَوَىٰ مِثَالُهُ (٨٦١) ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً ، وَخَبَطَ سَادِراً (٨٦٢) ، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ (٨٦٣) ، كَادِحاً (٨٦٤) سَعْياً لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ (٨٦٥) أَرَبِهِ ؛ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً (٨٦٦) ، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً (٨٦٧) ؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً (٨٦٨) ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ (٨٦٩) يَسِيراً ، لَمْ يُفِدْ (٨٧٠) عِوَضاً ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً. دَهِمَتْهُ (٨٧١) فَجَعَاتُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ (٨٧٢) ، وَسَنَنِ (٨٧٣) مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِراً (٨٧٤) ، وَبَاتَ سَاهِراً ، فِي غَمَرَاتِ ٱلْآلَامِ ، وَطَوَارِقِ ٱلْأَوْجَاعِ وَٱلْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِٱلْوَيْلِ جَزَعاً ، وَلَادِمَةٍ (٨٧٥) لِلصَّدْرِ قَلَقاً ؛ وَٱلْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ ، وَغَمْرَةٍ (٨٧٦) كَارِثَةٍ ، وَأَنَّةٍ (٨٧٧) مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ (٨٧٨) ، وَسَوْقَةٍ (٨٧٩) مُتْعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً (٨٨٠) ، وَجُذِبَ مُنْقَاداً

سَلِساً(٨٨١)، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ(٨٨٢)، وَنِضْوَ(٨٨٣) سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ(٨٨٤) الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ(٨٨٥) الإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ(٨٨٦)، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ؛ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ(٨٨٧) السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ(٨٨٨) الامْتِحَانِ. وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ(٨٨٩)، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ(٨٩٠)، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ(٨٩١)، لَا فَتْرَةٌ(٨٩٢) مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ(٨٩٣) مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ(٨٩٤) وَلَا سِنَةٌ(٨٩٥) مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ(٨٩٦)، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ!

عِبَادَ اللهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا(٨٩٧)، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً! احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ(٨٩٨)، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

أُولِي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ(٨٩٩) أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ(٩٠٠)! أَمْ لَا؟ «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(٩٠١)!» أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ

مِنَ ٱلْأَرْضِ ، ذَاتَ الطُولِ وَٱلْعَرْضِ ، قِيدُ قَدِّهِ[٩٠٢] ، مُتَعَفِّراً[٩٠٣] عَلَى خَدِّهِ ! ٱلْآنَ عِبَادَ ٱللهِ وَٱلْخِنَاقُ[٩٠٤] مُهْمَلٌ ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فَيْنَةِ[٩٠٥] ٱلْإِرْشَادِ ، وَرَاحَةِ ٱلْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ[٩٠٦] ، وَمَهَلِ ٱلْبَقِيَّةِ ، وَأُنُفِ ٱلْمَشِيَّةِ[٩٠٧] ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَٱنْفِسَاحِ ٱلْحَوْبَةِ[٩٠٨] ، قَبْلَ الضَّنْكِ[٩٠٩] وَٱلْمَضِيقِ ، وَالرَّوْعِ[٩١٠] وَالزُّهُوقِ[٩١١] ، وَقَبْلَ قُدُومِ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُنْتَظَرِ[٩١٢] وَإِخْذَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ .

قال الشريف: وفي الخبر: أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب . ومن الناس من يسمي هذه الخطبة : « الغراء » .

بيان: «تصرّمت» تقطعت. و«أزف» دنى وقرب. و«الأوجرة» جمع «وجار» وهوبيت السبع. و«الإهطاع» الإسراع في العدو. و«أهطع» إذا مدّعنقه وصوّب رأسه. «رعيلاً» قال ابن الأثير: أي ركاباً على الخيل. انتهى. و أصل الرعيل القطيع من الخيل، ولعلّ الأظهر تشبيههم في اجتماعهم و صموتهم بقطيع الخيل.

وقال ابن الأثير: في حديث ابن مسعود: «إنكم مجموعون في صعيد واحد ينفذكم البصر». يقال: «نفذني بصره» إذا بلغني وجاوزني، وقيل: المراد به ينفذهم بصرالرحمن حتّى يأتي عليهم كلّهم، وقيل: أراد: ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد؛ قال أبوحاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وإنّما هوبالمهملة، أي يبلغ أوّلهم وآخرهم حتّى يراهم كلّهم و يستوعبهم من «نفدالشيء وأنفدته». وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن، لأنّ الله يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبدالواحد على انفراده و يرون مايصير إليه.

و«اللّبوس» بالفتح، مايلبس. و« الضرع » بالتحريك، مايصيرسبباً لضراعتهم وخضوعهم.

قوله —عليه السلام— و«هوت الأفئدة كاظمة» مقتبس من آيتين: قوله

—تعالى—: «وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ»[۲٦۹] و قوله —تعالى—: «إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ»[۲۷۰]

و قال الجزريّ: «الهينمة» الكلام الخفيّ الّذي لايفهم، وقال: فيه: «يبلغ العرق منهم مايلجمهم» أي يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام، يمنعهم عن الكلام، يعني في المحشر يوم القيامة. و«الشفق» الخوف. و يقال: «زبره زبراً وزبرة» أي انتهره. و يقال: «قايضه مقايضة في البيع» إذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة منه.[۲۷۱]

توضيح: «وعاه يعيه» حفظه و جمعه. و «عناه الأمر يعنيه و يعنوه» أهمّه. و «العشا» بالفتح والقصر، سوء البصر بالليل والنهار، أو بالليل، أوالعمى. و «تجلو» بمعنى تكشف، قيل: أقيم المجلوّ مقام المجلوّ عنه، والتقدير: لتجلو عن قواها عشاها، و قيل: كلمة «عن» زائدة أو بمعنى «بعد» والمفعول محذوف، والتقدير: لتجلو الأذى بعد عشاها، وهو بعيد؛ والمراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به، أوعن بصر القلب بأن يفرق بين الضارّ والنافع. و «الأشلاء» جمع «شلو» بالكسر، و هوالعضو و فسرّه في القاموس بالجسد أيضاً و جمعها للأعضاء على الثاني واضح، و على الأوّل يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل.

و أقول: يمكن ان يكون المراد بالأعضاء أجزاء الأعضاء. و «الملاءمة» الموافقة. و «الأحناء» جمع «حنو» بالكسر، و هو الجانب، و في النهاية: «لأحنائها» أي معاطفها و الغرض الإشارة إلى الحكم والمصالح المرعيّة في تركيب الأعضاء و ترتيبها و جعل كلّ منها في موضع يليق بها كما بيّن بعضها في علم التشريح و كتب منافع الأعضاء، والظرف متعلّق بالملاءمة، و قيل: كأنّه قال: مركّبة و مصوّرة، فأتى بلفظة «في» كما تقول: «ركب في سلاحه أو بسلاحه» أي متسلّحاً. و «الأرفاق» جمع «رفق»

۲٦۹– ابراهيم: ٤۳.
۲۷۰– الغافر: ۱۸.
۲۷۱– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۷، كتاب العدل والمعاد، ص ۱۱۲.

بالكسر، وهو المنفعة؛ و في القاموس: هوما استعين به، و الأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء و سائر ما يستعين به الإنسان، والباء للاستعانة أو السببيّة بخلاف الأوّل، و روي «بأرماقها» و «الرمق» بقيّة الروح. و «الرود» الطلب. «في مجلّلات نعمه» بصيغة الفاعل، أي النعم الّتي تجلّل الناس، أي تغطيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب. و قيل: أي الّتي تجلّل الناس و تعمّهم من قولهم «سحاب مجلّل» أي يطبق الأرض، والظرف متعلّق بمحذوف والموضع نصب على الحال. والمراد بـ «موجبات المنن» على صيغة الفاعل، النعم الّتي توجب الشكر، و يروى على صيغة المفعول، أي النعم الّتي أوجبها اللّه على نفسه لكونه الجواد المطلق، و قيل: أي ماسقط من نعمه و أُفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط.

و «حواجز العافية» ما يدفع المضارّ، و يروى «حواجز بليّته» أي ما يمنعها. والامتنان بستر الأعمار لكون الاطّلاع عليها و اشتغال الخاطر بخوف الموت ممّا يبطل نظام الدنيا، والغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حدّه و انتهائه. و «خلف العبر» إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنّها خليفة لهم.

«أم هذا الّذي...» قيل: «أم» ههنا إمّا استفهاميّة على حقيقتها كأنّه قال: أعظكم و أُذكّركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته؛ و إمّا أن تكون منقطعة بمعنى «بل» كأنّه قال عادلاً و تاركاً لما وعظهم به: بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الّذي حاله كذا. و «الشغف» بضمّتين، جمع «شغاف» بالفتح، وهو في الأصل غلاف القلب و حجابه، استعير هنا لوضع الولد. و «الدهاق» بكسر الدال، الّذي أدهق، أي أفرغ إفراغاً [شديداً]، و قيل: «الدهاق» المملوءة من قولهم «دهق الكأس» ــ كجعله ــ ملأها؛ و يروى «دفاقاً» من «دفقت الماء» أي صببته. و «المحق» المحو والإبطال والنقص، وسمّيت ثلاث ليال من آخر الشهر محاقاً لأنّ القمر يقرب من الشمس فتمحقه، واستعير للعلقة لأنّها لم تتصوّر [بعد] فأشبهت ما أُبطلت صورته، و في الأوصاف تحقير للإنسان كما أُوميُ إليه بالإشارة. و «الراضع» الطفل يرضع أمّه ــ كيسمع ــ أي يتمصّ ثديها، والأمّ مرضعة. و «الوليد» المولود و

كأنّ المراد به الفطيم. و «اليافع» الغلام الّذي شارف الاحتلام ولمّا يحتلم، يقال: أيفع الغلام فهو يافع، وهو من النوادر.

قال في «سرّ الأدب» في ترتيب أحوال الإنسان: هو مادام في الرحم جنين، فإذا ولد فوليد، ثمّ مادام يرضع فرضيع، ثمّ إذا قطع منه اللبن فهو فطيم، ثمّ إذا دبّ ونمى فهو دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسيّ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متّغر، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع و ناشئ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع و مراهق، فإذا احتلم و اجتمعت قوّته فهو حزور، واسمه في جميع هذه الأحوال غلام، فإذا اخضرّ شاربه قيل: قد بقل وجهه، فإذا صار ذافتاء فهوفتى و شارخ، فإذا اجتمعت لحيته و بلغ غاية شبابه فهو مجتمع، ثمّ مادام بين الثلاثين والأربعين فهو شابّ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستّين، و قيل: إذا جاوز أربعاً و ثلاثين إلى إحدى و خمسين، فإذا جاوزها فهو شيخ.

«ثمّ منحه» أي أعطاه. و «اللافظ» الناطق، و يقال: «لحظ» إذا نظر بمؤخّر عينيه و كأنّ المراد هنا مطلق النظر. و «يقصر» على بناء الإفعال، أي ينتهي. والمعنى: أعطاه القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين و ما نزل بساحة العاصين، و ينتهي عمّا يفضيه إلى أليم النكال و شديد الوبال، أو ليفهم دلائل الصنع والقدرة، و يستدلّ بشواهد الربوبيّة على وجوب الطاعة والانتهاء عن المعصية، فينزجر عن الخلاف والعصيان و يتخلّص عن الخيبة والخسران. و «الاعتدال» التناسب والاستقامة والتوسّط بين الحالين في كمّ أوكيف، و «قيام الاعتدال» تمام الخلقة والصورة و تناسب الأعضاء و خلوّها عن النقص والزيادة، و كمال القوى المحتاج إليها في تحصيل المآرب. و «استوى» أي اعتدل، و «المثال» بالكسر، المقدار وصفة الشيء، و يقال: «استوى الرجل» إذا بلغ أشدّه، أي قوّته، و هوما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين. و «نفرت الدابّة» ــ كضرب ــ أي فرّ وذهب.[٢٧٢]

بيان: «بهته» أخذه بغتة، و «بهت» أي دهش و تحيّر. و «فورة الحرّ»

٢٧٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٣٤٩ ــ ٣٥٢.

شدّته.[٢٧٣]

٨٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ(٩١٣)! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٩١٤)، وَأَنّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ(٩١٥): أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٩١٦)! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٩١٧)، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ(٩١٨)، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ(٩١٩). أَمَا وَاللهِ إِنّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً(٩٢٠)، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(٩٢١).

بيان: «نبغ الشيء» ظهر. قال بعض الشارحين: سمّيت أمّ عمرو النابغة لشهرتها بالفجور و تظاهرها به.[٢٧٤] و سيأتي وصف نسبه ـ لعنه الله ـ. و «زعم» ـ كنصر ـ «زعماً» مثلّثة، أي قال حقاً أو باطلاً، وأكثرما يستعمل في الباطل و ما يشكّ فيه. و «الدُّعابة» بالضمّ، المزاح، والمراد هنا الدُّعابة الخارجة عن الاعتدال. و روي

٢٧٣ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٤٣.
٢٧٤ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢٧٠، ط بيروت.

أنّه كان يقول لأهل الشام: إنّما أخّرنا عليّاً ـ عليه السلام ـ لأنّ فيه هزلاً لاجدّ معه؛ وتبع في ذلك أثر عمر...حيث قال يوم الشورى لمّا أراد صرف الأمر عنه ـ عليه السلام ـ: «أنت لله لولا أنّ فيك دعابة». و «رجل تلعابة» بالكسر، أي كثير اللعب. و «المعافسة والعفاس» بالكسر، الملاعبة. وفي بعض نسخ الاحتجاج: «أعارس» مكان «أعافس» و لعلّه من «أعرس الرجل» إذا دخل بامرأته عند بنائها، وقد يطلق على الجماع. و «الممارسة» المزاولة. قال في النهاية ويطلق على الملاعبة ومنه حديث عليّ ـ عليه السلام ـ: «زعم أنّي كنت أعافس و أمارس» أي أُلاعب النساء. و «ألحف» أي ألحّ. و «الإلّ» بالكسر، العهد والقرابة والحلف و الجار، ذكره الفيروزآباديّ، والمراد بقطع الإلّ هنا قطع الرحم أو تضييع الحليف و الجار. و «المآخذ» على لفظ الجمع و في بعض النسخ على المفرد. و كلمة «كان» الأولى تامّة والإشارة إلى أخذ السيوف مآخذها وهو التحام الحرب و مخالطة السيوف الرؤوس. و «أكبر» بالباء الموحّدة و هو أظهر ممّا في بعض النسخ من المثلّثة. و «المكيدة» المكر والحيلة. و «يمنح» ـ كيمنع ـ أي يعطي. و «السبّة» الإست، أي العجز أو حلقة الدبر، والمراد بإعطاء القوم[٢٧٥] سبّته ماذكره أرباب السير ويضرب به المثل من كشفه سوأته شاغراً برجليه لمّا لقيه أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في بعض أيّام صفّين وقد اختلطت الصفوف واشتعل نار الحرب، فحمل ـ عليه السلام ـ عليه فألقى نفسه عن فرسه رافعاً رجليه كاشفاً عورته فانصرف ـ عليه السلام ـ عنه لافتاً وجهه. وفي ذلك قال أبوفراس:

ولاخيرفي دفع الأذى بمذلّة　　　كماردّهايوماً بسوأته عمرو

و «الأتيّة» العطيّة. و «الرضخ» العطاء القليل. والمراد بالأتيّة والرضيخة ولاية مصر، و لعلّ التعبيرعنها بالرضيخة لقلّتها بالنسبة إلى ترك الدين.[٢٧٦]

٢٧٥- في النهج: القرم.

٢٧٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٧١، ط كمپاني وص ٥٢٦، ط تبريز.

٨٥ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها صفات ثمانٍ من صفات الجلال

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ ٱلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَىٰ صِفَةٍ ، وَلَا تُعْقَدُ(٩٢٢) ٱلْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَىٰ كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْقُلُوبُ .

ومنها : فَٱتَّعِظُوا عِبَادَ ٱللهِ بِٱلعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِٱلآيِ السَّوَاطِعِ(٩٢٣) ، وَٱزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ ٱلْبَوَالِغِ(٩٢٤) ، وَٱنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَٱلْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ ٱلْمَنِيَّةِ ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ ٱلْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ(٩٢٥) ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَىٰ ٱلْوِرْدِ ٱلْمَوْرُودِ(٩٢٦) ، فَـ« كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » : سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَىٰ مَحْشَرِهَا ؛ وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها في صفة الجنة

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا(٩٢٧) .

٨٦ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

عظة الناس

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ(٩٢٨) ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ(٩٢٩) ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ . فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى ، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ(٩٣٠) ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ «الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ» ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ(٩٣١) أَزْمَاناً ، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ ـ عَلَى لِسَانِهِ ـ مَحَابَّهُ(٩٣٢) مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ(٩٣٣) ، فَإِنَّهَا

قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا ٱلْغَفْلَةُ ، وَٱلتَّشَاغُلُ عَنِ ٱلْمَوْعِظَةِ ؛ وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ ٱلظَّلَمَةِ(٩٣٤) ، وَلَا تُدَاهِنُوا(٩٣٥) فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَىٰ ٱلْمَعْصِيَةِ . عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ؛ وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ؛ وَٱلْمَغْبُونُ(٩٣٦) مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ ، وَٱلْمَغْبُوطُ(٩٣٧) مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ ، « وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ » ، وَالشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ « يَسِيرَ الرِّيَاءِ(٩٣٨) شِرْكٌ ، » وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَىٰ مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ(٩٣٩) ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ(٩٤٠) . جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ عَلَىٰ شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَىٰ شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ . وَلَا تَحَاسَدُوا ، فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ « كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » ، « وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ(٩٤١) » ؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ . فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

٨٧ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطىء لبعض الناس

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ ، وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ(٩٤٢) ؛ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَىٰ(٩٤٣) فِي

قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى[٩٤٤] لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ ، فَقَرَّبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ . نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ ، وَٱرْتَوَىٰ مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهَلاً[٩٤٥] ، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً[٩٤٦] . قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّىٰ مِنَ ٱلْهُمُومِ ، إِلَّا هَمًّا وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ ٱلْعَمَىٰ ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ ٱلْهَوَىٰ ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَىٰ ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَىٰ . قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ[٩٤٧] ، وَٱسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَىٰ بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَىٰ أَصْلِهِ . مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ[٩٤٨] ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ[٩٤٩] ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ . قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَٱسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ ٱلْهَوَىٰ عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا[٩٥٠] ، وَلَا مَظِنَّةً[٩٥١] إِلَّا قَصَدَهَا ، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[٩٥٢] ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[٩٥٣] ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ .

صفات الفساق

وَآخرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ(٩٥٤) عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ؛ وَيَقُولُ : أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ؛ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ . وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ . وَذلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ !

عترة النبي

« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » ؟ « وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(٩٥٥) » ! وَالْأَعْلَامُ(٩٥٦) قَائِمَةٌ ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ(٩٥٧) مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ(٩٥٨) ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ(٩٥٩) وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ(٩٦٠) نَبِيِّكُمْ ! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ(٩٦١) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ،

وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ أَنَا ـ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ (٩٦٢) ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ ٱلْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَىٰ حُدُودِ ٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمُ ٱلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ (٩٦٣) ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ٱلْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ ٱلْفِكَرُ .

ظن خاطئ

ومنها : حَتَّىٰ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ (٩٦٤) ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا (٩٦٥) ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ (٩٦٦) مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً !

بيان: «فاستشعر الحزن» أي جعله شعاراً له. و «تجلبب الخوف» أي جعله جلباباً، و هو ثوب يشمل البدن. «فزهر» أي أضاء. و «القِرى» الضيافة. «فقرّب على نفسه البعيد» أي مثّل الموت بين عينيه. و «هوّن الشديد» أي الموت و رضي به و استعدّله، أوالمراد بالبعيد أمله الطويل، و بتقريبه تقصيره له بذكر الموت، و «هوّن الشديد» أي كلّف نفسه الرياضة على المشاقّ من الطاعات؛ و قيل: أريد بالبعيد رحمة الله، أي جعل نفسه مستعدّة لقبولها بالقربات و بالشديد عذاب الله فهوّنه بالأعمال الصالحة، أو شدائد الدنيا باستحقارها في جنب ما أعدّ له من الثواب.

«نظر» أي بعينه فاعتبر، أو بقلبه فأبصر الحقّ. «من عذب فرات» أي العلوم الحقّة و الكمالات الحقيقيّة؛ و قيل: من حبّ الله. «فشرب نهلاً» أي شرباً أوّلاً سابقاً

على أمثاله. «سبيلاً جدداً» أي لاغبارفيه و لاوعث. و «السربال» القميص. و «الردى» الهلاک. و «قطع غماره» أي ماكان مغموراً فيه من شدائد الدنيا. «من إصدار كلّ وارد عليه» أي هداية الناس. «وأنّى تؤفكون» أي تصرفون.[٢٧٧]

بيان: «تاه فلان» تحيّر. و«العمه» التردّد على وجه التحيّر. والواو في قوله «و بينكم» للحال. و«الأزمّة» جمع زمام و هو المقود، أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ماداروا. و«ألسنة الصدق» أي هم كاللسان للصدق لايتكلّم إلّا بهم أو هم المتكلّمون به ولا يظهر إلّا منهم. «فأنزلوهم» أي أنزلوا العترة في صدوركم وقلوبكم بالتعظيم و الانقياد لأوامرهم ونواهيهم والتمسّك بهم «بأحسن المنازل» الّتي تنزلون القرآن أو بأحسن المنازل الّتي يدلّ عليها القرآن. و«ردوهم» من الورودوهو الحضور عند الماء للشرب. و«الهيم» الإبل العطاش. قوله ـعليه السلام ـ «وأعذروا» قال ابن ميثم: طلب ـعليه السلام ـ منهم العذر فيما يصيبهم و يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته ـعليه السلام ـ. قوله ـعليه السلام ـ «فيما لايدرك» أي فيما ذكره لهم من خصائص العترة الطاهرة وفضلها، أي أمرنا صعب لايهتدى إليه العقول. و«التغلغل» الدخول.[٢٧٨]

بيان: «المنح» العطاء. و«الدرّ» في الأصل اللبن ثمّ استعمل في كلّ خير. و«مجّ الشراب» قذفه من فيه، كنّى ـعليه السلام ـ بكونها مطعومة لهم عن تلذّذهم بها مدّة ملكهم و بكونها ملفوظة من فيهم عن زوالها عنهم. و«البرهة» مدّة من الزمان لها طول. «ثمّ يلفظونها» أي يرمونها.[٢٧٩]

٨٨ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان للاسباب التي تهلك الناس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ (٩٦٧)* جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ

٢٧٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٥٧.

٢٧٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٢، ط كمپاني وص ٦٦٠، ط تبريز.

٢٧٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كمپاني وص ٣١١، ط تبريز.

وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ[٩٦٨] عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ[٩٦٩] وَبَلَاءٍ ؛ وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ[٩٧٠] وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ ! وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ . فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَىٰ ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعِفُّونَ[٩٧١] عَنْ عَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ . ٱلْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا ، وَٱلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا ، مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلَاتِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُهِمَّاتِ عَلَىٰ آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَىٰ بِعُرًى ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

بيان: «القصم» الكسر. و«التمهيل» التأخير وكذلك الإرخاء. و«الرخاء» سعة العيش. و«الجبر» إصلاح الكسر، كناية عن دفع الجبّارين و الظّالمين. و«الأزْل» بالفتح، الضيق والشدّة. و«في دون» أي أقلّ من ذلك. «ما استقبلتم من خطب» أي شأن وأمروداهية، وروي «من عتب» أي مشقّة؛ قيل: يعني مالاقوة في مستقبل زمانهم من الشيب وولاة السوء وتنكّر الوقت. و «مااستدبرتم من خطب» يعني ماتقدّم من الحروب و الوقائع الّتي قضوها. و يروى «من خصب» وهورخاء العيش، فيمكن أن يراد بالأُمور المستقبلة و المستدبرة جميعاً المواضي باعتبارين.

قوله —عليه السلام—: «لايعفّون» في بعض النسخ بالتشديد من العفّة، فالمراد بالعيب عيوب أنفسهم؛ وفي بعضها بالتخفيف، فالمراد عيوب غيرهم. «يعملون في الشبهات» في بمعنى الباء، أوفيه توسّع. قوله —عليه السلام—: «ما عرفوا» أي بعقولهم و

أهوائهم. «قد أخذ منها» الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهمات والمعضلات.[٢٨٠]

٨٩ — ومن خطبة له عليه السلام

في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الامام عنه

أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ[٩٧٢] مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ[٩٧٣] مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ[٩٧٤]، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَىٰ حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ[٩٧٥] مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَىٰ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَىٰ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ[٩٧٦] لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ[٩٧٧]، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ[٩٧٨]، وَشِعَارُهَا[٩٧٩] الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا[٩٨٠] السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللّٰهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ[٩٨١]، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ[٩٨٢] وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَاللّٰهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا الزَّمَانِ. وَوَاللّٰهِ

٢٨٠ – بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩١، ط كمپاني وص ٦٣٩، ط تبريز.

مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ(٩٨٣) وَحُرِمُوهُ ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا(٩٨٤)، رِخْواً بِطَانُهَا(٩٨٥) ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

بيان: «الفترة» انقطاع الوحي بين الرسل. و«الهجعة النوم. و«الاعتزام» العزم، كأنّ الفتنة مصمّمة للهرج والفساد؛ وفي بعض النسخ بالراء المهملة، أي كثرة وشدّة؛ و في الكافي: «واعتراض» من قولهم: «اعترض الفرس» إذا مشى على غير طريق. و«التلظّى» التلهب. و «الاغورار» ذهاب الماء، من «غارالماء» إذا ذهب، ومنه قوله ـ تعالى ـ: «إنْ أصْبحَ ماؤكُمْ غَوراً»[٢٨١]. و«الدروس» الامّحاء. و«التجهّم» العبوس. والمراد بالجيفة ما كانوا يكتسبونه بالمكاسب المحرّمة في الجاهليّة أوما كانوا يأكلون من الحيوانات الّتي أُرهقت روحها بغير التذكية. و في تشبيه الخوف بالشعار والسيف بالدثار وجوه من اللطف والبلاغة.[٢٨٢]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «الفترة بين الرسل» انقطاع الوحي و الرسالة. و«الهجعة» النومة من الليل أو من أوّله، والمراد نوم غفلة الأمم. و«الاعتزام» العزم، كأنّ الفتنة مصمّمة للفساد والهرج، والاعتزام أيضاً لزوم القصد في المشي، فالمعنى أنها مقتصدة في مشيها لاطمئنانها وأمنها. و يروى بالراء المهملة أي كثرة. و يروى «اعتراض» من «اعتراض الفرس في الطريق» إذا مشى عرضاً. و«التلظّى» التلهّب. و في إضافة الكسف إلى النور توسّع. و«غارالماء» ذهب، وكذا «اغوراره» ذهابه في الأرض. و«التجهّم» العبوس. و«طعامها الجيفة» أي الحرام لأنّهم كانوا يأخذونه بالنهب و الغارات، أوالميتة لأنّهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات. و لمّا كان الخوف باطناً شبّهه بالشعار، والسيف ظاهراً شبّهه بالدثار. و«تيك» إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة. و«الأحقاب» جمع

٢٨١- الملك: ٣٠.

٢٨٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢١٨.

«حُقُب» بضمّتين، وهوالدهر.

و«والله ما بصّرتم» لمابيّن —عليه السلام— أوّلاً أنه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل ولاالقابل فقطع عذر الحاضرين من هذه، وكان مظنّة أن يدّعي مدّعٍ منهم العلم بأمريقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آباؤهم، دفع —عليه السلام— ذلك التوهّم بهذا الكلام.

و«الصفى» ما يصفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة، ولعلّ المراد بالبليّة فتنة معاوية. وقوله —عليه السلام— «جائلاً خطامها» كناية عن خطرها وصعوبة حال من ركن إليها وركبها، أوعن كونها مالكة لأمرها فإنّ البعير إذا لم يكن له من يقوده يجول خطامه. و«الخطام» الزمام. و«البطان» الحزام التي تجعل تحت بطن البعير، ورخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها. وتشبيه الدنيا وزخارفها بالظلّ لعدم تأصّله في الوجود ولكونه زائلاً بسرعة. و«الأجل» مدّة العمر، ووصفها بالمعدود باعتبار أجزائه و كونه منتهى غاية المدّ على تقديم مضاف أي ممدود إلى انقضاء أجل معدود، ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر، و وصفه بالمعدود على المجاز.[٢٨٣]

٩٠ — ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَاَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٩٨٦)، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ(٩٨٧)، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ(٩٨٨)، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ(٩٨٩)، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ(٩٩٠)، وَلَا فَجٌّ ذُو اَعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ(٩٩١)، وَلَا خَلْقٌ ذُو اَعْتِمَادٍ(٩٩٢): ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ(٩٩٣) اَلْخَلْقِ وَوَارِثُهُ(٩٩٤)، وَإِلٰهُ

٢٨٣– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧٢٢، ط كمباني وص ٦٦٨، ط تبريز.

ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ(٩٩٥) فِي مَرْضَاتِهِ : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ .

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ(٩٩٦) ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَىٰ أَنْ تَتَنَاهَىٰ بِهِمُ ٱلْغَايَاتُ .

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ(٩٩٧) عَلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ(٩٩٨) ، وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ(٩٩٩) ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ(١٠٠٠) ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ . مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ(١٠٠١) ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ ٱللهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ ، وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ(١٠٠٢) ، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ(١٠٠٣) عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ .

بيان: «من غير رويّة» أي تفكّر، لأنّه يستلزم الجهل السابق وحدوث أمر فيه لم يكن و الاستكمال بعد النقص. «الّذي لم يزل قائماً» أي بذاته أو بأحوال الخلق، وقدمرّ مراراً. «دائماً» أي باقياً بذاته من غير علّة. «ذات أبراج» أي بروج أو كواكب نيّرة. و «الحجب» جمع الحجاب و المراد هنا ما سيأتي من الحجب النورانيّة الّتي تحت

العرش أوالسماوات عبّر عنها بلفظين. و«الارتاج» في بعض النسخ بكسر الهمزة مصدر «أرتج الباب» أي أغلقه، وفي بعضها بالفتح جمع «رتج» بالتحريك، أو «رتاج» بالكسر، والأوّل الباب العظيم، والثاني الباب المغلق أو الّذي عليه باب صغير. و«الداجي» المظلم. و«الساجي» الساكن. و«الفجاج» جمع «الفجّ» بالفتح و هو الطريق الواسع بين الجبلين. و «المهاد» بالكسر، الفراش. و«اعتمدت على الشيء» اتكأت عليه، وكلّ حيّ يعتمد على رجله في المشي وعلى غيرها، ويمكن أن يراد به القوّة والتصرّف. و«أبدعت الشيء وابتدعته» أي استخرجته و أحدثته، و«الابتداع» الخلق على غيرمثال. و«وارثه» أي الباقي بعد فنائهم والمالك لماملكوا ظاهراً، ولايخفى صراحته في حدوث العالم.[284]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «الرويّة» التفكّر؛ والقائم في صفاته ــتعالىــ بمعنى الدائم الثابت الّذي لايزول، أوالعالم بالخلق الضابط لأحوالهم أينما كانوا، أوقيامه توكيله الحفظة عليهم، أوحفظه للخلق وتدبيره لأُمورهم، أومجازاته بالأعمال، أوقهره لعباده واقتداره عليهم. و«الأبراج» قيل: هوجمع «البرج» بالضمّ، بمعنى الركن و أركانها أجزاؤها وتداويرها وخوارجها ومتمّماتها، أوالبرج بالمعنى المصطلح أي البروج الإثنى عشر، والأظهر عندي أنّه جمع «البرج» بالتحريك، أي الكواكب. قال الفيروز آباديّ: «البرج الجميل» الحسن الوجه، أوالمضيء البيّن المعلوم، والجمع أبراج.

قوله ــ عليه السلام ــ: «ذات ارتاج» إمّا بالكسر مصدر «أرتج» أي أغلق، أوبالفتح جمع «الرتاج» وهو الباب المغلق، وفيه: أنه قلّما يجمع فعال على أفعال. و روي: «ذات رتاج» على المفرد. و«الداجي» المظلم. و«الساجي» الساكن. و«الفجاج» بالكسر، جمع «فجّ» بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين. و«المهاد» الفراش، أي أرض مبسوطة ممكّنة للتعيّش عليها كالمهاد.

قوله ــ عليه السلام ــ: «ذواعتماد» أي ذوقوّة وبطش، أو يسعى برجلين

۲۸۴ـ بحارالأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۵۷، كتاب السماء والعالم، ص ۲۵.

فيعتمد عليها. و«دأب في عمله» أي جدّ وتعب، والشمس و القمرداثبان لتعاقبهما على حالة واحدة لايفتران ولايسكنان، وروي: «دائبين» بالنصب على الحال، و يكون خبراً لمبتدأ «يبليان».

قوله —عليه السلام—: «وأحصى آثارهم» أي آثار أقدامهم و وطئهم في الأرض، أوحركاتهم وتصرّفاتهم، أومايبقى بعدهم من سنّة حسنة أوسيّئة، كما فسّر به قوله —تعالى—: «وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ» [٢٨٥]. وروي: «عدد أنفاسهم» على الإضافة. و«خائنة الأعين» مايسارق من النظر إلى مالايحلّ، أوأن ينظر نظرة بريبة.

قوله —عليه السلام—: «من الأرحام» متعلّقه بمستقرّ هم و مستودعهم، بياناً لهما على اللفّ والنشر، ولمّا كان تحقّق الغرض وكمال الذات وحلول الروح في الرحم عبّر عنه بالمستقرّ وعن الظهر بالمستودع، و يكون الظرف أعني قوله «إلى أن تتناهى» متعلّقاً بالأفعال السابقة أي قسّم وأحصى وعدّد، ويكون تناهي الغاية بهم كناية عن موتهم؛ ويحتمل أن يكون المراد: مستقرّهم و مأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم في بطنها بعد الموت و يكون «من» بمعنى «مذ» أي مذ زمان كونهم في الأرحام والظهور إلى أن تناهي الغاية أي إلى أن يحشروا في القيامة وصاروا إلى النعيم أو إلى الجحيم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالمستقرّ والمستودع من استقرّ فيه الإيمان و من استودع الإيمان ثمّ يسلب كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، وتوجيه الظرفين بعد مامرّ غيرخفيّ.

قوله — عليه السلام — «في سعة رحمته» أي في حال سعة رحمته على أوليائه، واتّسعت رحمته لأوليائه في حال شدّة نقمته على أعدائه، فالمراد تنزيه —تعالى— عن صفة المخلوقين فإنّ رحمتهم لاتكون في حال غضبهم و بالعكس، أو اشتدّت نقمته على أعدائه في حال سعة رحمته عليهم فإنّ رحمته —تعالى— شاملة لهم في دنياهم وهم فيها يستعدّون للنقمة الشديدة، ولايخفى بعده. و«المعازّة» المغالبة. و«المدمّر» المهلك. و«المشاقّة» المعاداة والمنازعة.

قوله — عليه السلام — «وتنفّسوا قبل ضيق الخناق» استعار لفظ التنفّس

٢٨٥- يس: ١٢.

لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالأعمال الصالحة في الدنيا واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت، أي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذّره بزوال وقته.

قوله– عليه السلام– «قبل عنف السياق» أي السوق العنيف عند قبض الروح، أوفي القيامة إلى الحساب.

قوله – عليه السلام– «من لم يعن» على بناء المجهول، أي لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم يمنعه المنع و الزجرمن غيرها، أوعلى بناء المعلوم كما روي أيضاً أي من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه لم ينتفع بالوعظ والزجر لأنّ هوى نفسه يغلب وعظ كلّ واعظ.[٢٨٦]

٩١ – ومن خطبة له عليه السلام

تعرف بخطبة الأشباح[١٠٠٤]، وهي من جلائل خطبه عليه السلام

روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

وصف الله تعالى

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ اَلْمَنْعُ وَاَلْجُمُودُ[١٠٠٥]، وَلَا يُكْدِيهِ[١٠٠٦] الْإِعْطَاءُ وَاَلْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ؛ وَهُوَ اَلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ اَلْمَزِيدِ وَاَلْقِسَمِ؛ عِيَالُهُ

٢٨٦– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١١.

ٱلْخَلائِقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ . الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَٱلآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ ٱلأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ(١٠٠٧) ، مَا ٱخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ ٱلحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ ٱلانْتِقَالُ . وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ(١٠٠٨) عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلْجِبَالِ ، وَضَحِكَتْ(١٠٠٩) عَنْهُ أَصْدَافُ ٱلْبِحَارِ ، مِنْ فِلِزِّ ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ(١٠١٠) ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ(١٠١١) وَحَصِيدِ ٱلْمَرْجَانِ(١٠١٢) ، مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ(١٠١٣) مَطَالِبُ ٱلأَنَامِ ، لِأَنَّهُ ٱلْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ(١٠١٤) سُؤَالُ السَّائِلِينَ ، وَلَا يُبْخِلُهُ(١٠١٥) إِلْحَاحُ ٱلمُلِحِّينَ .

صفاته تعالى في القرآن

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ : فَمَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ(١٠١٦) وَٱسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ ٱلْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكِلْ(١٠١٧) عِلْمَهُ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ ٱللهِ عَلَيْكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي ٱلعِلْمِ هُمُ ٱلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ

السُّدَدِ(١٠١٨) ٱلْمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ ، فَمَدَحَ ٱللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ ٱعْتِرَافَهُمْ بِٱلْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ، وَسَمَّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ ٱلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً ، فَٱقْتَصِرْ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ . هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ الأَوْهَامُ(١٠١٩) لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ(١٠٢٠) قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمُبَرَّأُ(١٠٢١) مِنْ خَطَرَاتِ ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ(١٠٢٢) ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَضَتْ(١٠٢٣) مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ ، رَدَعَهَا(١٠٢٤) وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ(١٠٢٥) سُدَفِ(١٠٢٦) ٱلْغُيُوبِ ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ(١٠٢٧) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ ٱلاعْتِسَافِ(١٠٢٨) كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ(١٠٢٩) خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ . ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَ ٱلْخَلْقَ(١٠٣٠) عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ ٱمْتَثَلَهُ(١٠٣١) ، وَلَا مِقْدَارٍ ٱحْتَذَىٰ عَلَيْهِ(١٠٣٢) ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَٱعْتِرَافِ ٱلْحَاجَةِ مِنَ ٱلْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ(١٠٣٣) قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِٱضْطِرَارِ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ ، فَظَهَرَتِ ٱلْبَدَائِعُ ٱلَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ ، وَأَعْلَامُ

حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَدَلَالَتُهُ عَلَىٰ ٱلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ(١٠٣٤) ٱلْمُحْتَجِبَةِ(١٠٣٥) لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَىٰ مَعْرِفَتِكَ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ٱلْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : «تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ »! كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ(١٠٣٦) ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ(١٠٣٧) ٱلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ ٱلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ(١٠٣٨) عَلَىٰ ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَىٰ ، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي ٱلْعُقُولِ ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً(١٠٣٩) ، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً(١٠٤٠)

ومنها : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ ٱلْاِنْتِهَاءِ إِلَىٰ غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ(١٠٤١) إِذْ أُمِرَ بِٱلْمُضِيِّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ ، فَكَيْفَ

وَإِنَّمَا صَدَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ ٱلْمُنْشِىءُ أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ[١٠٤٢] أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا[١٠٤٣] مِنْ حَوَادِثِ ٱلدُّهُورِ ، وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَىٰ ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَىٰ دَعْوَتِهِ ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِىءِ[١٠٤٤] ، وَلَا أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّىءِ[١٠٤٥] ، فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[١٠٤٦] ، وَنَهَجَ[١٠٤٧] حُدُودَهَا ، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[١٠٤٨] ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ ، وَٱلْغَرَائِزِ[١٠٤٩] وَٱلْهَيْئَاتِ ، بَدَايَا[١٠٥٠] خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَىٰ مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا !

ومنها في صفة السماء

وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا[١٠٥١] ، وَلَاحَمَ صُدُوعَ ٱنْفِرَاجِهَا[١٠٥٢] ، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[١٠٥٣] ، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ[١٠٥٤] بِأَمْرِهِ ، وَٱلصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةَ[١٠٥٥] مِعْرَاجِهَا ، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَٱلْتَحَمَتْ عُرَىٰ أَشْرَاجِهَا[١٠٥٦] ، وَفَتَقَ بَعْدَ ٱلِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ[١٠٥٧] أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصَداً[١٠٥٨] مِنَ ٱلشُّهُبِ ٱلثَّوَاقِبِ[١٠٥٩] عَلَىٰ نِقَابِهَا[١٠٦٠] ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ[١٠٦١] فِي خَرْقِ ٱلْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[١٠٦٢] ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً[١٠٦٣] لِنَهَارِهَا ،

وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً(١٠٦٤) مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ(١٠٦٥) مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا(١٠٦٦) ، وَنَاطَ(١٠٦٧) بِهَا زِينَتَهَا ، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا(١٠٦٨) وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا ، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالِ(١٠٦٩) تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا .

ومنها في صفة الملائكة

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ(١٠٧٠) الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا(١٠٧١) ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ(١٠٧٢) الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ(١٠٧٣) الْقُدُسِ(١٠٨٤) ، وَسُتُرَاتِ(١٠٧٥) الْحُجُبِ ، وَسُرَادِقَاتِ(١٠٧٦) الْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ(١٠٧٧) الَّذِي تَسْتَكُّ(١٠٧٨) مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ(١٠٧٩) نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا ، فَتَقِفُ خَاسِئَةً(١٠٨٠) عَلَى حُدُودِهَا . وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، «أُولِي أَجْنِحَةٍ» تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ ،

«بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» جعلَهُمُ اللهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَىٰ الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ. وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ(١٠٨١) السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً(١٠٨٢) إِلَىٰ تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً(١٠٨٣) وَاضِحَةً عَلَىٰ أَعْلَامِ(١٠٨٤) تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ(١٠٨٥)، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ(١٠٨٦) عُقَبُ(١٠٨٧) اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا(١٠٨٨) عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَىٰ مَعَاقِدِ(١٠٨٩) يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ(١٠٩٠) فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ(١٠٩١) مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ(١٠٩٢) بِرَيْنِهَا(١٠٩٣) عَلَىٰ فِكْرِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ(١٠٩٤)، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتْرَةِ(١٠٩٥) الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ(١٠٩٦)، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ(١٠٩٧) الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ(١٠٩٨) تَحْبِسُهَا عَلَىٰ حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ(١٠٩٩) أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ

ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلىٰ ٱلْوَلَهِ(١١٠٠) إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلىٰ مَـا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِـٱلْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ(١١٠١) مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ(١١٠٢) قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ(١١٠٣) خِيفَتِهِ ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِدْ(١١٠٤) طُولُ الرَّغْبَـةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ(١١٠٥) خُشُوعِهِمْ ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُـمُ ٱسْتِكَانَةُ(١١٠٦) ٱلْإِجْـلَالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْـرِ ٱلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ(١١٠٧) ، وَلَمْ تَغِضْ(١١٠٨) رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ(١١٠٩) ٱلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِـعَ بِهَمْسِ ٱلْجُؤَارِ(١١١٠) إِلَيْـهِ أَصْوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ(١١١١) الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلىٰ رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو(١١١٢) عَلىٰ عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ ٱلْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِـمْ خَدَائِـعُ الشَّهَوَاتِ(١١١٣) . قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ(١١١٤) ، وَيَمَّمُوهُ(١١١٥) عِنْـدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلىٰ ٱلْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِـعُ بِهِمُ ٱلْاسْتِهْتَارُ(١١١٦) بِلُزُومِ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلىٰ مَوَادَّ(١١١٧) مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ(١١١٨)

مِنهُمْ ، فَبَنُوا(١١١٩) في جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ(١١٢٠) عَلَىٰ ٱجْتِهَادِهِمْ. لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَىٰ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ(١١٢١) ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِٱسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ(١١٢٢) ، وَلَا ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ(١١٢٣) ٱلْهِمَمِ ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى(١١٢٤) وَلَا فُتُورٌ ، وَلَيْسَ في أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ(١١٢٥) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ(١١٢٦) ، يَزْدَادُونَ عَلَىٰ طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء

كَبَسَ(١١٢٧) ٱلْأَرْضَ عَلَىٰ مَوْرِ(١١٢٨) أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ(١١٢٩) ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ(١١٣٠) ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ(١١٣١) أَمْوَاجِهَا ، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا(١١٣٢) ، وَتَرْغُو زَبَداً كَٱلْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ ٱلْمَاءِ ٱلْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ٱرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا(١١٣٣) ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً(١١٣٤) ، إِذْ تَمَعَّكَتْ(١١٣٥) عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱصْطِخَابِ(١١٣٦) أَمْوَاجِهِ ، سَاجِياً(١١٣٧) مَقْهُوراً ، وَفِي حَكَمَةِ(١١٣٨) الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً ، وَسَكَنَتِ ٱلْأَرْضُ مَدْحُوَّةً(١١٣٩) فِي لُجَّةِ

تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ(١١٤٠) وَٱعْتِلَائِهِ ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ(١١٤١) ، وَكَعَمَتْهُ(١١٤٢) عَلَىٰ كِظَّةِ(١١٤٣) جَرْيَتِهِ ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ(١١٤٤) ، وَلَبَدَ(١١٤٥) بَعْدَ زَيَفَانِ(١١٤٦) وَثَبَاتِهِ. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا(١١٤٧) ، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ الشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ(١١٤٨) عَلَىٰ أَكْتَافِهَا ، فَجَّرَ يَنَابِيعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ(١١٤٩) أُنُوفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ(١١٥٠) بِيدِهَا(١١٥١) وَأَخَادِيدِهَا(١١٥٢) ، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا(١١٥٣) ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ(١١٥٤) مِنْ صَيَاخِيدِهَا(١١٥٥) ، فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ(١١٥٦) لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا(١١٥٧) ، وَتَغَلْغُلِهَا(١١٥٨) مُتَسَرِّبَةً(١١٥٩) فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا(١١٦٠) ، وَرُكُوبِهَا(١١٦١) أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا(١١٦٢) ، وَفَسَحَ بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَىٰ تَمَامِ مَرَافِقِهَا(١١٦٣).

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ(١١٦٤) ٱلْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا(١١٦٥) ، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً(١١٦٦) إِلَىٰ بُلُوغِهَا ، حَتَّىٰ أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا(١١٦٧) ، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ(١١٦٨) ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ(١١٦٩) ، حَتَّىٰ إِذَا تَمَخَّضَتْ(١١٧٠) لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ ، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ(١١٧١) ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ(١١٧٢) فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ(١١٧٣) ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحّاً(١١٧٤) مُتَدَارِكاً ،

قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ(١١٧٥)، تَمْرِيهِ(١١٧٦) ٱلْجَنُوبُ دِرَرَ(١١٧٧) أَهَاضِيبِهِ(١١٧٨)
وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ(١١٧٩) . فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا(١١٨٠) ، وَبَعَاعَ(١١٨١)
مَا ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ ٱلْعِبْءِ(١١٨٢) ٱلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا ، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ(١١٨٣)
ٱلْأَرْضِ النَّبَاتَ ، وَمِنْ زُعْرِ(١١٨٤) ٱلْجِبَالِ ٱلْأَعْشَابَ ، فَهِيَ تَبْهَجُ(١١٨٥)
بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي(١١٨٦) بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ(١١٨٧) أَزَاهِيرِهَا(١١٨٨) ،
وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ(١١٨٩) بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا(١١٩٠) ، وَجَعَلَ ذٰلِكَ
بَلَاغاً(١١٩١) لِلْأَنَامِ ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ،
وَأَقَامَ ٱلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا . فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ
أَمْرَهُ ، ٱخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ
جِبِلَّتِهِ(١١٩٢) ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ
عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَٱلْمُخَاطَرَةَ
بِمَنْزِلَتِهِ ؛ فَأَقْدَمَ عَلَىٰ مَا نَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ
التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ
بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِٱلْحُجَجِ عَلَىٰ أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي
وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْناً فَقَرْناً ؛ حَتَّىٰ تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ـ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ ٱلْمَقْطَعَ(١١٩٣) عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ . وَقَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا

وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَّمَهَا عَلَىٰ الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا ، وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا(١١٩٤) ، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ(١١٩٥) أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا(١١٩٦) . وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا(١١٩٧) ، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا(١١٩٨) ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا(١١٩٩) . عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَىٰ الْمُتَخَافِتِينَ(١٢٠٠) ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ(١٢٠١) ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ(١٢٠٢) ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ(١٢٠٣) وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ(١٢٠٤) وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ(١٢٠٥) ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ(١٢٠٦) مَصَائِخُ(١٢٠٧) الْأَسْمَاعِ ، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ(١٢٠٨) ، وَمَشَاتِي(١٢٠٩) الْهَوَامِّ ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ(١٢١٠) مِنَ الْمُولَهَاتِ(١٢١١) ، وَهَمْسِ(١٢١٢) الْأَقْدَامِ ، وَمُنْفَسَحِ(١٢١٣) الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ(١٢١٤) غُلُفِ الْأَكْمَامِ(١٢١٥) ، وَمُنْقَمَعِ(١٢١٦) الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ(١٢١٧) الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا ، وَمُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ(١٢١٨) الْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا(١٢١٩) ، وَمَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ(١٢٢٠) ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ(١٢٢١) مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ(١٢٢٢) ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا ، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا ، وَمَا تَسْفِي(١٢٢٣) الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا(١٢٢٤) ، وَتَعْفُو(١٢٢٥) الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا ،

وَعَوْمِ بَنَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ[١٢٢٦] ٱلرِّمَالِ ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَا[١٢٢٧] شَنَاخِيبِ[١٢٢٨] ٱلْجِبَالِ ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ[١٢٢٩] ٱلْأَوْكَارِ ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ[١٢٣٠] ، وَحَضَنَتْ[١٢٣١] عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[١٢٣٢] ، أَوْ ذَرَّ[١٢٣٣] عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ[١٢٣٤] عَلَيْهِ أَطْبَاقُ ٱلدَّيَاجِيرِ[١٢٣٥] ، وَسُبُحَاتُ ٱلنُّورِ[١٢٣٦] ؛ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ[١٢٣٧] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ؛ أَوْ قَرَارَةِ[١٢٣٨] نُطْفَةٍ ، أَوْ نُقَاعَةِ[١٢٣٩] دَمٍ وَمُضْغَةٍ ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ ؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلَا ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ٱبْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ[١٢٤٠] ، وَلَا ٱعْتَوَرَتْهُ[١٢٤١] فِي تَنْفِيذِ ٱلْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

دعاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ ، وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَىٰ مَعَادِنِ

ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلْآدمِيِّينَ ؛ وَٱلثَّنَاءِ عَلَىٰ ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ علی مَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ(١٢٤٢) مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَىٰ ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ المَحَامِدِ وَٱلْمَمادِحِ غَيْرَكَ ؛ وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا(١٢٤٣) إِلَّا مَنُّكَ(١٢٤٤) وَجُودُكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَىٰ سِوَاكَ ؛ «إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ !»

التوحيد: عن عليّ بن أحمد الدقاق، عن محمّدبن جعفر الأسديّ، عن محمّدبن اسماعيل البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن اسماعيل بن مهران، عن اسماعيل بن الحق الجهنيّ، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله- عليه السلام-: مثله مع الاختصار، وقدمرّ في كتاب التوحيد.[287]

بيان: قدمضى شرح أكثرأجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد. ولعلّ غضبه -عليه السلام- لعلمه بأنّ غرض السائل وصفه- سبحانه- بصفات الأجسام، أولأنّه سأل بيان كنه حقيقته -سبحانه-، أووصفه بصفات أرفع و أبلغ ممّا نطق به الكتاب والآثار لزعمه أنّه لايكفي في معرفته- سبحانه-؛ و يؤيّد كلّاً من الوجوه بعض الفقرات.

٢٨٧- كتاب التوحيد للصدوق، ص ٢٣.

و «جامعة» منصوبة على الحاليّة، أي عليكم الصلاة على رفع الصلاة كما حكي، أو احضروا الصلاة على نصبها جامعة لكلّ الناس. و ربّما يقرء برفعهما على الابتداء والخبريّة. وهذا النداء كان شائعاً في الخطوب الجليلة وإن كان أصله للصلاة.

«لايفره» أي لايكثره «المنع»[288] أي ترك العطاء. «ولايكديه الإعطاء» أي لايجعله قليل الخير مبطئاً فيه؛ يقال: «كدت الأرض» إذا أبطأنباتها، و«أكدى فلان الأرض» إذا جعلها كادية؛ أولا تردّه كثرة العطاء عن عادته فيه، من قولهم «أكديت الرجل عن الشيء» أي رددته عنه، ذكره الجوهريّ وقال: «الكدية» الأرض الصلبة، و«أكدى الحافر» إذا بلغ الكدية فلايمكنه أن يحفر، و«أكدى الرجل» إذا قلّ خيره و انتقص، يكون متعدّياً ولازماً كنقص. وهذا في النسخ على بناء المفعول، والتعليل بالجملتين باللفّ والنشر المرتّب أو المشوّش لمطابقة الإعطاء و المنع في كلّ منهما، وعلى التقديرين التعليل في الأُولى ظاهر، والفقرة الثانية ليس في نسخ التوحيد وهو الصواب، وعلى تقديرها ففي أصل الجملة والتعليل بها معاً إشكال، أمّا الأوّل فلأنّه

٢٨٨ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «لايفره المنع» أي لايكثره ترك الإعطاء ولا يزيد في ملكه. «ولا يكديه الإعطاء» أي لايفقره ولا ينتقص من ملكه «إذ كلّ معطٍ منتقص سواه وكلّ مانع مذموم ماخلاه». حسن الإعطاء والجود وقبح المنع والبخل من أحكام العقل العمليّ، وملاك الحكم أنّه يرى الإنسان محتاجاً إلى بني نوعه مفتقراً إلى التعاون والتعاضد معهم حتّى يسعد في حياته ويبلغ غاية مناه، فلكلّ فرد من أفراد المجتمع قدم إلى تشكيله وأثر في ابقائه، وحقّ على زملائه وحقّ عليهم جميعاً أن يتحفّظوا على الاجتماع ويراقبوا ثغوره ويذبّوا عن حدوده، فحقّ على الأغنياء المثرين أن يبذلوا على الفقراء المعدمين ولا يدعوهم مفتقرين حتّى يهلكوا ويفقد المجتمع بعض أعضائه فينتقض الغرض ويخيب المسعى.

ومن الواضح عدم وجود هذا الملاك في الحقّ ـ سبحانه ـ لتعاليه عن الحاجة وترفّعه عن النقصان وتنزّهه عن الغرض الزائد على الذات، لكن حيث إنّ له ـ تعالى ـ مطلق الكمال والجمال وله الأسماء الحسنى والصفات العليا، كان ذاته المتعالية وصفاته الجميلة الغير الزائدة عليها مقتضية لصدور الأفعال الحسنة وكان كلّ أفعاله لامحالة حسنة جميلة، لكن ليس للعقل أن يحكم عليه بوجوب فعل الخير وترك الشرّ إلّا بمعنى إدراكه لاقتضاء ذاته ـ سبحانه ـ لهما، وعلى هذا فلوصدر عنه ـ سبحانه ـ منع أيضاً كان حسناً لأنّه ليس لأحد عليه ـ تعالى ـ حقّ حتّى يحسن إعطاؤه ويقبح منعه، ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون. وهذا هو المراد بقول الإمام الثامن ـ عليه السلام ـ: «فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له و إن منعه منعه ما ليس له».

إن أريد بالمنع ماكان مستحسناً أو الأعمّ فكيف يصحّ الحكم بكونه مذموماً، وإن أريد به ما لم يكن مستحسناً فلايستقيم الاستثناء.

ويمكن أن يجاب باختيار الثاني من الأوّل أي الأعمّ و يقال: المراد بالمذموم من أمكن أن يلحقه الذمّ، فيصير حاصل الكلام أنّ كلّ مانع غيره يمكن أن يلحقه الذمّ بخلافه —سبحانه—، فإنّه لايحتمل أن يلحقه بالمنع ذمّ أو يقال المانع لايصدق على غيره —تعالى— إلّا إذا بخل بما افترض عليه، و إذا أطلق عليه —سبحانه— يراد به مقابل المعطي، والمراد بالعنوان المعنى الشامل لهما. و يدلّ عليه مامرّ مرويّاً عن الرضا —عليه السلام— أنّه سئل عن الجواد فقال —عليه السلام—: إنّ لكلامك وجهين: فان كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد هو الّذي يؤدّي ما افترض اللّه— سبحانه— عليه و البخيل هوالّذي يبخل بما افترض اللّه عليه، وإن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منعه منعه ما ليس له.

وأمّا الثاني فيحتمل أن تكون جملة مستقلّة غيرداخلة تحت التعليل مسوقة لرفع توهّم ينشأ من التعليل بعدم الانتقاص بالإعطاء، فإنّ لمتوهّم أن يقول: إذا لم ينقص من خزائنه شيء بالإعطاء فيجب أن لايتّصف بالمنع أصلاً، ولو اتّصف به لكان مذموماً، مع أنّ من أسمائه —تعالى— المانع. فردّ ذلك الوهم بأنّ منعه —سبحانه— ليس للانتقاص بالإعطاء، بل لقبح الإعطاء و عدم اقتضاء المصلحة له، ومثل ذلك المنع لايستتبع الذمّ واستحقاقه. ولوحملت على التعليل فيمكن أن يكون من قبيل الاستدلال بعدم المعلول على عدم العلّة، فإنّ الوفور بالمنع أو إكداء الإعطاء[٢٨٩] علّة للبخل التابع للخوف من الفاقة، وهو علّة لترتّب الذمّ من حيث إنّه نقص أو لاقتضائه المنع وردّ السائل، ونفي الذمّ يدلّ على عدم الوفور أو الإكداء المدّعى في الجملتين المتقدّمتين.

«المنّان بفوائد النعم» المنّ يكون بمعنى الانعام و بمعنى تعديد النعم والأوّل هنا أظهر، وربّما يحمل على الثاني فإنّ منه —سبحانه— حسن و إن كان في المخلوق صفة ذمّ. و«الفائدة» الزيادة تحصل للإنسان من مال أو غيره. و«العائد» المعروف

٢٨٩- في (ظ): أو الإكداء بالإعطاء.

[والعطف]، وقيل: «عوائد المزيد والقسم» معتادهما، و«المزيد» الزيادة و لعلّ المراد به ما لايتوهّم فيه استحقاق العبد. و«القسم» جمع «القسمة» وهي الاسم من «قسمه [— كضربه—] وقسّمه» بالتشديد، أي جزّأه. و«عيال الرجل» بالكسر، أهل بيته ومن يمونهم، جمع «عيل» وجمعه «عيائل».

«ضمن أرزاقهم» أي كفلها. «وقدّر أقواتهم» أي جعل لكلّ منهم من القوت قدراً تقتضيه الحكمة و المصلحة. و«نهج سبيل الراغبين إليه»، «نهجت الطريق» أبنته وأوضحته ونهج السبيل لصلاح المعاد كما أنّ ضمان الأرزاق لصلاح المعاش، ويحتمل الأعمّ. «ليس بما سئل— الخ» عدم الفرق بينهما بالنظر إلى الجود لاينافي الحثّ على السؤال لأنّه من معدّات السائل لاستحقاق الانعام، لأنّ نسبته—سبحانه— إلى الخلق على السواء، وإن استحقّ السائل مالايستحقّه[290] غيره بخلاف المخلوقين فإنّ السؤال يهيج جودهم بالطبع مع قطع النظر عن الاستعداد.

«الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله» قيل: وجوده —سبحانه— ليس بزمانيّ فلايطلق عليه القبليّة والبعديّة كمايطلق على الزمانيّات، فمعناه: الأوّل الّذي لايصدق عليه القبليّة ليمكن أن يكون شيء [ما] قبله، والآخر الّذي لايصدق عليه البعديّة الزمانيّة ليمكن أن يكون شيء ما بعده. وقد يحمل على وجه آخر وهو أنّه لم يكن سبقه عدم فيقال إنّه مسبوق بشيء من الأشياء إمّا المؤثّر فيه أو الزمان المقدّم عليه، وأنّه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيكون بعده شيء من الأشياء إمّا الزمان أوغيره. ويمكن أن يكون المراد بالقبل الزمان المتقدّم سواء كان أمراً موجوداً أو موهوماً، وبالشيء موجوداً من الموجودات أي ليس قبله زمان حتّى يتصوّر تقدّم موجود عليه، وكذا بقاء موجود بعده.

«والرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه»، «الأناسيّ» بالتشديد، جمع «إنسان» وإنسان العين المثال الّذي يرى في السواد، ولايجمع على «أناس» كما يجمع الإنسان بمعنى البشر عليه. وقيل: «الأناسيّ» جمع «إنسان العين» مشدّد، والآخر يشدّد

٢٩٠- في بعض النسخ: مالم يستحقّه.

و يخفّف وقرء «أناسي كثيراً» بالتخفيف. و «ردعها» أي منعها كناية عن عدم إمكان إحساسها له لأنّه ــ سبحانه ــ ليس بجسم ولا جسمانيّ ولا في جهة. و «نلت الشيء» أصبته وأدركته، أي تبعته فلحقته، والمراد بالنيل الإدراك التامّ و بالإدراك غيره، و يحتمل العكس و أن يكون العطف لتغاير اللفظين أو يكون إشارة إلى جهتين لامتناع الرؤية، فالنيل إشارة إلى استلزام كونه ذاجهة وجسمانياً، والإدراك إلى أنّه يستلزم وجود كنه ذاته في الأذهان وهو ممتنع كما أشرنا إليه في كتاب التوحيد.

«ما اختلف عليه دهر» ظاهره نفي الزمانيّة عنه ــ تعالى ــ، و يحتمل أن يراد به جريانه على خلاف مراده أحياناً و على وفق إرادته أحياناً حتّى يلحقه مايلحق الخلق من الشدّة والرخاء والنعم والبؤس والصحّة والسقم و نحو ذلك.

«ولو وهب ما تنفّست» استعار التنفّس هنا لإبراز المعادن ما يخرج منها كما يخرج الهواء من تنفّس الحيوان. «وضحكت عنه» أي تفتّحت و انشقّت حتّى ظهر و يقال للطلع حين تنشقّ «الضحك» بفتح الضاد، وقد مرّ بيان لطف تلك التشبيهات.

«والفلزّ» بكسر الفاء واللام و تشديد الزاي، الجواهر المعدنيّة كالذهب و الفضّة، و في الصحاح: ماينقّيه[٢٩١] الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض. «واللّجين» مصغّراً، الفضّة، «والعقيان» بالكسر، الذهب الخالص. و «نثرت الشيء» ــ كنصرت ــ رميته متفرّقاً، و «نثارة الدرّ» بالضمّ، ماتناثر منه، و «الدرّ» جمع «درّة» وهي اللؤلؤة العظيمة أو مطلقاً. و «حصد الزرع» قطعه بالمنجل، و «الحصيد» المحصود، والمراد بالمرجان إمّا صغار اللؤلؤ و وصفه بالحصيد [٢٩٢] لعلّه يناسب ما يذكره التجّار أنّ الصدف كثيراً ما يغرز عرقه في أرض البحر فتحصده الغوّاصون، و لذا قيل: إنّه حيوان يشبه النبات. و قال بعض شارحي النهج: كأنّ المراد المتبدّد من المرجان كما يتبدّد الحبّ المحصود، و يجوز أن يعنى المحكم من قولهم «شيء مستحصد» أي مستحكم،

٢٩١ـ في النسخة المطبوعة بمصر: «ينفيه» وما في المتن أظهر. و«الكير» كما نقل في الصحاح عن أبي عمرو هو كير الحدّاد وهو زقّ أو جلد غليظ ذوحافات. وفي القاموس: «الفلزّ» بكسر الفاء واللام وشدّ الزاي وكهجفّ وعتلّ، نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة، أوخبث الحديد، أو الحجارة، أو جواهر الأرض كلّها، أو ماينفيه الكير من كلّ مايذاب منها... الخ.

٢٩٢ـ في بعض النسخ: بالحصد.

قال: و يروى «و حصباء المرجان» و «الحصباء» الحصا، و قال قوم: هوالبسد يعني الحجر الأحمر، و «أنفده» أي أفناه. و «ذخائر الأنعام» مابقي عنده من نعمه الجسام بعد العطايا المفروضة. و «المطالب» جمع «المطلب» بمعنى المصدر. «لايغيضه» جاء متعدّياً كماجاء لازماً. «ولايبخّله» أي لايجعله بخيلاً، و يقال أيضاً: «بخّله تبخيلاً» إذا رماه بالبخل و روي على صيغة الإفعال أي لايجده بخيلاً. والتعليل بقوله «لأنّه الجواد» إمّا للجملة الشرطيّة بتواليها فالوجه في التعليل بنفي التبخيل ظاهر، إذلو أثّر العطاء المفروض في جوده لبخّله الإلحاح، فإنّه في الحقيقة منع [٢٩٣] التأثير في الجود، فنفيه يدلّ على نفيه، و إمّا لبقاء ما لاينفده المطالب فوجه التعليل أنّ العادة قد جرت بلحوق البخل لمن ينفد ما عنده بالطلب و إن أمكن عقلاً عدمه بأن يسمح بكلّ ما عنده، فنفي التبخيل يدلّ على نفي الإنفاد.

«فانظر أيّها السائل— الخ»، «الايتمام» الاقتداء. و«الأثر» بالتحريك، نقل الحديث وروايته. و« وكل الأمر إليه و كلاً و وكولاً» سلّمه و تركه؛ و يدلّ على المنع من الخوض في صفاته— سبحانه— و من البحث عمّا لم يرد منها في الكتاب و السنّة.

«واعلم أنّ الراسخين في العلم» إلى آخره. «الراسخ في العلم» الثابت فيه. «واقتحم المنزل» أي دخله بغتة ومن غير رويّة. و«السدد» جمع «سدّة» و هي باب الدار، و«ضرب الباب» نصبه، و «دون الشيء» ماقرب منه قبل الوصول إليه. و«المتعمّق في الأمر» الّذي يبالغ فيه و يطلب أقصى غايته. و«قدرالشيء» مبلغه، و«تقديره» أن تجعل له قدراً و تقيسه بشيء، والمعنى: لا تقس عظمة اللّه بمقياس عقلك ومقداره. والظاهر أنّ المراد بإقرار الراسخين في العلم و مدحهم ما تضمّنه قوله —سبحانه—: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...» إلى قوله: «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» [٢٩٤] فإقرارهم قولهم «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» و مدح اللّه— تعالى— إيّاهم ذكر كلامهم المتضمّن للإيمان و التسليم في مقام المدح، أو تسمية ترك

٢٩٣- في المخطوطة: معنى التأثير.

٢٩٤- آل عمران: ٧.

تعمّقهم رسوخاً في العلم، فالعطف في قوله «وسمّى» للتفسير أو الإشارة إلى أنّهم أُولوا الألباب بقوله «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ»؛ وحينئذ فالمراد بالمتشابه مايشمل كنه ذاته وصفاته— سبحانه— ممّا استأثرالله بعلمه، وعلى هذا فمحلّ الوقف في الآية «إلّا الله» كما هو المشهور بين المفسّرين و القرّاء، فتفيد اختصاص علم المتشابه[٢٩٥] به— سبحانه—، وقوله «وَالرَّاسِخُونَ» مبتدأ و «يَقُولُونَ» خبره، و هو بظاهره منافٍ لما دلّت عليه الأخبار المستفيضة من أنّهم— عليهم السلام— يعلمون ما تشابه من القرآن كما مرّ في كتاب الإمامة، وعلى هذا فالوقف على «الْعِلْمِ»، وإليه ذهب أيضاً جماعة من المفسّرين، فقوله «يَقُولُونَ» حال من الراسخين أو استئناف موضح لحالهم؛ ويمكن الجمع بينها بوجوه:

الأوّل: أن يكون ما ذكره —عليه السلام— هنا مبنيّاً على ما اشتهر بين المخالفين إلزاماً عليهم.

الثاني: أن يكون للآية ظهر و بطن أحدها أن يكون المراد بالمتشابه مثل العلم بكنه الواجب و ما استأثرالله— عزّوجلّ— بعلمه من صفاته وكنه ذاته و أمثال ذلك ممّا تفرّد —سبحانه— بعلمه، و إليه يشير ظاهر هذا الكلام؛ و ثانيها أن يراد به ما علم الراسخون في العلم تأويله و إليه أشير في سائر الأخبار، فيكون القارئ مخيّراً في الوقف على كلّ من الموضعين.

الثالث: ما قيل إنّه يمكن حمل حكاية قول الراسخين على اعترافهم و تسليمهم قبل أن يعلمهم الله تأويل ما تشابه من القرآن فكأنّه— سبحانه— بيّن أنّهم لمّا آمنوا بجملة ما أنزل من المحكمات والمتشابهات ولم يتّبعوا ما تشابه منه كالّذين في قلوبهم زيغ

٢٩٥— بل تفيد اختصاص العلم بتأويل القرآن به— سبحانه—، فتأمّل في قوله «وما يعلم تأويله إلّا الله»؛ والضمير في قوله «تأويله» راجع إلى «الكتاب»، ولا ينافي علمهم— عليهم السلام— بمتشابهات القرآن، بل لاينافي علمهم بتأويله، فإنّ ظاهر الآية وإن كان الانحصار لكنّه لايأبى عن الاستثناء، كما أنّ ظاهر بعض الآيات اختصاص علم الغيب به سبحانه لكنّه— تعالى— استثنى عنه من ارتضى من رسول في قوله: «عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ» (الجنّ: ٢٦—٢٧). ودليل علمهم بتأويل القرآن قوله— تعالى—: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ» (الواقعة: ٧٩).
و إن أردت توضيح ماذكر فراجع إلى تفسير «الميزان»، سورة آل عمران.

بالتعلّق بالظاهر أو بتاويل باطل فآتاهم اللّه علم التأويل و ضمّهم إلى نفسه في الاستثناء. و الاستئناف في قوّة رفع الاستبعاد عن مشاركتهم له ـ تعالى ـ في ذلك العلم، و بيان أنّهم إنّما استحقّوا إفاضة ذلك العلم باعترافهم بالجهل و قصورهم عن الإحاطة بالمتشابهات من تلقاء أنفسهم، و إن علموا التأويل بتعليم إلهيّ. و قدورد عنه ـ عليه السلام ـ أنّه لمّا أخبر ببعض الغيوب قال له رجل: أُعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب؟! فقال ـ عليه السلام ـ: ليس هو بعلم غيب، و إنّما هو تعلّم من ذي علم. و قدمرّ بعض الكلام فيه في كتاب التوحيد.

«إذا ارتمت» يقال: «ارتمى القوم» إذا تراموا بالنبال. و«الأوهام» خطرات القلب، وفي اصطلاح المتكلّمين إحدى القوى الباطنة، شبّه ـ عليه السلام ـ جولان الأفكار و تعارضها بالترامي. و«المنقطع» موضع الانقطاع، و يحتمل المصدر. و «حاولت الشيء» أردته، و«الخطر» بالتسكين، مصدر «خطرله خاطر» أي عرض في قلبه و روي «من خطرات الوساوس» و «الوسوسة» حديث النفس و الشيطان بما لاخير فيه ولانفع، والاسم الوسواس.

و«الملكوت» العزّ والسلطان. و«تولّهت إليه» أي اشتدّ عشقها وحنّت إليه و«الوله» بالتحريك، التحيّر وذهاب العقل من حزن أوفرح. «لتجري في كيفيّة صفاته» أي لتجد مجرى و مسلكاً في ذلك. و «غمض الشيء» بالفتح والضمّ، أي خفي مأخذه. و«الغامض من الكلام» خلاف الواضح، و«مداخل العقول» طرق الفكر، و فاعل «تنال» ضمير العقول، أي إذا دقّت و غمضت طرق العقول ووصلت إلى حدّ لا تبلغ الصفات لدقّة تلك الطرق و خفائها، أو إذا دقّت و انتهت العقول إلى أنّها لا تعتبر مع ملاحظة الحقّ صفة من صفاته ـ كماقيل ـ طالبة بذلك أن تصل إلى علم ذاته؛ وفي بعض النسخ: «علم ذلك» والأوّل أظهر.

«ردعها»، «الردع» الردّ و الكفّ، والجملة جزاء للشرط السابق، والضمير المنصوب راجع إلى الأوهام أوغيرها ممّا سبق. «وهي تجوب» أي تقطع، والواو للحال. و«المهاوي» جمع «مهواة» و هي الحفرة أوما بين الجبلين، والمراد هنا المهلكة.

و«السدف» جمع «سدفة» و هي القطعة من الليل المظلم، و يطلق على الضياء أيضاً. و«خلّصته تخليصاً» نحّيته فتخلّص فقوله «متخلّصة إليه» أي متوجّهة إليه بكلّيّتها متنحيّة عن غيره. و«جبهه» — كمنعه — أي ضرب جبهته فردّه. و«الجور» العدول عن الطريق، و«الاعتساف» قطع المسافة على غير جادّة معلومة، والمراد بجور اعتسافها شدة جولانها في ذلك المسلك الّذي لاجادّة له، ولايفضي إلى المقصود. و«الخاطرة المنفيّة»[٢٩٦] مايكون مطابقاً للواقع.

«الّذي ابتدع الخلق»، «الابتداع» الإنشاء والإحداث. و«مثال الشيء» بالكسر، صورته و صفته و مقداره، و «امتثله» أي تبعه ولم يتجاوزعنه. و«احتذى عليه» أي اقتدى به. وقوله «من خالق» متعلّق بمحذوف [و] هو صفة لمقدار أو لمثال أيضاً كناشئ ، والمراد بنفي امتثال المثال أنّه لم يمثّل لنفسه مثالاً قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيئته، وبنفي احتذاء المقدار أنّه لم يقتد بخالق كان قبله، فالظرف صفة للمقدار فقط. ويحتمل أن يكون الثاني كالتأكيد للأوّل فالظرف صفة للمثال و المقدار معاً، و يكون المراد بالأوّل نفي الاقتداء بالغير في التصوير و بالثاني في التقدير، أو يكون المراد بالمثال ما يرتسم في الخيال من صورة المصنوع و هيئته، ولم يكن على حذوفعل فاعل آخر لتنزّهه عن الصور والخواطر، فالظرف صفة لمقدار. ووصف الخالق بالمعبود لأنّه من لوازمه، أولأنّه لوكان كذلك لكان هوالمعبود.

«والمساك» بالكسر مايمسك به، وفيه دلالة على احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثّر. وقوله «مادلّنا» مفعول ثان لـ «أرانا» ، واضطرار قيام الحجّة عبارة عن إفادتها العلم القطعيّ بعد تحقّق الشروط وارتفاع الموانع، والظرف في قوله «على معرفته» متعلّق بقوله «دلّنا» و أعلام الحكمة ما يدلّ عليها، و الضمير في قوله «فحجّته» يحتمل عوده إلى الخلق الصامت، كالضمير في «دلالته» أو إلى الله —سبحانه—. «فأشهد — وفي

٢٩٦- الّتي نفيت بقوله- عليه السلام- «ولا تخطر ببال أولي الروايات خاطرة...»، ومراده- رحمه الله - أنه ربما يخطر بالبال خواطر من تقدير جلاله- تبارك وتعالى- لكنّها ليست مطابقة للواقع فلا تخطر خاطرة مطابقة للواقع ببال أولي الروايات من تقدير الجلال واكتناه سائر صفاته- سبحانه-.

بعض النسخ بالواو– بتباين» المشبّه به في الحقيقة هوالخلق، وإنّما أدخل الباء على التباين تنبيهاً على وجه الخطاء في التشبيه. و«التلاحم» التلاصق. و«الحقاق» بالكسر، جمع «حقّة» بالضمّ وهي في الأصل وعاء من خشب، و«حقاق المفاصل» النقر الّتي ترتكز فيها العظام، واحتجابها استتارها بالجلد واللحم. وقوله «لتدبير» متعلّق بالمحتجبة، أي المستورة للتدبير الّذي اقتضته الحكمة. قيل: ومن حكمة احتجابها أنّها لو خلقت ظاهرة ليبست رباطاتها فيتعذّر تصرّف الحيوان وكانت معرضة للآفات أو بالتباين والتلاحم. وقال بعض شارحي النهج: ومن روى «المحتجّة» أراد أنّها كالمستدلّ[٢٩٧] على التدبير الحكميّ من لدنه –سبحانه–. و«العقد» الشدّ، وفاعل الفعل الموصول المشبّه، و«غيب» منصوب على المفعوليّة، وهو كلّ ماغاب، و«الضمير» اسم من «أضمرت في نفسي شيئاً» أو إضافة الغيب [إلى الضمير] من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمراد بغيب الضمير حقيقة عقيدته و باطنها لاما يظهره منها لغيره أو يظهر له بحسب توهّمه. وفي بعض النسخ: «لم يعتقد» على صيغة المجهول و «غيب» بالرفع. و«المباشرة» لمس البشرة، والفاعل «اليقين»؛ وفي بعض النسخ: «قلبه» بالرفع على أنّه الفاعل و«اليقين» بالنصب، والأوّل أظهر. و«الندّ» المثل. و«إن» في الآية مخفّفة من المثقّلة. و يظهر من كلامه– عليه السلام– أنّ التسوية في الآية يشمل هذا التشبيه، ولايخصّ التسوية في استحقاق العبادة. «كذب العادلون بك» أي المسوّون بك غيرك . و«نحلوك » أي أعطوك حلية المخلوقين أي صفاتهم، والتعبير بالنحلة والحلية لزعم هؤلاء أنّها كمال له–عزّوجلّ–. و «جزّؤوك» أي أثبتوا لك أجزاءً، و«خواطرهم» مايخطر ببالهم من الأوهام الفاسدة. «وقدروك على الخلقة» أي جعلوا لك قدراً في العظمة المعنوية كقدر الخلق فأثبتوا لك صفاتهم. و « قرائح عقولهم » مايستنبطونه بآرائهم، والقريحة في الأصل أوّل مايستنبط من البئر. و«محكمات الآيات» نصوص الكتاب. و «شواهد الحجج» الأدلّة العقليّة، ونطقها دلالتها القطعيّة، أو الشواهد الهداة المبيّنون للحجج الّتي هي الأدلّة ، وكأنّه ضمّن النطق معنى الكشف

٢٩٧– في بعض النسخ: كالمستدلّة.

فعدّى بـ «عن»، وإضافة الحجج إلى البيّنات للمبالغة.

«لم يتناه في العقول» أي لم تقدّرك العقول بالنهاية والكنه بحيث لا تكون لك صفة وراء ما أدركته، أولم تحط بك العقول فتكون محدوداً متناهياً فيها. و «مهبّ الفكر» هبوبها، و لعلّه ــ عليه السلام ــ شبّه الحركات الفكرية بهبوب الرياح و الأفكار بما تجمعها و تذروها من الحشايش إشعاراً بضعفها و سفالة مايحصل منها. وقيل: التناهي في العقل هو أن يدرك العقل الشيء مرسّماً في القوى الجزئيّة وهي مهابّ الفكر الّتي ترتسم فيها الصور و تزول كالريح الهابّة تمرّ بشيء. وقيل: مهابّ الفكر جهاتها. و«رويّات الخواطر» ما يخطر بالبال بالنظر والفكر، و«المحدود» المحاط بالحدود، والمراد بالحدود مايلزم الإحاطة التامّة، أوالصفات و الكيفيّات الّتي لايتعدّاها المعلوم. و «المصرّف» القابل للتغيّر والحركة أو المحكوم عليه بالتجزئة والتحليل و التركيب.

«قدّر ماخلق فأحكم تقديره» أي جعل لكلّ شيء مقداراً مخصوصاً بحسب الحكمة، أوهيّأ كلّ شيء لما أراد منه من الخصائص والأفعال، أو قدّره للبقاء إلى أجل معلوم، «فأحكم» أي أتقن. و «التدبير في الأمر» النظر إلى ماتؤول إليه عاقبته، «فألطف تدبيره» أي أعمل فيه تدبيرات دقيقة لطيفة، أوكانت تدبيراته مقرونة باللطف والرفق والرحمة على عباده. «ووجّهه لوجهته» أي جعل كلّاً منها مهيّأة و ميسّرة لما خلق له كالحبوب للأكل والدوابّ للركوب، وكلّ صنف من الإنسان لأمر من الأمور المصلحة للنظام. ويحتمل أن يكون إشارة إلى أمكنتها، والأوّل أعمّ وأظهر. و«الوجهة» بالكسر، الناحية و كلّ أمر استقبلته. و«قصر السهم عن الهدف» إذا لم يبلغه، و «قصرت عن الشيء» أي عجزت عنه. و «استصعب الأمر علينا» أي صعب و «الصعب» غيرالمنقاد، و «مضى الشيء مضيّاً و مضوّاً» أي نفذ و لم يمتنع. و «صدر» ــ كعقد ــ رجع و انصرف كرجوع الشاربة عن الماء و المسافرين عن مقصدهم، ولمّا كانت الأمور لإمكانها محتاجة في الوجود إلى مشيّته فكأنّها توجّهت إليها فرجعت فائزة بمقصدها، و «المشيّة» الإرادة، وأصلها المشيئة بالهمز.

«آل إليها» أي رجع، و «الغريزة» الطبيعة[٢٩٨]، و «قريحة الغريزة» مايستنبطه الذهن، وقيل: قوّة الفكر للعقل. «أضمر عليها» أي أخفاه في نفسه محتوياً عليها و «التجربة» الاختبار مرّة بعد أخرى. و يقال: «أفدته مالاً» أي أعطيته و «أفدت منه مالاً» أخذته. وحكى الجوهريّ عن أبي زيد: «أفدت المال» أعطيته غيري، و «أفدته» استفدته.[٢٩٩] و «ابتداع الخلائق» إحداثها. «فتمّ خلقه» يمكن أن يراد بالخلق المعنى المصدريّ، و يكون الضمير راجعاً إليه ــ سبحانه ــ كالضمير في «طاعته» و «دعوته» أو إلى «ماخلق» المذكور سابقاً، وعلى الأوّل يكون في «أذعن» و «أجاب» راجعين إلى الخلق على الاستخدام، أو إلى «ماخلق» و يمكن أن يراد به المخلوق، و تمام مخلوقاته بإفاضته عليها ما يليق بها و تستعدّله. و إذعان ما خلق لطاعته و إجابته إلى دعوته إمّا بمعنى استعداده لما خلق له أو تهيّؤه لنفوذ تقديراته و إرادته ــ سبحانه ــ فيه، و فيه إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: «أَتَيْنَا طَائِعِينَ»[٣٠٠]. و ربّما تحمل أمثالها على ظاهره بناءً على أنّ لكلّ مخلوق شعوراً كما هو ظاهر قوله ــ تعالى ــ: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»[٣٠١].

و «اعترض الشيء دون الشيء» أي حال بينه و بينه، و «دونه» أي قبل الوصول إليه، والضمير في «دونه» أيضاً راجع إليه ــ سبحانه ــ و يحتمل أن يكون راجعاً إلى مصدر «أذعن» و «أجاب». و «الريث» البطؤ. و «الأناة» ــ كفتاة ــ الاسم من «تأنّى في الأمر» أي تمكّث ولم يعجل. و «تلكّأ» توقّف و أبطأ.

«فأقام من الأشياء أودها»، «الأود» بالتحريك، الاعوجاج، وإقامته إعداد كلّ شيء لما ينبغي له، أودفع المفاسد الّتي تقتضيه الأشياء لوخلّيت و طباعها. و «نهج» أي أوضح، و «حدّ الشيء» منتهاه، وأصل الحدّ المنع والفصل بين الشيئين و «نهج الحدود» قيل: إيضاحه لكلّ شيء غايته و تيسيرها له، أوالمعنى: جعل لكلّ شخص و نوع مشخّصاً و مميّزاً واضحاً يمتاز به عن غيره، فإنّ من أعاظم[٣٠٢] المصالح و

٢٩٨- في بعض النسخ: الطبع.

٢٩٩- الصحاح، ج ١، ص ٥١٨.

٣٠٠- فصّلت: ١١.

٣٠١- الإسراء، ٤٤.

٣٠٢- في بعض النسخ: «من أعظم» وهو الأظهر.

أعزّها امتياز الأنواع والأشخاص بعضها عن بعض.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالحدود حدود أمكنتها كمكان العناصر فإنّ لكلّ منها جدّاً لا تتجاوزه، ولعلّه أنسب بما بعده.

و«لاءم» أي جمع «بين متضادّاتها» كجمع العناصر المتباينة في الكيفيّات و الصفات لحصول المزاج و كالأُلفة بين الروح والبدن.

«و وصل أسباب قرائنها» السبب في الأصل الحبل، و يقال لكلّ مايتوصّل به إلى شيء، و«القرينة» فعيلة بمعنى مفعولة، و«قرائن الأشياء» مااقترن منها بعضها ببعض، ووصل أسبابها ملزوم لاتّصالها. وقال ابن ميثم: «القرائن» النفوس المقرونة بالأبدان واعتدال المزاج بسبب بقاء الروح، أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها، والمراد بالأجناس هنا أعمّ ممّا هو مصطلح المنطقيّين، وكذا المراد بالحدود غير ماهو المعروف عندهم، وإن كان المقام لايأباهما.

و«الغرائز» الطبائع والقوى النفسانيّة. و«البدايا» جمع «بداية» وهي الحالة العجيبة، يقال: «أبدأ الرجل» إذا أتى بالأمر المعجب و «البديئة» أيضاً الحالة المبتدأة المبتكرة، أي عجائب مخلوقات، أو مخلوقات مبتدأة بلااقتفاء مثال؛ وهو خبر مبتدأ محذوف، أي هي بدايا. و«الفطر» الابتداء و الاختراع و«الابتداع» كالتفسير له.

و «نظم» أي جمع. «آلف بلا تعليق» أي من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخيط أو نحوه؛ و«رهوات فرجها»، «الرهوة» المكان المرتفع والمنخفض أيضاً، فنظمها تسويتها. وقال في النهاية: في حديث عليّ[٣٠٣]: «ونظم رهوات فرجها» أي المواضع المنفتحة منها.[٣٠٤] وهومأخوذ من قولهم«رهارجليه رهواً» أي فتح، وفيه دلالة على أنّ السماء كانت ذات فرج و صدوع فنظمها ــ سبحانه ــ، و هو مناسب لما مرّ من أنّ مادّتها الدخان المرتفع من الماء، إذ مثل ذلك تكون قطعاً وذات فرج. و أوّل بعض الشارحين بتباين أجزاء المركّب لولا التركيب و التأليف، أو بالفواصل الّتي كانت بين

٣٠٣- في المصدر: وفي حديث عليّ ــ رضي الله عنه ــ يصف السماء....
٣٠٤- النهاية، ج ٢، ص ١١٦.

السموات لولا أنّ الصانع خلقها أُكراً[٣٠٥] متماسّة. وإنّما اضطرّه إلى ذلك الاعتقاد بقواعد الفلاسفة و تقليدهم.

و«ملاحمة الصدوع» إلصاق الأجزاء ذوات الصدوع بعضها ببعض، و إضافة الصدوع إلى الانفراج من إضافة الخاصّ إلى العامّ. و«وشّج» بالتشديد، أي شبّك والضمير في «بينها» راجع إلى مايرجع إليه الضمائر السابقة.

وقال ابن ميثم: المراد بأزواجها نفوسها الّتي هي الملائكة السماويّة بمعنى قرائنها وكلّ قرين زوج، أي ربط مابينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماويّ لنفسها الّتي لايقبلها غيره.

وأقول: القول بكون السماوات حيوانات ذوات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام، بل نقل السيّد المرتضى —رضي الله عنه— إجماع المسلمين على أنّ الافلاك لاشعور لها ولاإرادة، بل هي أجسام جاديّة يحرّكها خالقها.[٣٠٦] ويمكن أن يراد بالأرواح الملائكة الموكّلون بها أو القاطنون فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئيّة، ويمكن حمل الفقرات السابقة أيضاً على هذين الوجهين الأخيرين و يمكن أن

٣٠٥ـ «الأكر» بضمّ الهمزة وفتح الكاف، جمع «كرة» وهي كلّ جسم مستدير.

٣٠٦ـ البحث عن الأفلاك وماهيّتها بحث هيويّ اختلف فيه أقوال قدماء الهيويّين من يونان والمتأخّرين من علماء أروبا. وفيه فرضية مشهورة من بطلميوس وهو من أقدم فلكيّي يونان، وهي أنّ الأفلاك كرات يحتوي بعضها على بعض، منها كلّيّة ومنها جزئيّة وأنّ الأفلاك الكلّيّة تسعة وزعم أنّ لها أحكاماً يختصّ بها من بين الأجسام، منها استحالة الخرق والالتئام وأحكام أخرى لايسع ذكرها المقام. وقد أبطلها علماء الهيئة الحديثة وهدموا أساسها ونقضوا حدودها وخرقوا كلّيّها وجزئيّها؛ وكيف كان فالبحث عن هذه المسألة شأن العالم الهيويّ، لا الفقيه والأصوليّ والمحدّث والمنطقيّ، وليس الاعتقاد بوجود هذه الأفلاك أو عدمها من أصول الدين وفروعه ولاممّا ورد في كتاب الله أو سنّة رسوله، اللّهمّ إلّا ماذكر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من السماوات والأرض والكواكب والنجوم وأنّ كلّ كوكب يسبح في فلك... إلى غيرذلك، لكن لايجد المتتبّع الخبير من كتاب الله آية ولا ممّا صدر عن معادن علم الله رواية تدلّ على إثبات الأفلاك البطلميوسيّة وتصديق مايستلزمه تلك الفرضيّة إن لم يجد مايكذّبها ويبطلها! ودعوى الإجماع من المسلمين في مثل المسألة كما تعلم من أنّ فرض إجماع المسلمين في زمان أوفي جميع الأزمنة على أمر ليس من دينهم ولا من واجب اعتقادهم ولا ممّا يرتبط بأفعالهم، فأيّ دليل على حجّته؟ ومن أين يمكن القول بوجوب اتّباعه والاعتقاد بمعتقده؟! هذا حال أصل الأفلاك، فما ترى في البحث عن كونها ذوات نفوس مدركة أو جمادات فاقدة للشعور والإرادة؟! ولا يخفى أنّ دعوى الإجماع على أحد طرفي المسألة ممنوعة، وحجّيّته على فرض وجوده غيرمسلّمة، بل لاينبغي الشكّ في عدم حجّيّته.

يكون المراد بأزواجها أشباهها في الجسميّة والإمكان من الأرضيّات و يناسب ماجرى على الألسن من تشبيه العلويّات بالآباء و السفليّات بالأُمّهات.

«وذلّل للهابطين» يقال: «ذلّل البعير» أي جعله ذلولاً وهوضدّ الصعب الّذي لاينقاد من «الذّلّ» بالكسر وهواللين. و«الحزونة» خلاف السهولة، و«المعراج» السلّم و المصعد. و«نداء السماء» إشارة إلى مامرّ من قوله_ سبحانه_: «فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْكَرْهاً»[307].

«فالتحمت عرى أشراجها»، «التحمت» أي التزقت و التأمت، و«عرى العيبة» هي الحلق الّتي تضمّ بعضها إلى بعض و تشدّ وتقفل، و«الشّرَج» بفتحتين، عرى العيبة والجمع «أشراج» وقيل: قد تطلق الأشراج على حروف العيبة الّتي تخاط. ولعلّ هذا الالتحام كناية عن تمام خلقها وفيضان الصور السماويّة عليها.

«وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها»، «فتق الثوب فتقا» نقضت خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض، و «رتقت الفتق رتقاً» أي سددته فارتتق، و«الأبواب الصامتة و المصمتة» المغلقة منها، وفتق صوامت الأبواب إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقاً لاباب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها وهذه الأبواب هي الّتي منها عروج الملائكة و هبوطها وصعود أعمال العباد وأدعيتهم و أرواحهم، كما قال_ تعالى_: «لاَتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»[308] والّتي[309] تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ»[310].

«وأقام رصداً» هو بالتحريك جمع «راصد» كخدم وخادم، أو اسم جمع كما قيل و يكون مصدراً كالرصد بالفتح، و«الراصد» القاعد على الطريق منتظراً لغيره للاستلاب أو المنع، و«المرصاد» الطريق و المكان يرصد فيه العدوّ و «أرصدت له» أعددت. و«الثواقب» الّتي تثقب الشياطين أو الهواء، أو يثقب الجوّ بضوئها، و«النقاب» بالكسر جمع «نقب» بالفتح و هو الثقب و الخرق، والمراد إقامة الشهب

٣٠٧- فصّلت: ١١.
٣٠٨- الأعراف: ٤٠.
٣٠٩- في المخطوط: أوالّتي.
٣١٠- القمر: ١١.

الثواقب لطرد الشياطين عن استراق السمع كما أشار إليه -سبحانه- بقوله: «وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً»[٣١١]. ولاصراحة فيه بكون ذلك المنع مقارناً لإيجاد السماء حتّى ينافي ما دلّ على حدوثها ويحتمل تخلّل الرخصة بين المنعين أيضاً.

«وأمسكها من أن تمور» أي تموج و تضطرب، و«الخرق» يكون بمعنى الثقب في الحائط والشقّ في الثوب وغيره، وهو في الأصل مصدر «خرقته» إذا قطعته ومزقته و يكون بمعنى القفر والأرض الواسعة، «تنخرق فيها الرياح» أي تهبّ و تشتدّ. و«الهواء» يقال للجسم الّذي هو أحد العناصر، و يقال لكلّ خال هواء كما قال -سبحانه-: «وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ»[٣١٢] أي خالية من العقل أو الخير، والمراد بالمور في خرق الهواء إمّا الحركة الطبيعية أو القسريّة في الفواصل الّتي تحدث بحركتها في الجسم الّذي هوأحد العناصر، إذلادليل على انحصاره في الّذي بين السماء والأرض أوحركتها في المكان الخالي الموهوم أوالموجود طبعاً أوقسراً، أوحركة أجزائها فيما بين السماء والأرض. و«الأيد» بالفتح، القوّة، والظرف متعلّق بالإمساك. و«الاستسلام» الانقياد، ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن تعلّق الإرادة كمامرّ.

«آية مبصرة»، «الآية» العلامة، [و] «المبصر» المدرك بالبصر، وفسّرت المبصرة في قوله- تعالى-: «وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»[٣١٣] بالبيّنة الواضحة و بالمضيئة الّتي يبصربها و بالمبصرة للناس من «أبصرته فبصر» و بالمبصر أهله كقولهم «أجبن الرجل» إذا كان أهله جبناء. و«المحو» إذهاب الأثر وطمس النور، و فسّر محو القمر بكونه مظلماً في نفسه غير مضيء بذاته كالشمس و بنقصان نوره بالنظر[٣١٤] إلى الشمس و بنقصان[٣١٥] نوره شيئاً فشيئاً إلى المحاق.

وروي أنّ ابن الكوّاء سأل أميرالمؤمنين -عليه السلام- عن اللطحة الّتي في وجه القمر فقال: ذاك محو آية الليل. و يمكن أن يكون لها مدخل في نقصان ضوء القمر

٣١١- الجن: ٩.
٣١٢- إبراهيم: ٤٣.
٣١٣- الإسراء: ١٢.
٣١٤- في بعض النسخ: بالنسبة.
٣١٥- في المخطوط: بنقص.

من ليلها. قيل: «من» لابتداء الغاية أو لبيان الجنس و يتعلّق بـ «ممحوّة» أو «يجعل» وقيل: أراد من آيات ليلها.

و«المنقل» في الأصل الطريق في الجبل. و«المدرج» المسلك، و«درج» أي مشى، و«الدرج» بالتحريك، الطريق، و «درجيها» في بعض النسخ على لفظ التثنية وفي بعضها مفرد، و«مناقلها و مدارجها» منازلها و بروجها، و الظاهر أنّ التميز و العلم غايتان لمجموع الأفعال السابقة، فيكون إشارة إلى قوله —تعالى—: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ»[٣١٦] و إلى قوله— عزّوجلّ —: «هُوَالَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ»[٣١٧]، ويحتمل أن يكون التميز غاية للأوّل والعلم غاية للأخير أوالأخيرين، فيكون نشراً على ترتيب اللّفّ. و ظاهر كلامه— عليه السلام— تفسير الآيتين المفردتين في الآية الأولى بالشمس والقمر لابالليل والنهار، وإن كان المراد بالآيتين أوّلاً الليل والنهار، وقيل: المراد: جعلنا هما ذوي آيتين، فتكون الشمس والقمر مقصودين بها في الموضعين، والمراد بالحساب حساب الأعمار والآجال الّتي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم و دنياهم. و«مقاديرهما» مقادير سيرهما وتفاوت أحوالها.

«ثمّ علّق في جوّها فلكها» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» هناللترتيب الذكريّ ولعلّ المعنى أنّه أقرّ فلكها في مكانه من الجوّ بقدرته ولاينافي نفي التعليق في نظم الأجزاء كماسبق، و«الجوّ» الفضاء الواسع، أومابين السماء و الأرض، و«الفلك» بالتحريك، مدار النجوم، وقيل: أراد بالفلك دائرة معدّل النهار وقيل: أراد به الجنس وهو أجسامها المستديرة الّتي يصدق عليها هذا الاسم، وقيل: الفلك هنا عبارة عن السماء الدنيا، فيكون على وفق قوله—سبحانه—: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ»[٣١٨] والتوجيه مشترك ، وعلى المشهور من عدم كون جميعها في السماء الدنيا لعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه كوكب يتحرّك بحركته و بالجوّ الفضاء الواسع الموهوم، أوالموجود الّذي

٣١٦- الإسراء: ١٢. ٣١٧- يونس: ٥. ٣١٨- الصافات: ٦.

هومكان الفلك، ووجه إضافته إليها واضح فإنّ الفلك من جملتها، وكذا إضافة الفلك إليها، ويحتمل حينئذ أن يراد بفلكها المحيط المحرّك لجملتها. ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السماء الّذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدير لها فكون فلكها في جوّها ظاهر، أو يراد بالسماء الأفلاك الكلّية و بالفلك الأفلاك الجزئيّة الواقعة في جوفها. وفي بعض النسخ: «علّق في جوّها فلكاً» بدون الضمير وهو يناسب كون الكواكب كلّها في فلك واحد.

و«ناط» أي علّق، و«الدراريّ» جمع «درّيّ» وهوالمضيء، [و] كأنّه نسب إلى الدرّ تشبيهاً به لصفائه، وقال الفرّاء: الكواكب الدرّيّ عندالعرب هوالعظيم المقدار وقيل: هوأحد الكواكب [السبعة السيّارة، وفي النهاية الكواكب] الخمسة السيّارة ولايخفى أنّ وصف الدراريّ بالخفيّات ينافي القولين ظاهراً. و«استراق السمع» الاستماع مختفياً، و«بثواقب شهبها» أي بشهبها الثاقبة تلميحاً إلى قوله —سبحانه—: «إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ»[٣١٩] وقوله: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»[٣٢٠]. و«الأذلال» جمع «ذلّ» بالكسر، يقال: «أمورالله جارية أذلالها— بالنصب— وعلى أذلالها» أي مجاريها. و يقال: «دعه على أذلاله» أي على حاله. وثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيّارات، والمراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين، أو التوجّه إلى حضيض الحامل، أو التدبير أوالتوجّه إلى الغروب فإنّه الهبوط حسّاً و يقابله الصعود، و«النحوس» ضدّ السعود.

«ثمّ خلق» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» هنا للترتيب الحقيقيّ، وسيأتي بعض الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الملائكة على السماوات، ويمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكّان السماوات الّذين لايفارقونها. و«عمارة المنزل» جعله آهلاً ضدّ الخراب الّذي لا أهل له. و«الصفيح» السطح ووجه كلّ شيء عريض. والصفيح أيضاً اسم من أسماء السماء، والمراد هنا سطح كلّ سماء، و يقابله الصفيح الأسفل وهوالأرض أوفوق السماء السابعة أوفوق الكرسيّ. و«الملكوت»— كرهبوت— العزّ والسلطان . و«الفروج»

٣١٩- الحجر: ١٨. ٣٢٠- الصافات: ١٠.

الأماكن الخالية، و«الفجّ» الطريق الواسع بين الجبلين. و«حشوت الوسادة بالقطن» جعلتها مملوّة منه، و«الفتق» الشقّ، و«الجوّ» الفضاء الواسع و ما بين السماء و الأرض، وهذا الكلام صريح في عدم تلاصق السماوات و في تجسّم الملائكة وأنّ مابين السماوات مملوّة منهم، وبه تندفع شبهة لزوم الخلا كما ستعرف. و«الفجوة» الفرجة والموضع المتّسع بين الشيئين. و«زجل المسبّحين» صوتهم الرفيع العالي، و«الحظيرة» في الأصل الموضع الّذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل يقيها الحرّ و البرد و الريح. و«القدس» بالضمّ وبضمّتين، الطهر، اسم و مصدر. و «السترات» بضمّتين، جمع «سترة» بالضمّ، و هومايستتربه كالستارة. و«الحجاب» ما احتجب به، و«السرادق» الّذي يمدّ فوق صحن البيت من الكرسف، و«المجد» الشرف والعظمة، و«الرجيج» الزلزلة والاضطراب، ومنه رجيج البحر.

«تستكّ منه الأسماع» أي تصمّ، و فسّروا السبحات بالنور والبهاء و الجلال والعظمة، وقيل: «سبحات الوجه» محاسنه، لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان اللّه، ولعلّ المرادبها الأنوار الّتي تحجب [بها] الأبصار و يعبّر عنها بالحجب، و«ردعه»- كمنعه-، كفّه وردّه. و«الخاسئ من الكلاب و غيرها» المبعدلايترك أن يدنو من الناس ، يقال: «خسأت الكلب» أي طردته و أبعدته. و الضمير في «حدودها» راجع إلى السحاب، وقيل: أي تقف الأبصار حيث تنتهي قوّتها لأنّ قوّتها متناهية فإذا بلغت حدودها وقفت.

«أولي أجنحة تسبّح جلال عزّته» إشارة إلى قوله- تعالى-: «**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**»[٣٢١]. و«تسبّح» في أكثر النسخ بالتشديد من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس من النقائص، و«الجلال» العظمة، و«العزّة» القوّة و الشدّة و الغلبة، والجملة صفة لأولي أجنحة؛ وفي بعض النسخ: «تسبح» بالتخفيف من السباحة. و«خلال» بالخاء المعجمة المكسورة، وهو وسط الشيء أوجمع «خلل» بالتحريك وهوالفرجة بين الشيئين، وفي بعضها: «خلال بحار عزّته» ولعلّ المراد بسباحتهم سيرهم

٣٢١- فاطر: ١.

في أطباق السماوات و فوقها، أو عروجهم و نزولهم لأداء الرسالات وغيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح.

«لاينتحلون»، «انتحل الشيء وتنحّله» إذا ادّعاه لنفسه وهو لغيره، أي لايدّعون الربوبيّة لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم و لأنفسهم، فتكون هذه الفقرة لنفي ادّعاء الاستبداد والثانية لنفي ادّعاء المشاركة، أو الأولى لنفي ادّعائهم الخالقيّة فيما لهم مدخل في وجوده بأمره –تعالى– والثانية لنفي ذلك فيما خلقه الله –سبحانه– بمجرّد أمره و إرادته. «مكرمون» بالتخفيف من الإكرام، وقرئ بالتشديد من التكريم، واللام في قوله «بالقول» عوض عن المضاف إليه، أي لايسبقون الله بقولهم بل هم تابع[٣٢٢] لقوله– سبحانه– كما أنّ علمهم تابع لأمره. «جعلهم فيما هنالك» لعلّه مخصوص ببعض الملائكة كما قال– عزّوجلّ–: «ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا»[٣٢٣] و يكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك، وماهنالك عبارة عن مراتب الملائكة أو الأشغال و الأمور المفوّضة إليهم، أوعن أربابها وأصحابها، وفي قوله «حملهم» تضمين معنى البعث أو الارسال و نحوه. «وعصمهم» هذا يشمل جميعهم، و«الريب» الشكّ أوالتهمة. و«الزيغ» العدول عن الحقّ، و«المرضاة» ضدّ السخط. و«الإمداد» الإعانة والتقوية، و«الفائدة» ما استفدته من طريفة مال أوعلم أوغيرهما،و «المعونة» مفعلة بضمّ العين، من «استعان به فأعانه» و قيل: الميم أصليّة، مأخوذة من «الماعون» و لعلّ المعنى تأييدهم بأسباب الطاعات والقربات والمعارف و الألطاف الصارفة لهم عن المعاصي.

«وأشعر قلوبهم» أي ألزمهم[٣٢٤]، مأخوذ من الشعار، وهو مايلبس تحت الدثار، وقيل: من الشعور بمعنى الإدراك، يقال: «أشعره الأمر وبه» أي أعلمه. و«التواضع» التخاشع و التذلّل، و«أخبت الرجل» خضع لله و خشع قلبه، و«السكينة» الطمأنينة والوقار و الرزانة والمهابة، والحاصل عدم انفكاكهم عن الخوف والخشوع. و«الذلل» بضمّتين، جمع «ذلول» ضدّ الصعب، و«مجّده» أثنى عليه وعظّمه، والجمع للدلالة على

٣٢٢- كذا.
٣٢٣- الحج: ٧٥.
٣٢٤- في بعض النسخ: «ألزمها» وهو الأظهر.

الأنواع، و فتح الأبواب كناية عن إلهامها وتسهيلها عليهم لعدم معارضة شيطان أونفس أمّارة بالسوء بل خلقهم خلقة يلتذّون بها كما ورد أنّ شرابهم التسبيح و طعامهم التقديس. و«المنار» جمع المنارة وهي العلامة، وأصله النور ولذا أنّث «الواضحة». و«الأعلام» جمع «علم» بالتحريك وهوالجبل الطويل أومايعلم به الشيء ونصب المنار لهم على الأعلام عبارة عن غاية ظهورها لعدم معارضته الشكوك والشبهات الّتي تكون للبشر ولوفور الدلائل لهم لقربهم من ساحة عزّه و ملكوته و مشاهدتهم مايخفى علينا من آثار ملكه و جبروته. و«المؤصرات» المثقلات، وعدمها لعصمتهم وعدم خلق الشهوات فيهم.

و«رحّل البعير وارتحله» حطّ عليه الرحل وهو مركب للبعير، وفي الحديث: «ارتحلني ابني الحسن» أي جعلني كالراحلة و ركب على ظهري، والارتحال أيضاً الإزعاج والإشخاص. و «العقبة» بالضمّ، النوبة، والجمع «عقب» كغرفة و غرف والعقبة الليل والنهار لأنّهما يتعاقبان، قيل: أي لم يؤثّر فيهم ارتحال الليالي والأيّام كما يؤثّر ارتحال الإنسان البعير في ظهره حملاً على الوجه الأوّل، و على الثاني فالمعنى: لم يزعجهم تعاقب الليالى والأيّام ولم يوجب رحيلهم عن دارهم والغرض تنزيههم عمّا يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكرور الأزمنة. و «النوازع» في بعض النسخ بالعين المهملة من «نزع في القوس» إذا جذبها و مدّها، و «نوازع الشكوك» الشبهات، و قيل: أي شهواتها، و «النازعة» المحرّكة. و في بعضها بالغين المعجمة كما في النهاية من «نزغ الشيطان بين القوم» أي أفسد، و يقال: «نزغه الشيطان» أي وسوس إليه، و «العزيمة» ماوكدت رأيك و عزمك عليه. و «المعترك» موضع القتال، و «الاعتراك» الازدحام، و «الظنّ» يكون بمعنى الاعتقاد الراجح غير الجازم، و بمعنى الشكّ و يطلق على ما يشملهما و لعلّ الأخيرهنا أظهر، و «معقد الشيء» موضع شدّه، يقال: «عقدت الحبل والبيع والعهد» و يكون مصدراً، والحاصل نفي تطرّق الشبه والشكوك إلى عقائدهم اليقينيّة.

«ولا قدحت» يقال: «قدح بالزند» — كمنع— أي رام الإيراء[٣٢٥] به، وهو

٣٢٥- من «ورت النار ورياً» إذا اتّقدت.

استخراج النار، وربما يحمل على القدح بمعنى الطعن وهو بعيد. و«الإحن» جمع «إحنة» وهي الحقد و الغضب،أي لايثير الغضب و العداوة الكامنة فتنة فيما بينهم. و«الحيرة» عدم الاهتداء إلى وجه الصواب، و«لاق الشيء بغيره» أي لزق ومنه الليقة للصوق المداد بها، والغرض نفي الحيرة عنهم في عقائدهم، ويحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدّة الحبّ و كمال المعرفة كما سيأتي، و في الصحيفة السجّاديّة: «ولايغفلون عن الوله إليك»؛ فالمعنى أنّ شدّة ولهم لا توجب نقصاً في معرفتهم و غفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر. و«أثناء الشيء» تضاعيفه و«جاء في أثناء الأمر» أي في خلاله جمع «ثنى» بالكسر.

«فتقترع» في بعض النسخ بالقاف من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة و الاختبار فالغرض نفي تناوب الوساوس وتواردها عليهم، وفي بعضها بالفاء من «فرعه» أي علاه و الأوّل أنسب بالطمع، و«الرين» بالنون كما في بعض النسخ، الطبع و الدنس والتغطية، و«ران ذنبه على قلبه ريناً» أي غلب، وفي بعضها بالباء الموحّدة. و«الفكرة» إعمال النظرفي الشيء. «منهم» أي من مطلق الملائكة، و«الغمام و الغمائم» جمع «الغمامة» وهي السحابة، و«الدلح» جمع «الدالح» وهو الثقيل من السحاب لكثرة مائه، و«الدلح» أن يمشي البعير بالحمل وقد أثقله. و«الشامخ من الجبال» المرتفع العالي، و«القترة» بالضمّ، بيت الصائد الّذي يتستّر به عند تصيّده من جصّ ونحوه، ويجمع على «قتر» مثل غرفة وغرف، و يطلق على حلقة الدرع. و«الكوّة» النافذة، و«الظلام» ذهاب النور، و«الأيهم» الّذي لايهتدى فيه، ومنه فلاة يهماء، قيل: هذا النوع من الملائكة خزّان المطر و زواجر السحاب ولعلّه شامل لمشبعي [٣٢٦] الثلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل النزول والموكّلون [٣٢٧] بالجبال للحفظ وسائر المصالح و الساكنون في الظلمات لهداية الخلق و حفظهم أو غير ذلك.

٣٢٦- في المخطوطة: لمشيعي.

٣٢٧- كذا في النسخ، والصحيح «الموكّلين» وكذا «الساكنين».

وأقول: يحتمل أن يكون المراد تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب وفي عظم الخلقة بالجبال وفي السواد بالظلمة، بل هو عندي أظهر.

و«تخوم الأرض» بضم التّاء، معالمها و حدودها، وهي جمع «تخوم» بالضمّ أيضاً وقيل: واحدها «تخم» بالضمّ والفتح، وقيل: «التخم» حدّ الأرض، والجمع «تخوم» نحو فلس و فلوس. وقال ابن الأعرابيّ و ابن السكّيت: الواحد «تخوم» والجمع «تخم» مثل رسول ورسل؛ وفي النسخ بالضمّ. و«الراية» علم الجيش و«مخارق» المواضع الّتي تمكّنت فيها تلك الرايات بخرق الهواء، و «الريح الهفّافة» الطيّبة الساكنة، وقيل: أي ليست بمضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت.

«قد استفرغتهم أشغال عبادته» أي جعلتهم فارغين عن غيرها، و«حقائق الإيمان» العقائد اليقينيّة الّتي تحقّ أن تسمّى إيمانا، أو البراهين الموجبة له، وفي بعض النسخ «وسّلت» بالسين المشدّدة، يقال: «وسّل إلى الله توسيلاً وتوسّل» أي عمل عملاً تقرّب به إليه. «وقطعهم الإيقان به» أي صرفهم عمّا سوى الوله ووجّههم إليه، وهو في الأصل التحيّر من شدّة الوجد أوذهاب العقل، والمراد عدم الالتفات إلى غيره —سبحانه—. و«الرغبة» الإرادة والسؤال والطلب و الحرص على الشيء و الطمع فيه، والمعنى أنّ رغباتهم و طلباتهم مقصورة على ما عنده— سبحانه— من قربه و ثوابه و كرامته، ولعلّ الضمائر في تلك الفقرات راجعة إلى مطلق الملائكة كالفقرات الآتية، والباء في قوله— عليه السلام— «بالكأس» إمّا للاستعانة أو بمعنى «من» و ربما يضمن في الشرب معنى الالتذاذ ليتعدّى بالباء، و«الكأس» الإناء يشرب فيه أومادام الشراب فيه، وهي مؤنّثة، و«الرويّة» المروية الّتي تزيل العطش. و«سويداء القلب وسوداؤه» حبّته، و«الوشيجة» في الأصل عرق الشجرة، يقال: «وشجت العروق و الأغصان» أي اشتبكت، و«حنيت الشيء» أي عطفته. و«أنفد الشيء» أفناه، و«مادّة التضرّع» ما يدعو إليه. و«أطلق عن الأسير» إذا حلّ أسره و«الربقة» بالكسر، في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، وعدم نفاد مادّة التضرّع فيهم لعدم تطرّق

النقص إلى علمهم بعظمة الله و بحاجتهم إليه وعدم الشواغل لهم عن ذلك وعدم انتهاء مراتب العرفان و القرب الداعيين لهم إلى التضرّع و العبادة ومع ذلك لايتطرّق الضعف إلى قواهم فبقدرصعودهم في مدارج الطاعة يزادقربهم و كلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته –سبحانه– كما سيأتي الإشارة إليه. و يقال: «تولّاه» أي اتّخذه وليّاً، و«تولّى الأمر» أي تقلّده، وعدم تولّي الإعجاب كناية عن عدم الاستيلاء، و«الإعجاب» استعظام ما يعدّه الإنسان فضيلة لنفسه، و يقال: «أُعجب زيد بنفسه» على البناء للمفعول، إذا ترفّع و سرّ بفضائله، و«أعجبني حسن زيد» إذا عجبت منه. و«استكثره» عدّه كثيراً، و«ما سلف منهم» طاعاتهم السالفة. و«الاستكانة» الذلّ و الخضوع، واستكانة الإجلال خضوعهم الناشئ عن ملاحظة جلال الله و عظمته. و«الفترة» مرّة من الفتور وهو السكون بعد حدّة واللين بعد شدّة،و «دأب في أمره– كمنع– دؤوباً» جدّ وتعب. و«غاض الماء غيضاً و مغاضاً» قلّ و نقص. و«المناجاة» المخاطبة سرّاً، و«أسلة اللسان» طرفه و مستدقّه. و«الهمس» الصوت الخفيّ، و«الجؤار»– كغراب–، رفع الصوت بالدعاء و التضرّع، أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة؛ وفي بعض النسخ: «بهمس الخير» و في بعضها: «بهمس الحنين». وتوجيههما لايخلومن تكلّف. و«مقاوم الطاعة» صفوف العبادة جمع «مقام» وعدم اختلاف المناكب عبارة عن عدم تقدّم بعضهم على بعض أوعدم انحرافهم. و «ثنيت الشيء ثنياً» عطفته أثناه، أي كفّه و «ثنيته» أيضاً، صرفته إلى حاجته، و«راحة التقصير» الراحة الحاصلة بإقلال العبادة أوتركها بعد التعب. و«عدا عليه» أي قهره وظلمه، و«التبلّد» ضدّ التجلّد و التحيّر، و«بلد الرجل بلادة فهو بليد» [أي] غيرذكيّ ولافطن. و «انتضل القوم وتناضلوا» إذا رموا للسبق، و«الهمّة» ماهمّ به من أمر ليفعل، و«خدائع الشهوات» وساوسها الصارفة عن العبادة، وانتضالها تواردها و تتابعها. و«الفاقة» الفقر والحاجة و يوم فاقتهم يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار، ولايبعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعاتهم بازدياد القرب و إفاضة المعارف و ذكره –سبحانه– لهم وتعظيمه إيّاهم و غيرذلك، فيكون

إشارة إلى يوم جزائهم. و«يمّموه» أي قصدوه، و«الانقطاع إلى أحد» صرف الوجه عن غيره و التوجّه[٣٢٨] إليه و الضمير في «رغبتهم» إمّا راجع إلى الملائكة كضمير «فاقتهم» أو إلى الخلق أو إليهما على التنازع. و«الأمد» المنتهى، وقديكون بمعنى امتداد المسافة، و«يرجع» يكون لازماً و متعدياً، تقول: رجع زيد و رجعته أنا. و«اهترّفلان بكذا و استهتر فهو مهترّ به ومستهتر» على بناء المفعول، أي مولع به لايتحدث بغيره ولايفعل غيره، و«المادّة» الزيادة المتّصلة، وكلّ ما أعنت به قوماً في حرب أو غيره فهو مادّة لهم، ولعلّ المراد هنا بها المعين و المقوّي، وكلمة «من» في قوله «من قلوبهم» ابتدائيّة أي إلى موادّ ناشئة من قلوبهم غير منقطعة، وفي قوله «من رجائه» بيانيّة فالمراد الخوف و الرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة، ويحتمل أن تكون الأُولى بيانيّة أو ابتدائيّة والثانية صلة للانقطاع، والغرض إثبات دوام خوفهم و رجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ «الموادّ». و«السبب» كلّ مايتوصّل به إلى غيره، و«الشفقة» الخوف، و«الونى» الضعف والفتور، و«لم تأسرهم» أي لم تجعلهم أسراء، و«الإيثار» الاختيار، و«الوشيك» القريب و السريع، والمعنى: ليسوا مأمورين في ربقة الطمع حتّى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطموع في الدنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هوشأن البشر.

و«استعظام العمل» العجب المنهيّ عنه، ونسخ الشيء إزالته و إبطاله و تغييره والمراد بالرجاء هنا ما تجاوز الحدّ المطلوب منه، و يعبّر عنه بالاغترار، و«شفقات الوجل» تارات الخوف و مرّاته. «لم يختلفوا في ربّهم» أي في الإثبات و النفي، أو في التعيين، أو في الصفات كالتجرّد و التجسّم و كيفيّة العلم وغير ذلك وقيل: أي في استحقاق كمال العبادة، و يقال: «استحوذ عليه» أي استولى، وهو ممّا جاء على الأصل من غير إعلال. و«التقاطع» التعادي و ترك البرّ و الإحسان، و«تولّيت الأمر» أي قمت به، و«تولّيت فلاناً» اتّخذته وليّاً أي محبّاً و ناصراً، و«الغلّ» الحقد. و«الشعبة من كلّ شيء» الطائفة منهم، و«شعّبتهم» أي فرّقتهم؛ وفي بعض النسخ:

٣٢٨- في المخطوطة: التوجيه.

«تشعّبتهم» على التفعّل والأوّل أظهر. و«الريب» جمع «ريبة» بالكسر وهو الشكّ أوهو مع التهمة، و«مصارفها» وجوهها و طرقها من الأمور الباطلة الّتي تنصرف إليها الأذهان عن الشبه، أو وجوه انصراف الأذهان عن الحقّ بالشبه أو الشكوك والشبه أنفسها. و«اقتسموا المال بينهم» أي تقاسموه، و «أخياف الهمم» مختلفها و أصله من «الخيف» بالتحريك وهو زرقة إحدى العينين و سواد الأخرى في الفرس و غيره و منه قيل لإخوة الأُمّ «أخياف» لأنّ آباءهم شتّى. و«الهمّة» بالكسر، ماعزمت عليه لتفعله، وقيل: أوّل العزم. والغرض نفي الاختلاف بينهم و التعادي و التفرّق بعروض الشكوك واختلاف العزائم، أونفي الاختلاف عنهم و بيان أنّهم فرقة واحدة لبراءتهم عن الريبة واختلاف الهمم.

و«الزيغ» الجور و العدول عن الحقّ، وفي التفريع دلالة على أنّ الصفات السابقة من فروع الإيمان أولوازمه، و«الطبق» محرّكة في الأصل الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه «الحمّى المطبقة» و «الجنون المطبق» و«السماوات أطباق» لأنّ كلّ سماء طبق لما تحتها. و«الإهاب» —ككتاب— الجلد. و«الحافد» المسرع و الخفيف في العمل، ويجمع على «حفد» بالتحريك و يطلق على الخدم لإسراعهم في الخدمة. و«العزّة» القوّة و الغلبة، و«العظم» —كعنب— خلاف الصغر مصدر «عظم» وفي بعض النسخ بالضمّ و هواسم من «تعظّم» أي تكبّر.

و«دحوها على الماء» أي بسطها. و«كبس الرجل رأسه في قيصه» إذا أدخله فيه، و«كبس البئروالنهر» طمّها بالتراب و ملأهما، قال بعض شارحي النهج: «كبس الأرض» أي أدخلها الماء بقوّة و اعتمادشديد. و«مور الأمواج» أي تحرّكها و اضطرابها و «استفحل الأمر» أي تفاقم واشتدّ، وقيل: «أمواج مستفحلة» أي هائجةهيجان الفحول، وقيل: أي صائلة. و«اللجّة» بالضمّ، معظم الماء، ومنه «بحر لجّيّ»، و«زخر البحر» مدّ و كثرماؤه وارتفعت أمواجه. و«اللطم» ضرب الخدّ بالكفّ مفتوحة، و«التطمت الأمواج و تلاطمت» ضرب بعضها بعضاً، و «الآذيّ» بالمدّ والتشديد، الموج الشديد، والجمع «أواذي». و«الصفق» الضرب يسمع له صوت و «الصفق»

الردّ، و«اصطفقت الأمواج» أي ضرب بعضها بعضاً وردّها، و«التقاذف» الترامي بقوّة، و«الثبج» بتقديم الثاء المثلّثة على الباء الموحّدة و «ثبج البحر» بالتحريك، معظمه و وسطه، وقيل: أصله مابين الكاهل إلى الظهر، والمراد أعالي الأمواج. و «الرغا» بالضمّ، صوت الإبل. و«الزبد» بالتحريك، الّذي يعلو السيل، وقيل: «زبداً» منصوب بمقدر، أي ترغو قاذفة زبداً.

وأقول: الظاهر أنّ «ترغو» من «الرغوة» مثلّثة و هي الزبد يعلو الشيء عند غليانه، يقال: «رغى اللبن» أي صارت له رغوة، ففيه تجريد ولاينافيه التشبيه بالفحل، و«الفحل» الذكر من كلّ حيوان، وأكثرمايستعمل في الإبل، و«هاج الفحل» ثار واشتهى الضراب. و«خضع» أي ذلّ، و«جماح الماء» غليانه من «جمح الفرس» إذا غلب فارسه ولم يملكه. و«هيج الماء» ثورانه و فورته، و«الارتماء» الترامي والتقاذف، و«ارتماء الماء» تلاطمه، وأصل «الوطء» الدوس بالقدم، و«الكلكل» الصدر. و«ذلّ» أي صار ذليلاً أوذلولاً، ضدّ الصعب؛ وفي بعض النسخ: «كلّ» أي عرض له الكلال، من «كلّ السيف» إذا لم يقطع. و«المستخذي» بغير همزكما في النسخ، الخاضع والمنقاد،وقد يهمّز على الأصل. و«تمعّكت» مستعار من «تمعّكت الدابّة» أي تمرّغت في التراب، و«الكاهل» مابين الكتفين. «فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً»، «الاصطخاب» افتعال من الصخب، وهو كثرة الصياح و اضطراب الأصوات، و«الساجي» الساكن. و«الحكمة» محرّكة، حديدة في اللجام [و] تكون على حنك الفرس تمنعه عن مخالفة راكبه.

ثم إنّه أوردهنا[٣٢٩] إشكال، وهو أنّ كلامه- عليه السلام- يشعر بأنّ هيجان الماء وغليانه و موجه سكن بوضع الأرض عليه، وهذا خلاف مانشاهده و يقتضيه العقل لأنّ الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموّج و صعد علوّاً فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه؟

و أجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه

٣٢٩- في بعض النسخ: ههنا.

بجسم يحول بينه و بين تلك الريح، ولذلك إذا جعلنا في الاناء ماءً و روّحنا بمروحة فإنّه يتحرّك ، فإن جعلنا على سطح الماء جسماً يملأحافات الإناء و روّحناه بالمروحة فإنّ الماء لايتحرّك، لأنّ ذلك الجسم قدحال بين الهواء المجتلب بالمروحة و بين سطح الماء، فمن الجائز أن يكون الماء في الأوّل هائجاً لأجل ريح محرّكة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح وسيأتي في كلامه ــعليه السلام ــ ذكر هذه الريح حيث قال: اعتقم مهبّها... إلى آخر ماسيأتي. والأولى أن يقال: إنّ غرضه ــ عليه السلام ــ ليس نفي التموّج مطلقاً بل نفي التموّج الشديد الّذي كان للماء إذ حمله ــ سبحانه ــ على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة بقدرته الكاملة و أنشأريحاً لمخضه مخض السقاء، فكانت كرة الماء تندفق من جميع الجوانب و تردّ الريح أوّله على آخره و ساجيه على مائره، كما سيأتي في كلامه ــعليه السلام ــ. ثمّ لمّا كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلاريب في انقطاع الهبوب و التمويج[٣٣٠] من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء، وأيضاً لمّا منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الّذي كان ينتهي إليه ذلك الحدّ من الماء كان ذلك أيضاً من أسباب ضعف التموّج و قلّة التلاطم، وأيضاً لمّا تفرّقت كرة الماء في أطراف الأرض و مال الماء بطبعه إلى المواضع المنخفضة من الأرض وصار البحر الواحد المجتمع بحاراً متعدّدة وإن اتّصل بعضها ببعض و أحاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلّا من جهة السطح الظاهر سكنت الفورة الشديدة بذلك التفرّق و قلّة التعمّق و انقطاع الهبوب فكلّ ذلك من أسباب السكون الّذي أشار إليه ــعليه السلام ــ.

وأقول: ممّا يبيّن ذلك أنّه إذا فرضنا حوضاً يكون فرسخاً في فرسخ و قدّرنا بناء عمارة عظيمة في وسطه فلاريب في أنّه يقلّ بذلك أمواجه، وكلّما وصل موج من جانب من الجوانب إليه يرتدع و يرجع. ثمّ إنّ هذه الوجوه إنّما تبدى جرياً على قواعد الطبيعيّين و خيالاتهم الواهية، وإلّا فبعد ماذكره ــعليه السلام ــ لاحاجة لنا إلى إبداء وجه، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لاتحيط به

٣٣٠ــ في المخطوطة: «التموّج» وهو الأظهر.

عقولنا الضعيفة.

وقال ابن ميثم: مقتضى الكلام أنّ اللّه- تعالى- خلق الماء قبل الأرض وسكن بها مستفحل أمواجه، وهذا ممّا شهد به البرهان العقليّ فإنّ الماء لمّا كان حاوياً لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماسّ لسطحه الظاهر مكاناً لها، وظاهر أنّ للمكان تقدّماً طبيعيّاً باعتبار ماعلى المتمكّن فيه و إن كان اللفظ يعطي تقدّم خلق الماء على خلق الأرض تقدّماً زمانيّاً كما هو المقبول عند السامعين.[٣٣١] انتهى.

ولايخفى بعد أمثال تلك التأويلات الباردة في تلك العبارات الظاهرة الدلالة على التقدّم و الحدوث الزمانيّين كما ستعرف إن شاء اللّه- تعالى-.

«وسكنت الأرض مدحوّة» أي مبسوطة، ولاينافي الكرويّة، وقيل: هو من «الدحو» بمعنى القذف و الرمي، و«اللجّة» معظم الماء كما مرّ، و«التيّار» الموج وقيل: أعظم الموج، و«لجّته» أعمقه. و«النخوة» الافتخار و التعظّم و الأنفة و الحميّة، و«البأو» الرفعة و التعظّم و الكبر، و«الاعتلاء» التيه و الترفّع. و«شمخ بأنفه» أي تكبّر من «شمخ الجبل» إذا ارتفع، و«السموّ» العلوّ، و«غلواء الشباب» أوّله وشرته، والغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم و منعها إيّاه عن تموّجه وهيجانه. و«كعمت البعير» أي شددت فه إذا هاج بالكعام- ككتاب- وهو شيء يجعل في فيه، و«الكظّة» بالكسر، مايعتري الممتلئ من الطعام ، و«الجرية» بالكسر، حالة الجريان، أومصدر، و«كظّة الجرية» مايشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل. و«همدت الريح» سكنت. و«همود النار» خمودها، و«نزق الفرس- كسمع و نصر وضرب- نزقاً ونزوقاً» نزى و وثب، و«النزقات» دفعاته و «نزق الغدير» امتلأ إلى رأسه، و على هذا فالهمود بمعنى الغور و الأوّل أظهر. و«الزيفان» بالتحريك، التبختر في المشي، من «زاف البعير يزيف» إذا تبختر؛ وفي بعض النسخ: «ولبد بعد زيفان وثباته»، يقال: «لبد بالأرض»- كنصر- إذا لزمها وأقام ومنه «اللبد» - ككتف- لمن لايبرح منزله و لايطلب معاشاً، و يروى: «ولبد بعد زفيان» بتقديم الفاء على الياء،

٣٣١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٣٧٢، ط بيروت.

وهو شدّة هبوب الريح، يقال: «زفت الريح السحاب» إذا طردته، و«الزفيان» بالفتح، القوس السريعة الإرسال للسهم، و«الوثبة» الطفرة. و«هيج الماء» ثورانه و فورته، و«أكنافها» أي جوانبها و نواحيها، و«شواهق الجبال» عواليها، و«الباذخ» العالي. و«الينبوع» ما انفجر من الأرض من الماء و لعلّه اعتبر فيه الجريان بالفعل فيكون من إضافة الخاصّ إلى العامّ أو التكرير للمبالغة، وقيل: «الينبوع» الجدول الكثير الماء فلايحتاج إلى تكلّف، و«عرنين الأنف» أوّله تحت مجتمع الحاجبين، والظاهر أنّ ضمير «أنوفها» راجع إلى الأرض كالضمائر السابقة و اللاحقة، و استعار لفظ «العرنين» و «الأنف» لأعالي رؤوس الجبال، وإنّما خصّ الجبال بتفجّرالعيون منها لأنّ العيون أكثرما يتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعة، وأثر القدرة فيها أظهر و نفعها أتمّ. و «السهب» الفلاة البعيدة الأكناف و الأطراف، و «البيد» بالكسر، جمع بيداء وهي الفلاة الّتي يبيد سالكها أي يهلكه، و«الأخاديد» جمع «أخدود» وهو الشقّ في الأرض، والمراد بأخاديدها مجاري الأنهار. ولعلّ تعديل الحركات بالراسيات أي الجبال الثابتات جعلها عديلاً للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركة فيستفاد سكونها، فالباء صلة لاسببيّة، أوالمعنى سوى الحركات في الجهات أي جعل الميول متساو ية بالجبال فسكنت لعدم المرجّح، فالباء سببيّة، ويحتمل أن يكون المراد أنّه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرّك للزلازل وقد لا تتحرّك ، ولم يجعل الحركة غالبة على السكون مع احتمال كونها دائماً متحرّكة بحركة ضعيفة غير محسوسة ومن ذهب إلى استناد الحركة السريعة إلى الأرض لايحتاج إلى تكلّف. و «الجلاميد» جمع «جلمد و جلمود» أي الصخور، و «الشناخيب» جمع «شنخوب» بالضمّ، أي رؤوس الجبال العالية و«الشمّ» المرتفعة العالية، و«الصياخيد» جمع «صيخود» وهي الصخرة الشديدة. و«الميدان» بالتحريك، التحرّك والاضطراب ، و «رسب في الماء— كنصر وكرم— رسوباً» ذهب سفلاً، و«جبل راسب» أي ثابت، و«القطع»— كعنب— جمع «قطعة» بالكسر، وهي الطائفة من الشيء، و يروى بسكون الطاء وهو طنفسة الرحل، قيل: كأنّه جعل الأرض ناقة وجعل لها قطعاً، وجعل الجبال في ذلك القطع. و«الأديم» الجلد المدبوغ، و«أديم السماء

و الأرض» ماظهر منها ورسوب الجبال في قطع أديمها دخولها في أعماقها.

و«التغلغل» الدخول، و«السرب» بالتحريك، بيت في الأرض لامنفذله يقال: «تسرّب الوحش و انسرب في جحره» أي دخل، و«الجوبة» الحفرة و الفرجة و«الخيشوم» أقصى الأنف، و«السهل من الأرض» ضدّ الحزن، و«جرثومة الشيء» بالضمّ، أصله، وقيل: التراب المجتمع في أصول الشجر، وهو أنسب. ولعلّ المراد بجراثيمها المواضع المرتفعة منها، ومفاد الكلام أنّ الأرض كانت متحرّكة مضطربة قبل خلق الجبال فسكنت بها، وظاهره أنّ لنفوذ الجبال في أعماق الأرض و ظهورها و ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلاً في سكونها، وقدمرّ بعض القول في ذلك في كتاب التوحيد وسيأتي بعضه في الأبواب الآتية إن شاءالله.

و«فسح له»— كمنع— أي وسّع، ولعلّ في الكلام تقدير مضاف أي بين منتهى الجوّ و بينها، أو المراد بالجوّ منتهاه أعني السطح المقعّر للسماء. و «المتنسّم» موضع التنسّم وهو طلب النسيم و استنشاقه، وفائدته ترويح القلب حتى لايتأذّى بغلبة الحرارة. و«مرافق الدار» مايستعين به أهلها و يحتاج إليه في التعيّش، وإخراج أهل الأرض على تمام مرافقها إيجادهم و إسكانهم فيها بعد تهيئة مايصلحهم بمعاشهم و التزوّد إلى معادهم. و«الجرز» بضمّتين، الأرض الّتي لانبات بها و لاماء، و «الرابية» ما ارتفع من الأرض و كذلك «الربوة» بالضمّ[٣٣٢]، و«الجدول»— كجعفر— النهر الصغير، و«الذريعة» الوسيلة. و«ناشئة السحاب» أوّل ماينشأ منه، أي يبتدئ ظهوره، و يقال: «نشأت السحاب»[٣٣٣] إذا ارتفعت، و«الغمام» جمع «الغمامة»[٣٣٤] بالفتح فيهما، وهي السحابة البيضاء، و«اللمع»— كصرد— جمع «لمعة» بالضمّ وهي في الأصل قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس كأنّها تلمع و تضيء من بين سائر البقاع، و«القزع» جمع «قزعة» بالتحريك فيهما، وهي القطعة من الغيم، و«تباين القزع» تباعدها. و«المخض» بالفتح، تحريك السقاء[٣٣٥] الّذي فيه اللبن ليخرج زبده و

٣٣٢- بل بالتثليث.
٣٣٣- في المخطوطة: السحابة.
٣٣٤- في بعض النسخ: غمامة.
٣٣٥- «السقاء» بكسر السين وتخفيف القاف، وعاء من الجلد للماء واللبن.

«تمخّضت» أي تحرّكت، و«اللّجة» معظم الماء، و«المزن» جمع «المزنة» بالضمّ فيهما، وهي الغيم، وقيل: السحابة البيضاء، وضمير «فيه» راجع إلى المزن أي تحرّكت فيه اللجّة المستودعة فيه و استعدّت للنزول. و«التمع البرق ولمع» أي أضاء و «كففه» حواشيه وجوانبه، وطرف كلّ شيء «كُفّة» بالضمّ، وعن الأصمعيّ: كلّ ما استطال كحاشية الثوب و الرمل فهو «كُفّة» بالضمّ، و كلّ ما استدار ككفّة الميزان فهو «كِفّة» بالكسر و يجوز فيه الفتح. و«وميض البرق» لمعانه، و«لم ينم» أي لم ينقطع ولم يفتر، و«الكنهور» — كسفرجل — قطع من السحاب كالجبال، وقيل: المتراكم منه، و«الرباب» — كسحاب — الأبيض منه، وقيل: السحاب الّذي تراه كأنّه دون السحاب وقديكون أسود وقديكون أبيض جمع «ربابة». و«المتراكم و المرتكم» المجتمع، وقيل: الميم بدل من الباء كأنّه ركب بعضه بعضاً، و«السحّ» الصبّ و السيلان من فوق، و«المتدارك» من «الدرك» بالتحريك، وهو اللحاق، يقال: «تدارك القوم» إذا لحق آخرهم أوّلهم. و«أسفّ الطائر» إذا دنا من الأرض، و«هيدبه» ماتهدّب منه أي تدلّى كما تتدلّى هدب العين، و«مرى الناقة يمريها» أي مسح ضرعها حتّى درّ لبنها وعدّي ههنا إلى مفعولين، وروي: «تمرى» بدون الضمير، و«الجنوب» بالفتح، الريح مهبّها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا، وهي أدرّ للمطر، و«الدرر» — كعنب — جمع «درّة» بالكسر، أي الصبّ و الاندفاق، وقيل: «الدرر» الدارّ كقوله — تعالى —: «قِيَماً»[٣٣٦] أي قائما، و«الهضب» المطر، ويجمع على أهضاب ثمّ على أهاضيب كقول و أقوال و أقاويل، و «الدفعة من المطر» بالضمّ، ما انصبّ مرّة، و«الشآبيب» جمع «شؤبب» وهو ماينزل من المطردفعة بشدّة.

و«البرك» الصدر، و«البواني» قوائم الناقة و أركان البنية. وقال بعض شرّاح النهج: «بوانيها» بفتح النون، تثنية «بوان» على فعال بكسر الفاء، وهي عمود الخيمة، والجمع «بون» ومن روى «بوانيها» أراد لواصقها من قولهم قوس بانية إذا التصقت بالوتر، والرواية الأولى أصحّ. [انتهى.] و في النسخ القديمة المصحّحة على صيغة الجمع،

٣٣٦- الأنعام: ١٦١.

وفي النّهاية فسّر البواني على أركان البنية، وفي القاموس بقوائم الناقة، وعلى التقادير الإضافة لأدنى ملابسة. وفي الكلام تشبيه السحاب بالناقة المحمول عليها، والخيمة الّتي جرّ عمودها. و«البعاع»– كسحاب– ثقل السحاب من المطر، و«استقلّت» أي نهضت و ارتفعت، و«استقلّت به» حملته و رفعته، و«العبء» الحمل و الثقل بكسر الجميع. و«الهوامد من الأرض» الّتي لانبات بها، و«الزعر» بالتحريك، قلّة الشعر في الرأس، يقال: رجل أزعر، و«الأزعر» الموضع القليل النبات، والجمع «زعر» بالضمّ، كأحمر و حمر و المراد هيهنا القليلة[۳۳۷] النبات من الجبال تشبيهاً بالرؤوس القليلة الشعر، و«العشب» بالضمّ، الكلأ الرطب. و«بهج»– كمنع و فرح– [سرّ] و قال بعض الشرّاح: من رواه بضمّ الهاء أراد: يحسن و يملح من البهجة أي الحسن، و«الروضة من العشب» الموضع الّذي يستنقع فيه الماء، و«استراض الماء» أي استنقع، و«تزدهي» أي تتكبّر و تفتخر، افتعال من «الزهو» و هو الكبر والفخر، و«الريط» جمع «ريطة» بالفتح فيهما، كلّ ملاءة ليست بلفقين أي قطعتين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة، وقيل: كلّ ثوب رقيق ليّن. و«الأزاهير» جمع «أزهار» جمع «زهرة» بالفتح، وهي النبات و نوره، وقيل: الأصفر منه، وأصل الزهرة الحسن و البهجة، و«الحلية» بالكسر، مايتزيّن به من مصوغ الذهب و الفضّة و المعدنيّات. «ماسُمّطت به» أي أُعلقت[۳۳۸] على بناء المجهول من التفعيل، وفي بعض النسخ الصحيحة بالشين المعجمة، و«الشميط من النبات» ما خالط سواده النور الأبيض، وأصله «الشمط» بالتحريك، وهو بياض الرأس يخالط سواده و «النضارة» الحسن و الطراوة، و«النور» بالفتح، الزهر أوالأبيض منه، و«البلاغ» بالفتح، مايتبلّغ به و يتوسّل إلى الشيء المطلوب، و«الفجّ» الطريق الواسع بين الجبلين، و«الفجاج» جمعه، و«خرقها» خلقها على الهيئة المخصوصة، و«الآفاق» النواحي، و«المنار» جمع «منارة» و هي العلامة، والمراد هيهنا[۳۳۹] مايهتدي

۳۳۷- في المخطوطة: القليل.
۳۳۸- في بعض النسخ: علقت.
۳۳۹- في المخطوطة: هنا.

به السالكون من الجبال و التلال أوالنجوم، والأوّل هنا أظهر و«الجادّة» وسط الطريق و معظمه.

و«مهّد الشيء» وسّعه و بسطه، و«مهّد الأمر» سوّاه و أصلحه، ولعلّ المراد هنا إتمام خلق الأرض على ماتقتضيه المصلحة في نظام أمورساكنيها، وقيل: يحتمل أن يراد بتمهيد الأرض جعلها مهاداً أي فراشاً كماقال— جلّ وعلا—: «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَاداً» ٣٤٠، أوجعلها مهداً أي مستقرّاً كالمهد للصبيّ كما قال— سبحانه—: «ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً». ٣٤١ و«إنفاذ الأمر» إمضاؤه و إجراؤه، و«الخيرة» — كعنبة— المختار، و«الجبلّة» بكسر الجيم والباء و تشديد اللام، الخلقة و الطبيعة، وقيل في قوله— تعالى—: «وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ» ٣٤٢ أي ذوي الجبلّة، ويحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق، وقيل: «الجبلّة» الجماعة من الناس، والمراد بأوّل الجبلّة أوّل شخص من نوع الإنسان ردّاً على من قال بقدم الأنواع المتوالدة. و«أرغد اللّه عيشه» أي جعله واسعاً طيّباً، و«الأُكُل» بضمّتين، الرزق والحظّ، قال اللّه— تعالى—: «وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا» ٣٤٣. و«أوعزت إلى فلان في فعل أو ترك» أي تقدّمت، والمراد النهي عن الأكل من الشجرة، و«خاطر بنفسه و ماله» أي أشفاهما على خطر وألقاهما في مهلكة، والضمير في «منزلته» راجع إلى آدم، ويحتمل رجوعه إليه— سبحانه— كضمير «معصيته» على الظاهر.

قوله—عليه السلام— «موافاة» قال ابن أبي الحديد: لايجوز أن ينتصب لأنّه مفعول له ليكون عذراً وعلّة للفعل، بل على المصدريّة المحضة كأنّه قال: فوافا بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة. «فأهبطه بعد التوبة» هوصريح في أنّ الإهباط كان بعد التوبة فما يظهر من كثير من الآيات و الأخبار من عكس ذلك لعلّه محمول على التوبة الكاملة أوعلى القبول و يقال بتأخّره عن التوبة. وقد تقدّم تأويل تلك المعصية و أضرابها في المجلّد الخامس.

٣٤٠- النبأ: ٦.
٣٤١- طه: ٥٣.
٣٤٢- الشعراء: ١٨٤.
٣٤٣- البقرة: ٣٥.

«ممّا يؤكّد عليهم» لعلّ التعبير بلفظ التأكيد لكون معرفة الربّ -سبحانه- فطريّة أو لوضوح آيات الصنع في الدلالة على الخالق -جلّ ذكره- أو للأمرين. وقال في المغرب: «تعهّد الضيعة و تعاهدها» أتاها و أصلحها، وحقيقته جدّد العهد بها. و«القرن» أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنّه المقدار الّذي يقتون فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم و أحوالهم، فقيل: أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة وقيل: مائة. وقال الزجّاج: الّذي عندي- والله أعلم- أنّ القرن أهل كلّ مدّة كان فيها نبيّ أو طبقة من أهل العلم سواء قلّت السنون أو كثرت. و«مقطع الشيء» آخره كأنّه قطع من هناك، و«عذرالله» ما بيّن للمكلّفين من الأعذار في عقوبته لهم إن عصوه، و«نذره» ما أنذرهم به من الحوادث و من أنذره على لسانه من الرسل كذا قيل وقيل: هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار والمراد ختم الرسالة بنبيّنا -صلّى الله عليه وآله-.

«وقدّر الأرزاق» لمّا كان المتبادر من القسمة البسط على التساوي، بيّن ما أراده بذكر الكثير و القليل، ثمّ لمّا كان ذلك موهماً للجور دفع الوهم بذكر العدل و نبّه على وجه الحكمة بذكر الابتلاء و الاختبار، وروي: «فعدّل» بالتشديد و «التعديل» التقويم، والمآل واحد. و«الابتلاء» الامتحان، و«الميسور و المعسور» مصدران بمعنى العسر و اليسر كالمفتون بمعنى الفتنه، ويمتنع عند سيبويه مجيء المصدر على مفعول، قال: «الميسور» الزمان الّذي يوسر فيه. والاختبار فيه- سبحانه- صورته. و «غنيّها وفقيرها» نشر على ترتيب اللفّ على الظاهر، والضمير فيها إلى الأرزاق، وفي الإضافة توسّع، ويحتمل عوده إلى الأشخاص -المفهوم من المقام- أو إلى الدنيا، أو إلى الأرض، ولعلّ إحديها أنسب ببعض الضمائر الآتية.

و «العقابيل» جمع «عقبول وعقبولة» بالضمّ، وهي قروح صغار تخرج بالشفة غبّ الحمّى و بقايا المرض، وفي تشبيه الفاقة و هي الفقر و الحاجة و آثارها[٣٤٤] بالعقابيل من اللطف مالايخفى لكونها ممّا يقبح في المنظر وتخرج في العضو الّذي لايتيسّر سترها عن الناس وتشتمل على فوائد خفيّة و كذلك الفقر ومايتبعه، وأيضاً تكون غالباً

٣٤٤- في بعض النسخ: أو آثارها.

بعد التلذّذ بالنعم. و«طوارق الآفات» متجدّدات المصائب و مايأتي منها بغتة من «الطروق» و هو الإتيان بالليل. و«الفرج» جمع «فرجة» وهي التفصّي من الهمّ و فرجة الحائط أيضاً، و«الفرح» السرور و النشاط، و«الغصّة» بالضمّ، ما اعترض في الحلق،و «الترح» بالتحريك الهمّ و الهلاك والانقطاع أيضاً.

و«الأجل» محرّكة، مدّة الشيء، وغاية الوقت في الموت، وحلول الدين، وتعليق الإطالة والتقصير على الأوّل واضح؛ وأمّا التقديم و التأخير، فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مدّة غاية وحينئذ يرجع التقديم إلى التقصير والإطالة إلى التأخير ويكون العطف للتفسير تأكيداً، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقاً على بعض و تقديم بعض الأمم على بعض مثلاً فيكون تأسيساً، و يمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلاً كماورد في الأخبار و بتأخيرها مدّها لبعض الأسباب فيعود الضمير في «قدّمها و أخّرها» إلى الآجال بالمعنى الثاني على وجه الاستخدام أونوع من التجوّز في التعليق كمامرّ. و«السبب» في الأصل الحبل يتوسّل به إلى الماء و نحوه ثم توسّعوا فيه، واتّصال أسباب الآجال أي أسباب انقضائها أو أسباب نفسها[٣٤٥] على المعنى الثاني بالموت[٣٤٦] واضح، ويحتمل أن تكون الأسباب عبارة عن الآجال بالمعنى الأوّل. و«خالجاً» أي جاذباً، و«الشطن» بالتحريك، الحبل، وأشطان الآجال الّتي يجذبها الموت هي الأعمار شبّهت بالأشطان لطولها و امتدادها. و «المرائر» جمع «مريرومريرة» و هي الحبال المفتولة على أكثر من طاق، ذكره في النهاية؛ وقيل: الحبال الشديدة الفتل، وقيل: الطول الدقاق منها. و«الأقران» جمع «قرن» بالتحريك، وهو في الأصل حبل يجمع به البعيران و لعلّ المراد بمرائر أقران الآجال، الأعمار الّتي يرجى امتدادها لقوّة المزاج و البنية و نحوذلك.

وكلمة «من» في قوله «من ضمائر المضمرين» بيانيّة، و«الضمائر» الصور الذهنية المكنونة في المدارك . و«النجوى» اسم يقام مقام المصدر، وهو المسارّة.

٣٤٥- في المخطوطة: أنفسها.

٣٤٦- الجارّ والمجرور متعلّق بقوله «اتّصال».

و«الخواطر» مايخطر في القلب من تدبير أمر و نحو ذلك. و «رجم الظنون» كلّ مايسبق إليه الظنّ من غير برهان أو مسارعته، و«الحديث المرجم» الّذي لايدرى أحقّ هوأم باطل. و«عقدة كلّ شيء» بالضمّ، الموضع الّذي عقد منه و أُحكم. و «مسارق العيون» النظرات الخفيّة كأنّها تسترق النظر لإخفائها، و«أومضت المرأة» إذا سارقت النظر، و«أومض البرق» إذا لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم، و«الجفن» بالفتح، غطاء العين من أعلى و أسفل وجمعه «جفون و أجفن و أجفان» والمقصود إحاطة علمه –سبحانه– بكلّ معلوم جزئيّ وكلّيّ ردّاً على من قصّر علمه على البعض كالكلّيّات.

و«الأكنان والأكنّة» جمع «الكِنّ» بالكسر، وهواسم لكلّ مايستتر فيه الإنسان لدفع الحرّ و البرد من الأبنية ونحوها، وستر كلّ شيء ووقاؤه كما قال– تعالى–: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» [٣٤٧].وقال ابن أبي الحديد: و يروى: «أكنّة القلوب» وهي غلفها و أغطيتها [و] قال اللّه– تعالى–: «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» [٣٤٨].

و«غيابة البئر» قعره. و«أصغى» أي استمع، و«أصغى إليه» أي مال بسمعه نحوه و «استراق السمع» الاستماع في خفية، و«صاخ و أصاخ له» أي استمع و «مصائخ الأسماع» خروقها الّتي يستمع بها. و«الذرّ» صغار النمل، و«مصائفها» المواضع الّتي تصيف فيها أي تقيم فيها بالصيف. و«مشاتي الهوامّ» مواضع إقامتها بالشتاء، و«الهامّة» كلّ ذات سمّ يقتل، ومالا يقتل فهو السامّة كالعقرب، وقديقع الهوامّ على مايدبّ من الحيوان كالحشرات. و«الحنين» شدّة البكاء وصوت الطرب عن حزن أوفرح، و«رجعه» ترجيعه و ترديده، وقيل: أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها أثرولدها، و «المولهات» النوق، وكلّ أنثى حيل بينها و بين أولادها؛ وفي بعض النسخ: «الموالهات» و أصل الوله زوال العقل و التحيّر من شدّة الوجد. و«الهمس» أخفى مايكون من صوت القدم أوكلّ صوت خفيّ. و«المنفسح» موضع السعة، و«منفسح

٣٤٧- النحل: ٨١.
٣٤٨- الأنعام: ٢٥.

الثمرة» موضع نموّها في الأكمام؛ و يروى: «متفسّخ» بالخاء المعجمة و تشديد السين و التاء، مصدراً من «تفسّخت الثمرة» إذا انقطعت، و«الوليجة» الدخيلة و البطانة. و قال ابن أبي الحديد: «الولائج» المواضع الساترة والواحد[٣٤٩] «وليجة» وهي كالكهف يستتر فيها المارّة من مطر أو غيره. و«الغلف» بضمّة و بضمّتين[٣٥٠]، جمع «غلاف»- ككتاب- و يوجد في النسخ على الوجهين، و«الكمّ» بالكسر، وعاء الطلع و غطاء النور وجمعه «أكمام و أكمّة و كمام»، وكلمة «من» على ما في الأصل بيانيّة أوتبعيضيّة، وعلى الرواية صلة أو بيانيّة. و«المنقمع» على زنة المفعول من باب الانفعال، موضع الاختفاء، كما في أكثر النسخ و في بعضها من باب التفعّل بمعناه، و«الغيران» جمع «غار» و هوماينحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتّسع قيل: كهف؛ وقيل: «الغار» الجحر يأوي إليه الوحش، أوكلّ مطمئنّ في الأرض أو المنخفض من الجبل. و«البعوض» البقّ، وقيل: صغارها، والواحدة بهاء[٣٥١] و«مختبأ البعوض» موضع اختفائه، و«السوق» جمع ساق، و«الألحية» جمع «اللحاء»- ككساء- و هو قشر الشجر. و« غرزه في الأرض»- كضرب‌ه-، أدخله و ثبّته، و«مغرز الأوراق» موضع وصلها، و «الأفنان» جمع «فنن» بالتحريك، وهو الغصن. و«الحطّ» الحدر من علو إلى سفل.و«الأمشاج» قيل: مفرد، وقيل: جمع «مشج» بالفتح أو بالتحريك أو «مشيج» على فعيل أي المختلط. قيل في قوله- تعالى-: «مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ»[٣٥٢]: أي أخلاط من الطبائع من الحرارة و البرودة والرطوبة و اليبوسة؛ وقيل: من الأجزاء المختلفة في الاستعداد؛ وقيل: «أمشاج» أي أطوار: طوراً نطفة، وطوراً علقة، وهكذا؛ وقيل: أي أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة وسيأتي الكلام فيه. و كلامه- عليه السلام- يؤيّد بعض الوجوه الأوّلة كما لايخفى.

و«المسارب» المواضع الّتي ينسرب فيه المنيّ أي يسيل، أو ينسرب فيها المنيّ

٣٤٩- في المخطوطة: الواحدة.

٣٥٠- في بعض النسخ: أوضمّتين.

٣٥١- يعني: يزاد في آخرها هاء فيقال: بعوضة.

٣٥٢- الدهر: ٢.

أي يختفي، من قولهم «انسرب الوحشيّ» إذ دخل في جحره و اختفى، أو مجاري المنيّ من السرب بمعنى الطريق، والمراد أوعيتها من الأصلاب أومجاريها، و تفسير المسارب بالأخلاط الّتي يتولّد منها المنيّ كما احتمله ابن ميثم بعيد، والمراد بمحطّ الأمشاج مقرّ النطفة من الرحم أومن الأصلاب على بعض الوجوه في المسارب فتكون كلمة «من» تبعيضيّة، ولعلّ الأوّل أظهر.

و«الناشئة من السحاب» أوّل ماينشأ منه ولم يتكامل اجتماعه أوالمرتفع منه، و «متلاحم الغيوم» ما التصق منها بعضها ببعض. و«الدرور» السيلان، و«القطر» بالفتح، المطر، والواحدة «قطرة»، و«السحائب» جمع سحابة، و«متراكمها» المجتمع المتكاثف منها؛ وفي بعض النسخ: «وتراكمها».

و«سفت الريح التراب تسفيه» أي ذرته و رمت به أوحملته، و«الأعاصير» جمع «الإعصار» وهو بالكسر الريح الّتي تهبّ صاعداً من الأرض نحو السماء كالعمود، وقيل: الّتي فيها نار، وقيل: الّتي فيها العصار و هو الغبار الشديد، و«ذيولها» أطرافها الّتي تجرّها على الأرض، ولطف الاستعارة ظاهر. و«عفت الريح الأثر» إذا طمسته ومحته، و«عفي الأثر» إذا انمحى، يتعدّى و لايتعدّى. و«العوم» السباحة و سير السفينة والإبل، و«بنات الأرض» بتقديم الباء على ما في أكثر النسخ، الحشرات و الهوامّ الّتي تكون في الرمال و غيرها كاللحكة و العصابة وغيرهما، وحركتها في الرمال لعدم استقرارها تشبه السباحة،وفي بعض النسخ بتقديم النون، فالمراد حركة عروقها في الرمال كأرجل السابحين و أيديهم في الماء، و«الكثبان» بالضمّ، جمع «الكثيب» و هو التلّ من الرمل. و«المستقرّ» موضع الاستقرار، ويحتمل المصدر. و«ذروة الشيء» بالضمّ و الكسر، أعلاه. و «غرد الطائر» —كفرح— و«غرّد تغريداً» رفع صوته و طرب به و ذوات المنطق من الطيور ماله صوت و غناء كأنّ غيره أبكم لايقدر على المنطق. و«الدياجير» جمع «ديجور» و هو الظلام و المظلم و الإضافة على الثاني من إضافة الخاصّ إلى العامّ، و«الوكر» بالفتح، عشّ الطائر. و«ما أوعته الأصداف» أي ماحفظته و جمعته من اللئالي. و «الحضن» بالكسر، مادون الإبط إلى الكشح أوالصدر، أو العضدان و

مابينهما، و«حضن الصبيّ»- كنصر- جعله في حضنه، و«ماحضنته الأمواج» العنبر والمسك وغيرهما. و« ماغشيته » أي غطّته، و«السدفة» بالضمّ، الظلمة. و«ذرّت الشمس» أي طلعت، و«شرقت الشمس و أشرقت» أي أضاءت. و «ما اعتقبت» أي تعاقبت وجاءت واحدة بعد أخرى، و«الأطباق» جمع «طبق» بالتحريك، وهو غطاء كلّ شيء و تارات[٣٥٣] الظلمة تستر الأشياء كالأغطية. و«سبحات النور» مرّاته، و«سبحات وجه اللّه» أنواره، وقال ابن أبي الحديد: ليس يعني بالسبحات ههنا مايعني به في قوله «سبحات وجه ربّنا» لأنّه هناك بمعنى الجلالة، وههنا بمعنى مايسبح عليه النور أي يجري، من «سبح الفرس» و هو جريه، و«المتعاقبان» النور و الظلمة أي ماتغطّيه ظلمة بعد نور و نور بعد ظلمة، و يحتمل أن يراد تعاقب أفراد كلّ منها.

و«أثر القدم» علامته الّتي تبقى في الأرض، و«الخطوة» المشية. و«الحسّ» الصوت الخفيّ. و«رجع الكلمة» ماترجع به من الكلام إلى نفسك وتردّده في فكرك أو جواب الكلمة أوترديد الصوت و ترجيعه عند التلفّظ بالكلمة، أوإرجاع النفس للتلفّظ بكلمة بعد الوقف على كلمة، والرجع يكون لازماً ومتعدياً. و«النسمة» محرّكة، الإنسان أوكلّ دابّة فيها روح، و«مستقرّ النسمة» إمّا الصلب أوالرحم أوالقبر أومكانه في الدنيا أو في الآخرة أوالأعمّ. و «مثقال الذرّة» وزنها لاالمثقال المعروف كما قال- تعالى-: «إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»[٣٥٤]. و«الهمهمة» الصوت الخفيّ أوترديد الصوت في الحلق أوتردّد الصوت في الصدر من الهمّ. «كلّ نفس هامّة» أي ذات همّة تعزم على أمر، والوصف للتعميم، و«ما عليها» أي على الأرض بقرينة المقام كقوله - تعالى-: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»[٣٥٥]. و «النطفة» ماء الرجل، والماء الصافي قلّ أوكثر و يطلق على قليل ماء في دلوأوقربة، والأوّل أظهر في المقام. و«قرارتها» موضعها الّذي تستقرّ فيه، وأصل القرارة المطمئنّ من الأرض يستقرّ فيه ماء المطروجمعها «القرار». و«نقاعة كلّ شيء» بالضمّ، الماء الّذي ينقع فيه، وقال الشرّاح: «النقاعة» نقرة يجتمع فيها الدم. و«المضغة» بالضمّ، القطعة من اللحم قدر ما يمضغ. و«ناشئة الخلق»

٣٥٣- في بعض النسخ: دثارات. ٣٥٤- النساء: ٤٠. ٣٥٥- الرحمن: ٢٦.

الصورة ينشئها —سبحانه— في البدن أو الروح الّتي ينفخها فيه، و«السلالة» بالضمّ، ما استلّ و استخرج من شيء، وفي الكلام إشارة إلى قوله —سبحانه—: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ... إلى قوله: ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[٣٥٦]. ثمّ الغرض من ذكره هذه الأشياء التنصيص على عموم علمه —سبحانه— مع الإشارة إلى أصناف خلقه و أنواع بريّته و عجائب ربوبيّته، فإنّ الدليل على علمه بها خلقه لها و حفظه وتربيته لكلّ منها و إظهار بدائع الحكمة في كلّ صفة من أوصافها و حال من أحوالها كما قال—سبحانه—: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[٣٥٧].

«لم يلحقه في ذلك» المشار إليه إمّا العلم بالجزئيّات المذكورة و إمّا خلق الأشياء المذكورة قبل تفصيل المعلومات أوفيها أيضاً كما قلنا انّ الغرض ليس محض تعلّق العلم بها، «كلفة» أي مشقّة. «ولااعترضته» أي منعته، و«العارضة» مايستقبلك من شيء يمنعك عن مسيرك. «ولااعتورته» قيل: «اعتورته» أحاطت به، وفي اللغة: «اعتوروا الشيء» أي تداولوه و تناوبوه، و «في تنفيذ الأمور» أي إجرائها و إمضائها و «التدبير» النظر في عاقبة الأمر أوالفعل عن رويّة، والمراد هنا إمضاء الأمور على وفق المصلحة و العلم بالعواقب، و«الملالة» السأمة و الضجر، و«فتر عن العمل» انكسر حدّته و لان بعد شدّته. «بل نفذهم علمه» أي أحاط علمه بظواهرهم و بواطنهم و في بعض النسخ: «نفذهم» على الحذف والإيصال. و«العدّ» مصدر «عددته» و في بعض النسخ: «عدده». و «غمرهم» أي غطّاهم و سترهم و شملهم فضله. و «كنه الشيء» نهايته و حقيقته.

و«الوصف الجميل» ذكر الفضائل، و«التعداد» بالفتح، مصدر للمبالغة والتكثير، وقال الكوفيّون: أصله التفعيل الّذي يفيد المبالغة، قلبت ياؤه ألفاً و بالكسر شاذّ. و«الأمل» ضدّ اليأس، و«خير» خبر مبتدأ محذوف، وكذلك «أكرم». و

٣٥٦- المؤمنون: ١٤.
٣٥٧- الملك: ١٤.

«البسط» النشر والتوسيع، و كلمة «في» إمّا زائدة أوللظرفيّة المجازيّة والمفعول محذوف أي بسطت لي القدرة أوالكلام فيما لاأمدح به غيرك، والغرض شكره ــسبحانهــ على فضيلة البلاغة و العلم به ــسبحانهــ و مدائحه و التوفيق على قصر المدح على الله ــجلّ شأنهــ. و «الخيبة» الحرمان، والمخلوقون هم معادنها لأنّ عطاياهم قليلة فانية مع أنّهم لايعطون غالباً، وهم مواضع الريبة أي التهمة و الشكّ لعدم الوثوق بإعطائهم و عدم الاعتماد عليهم في رعاية مصلحة في المنع والله ــسبحانهــ لايمنع إلّا لمصلحة تعود إلى السائل و يدّخر مع ذلك له أضعاف ماسأل في الدار الباقية.

و«المثوبة» الثواب، و«الجزاء» المكافاة على الشيء، و«العارفة» الإحسان. «دليلاً على ذخائر الرحمة» أي هادياً إلى أسبابها بالتوفيق و التأييد، و«ذخائر الرحمة» عظائم العطايا، وأصل الذخيرة المختار من كلّ شيء أوما يعدّه الرجل ليوم حاجته. «وهذا مقام» اسم مكان، ويحتمل المصدر. و«المحمدة» بفتح الميم و كسرها، مصدر «حمده» ــ كسمعهــ. و«الفاقة» الفقر، و«الجبر» في الأصل إصلاح العظم المكسور، و«المسكنة» الخضوع و الذلّة و قلّة المال و سوء الحال. و«نعشه» رفعه، و«الخلّة» بالفتح، الفقر و الحاجة، وضميرا «مسكنتها» و «خلّتها» راجعان إلى الفاقة و في الإضافة توسّع. و«المنّ» العطاء، و«مدّ الأيدي» كناية عن الطلب وإظهار الحاجة، و«القدير» مبالغة في القادر.

وإنّما بسطنا الكلام بعض البسط في شرح هذه الخطبة لكونها من جلائل الخطب، وذكرنا جميعها لذلك ولكون أكثرها متعلّقاً بمطالب هذا المجلّد، وتفريقها على الأبواب كان يوجب تفويت نظام البلاغة و كمالها كما فوّت السيّد ــرحمه اللهــ كثيراً من فوائد الخطبة باختصارها واختيارها، و أمّا دلالتها على حدوث السماء و الأرض والملائكة وغير ذلك فغير خفيّ على المتأمّل فيها.[٣٥٨]

[هذا بيان آخر في شرح بضعة كلمات للخطبة:]

بيان: «العقابيل» بقايا المرض، واحدها «عقبول». و«الأتراح» الغموم.

٣٥٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ١١٥ ــ ١٥٨.

و«الخلج» الجذب. و«الشطن» الحبل. و«المرائر» الحبال المفتولة على أكثر من طاق. و«الأقران» الحبال.[٣٥٩]

٩٢ — ومن كلام له عليه السلام

لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُوني وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي ؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ ؛ لَا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ (١٢٤٥) . وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ (١٢٤٦) ، وَٱلْمَحَجَّةَ (١٢٤٧) قَدْ تَنَكَّرَتْ (١٢٤٨) . وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً !

تبيين: المخاطبون بهذا الخطاب الطالبون للبيعة بعد قتل عثمان، ولمّا كان النّاس نسوا سيرة النبيّ —صلّى الله عليه و آله— واعتادوا بما عمل فيهم خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء والأشراف لانتظام أمورهم و أكثرهم إنّما نقموا على عثمان استبداده بالأموال كانوا يطمعون منه —عليه السلام— أن يفضّلهم أيضاً في العطاء و التشريف ولذانكث طلحة و الزبير في اليوم الثاني من بيعته، ونقموا عليه التسوية في العطاء و قالوا: آسيت بيننا و بين الأعاجم! و كذلك عبدالله بن عمر، و سعيدبن العاص، ومروان و أضرابهم، ولم يقبلوا ماقسم لهم، فهؤلاء القوم لمّاطلبوا البيعة بعد قتل عثمان قال —عليه السلام— لهم: «دعوني و التمسواغيري» إتماماً للحجّة عليهم

٣٥٩– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، ص ١٤٨.

باستقبال أمورلها وجوه و ألوان لايصبرون عليها وأنّه بعد البيعة لايجيبهم إلى ماطمعوا فيه ولا يصغي إلى قول القائل وعتب العاتب بل يقيمهم على المحجّة البيضاء و يسير فيهم بسيرة رسول الله ـصلّى الله عليه و آله ـ.

«وإنّ الآفاق قد أغامت» أي أظلمت بغيم سير أرباب البدع، وخفاء شمس الحقّ تحت سحاب شبه أهل الباطل. و«المحجّة» جادّة الطريق. «وتنكّرها» تغيّرها و خفاؤها. قوله ـعليه السلام ـ «ركبت بكم» أي جعلتكم راكبين. وتركهم إيّاه عدم طاعتهم له واختيار غيره للبيعة حتّى لاتتمّ شرائط الخلافة لعدم الناصر كقوله ـعليه السلام ـ في الشقشقيّة: «لولا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها». وليس الغرض ردعهم عن البيعة الواجبة بل إتمام للحجّة و إبطال لما علم ـعليه السلام ـ من ادّعائهم الإكراه على البيعة كما فعل طلحة والزبير بعد النكث، مع أنّ المرء حريص على مامنع والطبع نافرعمّا سورع إلى إجابته. و«الوزير» من يحمل عن الملك ثقل التدبير.

وقال ابن أبي الحديد ـ كما هودأبه أن يأتي بالحقّ ثمّ عنه يحيد ـ: هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون: إنّه ـعليه السلام ـ لم يكن منصوصاً عليه بالإمامة، وإن كان أولى النّاس بها لأنّه لوكان منصوصاً عليه لما جازأن يقول: دعوني و التمسواغيري.

ثمّ ذكرتأويل الإماميّة بأنّ الخطاب للطالبين منه ـعليه السلام ـ أن يسير فيهم بسيرة الخلفاء و يفضّل بعضهم على بعض في العطاء، أوبأنّ الكلام خرج مخرج التضجّر و التسخّط لأفعال الّذين عدلوا عنه ـعليه السلام ـ قبل ذلك للأغراض الدنيويّة، أوبأنّه خرج مخرج التهكّم كقوله ـ تعالى ـ: «ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ» [٣٦٠] أي بزعمك.

ثمّ قال: واعلم أنّ ما ذكروه ليس ببعيد لودلّ عليه دليل، فأمّا إذا لم يدلّ عليه دليل فلايجوز صرف اللفظ عن ظاهره.[٣٦١]

٣٦٠- الدخان: ٤٩.
٣٦١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٣٣ ـ ٣٥، ط بيروت.

ولايخفى على اللبيب أنّه بعد الإغماض عن الأدلّة القاهرة و النصوص المتواترة لافرق بين المذهبين في وجوب التأويل، ولايستقيم الحمل على ظاهره إلّا على القول بأنّ إمامته —عليه السلام— كان مرجوحاً و أنّ كونه وزيراً أولى من كونه أميراً، وهو ينافي القول بالتفضيل الّذي قال به، فإنّه —عليه السلام— إذا كان أحقّ بالإمامة و بطل تفضيل المفضول على ماهوالحقّ واختاره أيضاً، كيف يجوز للنّاس أن يعدلوا عنه إلى غيره؟ و كيف يجوز له —عليه السلام— أن يأمرالناس بتركه والعدول عنه إلى غيره مع عدم ضرورة إلى ترك الإمامة، ومع وجود الضرورة كما جاز ترك الإمامة الواجبة بالدليل جاز ترك الإمامة المنصوص عليها، فالتأويل واجب على التقديرين، ولا نعلم أحداً قال بتفضيل غيره عليه، و رجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان، على أنّ الظاهر للمتأمّل في أجزاء الكلام حيث علّل الأمر بالتماس الغيرباستقبال أمر لا تقوم له القلوب و تنكّر المحجّة، وإنّه إن أجابهم حملهم على محض الحقّ هو أنّ السبب في ذلك وجود المانع دون عدم النصّ و أنّه لم يكن متعيّناً للإمامة أو لم يكن أحقّ و أولى به ونحوذلك. ولعلّ الوجه في قوله —عليه السلام— «لعلّي أسمعكم و أطوعكم» هوأنّه إذا تولّى الغير أمرالإمامة ولم تتمّ الشرائط في خلافته —عليه السلام— لم يكن —عليه السلام— ليعدل عن مقتضى التقيّة بخلاف سائر الناس حيث يجوز الخطاء عليهم.

و أمّا قوله —عليه السلام— «فأنالكم وزيراً، خيرلكم منّي أميراً» فلعلّ المراد بالخيريّة فيه موافقة الغرض أوسهولة الحال في الدنيا فإنّه —عليه السلام— على تقدير الإمامة و بسط اليديجب عليه العمل بمحض الحقّ وهو يصعب على النفوس ولايحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيراً فإنّ الوزير يشير بالرأي مع تجويز التأثير في الأميرو عدم الخوف و نحوه من شرائط الأمر بالمعروف. ولعلّ الأمير الّذي يولّونه الأمر يرى في كثير من الأمور ما يطابق آمال القوم و يوافق أطماعهم ولا يعمل بما يشير به الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم. فالحاصل أنّ ما قصدتموه من بيعتي لايتمّ لكم،ووزارتي أوفق لغرضكم، والغرض إتمام الحجّة كما عرفت.[۳۶۲]

۳۶۲- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ۸، ص ۳۹۷، ط كمپاني و ص ۳۷۲، ط تبريز.

٩٣ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها ينبّه أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبيّن فتنة بني أمية

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ(١٢٤٩) عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا(١٢٥٠) ، وَٱشْتَدَّ كَلَبُهَا(١٢٥١) . فَٱسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِئَةً وَتُضِلُّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا(١٢٥٢) وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ، وَمُنَاخِ(١٢٥٣) رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ(١٢٥٤) الْأُمُورِ ، وَحَوَازِبُ(١٢٥٥) ٱلْخُطُوبِ ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَسْؤُولِينَ ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ(١٢٥٦) ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً ، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ ٱلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ(١٢٥٧) ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ ، يُصِبْنَ بَلَداً

وَيُخْطِئْنَ بَلَداً . أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا(١٢٥٨) ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ(١٢٥٩) : تَعْذِمُ(١٢٦٠) بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ(١٢٦١) بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا(١٢٦٢) ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَٱنْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ(١٢٦٣) مَخْشِيَّةً(١٢٦٤) ، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى(١٢٦٥)

نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ ٱلْأَدِيمِ(١٢٦٦) : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً(١٢٦٧) ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ(١٢٦٨) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا ٱلسَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ(١٢٦٩) إِلَّا ٱلْخَوْفَ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ ـ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ـ لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ(١٢٧٠) ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ !

تبيين: «فقأ العين» شقّها، وعدم اجترائهم كان لاستعظامهم قتال أهل القبلة لجهالتهم. و«الغيهب» الظلمة، وتموّجه كناية عن عمومه و شموله للأماكن. و «اشتدّ كلبها» أي شرّها و أذاها، يقال للقحط الشديد: الكلب، وكذلك للقرّ الشديد. قوله «بناعقها» أي الداعي إليها، يقال: «نعق ينعق» بالكسر، أي صاح وزجر. و«المناخ» بضمّ الميم، مصدر أو اسم مكان من «أناخ البعير». و«الركاب» الإبل الّتي تسارعليها، الواحدة «راحلة» ولاواحدلها من لفظها. و«الكرائه» جمع «الكريهة» و هي الشدّة. و قال الجزريّ: «الحوازب» جمع «حاذب» وهو الأمر الشديد.[٣٦٣] قوله ـعليه السلام ـ «لأطرق كثيرمن السائلين» أي لشدّة الأمر و صعوبته، حتّى أنّ السائل ليبهت و يدهش فيطرق ولايستطيع السؤال. و«الفشل» الجبن.

وقال ابن أبي الحديد: «قلّصت» يروى بالتشديد أي انضمّت واجتمعت فيكون أشدّ و أصعب من أن يتفرّق في مواطن متعدّدة، وبالتخفيف أي كثرت و تزايدت من «قلصت البئر» أي ارتفع ماؤها و روي: «إذا قلصت عن حربكم» أي إذا قلصت كرائه الأمور و حوازب الخطوب عن حربكم أي انكشفت عنها.[٣٦٤]

قوله ـ عليه السلام ـ «وشمّرت عن ساق» أي كشفت عن شدّة و مشقّة، كقوله ـتعالى ـ: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[٣٦٥] أو كناية عن قيام الحرب و تمام أسبابها، فإنّه كناية عن الاهتمام في الأمر. قوله ـعليه السلام ـ «إذا أقبلت شبّهت» أي في ابتدائها تلتبس الأمور و لايعلم الحقّ من الباطل إلى أن تنقضي فيظهر بطلانها لظهور آثار الفساد منها. و «حام الطائر حول الماء يحوم حوماً و حوماناً» أي دار، شبّه ـعليه السلام ـ الفتن في دورانها ووقوعها من دعاة الضلال في بلددون بلد بالرّياح. و«الخطّة» الحال و الأمر وعمومها لأنّها كانت ولاية عامّة وخصّت بليّتها بالصالحين و الأئمّة من أهل البيت ـعليهم السلام ـ وشيعتهم، فالمبصر العارف للحقّ يصيبه البلاء لمايرى من الجور فيه و في غيره، و أمّا الجاهل المنقادلهم فهو في راحة. و«الناب» الناقة

٣٦٣- النهاية، ج ١، ص ٢٢٢.
٣٦٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٥٢، ط بيروت.
٣٦٥- القلم: ٤٢.

المسنّة، و«الضروس» السيّئة الخلق، و«العذم» العضّ والأكل بجفاء. و«الزبن» الدفع. و«الدرّ» في الأصل اللّبن ثمّ أطلق على كلّ خير، وهو كناية عن منع حقوق المسلمين و الاستبداد بأموالهم.

قوله «أوغيرضائر» يعني من لاينكر أفعالهم. و«الانتصار» الانتقام، وقد جاء في كلامه –عليه السلام– تفسير انتصار العبد من ربّه في غير هذا الموضع حيث عقّبه بقوله «إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه»[٣٦٦] والمراد بالصّاحب هنا التابع. و«الشوهاء» القبيحة؛ وفي بعض النسخ: «شوها» بالضمّ بغير مدّ، جمع «الشوهاء».

قوله –عليه السلام– «وقطعاً جاهليّة» شبّهها بقطع السحاب لتراكمها، أو قطع الحبل لورودها دفعات. قوله –عليه السلام– «بمنجاة» أي بمعزل لا تلحقنا آثامها و لسنا من أنصار تلك الدعوة. قوله «كتفريج الأديم»، «الأديم» الجلد، ووجه الشبه انكشاف الجلد عمّا تحته من اللّحم. قوله –عليه السلام– «يسومهم خسفاً» أي يولّيهم ذُلاً و«الخسف» النقصان و الهوان. قوله –عليه السلام– «مصبّرة» أي ممزوجة بالصبر المرّأو مملوءة إلى أصبارها أي جوانبها. قوله–عليه السلام– «ولايحلسهم» أي لايلبسهم، و«الحلس» كساء رقيق يكون تحت البرذعة، والجزور من الإبل يقع على الذكر و الأنثى، و«جزرها» ذبحها.

قال عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: هذه الدعوى ليست منه–عليه السلام– ادّعاء الربوبيّة ولا ادّعاء النبوّة، ولكنّه كان يقول: إنّ رسول الله– صلّى الله عليه و آله– أخبره بذلك، ولقد امتحنّا أخباره فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كاخباره عن الضربة الّتي يضرب في رأسه فتخضب لحيته؛ و إخباره عن قتل الحسين– عليه السلام– ابنه، وما قاله في كربلاء حيث مرّبها؛ و إخباره بملك معاوية الأمر من بعده؛ و إخباره عن الحجّاج وعن يوسف بن عمر و ما أخبر به من أمر الخوارج بالنّهروان؛ و ما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب؛ و إخباره بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين؛ و

٣٦٦– راجع النهج لمحمّد عبده، ج ١، ص ٢٠٧، ط مصر.

إخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لمّا شخص— عليه السلام— إلى البصرة لحرب أهلها، و إخباره عن عبدالله بن الزبير و قوله— عليه السلام— فيه: «خبّ ضبّ يروم أمراً ولايدركه، ينصب حبالة الدّين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش»؛ و كاخباره عن هلاك البصرة بالغرق و هلاكها تارة أخرى بالزنج، وهو الّذي صحّفه قوم فقالوا: بالريح.[٣٦٧] وكإخباره عن الأئمة الّذين ظهروا من ولده بطبرستان كالنّاصر و الدّاعي و غيرهما في قوله— عليه السلام— «وإنّ لآل محمّد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذاشاء دعاة حقّ تقوم بإذن الله فتدعو إلى دين الله»؛ و كإخباره عن مقتل النفس الزكيّة بالمدينة و قوله: «إنّه يقتل عند أحجار الزيت»، و كقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا[٣٦٨] «يقتل بعد أن يظهر و يقهر بعد أن يقهر» و قوله —عليه السلام— فيه أيضاً: «يأتيه سهم غرب يكون فيه منيّته فيابؤس الرامي[٣٦٩] شلّت يده و وهن عضده»؛ و كإخباره عن قتلى فخّ و قوله—عليه السلام—[٣٧٠]: «هم خير أهل الأرض أو من خير أهل الأرض»؛ و كإخباره عن المملكة العلويّة بالغرب و تصريحه بذكر كتامة و هم الّذين نصروا أبا عبدالله الداعي المعلّم، وكقوله— وهو يشير إلى عبيدالله المهديّ وهو أوّلهم—: «ثمّ يظهر صاحب القيروان[٣٧١] الغضّ البضّ، ذوالنسب المحض، المنتجب من سلالة ذي البداء، المسجّى بالرّداء»، وكان عبيدالله المهديّ أبيض مترفاً مشرباً حمرة رخص البدن تارّالأطراف و ذوالبداء إسماعيل بن جعفر بن محمّد – عليهما السلام— و هو المسجّى بالرّداء، لأنّ أباه أبا عبدالله جعفراً— عليه السلام— سجّاه بردائه لمّامات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته و تزول عنهم الشبهة في أمره؛

٣٦٧– في المصدر بعد ذلك: وكإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق– بتقديم المهملة– وهم آل مصعب الّذين منهم طاهر بن الحسين وولده و إسحاق بن إبراهيم، وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسيّة. اهـ.

٣٦٨– موضع بين الكوفة وواسط و إلى الكوفة أقرب؛ به قبر إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، قتله بها أصحاب المنصور. فراجع مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٤٨.

٣٦٩– في المصدر: فيابؤساً للرامي.

٣٧٠– في المصدر: وقوله فيهم.

٣٧١– كانت مدينة عظيمة بإفريقيا.

وكإخباره عن بني بويه و قوله فيهم: «ويخرج من ديلمان بنوالصيّاد» إشارة إليهم، وكان أبوهم صيّاد السمك يصيدمنه بيده ما يتقوّت هو و عياله بثمنه فأخرج الله– تعالى– من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيّتهم حتّى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله –عليه السلام– فيهم: «ثمّ يستقوي أمرهم حتّى يملكوا الزوراء و يخلعوا الخلفاء». فقال له قائل: فكم مدّتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: مائة أو تزيد قليلاً. و كقوله فيهم: «والمترف ابن الأجذم يقتله ابن عمّه على دجلة» و هو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسين، وكان معزّ الدولة أقطع اليد قطعت يده النكوص[٣٧٢] في الحرب، وكان ابنه عزّ الدولة بختيار مترفاً صاحب لهو و شرب[٣٧٣] وقتله عضدالدولة فنّاخسره[٣٧٤] ابن عمّه بقصر الجفن[٣٧٥] على دجلة في الحرب و سلبه ملكه، فأمّا خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي و رتّب عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضدالدولة خلع الطائع ورتّب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به –عليه السلام–. و كإخباره –عليه السلام– لعبدالله بن العبّاس– رحمه الله– عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإنّ عليّ بن عبدالله لمّا و لد أخرجه أبوه عبدالله إلى عليّ –عليه السلام– فأخذه و تفل في فيه و حنّكه بتمرة قدلاكها و دفعه إليه وقال: «خذ إليك أبا الأملاك» هكذا الرواية الصحيحة و هي الّتي ذكرها أبوالعبّاس المبرّد في الكتاب الكامل[٣٧٦]، و ليست الرواية الّتي يذكر فيها العدد بصحيحة ولامنقولة في كتاب[٣٧٧] معتمد عليه.

وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى ممّا لو أردنا استقصاءه لكرّسنا كراريس[٣٧٨] كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة[٣٧٩]، ثمّ قال: وهذا

٣٧٢– في المصدر: النكوص. ٣٧٣– في المصدر: وطرب. ٣٧٤– في المصدر: فناخسرو. ٣٧٥– في المصدر: الجصّ.

٣٧٦– في المصدر: في كتاب الكامل.

٣٧٧– كذافي (ك). وفي غيره من النسخ وكذا المصدر: من كتاب.

٣٧٨– «الكُرّاس والكُرّاسة» بالضمّ والشدّ، الجزء من الكتاب، مجموعة صغيرة دون الكتاب، وفي غير (ك) من النسخ وكذا المصدر: لكسرنا له كراريس.

٣٧٩– أسقط المصنّف ههنا كثيراً من كلامه وقد نقل بعضه فيما سبق.

الكلام إخبار عن ظهور المسوّدة و انقراض ملك بني أميّة، ووقع الأمر بموجب إخباره- صلوات الله عليه- حتّى لقد صدق قوله- عليه السلام- «تودّ قريش» إلى آخره، فإنّ أرباب السيرة كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمّد قال يوم الزاب لمّا شاهد عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بإزائه في صفّ خراسان: «لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى» والقصّة طويلة مشهورة و هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ -عليه السلام- بعد انقضاء أمر النهروان؛ وفيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ- رحمه الله- من قوله -عليه السلام-[٣٨٠]: «ولم يكن ليجترئ عليها غيري ولولم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل و النهروان، وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله -عزّوجلّ- على لسان نبيّكم- صلّى الله عليه و آله- لمن قاتلهم مبصراً بضلالتهم عارفاً للهدى الّذي نحن عليه، سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول بل قتلاً ماينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم.» وضرب بيده إلى لحيته.

و منها[٣٨١] في ذكر بني أميّة: «يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى تملأ الأرض عدواناً و ظلماً و بدعاً، إلى أن يضع الله- عزّ وجلّ- جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها، ألا و إنكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدروحنين توجروا، ولا تمالؤوا عليه عدوّهم فيصير عليهم[٣٨٢] و يحلّ بكم النقمة» و منها: «إلّا مثل انتصار العبد من مولاه إذاراّه أطاعه، و إن توارى عنه شتمه، وايم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّيوم لهم» و منها: «فانظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، و إن استنصروكم فانصروهم، فليفرّجنّ الله منّا[٣٨٣] أهل البيت بأبي ابن خيرة الإماء لايعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عانقه ثمانية[٣٨٤] حتّى

٣٨٠- كذا في (ك). وفي غيره من النسخ وكذا المصدر: من ذلك قوله.اه.

٣٨١- أي وممّا لم يوردها الرضيّ ــ رحمه الله ــ.

٣٨٢- في المصدر: فتصرعكم البليّة.

٣٨٣- في المصدر: فليفرّجنّ الله الفتنة برجل منّا. اه.

٣٨٤- في المصدر: ثمانية أشهر.

تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله ببني أميّة حتّى يجعلهم حطاماً و رفاتاً، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا و قتّلوا تقتيلاً، سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً». [٣٨٥]

بيان: «الختّ» الخداع، و «الصبابة» الشوق، و في بعض النسخ بالهمز فيهما فالختء، السرّ، وهو أيضاً كناية عن الغدر والحيلة، و «صبأ- كمنع و كرم- صبأ» خرج من دين إلى آخر، و «عليهم العدوّ» دلّهم، قاله الفيروزآبادي. [٣٨٦] و قال: أصابه سهمُ غربٍ و يحرّك و سهمٌ غربٌ نعتاً أي لايدري راميه. [٣٨٧] و «الفضّ» الكسر بالتفرقة، والنفر المتفرّقون. و «البضّ» الرخص الجسد الرقيق الجلد الممتلئ. و «التارّ» المسترخي.

أقول: أوردت تمام تلك الخطبة برواية سليم بن قيس [٣٨٨] في كتاب الفتن. [٣٨٩]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة و هي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ -عليه السلام- بعد انقضاء أمرالنهروان و فيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ -رحمه الله-.

ثمّ ذكر بعض الألفاظ المتروكة، منها قوله -عليه السلام- «ولم يكن ليجترئ عليها غيري، ولو لم أك فيكم ماقوتل أهل الجمل و النهروان، وايم الله لولا أن تتّكلوا فتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله- عزّوجلّ- على لسان نبيّكم -صلّى الله عليه وآله- لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الّذي نحن عليه. سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول بل قتلاً ماينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه - وضرب بيده على لحيته-».

٣٨٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٧ - ٥٨، ط بيروت.

٣٨٦- القاموس، ج ١، ص ٢٠.

٣٨٧- القاموس، ج ٤، ص ١١١.

٣٨٨- راجع كتاب سليم بن قيس، ص ٨٥ - ٩٠.

٣٨٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣٤٩ - ٣٥٥.

ومنها في ذكر بني أميّة: «يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى يملأ الأرض عدواناً و ظلماً وبدعاً إلى أن يضع الله جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها. ألاوإنكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر و حنين توجروا، ولا تمالؤواعليهم عدوّهم فتصرعكم البليّة و تحلّ بكم النقمة».

ومنها: «إلّا مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه و إذا توارى عنه شتمه. وايم الله لوفرّ قوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّيوم لهم».

ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم فليفرّجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإماء، لايعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عانقه ثمانية [أشهر] حتّى تقول قريش: لوكان هذا ولد فاطمة لرحمنا؛ يغريه الله ببني أميّة حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلاً، سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً[٣٩٠]».

ثمّ قال: فإن قيل فمن هذا الرجل الموعود به؟ قيل: أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثّاني عشر و أنّه ابن أمة اسمها نرجس. و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان لأمّ ولدوليس بموجود الآن. فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجوداً حتّى ينتقم منهم؟ قيل: أمّا الإماميّة فتقول بالرجعة و يزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أميّة وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر، وإنّه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم، و يسمل عيون بعضهم، و يصلب قوماً آخرين، و ينتقم من أعداء آل محمّد ـصلّى الله عليه وآله ـ المتقدّمين و المتأخّرين. و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله ـ تعالى ـ في آخرالزمان رجلاً من ولد فاطمة ـعليهاالسلام ـ يستولي على السفيانيّ و أشياعه من بني أميّة.

ثمّ قال: فإن قيل: لماذاخصّ ـعليه السلام ـ أهل الجمل و أهل النهروان بالذكر ولم يذكر صفّين؟ قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة

٣٩٠- اقتباس من القرآن، الأحزاب: ٦١ ـ ٦٢.

الالتباس، وأمّا أهل الجمل لحسن ظنّهم بطلحة والزبير، وكون عايشة زوجة الرسول —صلّى اللّه عليه وآله— معهم. وأمّا أهل النّهروان فكانوا أهل قرآن و عبادة واجتهاد و عزوف عن الدنيا، و هم كانوا قرّاء العراق وزهّادها. وأمّا معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره عمرو بن العاص و من اتّبعهما من طغام أهل الشام و أجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز قتالهم و محاربتهم. انتهى.

قوله —عليه السلام— «فأنا فقأت» يقال: «فقأت العين» أي شققتها أوقلعتها بشحمها أوأدخلت الإصبع فيها. و «فقأعين الفتنة» كسرثورانها. و حذف المضاف أي عين أهلها بعيد. وعدم اجتراء غيره —عليه السلام— على إطفاء تلك الفتنة لأنّ الناس كانوايهابون قتال أهل القبلة و يقولون: كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا و يصلّي بصلاتنا؟ و«الغيهب» الظلمة. وتموّجها عمومها وشمولها تشبيها لها بالبحر. و«الكلب» بالتحريك، داء يعرض الإنسان من عضّ الكلب و العطش، والمراد شرّها و أذاها. و«الفئة» الطائفة و الجماعة لاواحدلها من لفظها. و«ناعقها» الدّاعي لها أواليها. و«المناخ» بضمّ الميم، موضع الإناخة. و«الركاب» الإبل الّتي يسار عليها، والواحدة «راحلة». و«الرحل» بالفتح، كلّ شيء يعدّ للرحيل. و«حططت الرجل» أنزلته عن الإبل، و«المحطّ» اسم مكان، وقيل: هو والمناخ مصدران. و«الكريهة» النّازلة و «كرائه الأمور» المصائب الّتي تكرهها النفوس. و«الحوازب» جمع «حازب» و هو الأمر الشديد، و«حزبه أمر» اشتدّ عليه و دهمه. و«الخطب» بالفتح، الشأن و الحال والأمر الّذي تقع فيه المخاطبة. و«الإطراق» السكوت، وإطراق السّائل لصعوبة الأمر و شدّته حتّى أنّه يبهته عن السؤال ويتحيّر كيف يسأل. و«الفشل» الجبن و الضعف.

قوله —عليه السلام— «وذلك» أي النزول أو الإطراق والفشل. و«قلّصت» بالتشديد، أي اجتمعت و انضمّت. والحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ وأصعب، و يكون التشديد للمبالغة، وهي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها و كثرتها، و يقال: بالتشديد بمعنى استمرّت في المضيّ، و يقال: «قلص قيصه فقلّص

تقليصاً» أي شمّر لازم و متعدّ؛ وفي بعض النسخ: «قلّصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمّرت»، و يروى: «إذا قلصت عن حربكم» بالتخفيف، أي إذا انكشفت كرائه الأمور وحوازب الخطوب عن حربكم. و «شمّرت عن ساق» أي كشفت عن شدّة و مشقّة، كما قيل في قوله– تعالى–: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» [٣٩١] وقيل: كشف السّاق مثل في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب، وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب. وقيل: «يكشف عن ساق» أي عن أصل الأمرو حقيقته بحيث يصيرعياناً، ويحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالجدّ في أمر، فإنّ الإنسان إذا جدّفي السّعي شمّر عن ساقه و رفع ثوبه لئلّا يمنعه. واستطالة الأيّام عدّها طويلة، و يوم البؤس و الشدّة يطول على الإنسان، و لعلّ المراد ببقيّة الأبرار أولادهم و إن لم يكونوا أبراراً في أنفسهم إن كان إشارة إلى دولة بني العبّاس وإلّا ظهر أنّه أراد القائم– صلوات اللّه عليه–.

قوله –عليه السلام– «شبّهت» على المعلوم، جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحقّ، أوعلى المجهول، أي أشكل أمرها و التبس على النّاس. قوله –عليه السلام– «نبّهت» أي أيقظت القوم من النوم و أظهرت بطلانها عليهم. «ينكرن» أي لايعرف حالهنّ. و«حام الطّائر حول الماء» إذا طاف و دار لينزل عليه و «حوم الرياح» أي كحومها. و«الخطّة» بالضمّ، شبه القصّة و الأمر و الخطب، وعموم خطّة تلك البليّة لكونها رياسة عامّة و سلطنة شاملة، وخصوص البليّة لكون حظّ أهل البيت –عليهم السلام– و شيعتهم منها أوفر، وإصابة البلاء من أبصر فيها لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة و قصدهم إيّاه بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم. و يطلق الربّ على المالك والسيّد والمدبر والمربّي و المنعم. و«النّاب» النّاقة المسنّة. و «الضّروس» السيّئة الخلق تعضّ حالبها. و«عذم الفرس»– كضرب– إذا أكل بجفاء أوعضّ. و«خبط البعير» إذا ضرب بيده الأرض شديداً. و«الزّبن» الدفع، و«زبنت النّاقة» إذا ضربت بثفنات رجلها عندالحلب. و«والدرّ» اللبن، و يقال لكلّ خيرعلى

٣٩١- القلم: ٤٢.

التوسّع.

قوله —عليه السلام— «لايزالون بكم» أي لايزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتّى لايبقى منكم إلّا من ينفعهم في مقاصدهم، أولايضرّهم بإنكار المنكرات عليهم. و«الضائر» المضرّ. و«الانتصار» الانتقام. و «الصاحب» التابع. و «المستصحب» المتبوع، والغرض إمّا نفي إمكان الانتصار، أوإثبات انتصار الأذلّاء و المقهورين كالغيبة والذمّ مع الأمن من الوصول إلى المغتاب. و«الشوهاء» القبيحة. و«المخشيّة» المخوفة. و«الجاهليّة» الحالة الّتي كانت العرب عليها قبل الإسلام. و«المنجاة» موضع النجاة، والغرض خلاصهم من لحوق الآثام والمتابعة في الدعوة إلى الباطل لاالخلاص من الأذيّة. و«الأديم» الجلد ووجه الشبه انكشاف الجلد عمّا تحته من اللحم، و يحتمل أن يكون المراد بالأديم الجلد الّذي يلفّ الإنسان فيه للتعذيب لأنّه يضغطه شديداً إذا جفّ، و في تفريجه راحة. و«يسومهم» أي يكلّفهم و يلزمهم. و«الخسف» النقصان و الذلّ و الهوان. و«المصبّرة» الممزوجة بالصبر المرّ، وقيل: أي المملوّة إلى أصبارها أي جوانبها. و«الحلس» بالكسر، كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة، و«أحلس البعير» ألبسه الحلس. و يحتمل أن يكون من الحلس الّذي يبسط تحت حرّالثياب إشعاراً بأنّهم في بيوتهم أيضاً خائفون و هواشارة إلى ظهور دولة بني العبّاس.

و«الجزور» النّاقة الّتي تجزر. قوله —عليه السلام— «ما أطلب اليوم بعضه» أي الطّاعة و الانقياد، أي يتمنّون أن يروني فيطيعوني إطاعة كاملة و قدرضيت منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعة ناقصة فلم يقبلوا. و قدروي في السير: أنّ مروان بن محمّد و هوآخر ملوك بني أميّة قال يوم الزاب ممّا شاهد عبدالله بن محمّدبن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بازائه في صفّ خراسان: لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى [العي]. ويحتمل أن يكون التمنّي عند قيام القائم —عليه السلام—. ٣٩٢

٣٩٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٣، ط كمپاني وص ٦٤١، ط تبريز.

٩٤ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس

الله تعالى

فَتَبارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ ، وَلَا يَنالُهُ حَدْسُ ٱلْفِطَنِ ، الْأَوَّلُ ٱلَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ .

ومنها في وصف الانبياء

فَٱسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُم(١٢٧١) كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ إِلَىٰ مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ؛ كُلَّمَا مَضَىٰ مِنْهُمْ سَلَفٌ ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ .

رسول الله وآل بيته

حَتَّىٰ أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً(١٢٧٢) ، وَأَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ(١٢٧٣) مَغْرِساً(١٢٧٤) ؛ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ(١٢٧٥) مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَٱنْتَجَبَ(١٢٧٦) مِنْهَا أُمَنَاءَهُ . عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ(١٢٧٧) ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ؛ وَبَسَقَتْ(١٢٧٨) فِي كَرَمٍ ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ؛ وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ ؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَىٰ ، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَىٰ ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ؛ سِيرَتُهُ

ٱلْقَصْدُ(١٢٧٩)، وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ؛ أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ(١٢٨٠) مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ(١٢٨١) عَنِ ٱلْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ.

عظة الناس

ٱعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ ٱللهُ، عَلَىٰ أَعْلَامٍ(١٢٨٢) بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ(١٢٨٣) يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ(١٢٨٤) عَلَىٰ مَهَلٍ وَفَرَاغٍ؛ وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَٱلتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

بيان: قوله– عليه السلام– «في أفضل مستودع» الظاهر أنّ المراد بالمستودع و المستقرّ الأصلاب و الأرحام، فيكون ما بعده بياناً له، ويحتمل أن يكون المراد محلّ أرواحهم في عالم الذرّ. قوله «تناسختهم» أي تناقلتهم. قوله «حتى أفضت» أي انتهت. و«الأرومة» الأصل، ويحتمل أن يكون المراد بأفضل المعادن و أعزّ الأرومات شجرة النبوّة، وقيل: مكّة شرّفها الله، وقيل: نسبه وعشيرته. و«الصدع» الشقّ. و«العترة» أخصّ من الأسرة. و«الأسرة» الرهط الأدنون، وقيل: أراد بالشجر في الموضعين إبراهيم –عليه السلام– وقيل: أراد هاشماً بقرينة قوله «نبتت في حرم» أي مكّة، كذا قيل، والأظهر أن تحمل الشجرة ثانياً على نفسه و أهل بيته كما ورد في أخبار كثيرة في تفسير الشجرة الطيّبة. والمراد بالفروع الأئمّة، وطولها كناية عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة. والمراد بالثمر علومهم و معارفهم، وعدم النيل لغموض أسرارها بحيث لاتصل العقول إليها. و«الزند» العود الّذي يقدح به النار. و«القصد» الوسط والاعتدال في الأمور من غير إفراط وتفريط. و «الفصل» الفاصل بين الحقّ و الباطل.

و«الهفوة» الزلّة. و«الغباوة» الجهل و قلّة الفطنة.٣٩٣

٩٥ — ومن خطبة له عليه السلام

يقرر فضيلة الرسول الكريم

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ(١٢٨٥) فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ(١٢٨٦) الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ(١٢٨٧) الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ(١٢٨٨)؛ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ. فَبَالَغَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

بيان: «الحاطب» هو الّذي يجمع الحطب، و يقال: حاطب ليل لمن يجمع بين الصواب و الخطأ، و يتكلّم بالغثّ و السمين.

أقول: ويحتمل أن يكون— عليه السلام— استعار الحطب لما يكتسبونه من الأعمال، لأنّها كانت ممّا يحرقهم في النار؛ وفي بعض النسخ: «خابطون» أي كانت حركاتهم على غيرنظام. قوله— عليه السلام— «استهوتهم الأهواء» أي دعتهم و جذبتهم إلى أنفسها، أو إلى مهاوي الهلاك، و يقال: «استخفّه» أي وجده خفيفاً وخفّ عليه تحريكه، و«الزلزال» بالفتح اسم، و بالكسر مصدر.٣٩٤

٣٩٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا — صلّى الله عليه وآله —، ص ٣٨٠.

٣٩٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا — صلّى الله عليه وآله —، ص ٢١٩.

٩٦ — ومن خطبة له عليه السلام

في الله وفي الرسول الأكرم

الله تعالى

ٱلْحَمْدُ لله ٱلْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَٱلآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ، وَٱلظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَٱلْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

ومنها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ[١٢٨٩] السَّلَامَةِ ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ[١٢٩٠] ٱلْأَبْصَارِ ، دَفَنَ ٱللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ[١٢٩١] ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ[١٢٩٢] ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً ، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ ٱلْعِزَّةَ . كَلَامُهُ بَيَانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

بيان: يحتمل زائداً على ما تقدّم أن يكون المراد بالمستقرّ المدينة، و بالمنبت مكّة زادهما اللّه— تعالى— شرفاً. قوله—عليه السلام— «ومماهد السلامة» قال ابن ميثم: «المهاد» الفراش، ولمّا قال: «في معادن» و هي جمع «معدن» قال بحكم القرينة و الإزدواج: «ومماهد» و إن لم يكن الواحد منها ممهداً، كما قالوا: الغدايا و العشايا و مأجورات و مأزورات و نحو ذلك. و يعني بالسلامة ههنا البراءة من العيوب، أي في نسب طاهر غير مأبون و لامعيب، ويحتمل أن يراد بمعادن الكرامة و مماهد السلامة مكّة و المدينة، فإنّهما محلّ العبادة و السلامة من عذابه و الفوز بكرامته، ويحتمل أن يراد بمماهد السلامة ما نشأعليه من مكارم الأخلاق الممهّدة للسّلامة من سخط اللّه. قوله

«وثنيت» أي عطفت و صرفت. قوله «دفن به» أي أخفى و أذهب، و«الضغائن» جمع «ضغينة» و هي الحقد. و«النوائر» جمع «نائرة» و هي العداوة، والمراد بالذلّة ذلّة الإسلام، وبالعزّة عزّة الشرك. قوله ـعليه السلام ـ «وصمته لسان» فيه و جهان: أحدهما أنّه كان يسكت عمّا لاينبغي من القول، فيعلم الناس السكوت عمّا لايعنيهم، و ثانيهما أنّ سكوته ـصلّى الله عليه وآله ـ عن بعض أفعال الصحابة وعدم النهي عنها كان تقريراً لها، ودليلاً على الإباحة.٣٩٥

٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في اصحابه واصحاب رسول الله

اصحاب علي

وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ(١٢٩٣) عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا(١٢٩٤) مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ(١٢٩٥). أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ(١٢٩٦)، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ

٣٩٥ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٣٨٠.

مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَىٰ جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَىٰ آخِرِ قَوْلِي حَتَّىٰ أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا(١٢٩٧). تَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً ، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ(١٢٩٨) ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ(١٢٩٩).

٧٦ ــ

أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَىٰ بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ !

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ : صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ ! تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ ! يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ(١٣٠٠) : أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَىٰ(١٣٠١) ، وَحَمِيَ الضِّرَابُ ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا(١٣٠٢) . وَإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ

لَقَطاً[١٣٠٣]

اصحاب رسول الله

اُنظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُم[١٣٠٤]، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا[١٣٠٥]، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا. وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا أَرَىٰ أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[١٣٠٦]، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ[١٣٠٧] بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَىٰ مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى[١٣٠٨] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّىٰ تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا[١٣٠٩] كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ!

تبيان: «فلن يفوت» المفعول محذوف أي فلن يفوته. و«الأخذ» التناول والعقوبة. و«المرصاد» الطريق يرصدبها. و«الشجا» ماينشب في الحلق من عظم و غيره. وموضع الشجاهوالحلق. و«مساغ ريقه»موضع إساغته. و«ساغ الشراب» سهل في الحلق، و«سغت الشراب» يتعدّى ولايتعدّى. وهذا إمّا تهديد لأهل الشام أولأصحابه كما سيأتي نسبة الظلم إليهم. و«ظهر عليه» غلب. و«راعي القوم» من ولى عليهم. و«الاستنفار»الاستنجاد و الاستنصار، أوطلب النفور و الإسراع إلى القتال.

قوله ـــعليه السلام ـــ «وعبيد كأرباب» أي أخلاقكم أخلاق العبيد من

الخلاف و النفاق و دناءة الأنفس، و فيكم مع ذلك كبرالسادات و تيهم و عدم إطاعتهم، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة وتأبون عنها كالسادة وهذا أنسب بالفقرة السّابقة. و«أيادي سبأ» مثل يضرب للمتفرّقين، وأصله قوله ـتعالى ـ عن أهل سبأ: «وَمَزَّقْنَا هُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» [۳۹۶]. وسبأ مهموز يصرف ولايصرف، ويمدّ و لايمدّ، وهوبلدة بلقيس، ولقب ابن يشجب بن يعرب، يقال: «ذهبوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ» الياء ساكنة و كذلك الألف، هكذا نقل المثل، أي متفرّقين وهما اسمان جعلا واحداً مثل معدى كرب، ضرب المثل بهم لأنّهم لمّا غرق مكانهم و ذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد، ولهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله ـعليه السلام ـ «وتتخادعون» المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذارجعتم عن مجلس الوعظ أخذ كلّ منكم يستغفل صاحبه و يشغله بالأحاديث وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة، كذا ذكره ابن ميثم؛ وقال ابن أبي الحديد: «تتخادعون عن مواعظكم» أي تمسكون عن الاتّعاظ من قولهم: كان فلان يعطي ثمّ خدع أي أمسك وأقلع، ويجوز أن يريد تتلوّنون وتختلفون في قبول الوعظ، من قولهم: «خلق فلان خلق خادع» أي متلوّن، و«سوق خادعة» أي متلوّنة مختلفة. و لايجوز أن يراد المعنى المشهور منها لأنّه إنّما يقال: «فلان يتخادع فلاناً» إذاكان يريد أن ينخدع له و ليس بمنخدع في الحقيقة، وهذا لايناسب المقام.

و«الحنيّة» على فعيلة،القوس، أي ترجعون معوجاً كاعوجاج ظهر القوس و «أعضل» أشكل. و كأنّ غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أوعن ذهابها. قوله ـعليه السلام ـ «منيت» أي ابتليت. و إنّما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس و الاثنتين من آخر، أولأنّ الثلاث إيجابيّة دون الاثنتين. و«الحرّ» خلاف العبد ، والخيارمن كلّ شيء. و«اللقاء» ملاقاة الأحباب أو العدوّ. وقوله ـعليه السلام ـ «تركت أيديكم» كلمة يدعى على الانسان بها، أي لا أصبتم خيراً، وأصل ترب إصابة التراب، فكأنّه يدعى عليه بأن يفتقر.

۳۹۶- السبأ: ۱۹.

وقال في النهاية: هذه الكلمة جارية على ألسن العرب لايريدون بها الدعاء على المخاطب و لاوقوع الأمربها[٣٩٧] كمايقولون: قاتله اللّه و قيل: معناها: للّه درّك. قال: و كثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذمّ و إنّما يريدون بها المدح كقولهم: لا أب لك، ولاأمّ لك، وهوت أمّه، ولاأرض لك، ونحوذلك. و قال المطرّزيّ: في قولهم «كأنّ بك تنحطّ» الأصل كأنّي أبصرك تنحطّ، ثمّ حذف الفعل وزيدت الباء. و يحتمل أن يكون الباء متعلّقاً بملتصق ونحوه، نحو«به داء»، أوبمعنى في. و«خال الشيء يخاله» أي ظنّه، وتقول: «خلت إخال» بالكسر[٣٩٨]، و بالفتح لغة بني أسد كما في النسخ، و «ما» مصدريّة أي في ظنّي. و«حمس»— كفرح— أي اشتدّ. و«حمي»— كرضي— اشتدّ حرّه. و «انفراجهم» تفرّقهم. قال ابن ميثم: شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة. وتسليم المرأة قبلها[٣٩٩] و انفراجها عنه إمّا وقت الولادة أووقت الطعان.

قوله —عليه السلام— «ألقطه» كأنّه إشارة إلى أنّ الضلال غالب على الهدى فيحتاج السالك إلى التقاط طريق الهدى من بين طريق الضلالة. و في بعض النسخ: «ألفظه لفظاً» أي أبيّنه بياناً. و«السمت» الجهة و الطريق وهيئة أهل الخير. «فإن لبدوا» أي قعدوا عن طلب الخلافة و الجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموابها فانصروهم. يقال: «لبدالشيء بالأرض»— كنصر— أي التصق بها. و«لا تسبقوهم» أي لا تفعلوا مالم يأمروكم به، و«لا تتأخّروا عنهم» أي لاتخالفوهم فيما يأمرونكم به. «يراوحون» أي يسجدون بالجبهة مرّة و بالخدود أخرى. ووقوفهم على مثل «الجمر» جمع «جمرة» وهي النّار المتقدة، كنايةعن قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر، خلاف الضأن كالمعز، والمراد ببين أعينهم جباههم مجازاً. «هملت» أي سالت. و«مادوا» أي تحرّكوا واضطربوا.[٤٠٠]

٣٩٧- في المصدر: به؛ فالضمير راجع إلى المخاطب.

٣٩٨- هذا بالسماع، والقياس الفتح.

٣٩٩- في المصدر: لقبلها.

٤٠٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٦، ط كمپاني وص ٦٣٤، ط تبريز.

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة:]

بيان: «شُعثا غبراً» إمّا لفقرهم فالمدح للصبر على الفقر، أولتركهم زينة الدنيا و لذّاتها على ما ذكره الأكثر فينبغي التقييد بعدم القدرة، أو التخصيص ببعض الأفراد، أو لتقشّف العبادة و قيام الليل وصوم النهار و هجر الملاذّ فالغبرة كناية عن صفرة اللّون، و «السجّد» جمع «ساجد» كالقيام جمع قائم أوالقيام مصدر أجري مجراه، والتخصيص باللّيل لكون العبادة فيه أحمز و أبعد عن الرئاء. و «المراوحة بين الجبهة والخدّ» وضع كلّ على الأرض حتّى يستريح الآخر، أو كأنّه يستريح و ليس الغرض الاستراحة، و ذلك في سجدة الشكر و إن كان وضع الجبهة شاملاً لسجود الصلاة. و «الجمر» بالفتح، جمع «جمرة» و هي النار المتقدة، و وقوفهم على مثل الجمر قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد و عذاب النار، والمراد بين أعينهم جباههم مجازاً. أو الموضع حقيقة للارغام في السجود، والأوّل أظهر. «و هملت» ـ كضربت و نصرت ـ أي سالت و فاضت، و «جيب القميص» و نحوه بالفتح، طوقه. و «مادوا» تحرّكوا و اضطربوا، و «الريح العاصف والعاصفة» الشديدة. و «خوفاً» مفعول له لقوله ـ عليه السلام ـ «مادوا» فقط فسيلان العين للحبّ والشوق أو للفعلين جميعاً أو للجميع على بُعد، و يدلّ على أنّ الخوف من العقاب والرجاء للثواب لاينافيان الاخلاص.[٤٠١]

۹۸ ـ ومن كلام له عليه السلام

يشير فيه إلى ظلم بني أمية

وَٱللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا ٱسْتَحَلُّوهُ[١٣١٠]، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[١٣١١] إِلَّا دَخَلَهُ

۴۰۱ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٠٧.

ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ(١٣١٢) سُوءُ رَعْيِهِمْ ، وَحَتَّىٰ يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ ، وَحَتَّىٰ يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِٱللهِ ظَنًّا ، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَٱقْبَلُوا ، وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَٱصْبِرُوا ، فَإِنَّ « ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ » .

بيان: «لايزالون» أي بنوأميّة، فحذف الخبر وسدّت حتّى ومابعدها مسدّ الخبر. و يقال: «نبابه منزله» إذا ضرّه و لم يوافقه. و«سوءرعتهم» أي سوء ورعهم وتقواهم. يقال: ورع يرع — بالكسر فيهما— ورعاورعة. وُ يروى: «سوء رعيهم». قوله —عليه السلام— «نصرة أحدكم»، أي انتقامه من أحدهم بإضافة المصدر إلى الفاعل، وقيل: المصدر مضاف إلى المفعول في الموضعين، وتقدير الكلام: حتّى يكون نصرة أحدهؤلاء الولاة لأحدكم. و«من» في الموضعين داخلة على محذوف تقديره: من جانب أحدهم، ومن جانب سيّده، و هو ضعيف ولاحاجة إلى التقدير بل هو معنى الابتدائيّة.[٤٠٢]

وقال ابن ميثم —رحمه الله—: قدجاء في بعض خطبه —عليه السلام— مايجري مجرى الشرح لهذا الوعد، قال —عليه السلام—:

اعلموا علماً يقيناً أنّ الّذي يستقبل قائمنا من أمر جاهليّتكم وذلك أنّ الأمّة كلّها يومئذ جاهليّة إلّا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجّل الخوف بكم، واعلموا أنّ الرفق يمن والأناة راحة وبقاء، والإمام أعلم بما ينكرويعرف، لينزعنّ عنكم قضاة السوء، وليقبضنّ عنكم المراضين، وليعزلنّ عنكم أمراء الجور وليطهّرنّ الأرض من كلّ غاش، وليعملنّ بالعدل، وليقومنّ فيكم بالقسطاس المستقيم، وليتمنّينّ أحياؤكم

٤٠٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كمپاني وص ٣٦١، ط تبريز.

رجعة الكرّة عمّا قليل فتعيّشوا إذن، فإنّ ذلك كائن.
الله أنتم بأحلامكم، كفّوا ألسنتكم، وكونوا من وراء معايشكم، فإنّ الحرمان سيصل إليكم، و إن صبرتم واحتسبتم واستيقنتم أنّه طالب وتركم ومدرك آثاركم وآخذ بحقكم، وأقسم بالله قسماً حقاً إنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذينهم محسنون.[٤٠٣]

أقول: وقال ابن أبي الحديد[٤٠٤] في شرح خطبة أوردها السيّد الرّضي في نهج البلاغة وهي مشتملة على ذكر بني أميّة: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير و هي متداولة منقولة مستفيضة و فيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ.
ثمّ قال: و منها:

فانظروا أهل بيت نبيّكم فان لبدوا فالبدوا. و إن استنصروكم فانصروهم ليفرّجنّ الله برجل منّا أهل البيت بأبي ابن خيرة الإماء لايعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية حتّى تقول قريش: لوكان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فيغريه الله ببني أميّة حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ملعونين أينا ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلاً سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: فإن قيل: من هذا الرجل الموعود؟
قيل: أمّا الامامية، فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر وأنّه ابن أمة اسمها نرجس و أمّا أصحابنا، فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان لأمّ ولد وليس بموجود الآن.
فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجوداً حتّى يقول —عليه السلام— في أمرهم ماقال من انتقام هذا الرّجل منهم؟
قيل: أمّا الامامية، فيقولون بالرجعة و يزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أميّة وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر و أنّه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم و يسمل عيون بعضهم و يصلب قوماً آخرين و ينتقم من أعداء آل محمّد —عليهم السلام— المتقدّمين و المتأخّرين. وأمّا أصحابنا، فيزعمون أنّه سيخلق الله —تعالى— في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة —عليها السلام— ليس موجوداً الآن و ينتقم [به] و أنّه يملأ الأرض عدلاً كما

٤٠٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٩، ط بيروت.
٤٠٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٥٨ — ٥٩، ط بيروت. وقد تقدّم مثل هذا الشرح في الخطبة رقم ٩٣.

ملئت جوراً وظلماً من الظالمين و ينكل بهم أشدّ النكال و أنّه لأمّ ولد كما قدورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار و أنّ اسمه كاسم رسول الله ــ صلّى الله عليه و آله ــ و أنّه يظهر بعد أن يستولي على كثير من الاسلام ملك من أعقاب بني أميّة وهو السفيانيّ الموعود به في الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أميّة وأنّ الإمام الفاطميّ يقتله و أشياعه من بني أميّة وغيرهم و حينئذ ينزل المسيح ــ عليه السلام ــ من السماء وتبدو أشراط الساعة وتظهر دابّة الأرض و يبطل التكليف و يتحقّق قيام الأجساد عند نفخ الصّور كما نطق به الكتاب العزيز.[٤٠٥]

٩٩ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد من الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنا عَلَىٰ مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلْأَدْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلْأَبْدَانِ .

عِبَادَ ٱللهِ ، أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ (١٣١٣) سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ ، وَأَمُّوا (١٣١٤) عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَىٰ ٱلْمُجْرِي إِلَىٰ ٱلْغَايَةِ (١٣١٥) أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا ! وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ ٱلْمَوْتِ يَحْدُوهُ (١٣١٦) وَمُزْعِجٌ فِي ٱلدُّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً ! فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تَعْجَبُوا

٤٠٥ــ بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٥١، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر ــ عليه السلام ــ، ص ١٢٠.

بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَىٰ ٱنْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَىٰ زَوَالٍ ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَىٰ نَفَادٍ (١٣١٧) ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَىٰ ٱنْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ (١٣١٨) ، وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، وَإِلَىٰ ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَىٰ أَحْوَالٍ شَتَّىٰ : فَمَيِّتٌ يُبْكَىٰ ، وَآخَرُ يُعَزَّىٰ ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ (١٣١٩) ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؛ وَعَلَىٰ أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي !

أَلَا فَٱذْكُرُوا هَاذِمَ ٱللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَاتِ ، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ (١٣٢٠) لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ ؛ وَٱسْتَعِينُوا ٱللهَ عَلَىٰ أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

١٠٠ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في رسول الله وأهل بيته

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلنَّاشِرِ فِي ٱلْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَٱلْبَاسِطِ فِيهِمْ بِٱلْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ

فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰـهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[١٣٢١] ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَّىٰ أَمِيناً ، وَمَضَىٰ رَشِيداً ؛ وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ ٱلْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ[١٣٢٢] ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ[١٣٢٣] ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ[١٣٢٤] ، بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ[١٣٢٥] ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللهُ حَتَّىٰ يُطْلِعَ ٱللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[١٣٢٦] ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ[١٣٢٧] ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ[١٣٢٨] ، فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَىٰ أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ[١٣٢٩] ، وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَىٰ ، فَتَرْجِعَا حَتَّىٰ تَثْبُتَا جَمِيعاً .

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ : إِذَا خَوَىٰ نَجْمٌ[١٣٣٠] طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

توضيح: «النشر» التفريق و البسط. وبسط اليد كناية عن العطاء، وقيل: «اليد» هنا النعمة. «في جميع أموره» أي ماصدر عنه من النعم والبلايا. و«رعاية حقوق الله» شكره و طاعته بأمره. «صادعاً» أي مظهراً و مجاهراً. و «الرشد» إصابة الصواب، وقيل: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. و«راية الحقّ» الثقلان المخلّفان. و«مرق السهم من الرمية» إذا خرج عن المرميّ به، والمراد هنا خروج من

تقدّمها ولم يعتدّبها من الدين. و«زهق الشيء» - كمنع - بطل وهلك. و«اللحوق» إصابة الحقّ. وأراد بالدليل نفسه -عليه السلام-، والضمير راجع إلى الراية. «مكيث الكلام» أي بطيئه، أي لايتكلّم من غير رويّة. بُطء القيام كناية عن ترك العجلة و الطيش. و إلانة الرقاب كناية عن الإطاعة. والإشارة بالأصابع عن التعظيم و الإجلال.

قال ابن أبي الحديد: نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الّذي قتل -عليه السلام- فيه، اجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدّمة يريد الشام فضربه اللعين و انفضّت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها، و أشاربمن يجمعهم إلى المهديّ -عليه السلام-. و«النشر» المنشور المتفرّق. قوله «فلا تطمعوا» أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممّن هو أهله فلا تطمعوا فيه فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب كما كان شأن أكثر أئمّتنا -عليهم السلام-؛ وقيل: أراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فإنّه لايجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم. و في بعض النسخ: «فلا تطعنوا في عين» أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عمّا يريد. و قوله -عليه السلام- «ولا تأيسوا» أي من أدبر عن طلب الخلافة ممّن هو أهل لها فلا تأيسوا من عوده و إقباله على الطلب فإنّ إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلّة الناصر. و«زوال إحدى القائمتين» كناية عن اختلال بعض الشروط و ثبات الأُخرى عن وجود بعضها. وقوله «فترجعا حتّى تثبتا» عن استكمال الشرائط، ولاينافي النّهي عن الإياس النهي عن الطمع لأنّ عدم اليأس هوالتجويز، والطمع فوق التجويز، ولأنّ النهي عن الطمع في حال عدم الشروط و الإعراض عن الطلب لذلك، والنهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط.

وقيل: «لا تيأسوا من مدبر» أي إذا ذهب من بينكم إمام وخلفه إمام أُخرى فاضطرب أمره فلا تشكّوافيهم فإنّ المضطرب الأمر ستنظم أموره؛ و حينئذ يكون قوله -عليه السلام- «ألا إنّ مثل آل محمّد -صلّى الله عليه و آله-» كالبيان لهذا. «إذا خوى نجم» أي مال للمغيب. و «الصنائع» جمع «صنيعة» و هي الإحسان، أي

لا تيأسوا عسى أن يأتي الله بالفرج عن قريب، و المتحقّق الوقوع قريب و إن كان بعيداً. ويمكن أن يكون إراءة[٤٠٦] المخاطبين مايأملون في الرجعة.[٤٠٧]

١٠١ - ومن خطبة له عليه السلام

وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَاَلْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اَللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ اَلْإِعْلَانَ ، وَاَلْقَلْبُ اللِّسَانَ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ(١٣٣١) شِقَاقِي(١٣٣٢) ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ(١٣٣٣) عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ(١٣٣٤) عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي . فَوَالَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ(١٣٣٥) ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ(١٣٣٦) ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ اَلْأُمِّيِّ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا كَذَبَ اَلْمُبَلِّغُ ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ . لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ(١٣٣٧) قَدْ نَعَقَ(١٣٣٨) بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ(١٣٣٩) فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ(١٣٤٠) . فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ(١٣٤١) ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ(١٣٤٢) ، وَثَقُلَتْ فِي اَلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، عَضَّتِ اَلْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ اَلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَا مِنَ اَلْأَيَّامِ كُلُوحُهَا(١٣٤٣) ، وَمِنَ اللَّيَالِي

٤٠٦- في المتن: «أراكم» على صيغة المجرّد، فصدره «رؤية» لا «الإراءة»، أي أراكم تدركون ما تأملون. فتأمّل.

٤٠٧- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمباني وص ٦٦١، ط تبريز.

كُدُوحُهَا(١٣٤٤) . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ عَلَىٰ يَنْعِهِ(١٣٤٥) ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ(١٣٤٦) ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ(١٣٤٧) ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هٰذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ(١٣٤٨) وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ(١٣٤٩) ! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ(١٣٥٠) ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ(١٣٥١) ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ(١٣٥٢) !

بيان: الغرض إثبات الأوّليّة و الآخريّة الحقيقيّتين له–سبحانه–، وظاهر الأوّل حدوث ماسواه، و استدلّ بالثاني على ماذهب إليه كثير من المتكلّمين من انعدام العالم بأسره قبل قيام الساعة، ويمكن أن يكون الآخريّة باعتبار أنّ كلّ ماعداه في التغيّر و التحوّل من حال إلى حال، كماورد في الرواية، وقيل: أوّليّته بحسب الخارج، وآخريّته بحسب الذهن، أو الآخر في سلسلة الافتقار لاحتياج الكلّ إليه–سبحانه–.[٤٠٨]

بيان: قيل: المراد بالضلّيل معاوية، وقيل: السفيانيّ.

و قال ابن أبي الحديد: هذا كناية عن عبدالملك بن مروان، لأنّ هذه الصفات كانت فيه أتمّ منها في غيره، لأنّه أقام بالشام حين دعا إلى نفسه، وهو معنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعباً، وتارة لمّا استخلف الأُمراء على الكوفة، فلمّا كمل أمر عبدالملك وهو معنى «أينع زرعه» هلك وعقدت رايات الفتن المعضلة بعده، كحروب أولاده مع بني المهلّب، ومع زيد بن عليّ - عليه السلام– و أيّام يوسف بن عمر و غير ذلك.[٤٠٩]

و«الضواحي» النواحي البارزة القريبة. قوله «فغرت فاغرته» أي فتح فاه. و«الشكيمة» في الأصل حديدة معترضة في اللّجام في فم الدابّة، و«فلان شديد الشكيمة» إذا كان عسر الانقياد شديد النفس. و«ثقلت في الأرض وطأته» أي عظم

٤٠٨– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ٢٦.

٤٠٩– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٩٩ — ١٠٠، ط بيروت.

جوره و ظلمه. و«الكلوح» بالضمّ، تكشّر في العبوس.[٤١٠] و«الكدوح» الخدوش. و«أينع الزرع» أدرك و نضج، و«الينع» جمع «يانع»، ويجوز أن يكون مصدراً. و«هدرت» أي صوّتت. و«الشقاشق» جمع «شقشقة» وهي بالكسر شيء كالراية يخرج من فم البعير إذا هاج. و«برقت بوارقه» أي سيوفه رماحه. و«المعضلة» العسرة العلاج. و«القاصف» الريح القويّة تكسر كلّما تمرّ عليه، و«القرون» الأجيال من الناس، واحدها «قرن» بالفتح، وهذا كناية عن الدولة العبّاسيّة الّتي ظهرت على دولة بني أميّة في الحرب، ثمّ قتل المأسورين منهم صبراً، فحصد القائم قبل المحاربة وحطم الحصيد بالقتل صبراً. والمراد بالتفاف بعضهم ببعض اجتماعهم في بطن الأرض، وبحصدهم قتلهم أوموتهم، وبحطم محصودهم تفرّق أوصالهم في التراب، أو التفافهم كناية عن جمعهم في موقف الحساب أو طلب بعضهم مظالمهم من بعض، وحصدهم عن إزالتهم عن موضع قيامهم أي الموقف، وسوقهم إلى النار و حطمهم عن تعذيبهم في نار جهنّم.

أقول: سيأتي كثير من الأخبار في كتاب الفتن.[٤١١]

١٠٢ ـــ ومن خطبة له عليه السلام

تجري هذا المجرى
وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة

يوم القيامة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ ٱلْحِسَابِ(١٣٥٣) وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِيَاماً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ(١٣٥٤) ، وَرَجَفَتْ

٤١٠- والصحيح أن يقال: «كلح كلوحاً» بالضمّ، تكشّر في عبوس. و«تكشّر» أي كشف عن أسنانه.

٤١١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ـــ عليه السلام ـــ، ص ٣٥٦.

بِهِمُ ٱلْأَرْضُ(١٣٥٥)، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

حال مقبلة على الناس

ومنها: فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ(١٣٥٦)، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً(١٣٥٧): يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا(١٣٥٨) وَيَجْهَدُهَا(١٣٥٩) رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ(١٣٦٠)، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(١٣٦١)، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكِ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ! لَا رَهَجَ(١٣٦٢) لَهُ، وَلَا حَسَّ(١٣٦٣)، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِٱلْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ، وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ(١٣٦٤)!

بيان: «نقاش الحساب» المناقشة و التدقيق فيه.[٤١٢]

بيان: «لا تقوم لها قائمة» أي لا تنهض بحربها فئة ناهضة، أو قائمة من قوائم الخيل، أي لا سبيل إلى قتال أهلها، أو قلعة أو بنية قائمة، بل تنهدم. «ولا تردّ لها راية» أي لا تنهزم أصحاب راية من رايات تلك الفئة. قوله ــ عليه السلام ــ «مزمومة مرحولة» أي عليها زمام ورحل، أي تامّة الأدوات. «يحفزها» أي يدفعها قائدها. «قليل سلبهم» أي نقمتهم القتل لا السلب. و«الرهج» الغبار. و«الحسّ» صوت المشي. و«الموت الأحمر» كناية عن الوباء، و«الجوع الأغبر» عن الموت. وأوّل الكلام إشارة إلى قصّة صاحب الزنج أو إلى فتنة أخرى سيأتي في آخر الزمان، وآخره أيضاً يحتمل أن يكون

٤١٢- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ١١٣.

إشارة إلى فتنة صاحب الزنج أو إلى طاعون يصيبهم حتّى يبيدهم.[٤١٣]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: «قطع الليل» جمع «قطع» بالكسر، وهو الظلمة، قال— تعالى—: «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ»[٤١٤]. كذا ذكره ابن أبي الحديد. ولعلّه سهو، والظاهر أنّه جمع «قطعة». «... تقوم لها قائمة» أي لا تنهض لحربها فئة ناهضة، أو قائمة من قوائم الخيل، يعني لاسبيل إلى قتال أهلها، أو قلعة أو بنيه قائمة بل تنهدم. «ولا تردّها راية» أي لا تنهزم راية من رايات تلك الفتنة بل تكون غالبة دائماً، أو لا ترجع لحربها راية من الرايات الّتي هربت عنها. «مزمومة مرحولة» عليها زمام و رحل، أي تامّة الأدوات يدفعها قائدها. و«الحفز» السوق الشديد. و«يجهدها» أي يحمل عليها في السير فوق طاقتها. «قليل سلبهم» أي ماسلبوه من الخصم، أي همّتهم القتل لاالسلب، وقيل: إنّ هذا إشارة إلى صاحب الزنج و حبشة، وفيه إنّ الّذين جاهدوهم لم يكونوا على الأوصاف المذكورة إلّا أن يقال: لشقاوة الطرف الآخرأمدّهم الله بالملائكة، وهوبعيد. وقيل: إشارة إلى ملحمة في آخرالزمان لم تأت بعد، وهوقريب. و«الرهج» الغبار.

قال ابن أبي الحديد: كنّى بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتّى يبيدهم. وقال ابن ميثم: إشارة إلى فتنه الزنج، وظاهر أنّه لم يكن لهم غبار ولا أصوات إذلم يكونوا أهل خيل ولاقعقعة[٤١٥] لجم، فإذن لارهج لهم ولاحسّ.[٤١٦] وقال ابن أبي الحديد: «الموت الأحمر» كناية عن الوباء، و«الجوع الأغبر» عن الموت. والحمرة كناية عن الشدّة. ووصف الجوع بالأغبر لأنّ الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاماً.[٤١٧] وقيل: «الموت الأحمر» إشارة إلى قتلهم بالسيف. وقال ابن ميثم[٤١٨]: أقول: قد فسّره

٤١٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٣١.

٤١٤- هود: ٨١.

٤١٥- «القعقعة» حكاية صوت السلاح.

٤١٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٥، ط بيروت.

٤١٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٠٤، ط بيروت.

٤١٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٥، ط بيروت.

—عليه السلام— بهلاكهم من قبل الغرق كما سيأتي.[٤١٩]

١٠٣ — ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، ٱنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِفِينَ(١٣٦٥) عَنْهَا ؛ فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ(١٣٦٦) السَّاكِنَ ، وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ(١٣٦٧) ٱلآمِنَ ؛ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ . سُرُورُهَا مَشُوبٌ(١٣٦٨) بِالْحُزْنِ ، وَجَلَدُ(١٣٦٩) الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ(١٣٧٠) ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَٱعْتَبَرَ ، وَٱعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

صفة العالم

ومنها : ٱلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكَفَى بِٱلْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ

٤١٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٦، ط كمباني وص ٤١٥، ط تبريز.

قَدْرَهُ ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ لَعَبْداً وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ ؛ إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ[١٣٧١] الدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ ٱلْآخِرَةِ كَسِلَ ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ، وَكَأَنَّ مَا وَنَىٰ[١٣٧٢] فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ !

آخر الزمان

ومنها : وَذٰلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[١٣٧٣] ، «إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولٰئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَىٰ ، وَأَعْلَامُ السُّرَىٰ[١٣٧٤] ، لَيْسُوا بِٱلْمَسَايِيحِ[١٣٧٥] ، وَلَا ٱلْمَذَايِيعِ[١٣٧٦] ٱلْبُذُرِ[١٣٧٧] ، أُولٰئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ ٱلْإِسْلَامُ ، كَمَا يُكْفَأُ ٱلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[١٣٧٨] ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» .

قال السيد الشريف الرضي : أما قوله عليه السلام : «كلّ مؤمن نُوَمَة» فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ؛ والمساييح : جمع مِسياح ، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع : جمع مِذْياع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ، ونوّه بها ، والبُذُرُ : جمع بَذُور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه .

بيان: قال ابن ميثم: «من عرف قدره» أي مقداره و منزلته بالنسبة إلى مخلوقات الله– تعالى–، وأنّه أيّ شيء منها، ولأيّ شيء خلق، وماطوره المرسوم في كتاب ربّه وسنن أنبيائه.[٤٢٠] «وكأنّ ما وني فيه» أي مافترفيه وضعف عنه.[٤٢١]

١٠٤– ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِرُ ٱلْحَسِيرُ(١٣٧٩) ، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ(١٣٨٠) ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ ، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، فَٱسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ(١٣٨١) ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(١٣٨٢) وَٱيْمُ ٱللهِ ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، وَٱسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا ؛ مَا ضَعُفْتُ ، وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ ، وَلَا وَهَنْتُ ، وَٱيْمُ ٱللهِ ، لَأَبْقُرَنَّ(١٣٨٣) ٱلْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ !

قال السيد الشريف الرضي : وقد تقدم مختار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان ، فأوجبت الحال إثباتها ثانية .

إيضاح: قوله «وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً» أي في زمانه –صلّى الله

٤٢٠– شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٩، ط بيروت.

٤٢١– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٥٨.

عليه و آله — وماقاربه، فلا ينافي بعثة هود و صالح و شعيب —عليهم السلام— في العرب، وأمّا خالد بن سنان فلوثبت بعثته فلم يكن يقرأ كتاباً و يدّعي شريعة، و إنّما نبوّته كانت مشابهة لنبوّة جماعة من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لهم كتب و لاشرائع، مع أنّه يمكن أن يكون المراد الزمان الّذي بعده.

قوله —عليه السلام— «و يبادر الساعة أن تنزل بهم» أي يسارع إلى هدايتهم و تسليكهم سبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله. قوله —عليه السلام- «يحسر الحسير»، «الحسير» الّذي أعيى في طريقه، والغرض وصفه— صلّى الله عليه و اله— بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي أنّه كان يسير في آخرهم، و يفتقد المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلايزال يلطف به حتّى يبلغه أصحابه إلّا مالا يمكن إيصاله ولايرجى، أو المراد من وقف قدم عقله في السلوك إلى الله أو انكسر لضلاله كان —صلّى الله عليه و آله— هو المقيم له على المحجّة البيضاء و يهديه حتّى يوصله إلى الغاية المطلوبة إلّا من لايرجى في الخير كأبي جهل و أبي لهب و أضرابهما. و«منجاتهم» نجاتهم، أو محلّ نجاتهم، و«محلّتهم» منزلهم. و«استدارة رحاهم» كناية عن اجتماعهم و اتّساق أمورهم.[٤٢٢]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «المنجاة» مصدر أو اسم مكان. و«يبادر بهم السّاعة» أي يسارع إلى هدايتهم و إرشادهم حذراً من أن تنزل بهم الساعة فتدركهم على الضلالة. و«الحسير» المعيى، وإقامته على الحسير و الكسير مراقبته من تزلزل عقائده ليدفع شبهه حتّى يبلّغه الغاية الّتي خلق لأجلها إلّا من لم يكن قابلاً للهداية. ومنهم من حمله على ظاهره من شفقته —صلّى الله عليه و آله— على الضعفاء في الأسفار و الغزوات. «حتّى أراهم منجاتهم» أي نجاتهم أومحلّ نجاتهم. و«محلّتهم» منزلهم و غاية سفرهم الصوريّ أو المعنوي. و«استدارة الرحا و استقامة القناة» كنايتان عن انتظام الأمر كما مرّ. و«الساقة» جمع «سائق» والضمير لغير مذكور، والمراد الجاهليّة، شبّهها —عليه السلام—

٤٢٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا — صلّى الله عليه وآله —، ص ٢٢٠.

بكتيبة مصادفة لكتيبة الإسلام فهزمها. وفي القاموس: «الحذفور» — كعصفور — الجانب كالحذفار، والشريف، والجمع الكثير، و«أخذه بحذافيره» بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه، و«الحذافير» المتهيّؤون للحرب، و«اشدد حذا فيرك» تهيّأ. و« استوثقت » أي اجتمعت و انتظمت يعني الملّة الإسلاميّة أو الدعوة أومايجري هذا المجرى، أي لمّا ولّت الجاهليّة استوثقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها[٤٢٣]. ويحتمل عوده إلى الجاهليّة أي تولّت بحذافيرها واجتمعت تحت ذلّ المقادة. و«البقر» الشقّ. و«الخاصرة» مابين أسفل الأضلاع وعظم الورك ، شبّه — عليه السلام — الباطل بحيوان ابتلع الحقّ.[٤٢٤]

١٠٥ — ومن خطبة له عليه السلام

في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس

الرسول الكريم

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيداً ، وَبَشِيراً ، وَنَذِيراً ، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً ، وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً(١٣٨٤) ، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً(١٣٨٥) .

بنو امية

فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا(١٣٨٦) إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا(١٣٨٧) ، قَلِقاً وَضِينُهَا(١٣٨٨)

٤٢٣- «الأعطان» جمع «العطن» بالتحريك، المناخ حول الورد.

٤٢٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٤، ط كمپاني وص ٦٦٢، ط تبريز.

قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ [١٣٨٩]، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَٱللهِ، ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَٱلْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ [١٣٩٠]، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ؛ وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً. وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَٱلْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِٱللهِ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ! أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ! أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى ٱلتَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ!

وعظ الناس

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَٱمْتَاحُوا [١٣٩١] مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ [١٣٩٢] مِنَ ٱلْكَدَرِ.

عِبَادَ ٱللهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ ٱلنَّازِلَ بِهٰذَا ٱلْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ [١٣٩٣]، يَنْقُلُ ٱلرَّدَى [١٣٩٤] عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ! فَٱللهَ ٱللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لَا

يُشْكِي[١٣٩٥] شَجْوَكُمْ[١٣٩٦]، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ. إنه لَيْسَ عَلَى ٱلْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: ٱلْإِبْلَاغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ، وَٱلِاجْتِهَادُ فِي ٱلنَّصِيحَةِ، وَٱلْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَىٰ مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ ٱلسُّهْمَانِ[١٣٩٧] عَلَىٰ أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ[١٣٩٨] نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ[١٣٩٩] ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!

بيان: «الشيمة» بالكسر، الخلق و الطبيعة، و«الاستمطار» طلب المطر، وطلب العطاء الكثير مجازاً، و«الديمة» بالكسر، المطر الدائم، فيمكن أن يقرء على بناء المفعول، أي أجود من طلب منه العطاء الدائم الكثير، أو على بناء الفاعل إشارة إلى استجابة دعائه في الاستسقاء فيحتمل أن يكون أجود مأخوذاً من الجود بمعنى المطر الكثير، والله يعلم.[٤٢٥]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «شهيداً» أي على أوصيائه و أمّته و على الأنبياء و أممهم. و«الكهل» من جاوز الثلاثين، وقيل: من بلغ الأربعين، وقيل: من جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. و«الشيمة» بالكسر، الطبيعة و الجبلّة. و«الجود» بالفتح، المطر الغزير. و«الديمة» بالكسر، المطر الدائم في سكون. و«احلولى الشيء» صار حلواً ضدّ المرّ. و«الرضاع» بالفتح، مصدر «رضع الصبيّ أمّه» بالكسر، أي امتصّ ثديها. و«الأخلاف» جمع «خلف» بالكسر، وهي حلمة ضرع الناقة أو الضرع لكلّ ذات خفّ وظلف، والجملتان كنايتان عن انتفاعهم و تمتّعهم بالدنيا. و«صادفته» أي

٤٢٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٨٤.

وجدته. و«الجائل» الدائر المتحرّك ، والّذي يذهب ويجيء. و«خطام البعير» بالكسر، الحبل الّذي يقاربه. و«القلق» المتحرّك الّذي لايستقرّ في مكانه. و«الوضين» بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج، والغرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدّنيا وصعوبتها عليهم وعدم انقيادهالهم كما يستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها،قلقة الوضين لايثبت رحلها تحت راكبها، ويحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدّنيا و استبدادها في غرور الناس و إقبالها على أهلها من غير أن يزجرها و يمنعها أحد.

و«السدر المخضود» الّذي انثنت أغصانه من كثرة الحمل أو الّذي قطع شوكه ونزع وهو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد. و«الظلّ الممدود» الدائم الّذي لاتنسخه الشمس. و«شغرت الأرض» —كمنعت— أي لم يبق بها أحديحميها و يضبطها، و«بلدة شاغرة برجلها» إذا لم تمنع من غارة أحد. وفي النّهاية: قيل: «الشغر» البعد، وقيل: الاتّساع. ومنه حديث عليّ —عليه السلام—: «فالأرض لكم شاغرة» أي واسعة. و«القادة» ولاة الأمر المستحقّون للإمارة والرئاسة. و«تسلّط السيوف» إشارة إلى واقعة الحسين —عليه السلام— وماكان من بني أُميّة وغيرهم من القتل وسفك الدماء. و«الثار» طلب الدم. والمراد بكونه هنا كالحاكم في حقّ نفسه استيفاؤه الحقّ بنفسه من غير افتقار إلى بيّنة وحكم حاكم. والضمير في «تعرفتها» راجع إلى الإمارة أوإلى الدنيا كالضمائر المتقدّمة وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أُميّة إلى بني العبّاس. و«الطرف» بالفتح، نظرالعين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذه في الخير رؤية المحاسن و اتّباعها. و«وعى الحديث»— كرمى— أي حفظه وتدبّره. و«الامتياح» نزول البئر و ملأ الدلو منها. و«الترويق» التصفية، والمراد بالواعظ والعين[يعني] نفسه — صلوات الله عليه—.

و«ركن»— كعلم ونصرو منع— مال. و«الهوى» إرادة النفس. و«الشفا» شفير الشيء وجانبه. و«الجرف» بالضمّ وبضمّتين، ماتجرّفته السيول وأكلته من الأرض. و«الهار» الساقط الضعيف. و«الردى» جمع «رداة» بالفتح* فيهما، وهي

الصخرة، أي هو في تعب دائماً، وفسّر هنا بالهلاك أيضاً. والصاق مايلتصق و تقريب مالايتقارب إثبات الباطل بحجج باطلة. و«أشكاه» أزال شكايته. و«الشجو» الهمّ والحزن. و«أبرم الأمر» أي أحكمه،— والحبل أي جعله طاقين ثم فتله؛ والغرض النهي عن اتّباع إمام لايقدر على كشف المعضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلّة البصيرة؛ وفي بعض النسخ: «ومن ينقض» بدون لا،فالمعنى: لا تتّبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع. و«السهمان» بالضمّ، جمع «سهم» وهو الحظّ و النصيب، وإيصالها إليهم. و«صوّح النبات» أي يبس وتشقّق، أوجفّ أعلاه، وهو كناية عن ذهاب رونق العلم أو اختفائه و مغلوبيّته. و«المستثار» مصدر بمعنى الاستثارة وهي الإنهاض والتهييج و الترتيب بين الأمر بالتناهي لابين النهي والتناهي، ولايبعد حمله على ظاهره.[٤٢٦]

١٠٦ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه دين الاسلام

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ(١٤٠٠)، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً(١٤٠١) لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ(١٤٠٢)

٤٢٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٨، ط كمپاني وص ٦٦٥، ط تبريز.

وَأَوْضَحُ ٱلْوَلَائِـجِ(١٤٠٣)، مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ(١٤٠٥)، مُشْرَفُ ٱلْمَنَارِ(١٤٠٤)، مُضِيءُ ٱلْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ ٱلْمِضْمَارِ(١٤٠٦)، رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ، جَامِعُ ٱلْحَلْبَةِ(١٤٠٧)، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ(١٤٠٨)، شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَٱلْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْرَى(١٤٠٩) قَبَساً لِقَابِسٍ(١٤١٠)، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ(١٤١١)، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ(١٤١٢) نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِٱلْحَقِّ رَحْمَةً. ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً(١٤١٣) مِنْ عَدْلِكَ، وَٱجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. ٱللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَىٰ بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ(١٤١٤)، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ(١٤١٥) وَٱلْفَضِيلَةَ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا(١٤١٦)، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ(١٤١٧)، وَلَا نَاكِثِينَ(١٤١٨)، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

قال الشريف: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف.

ومنها في خطاب اصحابه

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ،

وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ . وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ !

وقال ـرحمه اللهـ في موضع آخر: وسأله ـعليه السلامـ رجل أن يعرّفه ما الإيمان؟

فقال: إذا كان غدٌ فأتني حتّى أُخبرك على أسماع الناس، فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإنّ الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب وهو قوله ـعليه السلامـ: الإيمان على أربع شعب.[٤٢٧]

بيان: أقول: إنّما أوردنا هذه الفصول متّصلة لما يظهر من سائر الروايات اتّصالها، وإنّما فرّقها وحذف أكثرها على عادته ـ قدّس سرّه ـ و أخّرنا شرح ما أورده منها إلى ذكر سائر الروايات لكونها أجمع و أفيد، وسنشير إلى الاختلاف بينها و بينها.

قوله «فاذا كان غد» كان ههنا تامّة أي إذا حدث غد ووجد، وتقول إذا كان غداً فأتني بالنصب باعتبار آخر أي إذا كان الزمان غداً أي موصوفاً بأنّه الغد، ومن النحويّين من يقدّره إذا كان الكون غداً لأنّ الفعل يدلّ على المصدر، والكون هوالتجدّد

٤٢٧- نهج البلاغة، تحت الرقم ٢٦٦ من الحكم.

والحدوث. و«الشاردة» النافرة، و«ثقفه» - كعلمه - أي صادفه أو أخذه أو ظفر به. و«يخطئها» أي لايدركها و لايفهمها أولا يحفظها و ينساها.

كا: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه؛ ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّدبن عيسى؛ وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّدبن خالد، جميعاً عن الحسن بن محبوب عن يعقوب السرّاج، عن جابر، عن أبي جعفر - عليه السلام - ؛ و بأسانيد مختلفة عن الأصبغ ابن نباتة قال: خطبنا أميرالمؤمنين -عليه السلام- في داره- أوقال في القصر- ونحن مجتمعون ثمّ أمر - صلوات اللّه عليه- فكتب في كتاب و قرئ على الناس؛ و روى غيره أنّ ابن الكوّا سأل أميرالمؤمنين - عليه السلام- عن صفة الإسلام و الإيمان و الكفر و النفاق فقال:

أمّا بعد، فإنّ الله- تبارك وتعالى- شرع الاسلام، وسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه لمن جاربه، وجعله عزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به، وزينة لمن تجلّله، وعذراً لمن انتحله، وعروة لمن اعتصم به، وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلّم به، ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وعلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى، وحلماً لمن جرّب، ولباساً لمن تدبّر[٤٢٨] وفهماً لمن تفطّن، ويقيناً لمن عقل، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسّم، وعبرة لمن اتّعظ، ونجاة لمن صدّق، وتؤدة لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وثقة لمن توكّل، ورجاء لمن فوّض، وسبقة لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجنّة لمن صبر، ولباساً لمن اتّقى، وظهيراً لمن رشد، وكهفاً لمن آمن، وأمنة لمن أسلم، ورجاء لمن صدق، وغنى لمن قنع.

فذلك الحقّ سبيله الهدى، ومأثرته المجد، وصفته الحسنى، فهو أبلج المنهاج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النقمة، كامل العدة، كريم الفرسان.

٤٢٨- في نسخة النهج: «ولبّاً لمن تدبّر» وهو الصحيح، وبين النسخ - كما سيأتي من المصنّف - اختلافات. والصحيح في بعض نسخ الكافي وفي بعض نسخ النهج.

فالإيمان منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والدّنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلبته، والجنّة سبقته، والنار نقمته، والتقوى عُدّته، والمحسنون فرسانه؛ فبالإيمان يستدلّ على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت يختم الدّنيا، وبالدّنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنّة، والجنّة حسرة أهل النار، والنار موعظة للمتّقين، والتقوى سنخ الايمان.[429]

كا: بالاسناد المتقدّم[430] عن أبي جعفر – عليه السلام – قال: سئل أمير المؤمنين – عليه السلام – عن الايمان فقال:

إنّ الله – عزّوجلّ – جعل الايمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق، والإشفاق، والزهد، والترقّب، فمن اشتاق إلى الجنّة سلاعن الشهوات، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدّنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات.

واليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتأوّل الحكمة، ومعرفة العبرة، وسنّة الأوّلين، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين واهتدى إلى الّتي هي أقوم، ونظر إلى من نجابما نجا، ومن هلك بما هلك، وإنّما أهلك الله من هلك بمعصيته، وأنجا من أنجا بطاعته.

والعدل على أربع شعب: غامض الفهم، وغمر العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم فسّر جميع العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره، وعاش في الناس حميداً.

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر

٤٢٩– الكافي، ج ٢، ص ٤٩ ـــ ٥٠.

٤٣٠– في المصدر: بالإسناد الأوّل، عن ابن محبوب، عن يعقوب السرّاج، عن جابر، عن أبي جعفر ـــ عليه السلام ـــ.

أرغم أنف المنافق وأمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الّذي عليه، ومن شنئ الفاسقين غضب لله ومن غضب لله غضب الله له.

فذلك الايمان ودعائمه وشعبه.[٤٣١]

جا،ما: عن المفيد، عن المرزباني، عن أحمد بن سليمان الطوسيّ، عن الزبير بن بكّار، عن عبدالله بن وهب، عن السدّيّ، عن عبد خير، عن جابر الأسدي قال: قام رجل إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ فسأله عن الايمان فقام ــ عليه السلام ــ خطيباً فقال:

الحمد لله الّذي شرع الاسلام...

وساق نحوه إلى قوله:

غضب لله، ومن غضب لله ـ تعالى ـ فهو مؤمن حقاً فهذه صفة الايمان ودعائمه.

فقال له السائل: لقد هديت يا أميرالمؤمنين و أرشدت فجزاك الله عن الدين خيراً.[٤٣٢]

ولنوضّح هذه الرواية الشريفة مشيراً إلى اختلاف النسخ في الكتب:

«أمّا بعد» أي بعد الحمد والصلاة. «فسهّل شرائعه لمن ورده»، «الشرع و الشريعة» بفتحها، ما شرع الله لعباده من الدّين، أي سنّه وافترضه عليهم، و«شرع الله لنا كذا» أي أظهره و أوضحه؛ و«الشريعة» مورد الابل على الماء الجاري و كذلك المشرعة قال الأزهريّ: ولا تسمّيها العرب مشرعة إلّا إذا كان الماء غير منقطع كماء الأنهار و يكون ظاهراً مَعيناً ولايستقى منه برشاء، فإن كان من ماء الأمطار فهو «الكرع» بفتحتين. و«وردت الماء» ــ كوعدت ــ إذا حضرته لتشرب، وقيل:

٤٣١ـ الكافي، ج ٢، ص ٥٠ ـــ ٥١ وفي النهج، تحت الرقم ٣١ من الحكم.

٤٣٢ـ أمالي المفيد، ص ١٧٠ وأمالي الطوسيّ، ج ١، ص ٣٥.

«الشريعة» مورد الشاربة و يقال لما شرع اللّه— تعالى— لعباده، إذبه حياة الأرواح كما بالماء حياة الأبدان. «وأعزّ أركانه لمن حاربه»، «ركن الشيء» جانبه أو الجانب الأقوى منه، و«العزّ» المنعة وما يتقوّى به من ملك وجند وغيره، كما يستند إلى الركن من الحائط عند الضعف؛ و«العزّ» القوّة والشدّة و الغلبة، و«أعزّه» أي جعله عزيزاً، أي جعل أُصوله و قواعده أودلائله و براهينه قاهرة غالبة منيعة قويّة لمن أراد محاربته أي هدمه و تضييعه؛وقيل: محاربته كناية عن محاربة أهله؛ وفي بعض النسخ: «جاربه» — كسأل— بالجيم و الهمز، أي استغاث به ولجأ إليه، وفي النهج: «على من غالبه» أي حاول أن يغلبه ولعلّه أظهر، وفي تحف العقول[٤٣٣] على من جانبه.

«وجعله عزّاً لمن تولّاه» أي جعله سبباً للعزّة والرفعة و الغلبة لمن أحبّه وجعله وليّه في الدنيا من القتل والأسر والنهب والذلّ، وفي الآخرة من العذاب و الخزي؛ وفي مجالس الشيخ: «لمن والاه» و في النهج مكانه: «فجعله أمناً لمن علقه» أي نشب و استمسك به. «وسلماً لمن دخله» و«السلم» بالكسر، كما في النهج، وبالفتح أيضاً، الصلح؛ و يطلق على المسالم أيضاً وبالتحريك الاستسلام، إذ من دخله يؤمن من المحاربة والقتل والأسر. «لمن تجلّله» كأنّه على الحذف والإيصال أي تجلّل به، أوعلاه الاسلام وظهر عليه، أوأخذ جُلاله وعمدته.قال الجوهريّ: «تجليل الفرس» أن تلبسه الجلّ، و«تجلّله» أي علاه، و«تجلّله» أي أخذ جُلاله. انتهى. و ربّما يقرأ بالحاء المهملة، و يفسّر بأن جعله حلّة على نفسه ولايخفى مافيه؛ وفي المجالس والتحف: «لمن تحلّى به» وهو أظهر.

«وعذراً لمن انتحله»، «الانتحال» أخذه نحلة وديناً، و يطلق غالباً على ادّعاء أمرلم يتّصف به، فعلى الثاني المراد أنّه عذر ظاهراً في الدنيا. ويجري به عليه أحكام المسلمين، وإن لم ينفعه في الآخرة. و«العروة من الدلو والكوز» المِقبض و كلّ مايتمسّك

٤٣٣ - راجع تحف العقول، ص ١٥٨. وقد مرّ مراراً الإشارة إلى أنّ هذه التعليقات الواردة ههنا منقولة عن شرح المؤلّف العلّامة على الكافي المسمّى بمرآة العقول، ولذلك ترى أنّه ـ قدّس سرّه ـ يذكر النسخة الّتي لم ينقل بعدُ هنا.

به، شبّه الاسلام تارة بالعروة الّتي في الحبل يتمسّك بها في الارتقاء إلى مدارج الكمال، والنجاة من مهاوي الحيرة والضلال، كما قال— تعالى—: «فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا» [٤٣٤] وتارة بالحبل المتين يصعد بالتمسّك به إلى درجات المقرّبين، والحبل يطلق على الرسن وعلى العهد و على الذمّة وعلى الأمان. والكلّ مناسب، وقيل: شبّهه بالعروة لأنّ من أخذ بعروة الشيء كالكوز مثلاً ملك كلّه، وكذلك من تمسّك بالإسلام استولى على جميع الخيرات.

«و برهاناً لمن تكلّم به»، «البرهان» الحجّة والدليل، أي الاسلام إذا أحاط الإنسان بأصوله و فروعه يحصل منه براهين ساطعة على من أنكرها إذلا تحصل الاحاطة التامّة إلّا بالعلم بالكتاب والسنّة وفيهما برهان كلّ شيء. «ونوراً لمن استضاءبه» شبّهه بالنور للاهتداء به إلى طرق النجاه، ورشّحه بذكر الاستضاءة.[٤٣٥]

«وشاهداً لمن خاصم به» إذ باشتماله على البراهين الحقّة يشهد بحقّيته من خاصم به. «وفلجاً لمن حاجّ به»، «الفلج» بالفتح، الظفر والفوز كالإفلاج، والاسم بالضمّ والمحاجّة المغالبة بالحجّة. «وعلماً لمن وعاه» أي سبباً لحصول العلم و إن كان مسبّباً عنه أيضاً في الجملة، إذ العلم به يزداد و يتكامل. و«حديثاً لمن روى» أي يتضمّن الإحاطة بالاسلام أحاديث و أخباراً لمن أراد روايتها، في الفقرة السابقة حثّ على الدّراية وفي هذه الفقرة حثّ على الرواية. «وحكماً لمن قضى» أي يتضمّن ما به يحكم بين المتخاصمين لمن قضى بينهما؛ وفي المجالس رواه: وقضى به. «وحلماً لمن جرّب»، «الحلم» بمعنى العقل أو بمعنى الأناة و ترك السفه، وكلاهما يحصلان باختيار الإسلام و تجربة ماورد فيه من المواعظ والأحكام، واختصاص التجربة بالإسلام لأنّ

٤٣٤- البقرة: ٢٥٦.

٤٣٥- الترشيح من توابع الاستعارة بالكناية، وهي أن تثبت أحد لوازم المشبّه به للمشبّه لينتقل السامع إلى حقيقة التشبيه كمافي المثال المعروف: مخالب المنيّة نشبت بفلان. فقد شبّه المنيّة بالسبع، ثمّ أثبت للمشبّه وهو المنيّة أحد لوازم المشبّه به وهي المخالب بالكناية، فيكون ذكر النشوب ترشيحاً وتزييناً لهذه الاستعارة، وههنا استعير السراج للإسلام لكنّه لم يذكر المشبّه به الّذي هو المستعار منه كمافي المثال المعروف بل كنى عنها بذكر النور الّذي هو من لوازم السراج، فيكون ذكر الاستضاءة ترشيحاً لها. فافهم.

من سفه و بادر بسبب غضب عرض له، يلزمه في دين الاسلام أحكام من الحدّ و التعزير و القصاص من جرّها و اعتبربها تحمله التجربة على العفو و الصفح و عدم الانتقام لاسيّما مع تذكّر العقوبات الأُخروية على فعلها، والمثوبات الجليلة على تركها، وكلّ ذلك يظهر من دين الاسلام.

«ولباساً لمن تدبّر» أي لباس عافية لمن تدبّر في العواقب أو في أوامره و نواهيه بتقريب مامرّ، أو لباس زينة، والأول أظهر، وقديقرأ «تدثّر» بالثاء المثلّثة، أي لبسه وجعله مشتملاً على نفسه كالدثار، وهو تصحيف لطيف؛ و في النهج و الكتابين[٤٣٦]: «ولبّاً لمن تدبّر»، و«اللبّ» بالضمّ، العقل وهو أصوب. «وفهما لمن تفطّن»، «الفهم» العلم وجودة تهيّؤ الذهن لقبول مايرد عليه، و«الفطنة» الحذق، و«التفطّن» طلب الفطانة أو إعماله. وظاهر أنّ الإسلام و الانقياد للرسول و الأئمّة –عليهم السلام– يصير سبباًللعلم وجودة الذهن لمن أعمل الفطنة فيما يصدرعنهم من المعارف والحكم؛ وفي المجالس: لمن فطن.

«و يقيناً لمن عقل» أي يصير سبباً لحصول اليقين لمن تفكّر و تدبّر، يقال: «عقلت الشيء عقلاً» –كضربت– أي تدبّرته، و«عقل»– كعلم– لغة فيه، ويمكن أن يراد بمن عقل من كان من أهل العقل، وهوقوة بها يكون التميزبين الحسن و القبيح و قيل: غريزة يتهيّأ بها الأنسان لفهم الخطاب. «وبصيرة لمن عزم» و في النهج و المجالس: وتبصرة. قال الراغب: يقال لقوّة القلب المدركة: بصيرة، و بصر، ومنه: «أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ»[٤٣٧] أي على معرفة وتحقّق، وقوله «تبصرة» أي تبصيراً وتبييناً، يقال: بصّرته تبصيراً و تبصرة، كما يقال: ذكّرته تذكيراً و تذكرة. وقال: «العزم و العزيمة» عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمت الأمر و عزمت عليه و اعتزمت. انتهى. أي تبصرة لمن عزم على الطاعة كيف يؤدّيها أوفي جميع الأُمورفإنّ في الدين كيفيّة المخرج في جميع أُمورالدين والدنيا، وأيضاً من كان ذادين لايعزم على أمر إلا على وجه البصيرة.

٤٣٦- المراد بالكتابين أمالي الطوسيّ وأمالي المفيد.

٤٣٧- يوسف: ١٠٨.

«وآية لمن توسّم» أي الاسلام مشتمل على علامات لمن تفرّس و نظر بنورالعلم واليقين إشارة إلى قوله— تعالى—: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»[٤٣٨]. قال الراغب[٤٣٩]: «الوسم» التأثير، و«السمة» الأثر، قال— تعالى—: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»[٤٤٠] وقال: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ»[٤٤١] وقوله— تعالى— :«إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» أي للمعتبرين العارفين المتفطّنين، وهذا التوسّم هوالّذي سمّاه قوم الذكاء، وقوم الفطنة، وقوم الفراسة، وقال —صلّى الله عليه و آله—: اتّقوا فراسة المؤمن، وقال: المؤمن ينظر بنورالله. و«توسّمت» تعرّفت السمة.

«وعبرة لمن اتّعظ»، «العبرة» بالكسر مايتّعظ به الانسان و يعتبره ليستدلّ به على غيره، و«الاتّعاظ» قبول الوعظ. «ونجاة لمن صدّق» بالتشديد، ويحتمل التخفيف كماورد في الخبر: من صدق نجا. والأوّل هوالمضبوط في نسخ النهج. «وتؤدة» —كهمزة— بالهمز «لمن أصلح»؛ وفي القاموس: «التؤدة» بفتح الهمزة و سكونها، الرزانة و التأنّي، وقد اتّأدوتوأد.[٤٤٢] وفي المصباح: «اتّأد في مشيه— على افتعل— اتّئاداً» ترفّق ولم يعجّل، وهويمشي على «تؤدة» وزان رطبة، و«فيه تؤدة» أي تثبّت، وأصل التاء فيها واو. انتهى. أي يصير الاسلام سبب وقار و رزانة لمن أصلح نفسه بشرائعه وقوانينه، أو أصلح أموره بالتأنّي أويتأنّي في الاصلاح بين الناس أوبينه وبين الناس، وفي بعض النسخ: «ومودّة» وهوبالأخير أنسب. وفي المجالس: «ومودّة من الله لمن أصلح» وفي التحف: «ومودّة من الله لمن صلح» أي يودّه الله أويلقي حبّه في قلوب العباد كما قال— سبحانه—: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا»[٤٤٣].

«وزلفى لمن اقترب»، «الزلفى»— كحبلى— القرب و المنزلة والحظوة، و«الاقتراب» الدنوّ، وطلب القرب وكأنّ المعنى: الاسلام سبب قرب من الله— تعالى— لمن طلب ذلك بالأعمال الصالحة الّتي دلّ عليها دين الاسلام و شرائعه؛ و في

٤٣٨- الحجر: ٧٥.
٤٣٩- المفردات، ص ٥٢٤.
٤٤٠- الفتح: ٢٩.
٤٤١- البقرة: ٢٧٣.
٤٤٢- القاموس، ج ١، ص ٣٤٣.
٤٤٣- مريم: ٩٦.

بعض النسخ: «لمن اقترن» أي معه ولم يفارقه، وكأنّه تصحيف، وفي المجالس و التحف: «لمن ارتقب» أي انتظر الموت أو رحمة الله، أو حفظ شرائع الدين و ترصّد مواقيتها؛ في القاموس: «الرقيب» الحافظ والمنتظر والحارس و«رقبه» انتظره كترقّبه وارتقبه،– والشيء حرسه كراقبه مراقبة، و«ارتقب» أشرف وعلا.

«وثقة لمن توكّل»، «الثقة» من يؤتمن و يعتمد عليه، يقال: «ثقت به أثق– بكسرهما– ثقة ووثوقاً» أي ائتمنته، و«وثق الشيء– بالضمّ– وثاقة فهو وثيق» أي ثابت محكم، و«توكّل عليه» أي فوّض أمره إليه، أي الاسلام ثقة مأمون لمن وكّل أُموره إليه أي راعى في جميع الأُمور قوانينه فلايخدعه، أو يصير الاسلام سبباً لوثوق المرء على الله إذا توكّل عليه و يعلم به أنّ الله حسبه ونعم الوكيل.

«ورجاء لمن فوّض» أي الاسلام سبب رجاء لمن فوّض أُموره إليه أو إلى الله على الوجهين السابقين؛ وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة أي سعة عيش، وفي النهج والكتابين: «وراحة» وهو أظهر. «وسبقة لمن أحسن» في القاموس: «سبقه يسبقه و يسبُقه» تقدّمه، والفرس في الحلبة جلّى، و«السبق» محرّكة و«السُبقة» بالضمّ، الخطر يوضع بين أهل السباق وهما «سبقان» بالكسر، أي يستبقان[٤٤٤]. انتهى. و الظاهر هنا «سبقة» بالضمّ، أي الاسلام متضمّن لسبقة لمن أحسن المسابقة أو لمن أحسن إلى الناس فإنّه من الأُمور الّتي تحسن المسابقة فيه أو لمن أحسن صحبته، أولمن أتى بأمر حسن فيشمل جميع الطاعات، ولايبعد أن يكون إشارة إلى قوله– تعالى–: «وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ»[٤٤٥] بأن يكون المعنى: اتّبعوهم في الاحسان. «وخيراً لمن سارع» على الوجوه المتقدّمة إشارة إلى قوله –سبحانه– في مواضع «يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ»[٤٤٦].

«وجُنّة لمن صبر»، «الجنّة» بالضمّ، الترس وكلّ ماوقي من سلاح وغيره، فالاسلام يحثّ على الصبر وهو جنّة لمخاوف الدنيا والآخرة، وقيل: استعار لفظ الجنّة

٤٤٤– القاموس، ج ٣، ص ٢٤٣.
٤٤٥– التوبة: ١٠٠.
٤٤٦– آل عمران: ١١٤ والأنبياء: ٩٠ والمؤمنون: ٦١.

للاسلام لأنّه يحفظ من صبر على العمل بقواعده وأركانه من العقوبة الدنيويّة و الأُخرويّة، وقيل: جنّة لمن صبر في المناظرة مع أعادي الدين. «ولباساً لمن اتّق» كأنّه إشارة إلى قوله– تعالى–: «وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ»[٤٤٧] بناء على أنّ المراد بلباس التقوى خشية اللّه، أو الايمان، أو العمل الصالح، أو الحياء الّذي يكسب التقوى، أو السمت الحسن، وقد قيل: كلّ ذلك أو اللباس الّذي هوالتقوى، فإنّه يستر الفضائح والقبائح، و يذهبها، لا لباس الحرب كالدرع و المِغفر والآلات الّتي تتّقى بها عن العدوّ كما قيل، فالاسلام سبب للبس لباس الايمان و التقوى و الأعمال الصالحة، والحياء وهيئة أهل الخير لمن اتّقى وعمل بشرائعه.

«وظهيراً لمن رشد» أي معيناً لمن اختار الرشد والصلاح، في القاموس: «رشد– كنصر وفرح– رُشداً ورَشداً ورشاداً» اهتدى و «الرشد» الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. «وكهفاً لمن آمن»، «الكهف» كالغار في الجبل والملجأ، أي محلّ أمن من مخاوف الدنيا و العقبى لمن آمن بقلبه لالمن أظهر بلسانه و نافق بقلبه.

«وأمنة لمن أسلم»، «الأمنة» بالتحريك، الأمن، وقيل: في الآية[٤٤٨] جمع كالكتبة والظاهر أنّ المراد بالاسلام هنا الانقياد التامّ للّه و لرسوله و لأئمّة المؤمنين فإنّ من كان كذلك فهو آمن في الدنيا والاخرة من مضارّهما. «ورجاء لمن صدق» أي الاسلام باعتبار اشتماله على الوعد بالمثوبات الأُخرويّة والدرجات العالية، سبب لرجاء من صدّق به، ويمكن أن يقرأ بالتخفيف و يؤيّده أنّ [ما] في التحف «وروحاً للصادقين»، وفي بعض نسخ الكتاب أيضاً «روحاً» ومنهم من فسّر الفقرتين بأنّ الاسلام أمنة في الدنيا لمن أسلم ظاهراً وروح في الاخرة لمن صدق باطناً؛ أقول: وكأنّه يؤيّده قوله– تعالى–: «فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ»[٤٤٩].

«وغنىً لمن قنع» أي الاسلام لاشتماله على مدح القناعة وفوائدها فهو يصير سبباً لرضا من قنع بالقليل وغناه عن الناس، وقيل: لأنّ التمسّك بقواعده يوجب وصول

٤٤٧– الأعراف: ٢٥.

٤٤٨– آل عمران: ١٥٤، والآية هي: «ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً».

٤٤٩– الواقعة: ٨٨.

ذلك القدر إليه كما قال — عزّ شأنه —: «وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ»[٤٥٠]، ويحتمل أن يراد به أنّ الاسلام باعتبار اشتماله على مالابدّ للانسان منه من العلوم الحقّة والمعارف الالهيّة والأحكام الدينيّة يغني من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكميّة والقوانين الكلاميّة والاستحسانات العقليّة والقياسات الفقهيّة وإن كان بعيداً.

«فذلك الحقّ» أي ماوصفت لك من صفة الاسلام حقّ أو «ذلك» إشارة إلى الإسلام، أي فلمّا كان الاسلام متصفاً بتلك الصفات فهو الحقّ الثابت الّذي لايتغيّر أولا يشوبه باطل أو ذلك هوالحقّ الّذي قال اللّه — تعالى —: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ»[٤٥١]. وقوله «سبيله الهدى» استيناف بيانيّ صفة لاسم الاشارة، وسبيله الهدى خبره أي هذا الدّين الحقّ الّذي عرفت فوائده و صفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله — سبحانه — «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ»[٤٥٢] وكأنّه إشارة إليه أيضاً، والمراد بالهدى الهداية الربّانيّة الموصلة إلى المطلوب.

«ومأثرته المجد»، «المأثرة» بفتح الميم وسكون الهمزة وضمّ الثاء وفتحها وفتح الراء، واحدة «المآثر» وهي المكارم من الأثر، وهو النقل والرواية لأنّها تؤثر وتروى، وفي القاموس: المكرمة المتوارثة. و«المجد» نيل الكرم و الشرف. و«رجل ماجد» أي كريم شريف، و يطلق غالباً على مايكون بالآباء فكأنّ المعنى أنّه يصير سبباً لمجد صاحبه حتّى يسري في أعقابه أيضاً. «وصفته الحسنى» أي موصوف بأنّه أحسن الأخلاق والأحوال والأعمال؛ وفي المجالس بعد قوله «وجنّة لمن صبر»: الحقّ سبيله، والهدى صفته، والحسنى مأثرته.

«فهو أبلج المنهاج» في القاموس: «بلج الصبح» أضاء و أشرق كابتلج و تبلّج و أبلج و كلّ متّضح أبلج، و «النهج والمنهج والمنهاج» الطريق الواضح و «أنهج» وضح و أوضح .و في النهج بعده:«و أوضح الولائج»أي المداخل.«مشرق المنار»،«المنار»جمع.

٤٥٠- الطلاق: ٢ — ٣. ٤٥١- الرعد: ١٩. ٤٥٢- البقرة: ٥.

«منارة» و هي العلامة توضع في الطريق، وكأنّها سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يضعون عليها النار لاهتداء الضالّ في اللّيل، وفي القاموس: «المنارة» والأصل «منورة» موضع النور كالمنار والمسرجة و المأذنة، والجمع «مناور و منائر» والمنار العلم.. انتهى. وفي النهج: «مشرف» بالفاء، أي العالي و بعده «مشرق الجوادّ» جمع الجادّة. و«ذاكي المصباح»، وفي النهج و الكتابين: «مضيئ المصابيح»، وفي القاموس: «ذكت النار و استذكت» اشتدّ لهبها، وهي ذكيّة، و«أذكاها و ذكّاها» أوقدها. «رفيع الغاية»، «الغاية» منتهى السباق أو الراية المنصوبة في آخر المسافة، وهي خرقة تجعل على قصبة وتنصب في آخر المدى، يأخذها السابق من الفرسان و كأنّ الرفعة كناية عن الظهور كما ستعرف وقيل: هومن قولهم «رفع البعير في مسيره» بالغ أي يرفع إليها.

«يسير المضمار» في النهاية: «تضمير الخيل» هو أن تضامر عليها بالعلف حتّى يسمن، ثمّ لا تعلف إلّا قوتاً لتخف، وقيل: تشدّ عليها سروجها و تجلّل بالأجلّة حتّى تعرق فيذهب رهلها[٤٥٣] و يشتدّ لحمها، وفي حديث حذيفة: «اليوم مضمار وغداً السباق» أي اليوم العمل في الدّنيا للاستباق في الجنّة، والمضمار الموضع الّذي تضمر فيه الخيل، و يكون وقتاً للأيّام الّتي تضمر فيها، وفي القاموس: «المضمار» الموضع الّذي يضمر فيه الخيل، وغاية الفرس في السباق. انتهى. والحاصل أنّ المضمار يطلق على موضع تضمير الفرس للسباق وزمانه، وعلى الميدان الّذي يسابق فيه.

شبّه –عليه السلام– أهل الاسلام بالخيل الّتي تجمع للسباق، ومدّة عمر الدنيا بالميدان الّذي يسابق فيه، والموت بالعلم المنصوب في نهاية الميدان، فإنّ مايتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنّما هوقبل الموت، والقيامة موضع تجمع فيه الخيل بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه و يظهر خسران من تأخّر، والجنّة بالسبقة، والنار بما يلحق المتأخّر من الحرمان والخسران، أو شبّه –عليه السلام– الدنيا بزمان تضمير الخيل أومكانه، والقيامة بميدان المسابقة، فمن كان تضميره في الدنيا أحسن كانت سبقته في الآخرة أكثر، كما ورد التشبيه كذلك في قوله –عليه السلام– في خطبة أخرى: «ألا

٤٥٣– «الرهل» محرّكة، استرخاء اللحم، والرخاوة مع انتفاخ.

وإنّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنّة، والغاية النار». [٤٥٤] ولكن ينافيه ظاهراً قوله «والموت غايته» إلّا أن يقال: المراد بالموت مايلزمه من دخول الجنّة أو النار، إشارة إلى أنّ آثار السعادة والشقاوة الأُخروية تظهر عند الموت كماورد: «ليس بين أحدكم وبين الجنّة والنار إلّا الموت»؛ وعلى التقديرين المراد بقوله «يسير المضمار» قلّة مدّته و سرعة ظهور السبق وعدمه، أوسهولة قطعه و عدم وعورته أوسهولة التضمير فيه وعدم صعوبته لقصر المدّة وتهيّؤ الأسباب من اللّه— تعالى—.

وفي النهج: «كريم المضمار» فكأنّ كرمه لكونه جامعاً لجهات المصلحة الّتي خلق لأجله، وهي اختبار العباد بالطاعات، وفوز الفائزين بأرفع الدرجات، ولا ينافي ذلك ماورد في ذمّ الدنيا، لأنّه يرجع إلى ذمّ من ركن إليها وقصر النظر عليها، كمابيّن— عليه السلام— ذلك في خطبة نوردها في باب ذمّ الدنيا إن شاء اللّه.

«جامع الحلبة»، «الحلبة» بالفتح، خيل تجمع للسباق من كلّ أوب أي ناحية، لاتخرج من اصطبل واحد، و يقال للقوم إذا جاؤوا من كلّ أوب للنصرة قدأحلبوا و كون الحلبة جامعة عدم خروج أحدمنها أوالمراد بالحلبة محلّها وهو القيامة كماسيأتي، فالمراد أنّه يجمع الجميع للحساب، كما قال— تعالى—: «ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ ٱلنَّاسُ» [٤٥٥].

«سريع السبقة»، «السبقة» بالفتح ما في النهج، أي يحصل السبق سريعاً في الدنيا للعاملين، أو في القيامة إلى الجنّة، أو بالضمّ أي يصل إلى السابقين عوض السباق وهو الجنّة سريعاً لأنّ مدّة الدنيا قليلة وهو أظهر، وفي النهج والمجالس والتحف: «متنافس السبقة» فالضمّ أصوب، وإن كان المضبوط في نسخ النهج بالفتح. و«التنافس» الرغبة في الشيء النفيس الجيّد في نوعه. «أليم النقمة» أي مؤلم انتقام من تأخّر في المضمار، لأنّه النار.

«كامل العُدّة»، «العدّة» بالضمّ والشدّ ما أعددته و هيّأته من مال أوسلاح

٤٥٤- الخطبة رقم ٢٨ من خطب النهج.
٤٥٥- هود: ١٠٣.

أوغير ذلك ممّا ينفعك يوماً ما، والمراد هنا التقوى وكماله ظاهر. «كريم الفرسان» وفي النهج: «شريف الفرسان» و«الفرسان» بالضمّ، جمع «فارس» كالفوارس.

ثمّ فسّر –صلوات الله عليه– ما أبهم من الأمور المذكورة فقال: «فالايمان منهاجه» هذا ناظر إلى قوله «أبلج المنهاج» أي المنهاج الواضح للاسلام هوالتصديق القلبيّ بالله و برسوله وبما جاء به، والبراهين القاطعة الدالّة عليه؛ و في النهج و غيره: «فالتصديق منهاجه» و هوأظهر. «والصالحات مناره» ناظر إلى قوله «مشرق المنار» شبّه الأعمال الصالحة والعبادات الموظّفة بالأعلام والمنائر الّتي تنصب على طريق السالكين لئلّا يضلّوا فمن اتبع الشريعة النبويّة وأتى بالفرائض والنوافل يهديه الله للسلوك إليه، و بالعمل يقوى إيمانه، و بقوّة الايمان يزداد عمله، وكلّما وصل إلى علم يظهر له علم آخر، و يزداد يقينه بحقيّة الطريق إلى أن يقطع عمره و يصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليته الّتي جعلها الله له، أوشبّه الايمان بالطريق، والأعمال بالأعلام، فكما أنّ بسلوك الطريق تظهر الأعلام فكذلك بالتصديق بالله و رسله و حججه– عليهم السلام– تعرف الأعمال الصالحة، وقيل: الأعمال الصالحة علامات لاسلام المسلم، وبها يستدلّ على إيمانه ولايتمّ حينئذ التشبيه.

«والفقه مصابيحه»، «الفقه» العلم بالمسائل الشرعيّة أو الأعمّ وبه يرى طريق السلوك إلى الله وأعلامه، وهو ناظر إلى قوله «ذاكي المصباح» إذعلوم الدين و شرائعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء و الأوصياء– عليهم السلام– و بما أفاضوا عليهم من العلوم الربّانيّة.

«والدنيا مضماره» قال ابن أبي الحديد[٤٥٦]: كأنّ الانسان يجري في الدنيا إلى غاية الموت و إنّما جعلها مضمار الاسلام لأنّ المسلم يقطع دنياه لالدنياه بل لآخرته، فالدنيا كالمضمار للفرس إلى الغاية المعيّنة. «والموت غايته» قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية، وقال ابن أبي الحديد: أي إنّ الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخلص من ذلك السجن. وقال ابن ميثم[٤٥٧]: إنّما جعل الموت غاية أي الغاية القريبة الّتي هي باب

٤٥٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٧٢، ط بيروت.

٤٥٧- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٣، ط بيروت

الوصول إلى الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنّها غاية قريبة للإسلام أيضاً وهذا ناظر إلى قوله«رفيع الغاية». وفي سائر الكتب هذه الفقرة مقدّمة على السابقة، فالنشر على ترتيب اللفّ، وعلى مافي الكتاب يمكن أن يقال: لعلّ التأخير هنا لأجل أنّ ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع، والتقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف، وأنّها الفائدة المقصودة، فأُشير إلى الجهتين الواقعيّتين بتغيير الترتيب.

«والقيامة حلبته» أي محلّ اجتماع الحلبة إمّا للسباق أولحيازة السبقة كما مرّ وإطلاق الحلبة عليها من قبيل تسمية المحلّ باسم الحالّ، وقال ابن أبي الحديد: «حلبته» أي ذات حلبته، فحذف المضاف كقوله– تعالى–: «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَاللّه»[458] أي ذووا درجات. «والجنّة سبقته» في أكثر نسخ النهج: «سبقته» بالفتح، فلذا قال الشرّاح: أي جزاء سبقته، فحذف المضاف والظاهر سبقته بالضمّ فلاحاجة إلى تقدير كما عرفت. «والنار نقمته» أي نصيب من تأخّر ولم يحصل له استحقاق للسبقة أصلاً النار زائداً عن الحسرة والحرمان. «والتقوى عُدّته» ناظر إلى قوله «كامل العدّة» لأنّ التقوى تنفع في أشدّ الأهوال و أعظمها وهو القيامة، كما أنّ العدّة من المال وغيره تنفع صاحبها عند الحاجة إليها. «والمحسنون فرسانه» لأنّهم بالاحسان و الطاعات يتسابقون في هذا المضمار.

«فبالايمان يستدلّ على الصالحات» إذ تصديق الله و رسوله وحججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة و كيفيّتها من واجبها و ندبها، وقيل: لأنّ الايمان منهج الإسلام و طريقه، ولابدّ للطريق من زاد يناسبه، وزاد طريق الاسلام هو الأخلاق و الأعمال الصالحة، فيدلّ الايمان عليها كدلالة السبب على المسبّب وقيل: أي يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها. انتهى. وكأنّه حمل الكلام على القلب وإلاّ فلامعنى للاستدلال بالأمر الخفيّ في القلب على الأمر الظاهر. نعم، يمكن أن يكون المعنى أنّ بالايمان يستدلّ على صحّة الأعمال و قبولها فإنّه لاتقبل أعمال غير المؤمن،

٤٥٨- آل عمران: ١٦٣.

وهذا معنى حسن، لكنّ الأوّل أحسن.

«و بالصالحات يعمر الفقه» لأنّ العمل يصير سبباً لزيادة العلم، كما أنّ من بيده سراجاً إذا وقف لايرى إلّا ماحوله، وكلّما مشى ينتفع بالضوء و يرى مالم يره، كماورد: «من عمل بما علم ورّثه اللّه علم مالم يعلم».[٤٥٩] وقدمرّ أنّ العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلّا ارتحل عنه؛ وقيل: الفقرتان مبنيّتان على أنّ المراد بالعمل الصالح ولاية أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ كماورد في تأويل كثيرمن الآيات، وظاهر أنّ بالايمان يستدلّ على الولاية، وبها يعمر الفقه لأخذه عنهم.

«و بالفقه يرهب الموت» أي كثرة العلم واليقين سبب لزيادة الخشية كما قال ـ تعالى ـ: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ»[٤٦٠] فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت، أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له و لما بعده، فقوله «و بالموت تختم الدنيا» كالتعليل لذلك لأنّ الدنيا الّتي هي مضمار العمل، تختم بالموت، فلذا يرهبه لحيلولته بينه و بين العمل و الاستعداد للقاء اللّه، لالحبّ الحياة واللذّات الدنيويّة، والمألوفات الفانية. «و بالدنيا تجوز القيامة» هذه الفقرة أيضاً كالتعليل لما سبق، أي إنّما ترهب الموت لأنّ بالدنيا والأعمال الصالحة المكتسبة فيها تجوز من أهوال القيامة و تخرج عنها إلى نعيم الأبد، بأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز، و في بعض النسخ بصيغة الغيبة أي يجوز المؤمن أو الانسان، و في بعضها «يجاز» على بناء المجهول، و هو أظهر؛ و في بعضها «يحاز» بالحاء المهملة من «الحيازة» أي تحاز مثوبات القيامة. و على التقادير فالوجه فيه أنّ كلّ ما يلقاه العبد في القيامة فإنّها هونتائج عقائده و أعماله و أخلاقه المكتسبة في الدنيا، فبالدنيا تجاز القيامة أو تحاز. و منهم من قرأ «تحوز» بالحاء المهملة، أي بسبب الدنيا و أعمالها تجمع القيامة الناس للحساب والجزاء، فإنّ القيامة

٤٥٩- الكافي، ج ١، ص ٤٤.

٤٦٠- الفاطر: ٢٨.

جامع الحلبة كمامرّ، و في التحف: «تحذر القيامة» و كأنّه أظهر.

«و بالقيامة تزلف الجنّة» أي تقرّب للمتّقين كما قال ـ تعالى ـ: «وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ»[٤٦١]. و في المجالس: «وتزلف الجنّة للمتّقين و تبرز الجحيم للغاوين». و قال البيضاوي: «وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» بحيث يرونها من الموقف فيتبجّحون بأنّهم المحشورون إليها و«بُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» فيرونها مكشوفة و يتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد.[٤٦٢] انتهى.

«والجنّة حسرة أهل النار» في القيامة حيث لا تنفع الحسرة والندامة، و تلك علاوة لعذابهم العظيم. «والنار موعظة للمتّقين» في الدنيا حيث ينفعهم فيتركون مايوجبها و يأتون بما يوجب البعد عنها. «والتقوى سنخ الايمان» أي أصله و أساسه؛ في القاموس «السنخ» بالكسر، الأصل.[٤٦٣]

[وسيأتي شرح كلام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في الإيمان و دعائمه و شعبه تحت الرقم ٣١ من حكم النهج.]

بيان: «الحابس» الواقف في مكانه الّذي حبس ناقته ضلالاً، فهو يخبط ولايدري كيف يهتدي، والمراد ببنائه قواعد دينه أو كمالاته. و «النزل» بالضمّ، مايهيّأ للضيف.[٤٦٤]

بيان: «الوصل» ضدّ القطع والهجران. «جيرانكم» أي أهل الذمّة و المعاهدين، و يحتمل المجاورين في المسكن. قوله ـ عليه السلام ـ «من لافضل لكم عليه» كتعظيم الروم والحبشة مسلمي العرب. قوله ـ عليه السلام ـ «من لايخاف لكم

٤٦١- الشعراء: ٩٠.

٤٦٢- تفسير البيضاوي، ص ٣٠٩.

٤٦٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٤٩ ـ ٣٦٥.

٤٦٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٣٨١.

سطوة» كالملوك في أقاصي البلاد لمّا شاع و ذاع من أنّهم قوم صالحون إذا دعوا اللّه استجاب لهم و ينصرهم بملائكته كما قيل. قوله ـ عليه السلام ـ و «أنتم» الواو للحال. و «الذمّة» العهد و الأمان والضمان والحرمة والحقّ. و «أنف» ـ كفرح ـ استنكف، والغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات. والمراد بنقض العهود ما ظهر من الناكثين والقاسطين و المارقين و غيرهم من نقض البيعة و قتل المسلمين و الإغارة عليهم. ولاريب أنّ السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء يدلّ على أنّ عهوداللّه أضعف عندهم من عهود آبائهم وهو في حدّ الكفر. و «كانت أموراللّه عليكم ترد» أي وأنتم المخاطبون بالأوامر والنواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيّام الرسول ـ صلّى اللّه عليه و آله ـ موارد أموراللّه و مصادرها مطيعين له منكرين للمنكرات. و كان المراد بالورود السؤال، و بالصدور الجواب، و بالرجوع التحاكم. و يمكن تعميم الورود والصدور، فالمراد بالرجوع رجوع النفع والضرّ في الدارين. و قيل: إنّ «كانت أموراللّه عليكم ترد» أي بتعليمي لكم، و «عنكم تصدر» إلى من تعلّمونه إيّاها، ثمّ «إليكم ترجع» بأن يتعلّمها بنوكم و إخوتكم منهم.

«لشرّيوم» أي يوم ظهور المسوّدة أوخروج المهديّ ـ عليه السلام ـ. والجمع في الرجعة، أوالمراد جمع صنفهم.[٤٦٥]

١٠٧ ـ و من كلام له عليه السلام

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ

٤٦٥ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩١، ط كمباني وص ٦٣٩، ط تبريز.

الطَّغَامُ(١٤١٩) ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ(١٤٢٠) الْعَرَبِ ، وَيَآفِيخُ(١٤٢١) الشَّرَفِ ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ شَفَىٰ وَحَاوِحَ(١٤٢٢) صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ(١٤٢٣) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ؛ حَسّاً بِالنِّصَالِ(١٤٢٤) ، وَشَجْراً(١٤٢٥) بِالرِّمَاحِ ؛ تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ(١٤٢٦) الْمَطْرُودَةِ ، تُرْمَىٰ عَنْ حِيَاضِهَا ، وَتُذَادُ(١٤٢٧) عَنْ مَوَارِدِهَا !

١٠٨ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من خطب الملاحم

الله تعالى

الْحَمْدُ للهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ . خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ(١٤٢٨) وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ . خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ(١٤٢٩) ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

النبي عليه السلام

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ(١٤٣٠) ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ(١٤٣١) ،

وَسُرَّةِ ٱلْبَطْحَاءِ[١٤٣٢]، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ ٱلْحِكْمَةِ.

فتنة بني امية

ومنها: طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ[١٤٣٣]، يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ؛ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ؛ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ؛ فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ.

قَدِ ٱنْجَابَتِ السَّرَائِرُ[١٤٣٤] لِأَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا[١٤٣٥]، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ! رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَىٰ قُطْبِهَا[١٤٣٦]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[١٤٣٧]، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[١٤٣٨]، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[١٤٣٩]. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَىٰ الضِّلَّةِ؛ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ[١٤٤٠] كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ[١٤٤١]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ[١٤٤٢]، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ

ٱلْحَصِيدِ(١٤٤٣)، وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ ٱسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ(١٤٤٤) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ(١٤٤٥)، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ(١٤٤٦). وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ(١٤٤٧) أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ(١٤٤٨). فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ ٱلْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ(١٤٤٩) ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ(١٤٥٠)، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً(١٤٥١)، وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً(١٤٥٢)، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً(١٤٥٣)، وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً؛ وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِٱلْقُلُوبِ، وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ ٱلْإِسْلَامُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً.

تبيين: «الملحمة» هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها، وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسّدى، وقيل من اللحم. و«التجلّي» الانكشاف. والخلق الثّاني يحتمل المصدر والمخلوق. و« الرويّة » التفكر. والمراد القلب أو مايضمر من الصور. قوله ــ عليه السلام ــ «في نفسه» أي كائن في نفسه، أي في حدّ ذاته إذا تأمّل فيه متأمّل بنظر صحيح. و«الغامض» من الأرض المطمئنّ، ومن الكلام وغيره خلاف الواضح. و«المشكاة» كوّة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنديل الّذي فيه الفتيلة، أو القنديل. و«الذؤابة» بالضمّ مهموزاً الناصية أو منبتها من الرأس. و«العلياء» بالفتح والمدّ، كلّ مكان مشرف، والسماء ورأس الجبل. و«سرّة البطحاء» وسطها تشبيهاً بسرّة الإنسان. و«البطحاء والأبطح» مسيل واسع فيه دقاق الحصا. قيل: استعار «الشجرة» لصنف الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، وفروعها أشخاصهم، وثمرتها العلوم والكمالات، و« مشكاة الضياء » لآل ابراهيم ــ عليه السلام ــ، و«ذؤابة العليا» لقريش، و«سرّة البطحاء» لمكّة، و«المصابيح والينابيع» هم الأنبياء ــ عليهم السلام ــ. والمراد بـ «الطبيب» نفسه ــ عليه السلام ــ. و«الدوران بالطب» إيتان المرضى و تتبّعهم فهو تعريض الأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم، أو المراد بيان كمال الطبيب فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل. و«المرهم» طلاًليّن يطلى به الجرح مشتقّ من «الرهمة» بالكسر، وهي المطر الضعيف، و«إحكامها» إتقانها ومنعها عن الفساد. و«الوسم» أثر الكيّ. و«الميسم» بالكسر، المكواة. و«أحماها» أي أسخنها. ولعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب أو الأمر بالمعروف وإحماء المواسم إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر وإقامة الحدود. و«قدح بالزند» ــ كمنع ــ رام الايراء به واستخرج النار منه. و«الزند» بالفتح، العود الّذي يقدح به النار. و«ثقبت النار» اتّقدت، و«ثقب الكوكب» أضاء. و«القاسية» الشديدة والغليظة.

و«انجابت السرائر» انكشفت. والمرد بالسرائر ما أضمره المعاندون للحقّ في

قلوبهم من إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة، وقيل: إشارة إلى انكشاف مايكون بعده لنفسه القدسيّة ولأهل البصائر من استيلاء بني أُميّة وعموم ظلمهم، أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها. و«الخابط» السائر على غيرهدى. ولعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفآء الحقّ بل للإصرار على الشقاق والنفاق. و«سفرالصبح وأسفر» أضاء وأشرق، و«أسفرت المرأة» كشفت عن وجهها. والمراد بإسفار الساعة وظهور العلامة قرب القيامة بعدم بقاء نبيّ ينتظر بعثته، وظهور الفتن والوقائع الّتي هي من أشراطها. و «الشبح» بالتحريك، سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد. والمراد بكونهم أشباحاً بلا أرواح تشبيهم بالجمادات والأموات في عدم الانتفاع بالعقل وعدم تأثير المواعظ فيهم، كما قال ـ تعالى ـ : «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ»[٤٦٦]. وأمّا كونهم أرواحاً بلا أشباح فقيل: المراد بيان نقصهم لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال. وقيل: إشارة إلى خفّتهم وطيشهم في الأفعال. وقيل: المراد أنّ منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لاقوّة له على الحرب فالجميع عاطلون عمّا يراد منهم. وقيل: المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت ألبابهم فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنّهم أرواح لاتعلّق لهم بالأجسام. و«النسّاك» العبّاد، أي ليست عبادتهم مقرونة بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتبرة، فإنّ منها معرفة الإمام وطاعته. وكونهم «تجّاراً بلا أرباح» لعدم ترتّب الثواب على أعمالهم. وقوله ـ عليه السلام ـ : «راية ضلالة» منقطع عمّا قبله، التقطه السيّد ـ رضي الله عنه ـ من كلامه على عادته، وكأنّه إشارة إلى مايحدث في آخرالزمان من الفتن كظهور السفيانيّ وغيره. و«القطب» حديده تدورعليها الرحى وملاك الأمر ومداره وسيّد القوم. وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها وتفرّق شعبها عن انتشار فتنتها في الآفاق وتولّد فتن أُخر عنها. وقيل: ليس التفرّق للراية نفسها بل لنصّارها وأصحابها، وحذف المضاف. ومعنى تفرّقهم أنّهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرّقة. و«تكيلكم بصاعها» أي تأخذكم للإهلاك زمرةً زمرةً كالكيّال يأخذ

٤٦٦- المنافقون: ٤.

مايكيله جلة جلة، أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم و يتلاعبون بكم، يرفعونكم و يضعونكم كما يفعل كيّال البرّ به إذا كاله بصاعه، أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله ـ تعالى ـ: «وَإِذَا كَالُوهُمْ»[٤٦٧]، أي تحملكم على دينها ودعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها، أو تغرز لكم من فتنتها شيئاً و يصل إلى كلّ منكم نصيب منها. و «الخبط» بالفتح، ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، و «خبط البعير الأرض بيده خبطاً» أي ضربها، والكلام على الوجهين يفيد الذلّة والانقهار.

و «القيام على الضلّة» الإصرار على الضلال. و «ثفالة القدر» بالضمّ، ماسفل فيه من الطبيخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتناء بقتلهم. و «النفاضة» بالضمّ، ماسقط من النفض. و «العكم» بالكسر، العِدل ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. قال في النهاية: «العكوم» الاحمال الّتي تكون فيها الأمتعة وغيرها، واحدها «عكم» بالكسر، ومنه حديث عليّ ـ عليه السلام ـ: «نفاضة كنفاضة العكم». انتهى. والمراد بها مايبقى في العِدل بعد التخلية من غبار أو بقيّة زاد لايعبأ بها فتنفض. و «عركه» ـ كنصره ـ دلكه وحكّه. و «الأديم» الجلد أو المدبوغ منه. و «داس الرجل الحنطة» دقّها ليخرج الحبّ من السنبل. و «الحصيد» الزرع المقطوع. و «استخلصه لنفسه» أي استخصّه. والغرض تخصيص المؤمن بالقتل والأذى. و «البطينة» السمينة. و «الهزيل» ضدّ السمين.

قوله ـ عليه السلام ـ «أين تذهب بكم» البآء في الموضعين للتعدية، و «المذاهب» الطرق والعقائد، و إسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة. و «تاه يتيه تيهاً» بالفتح والكسر، أي تحيّر وضلّ. و «الغيهب» الظلمة والشديد السواد من الليل. و «الكواذب» الأماني الباطلة والأوهام الفاسدة. قوله ـ عليه السلام ـ «ومن أين تُؤتَوْن» على بناء المجهول، أي من أيّ جهة وطريق يأتيكم من الشياطين أو تلك الأمراض. و «أنّى تؤفكون» أي أنّى تصرفون عن قصد السبيل و أين تذهبون.

قوله ـ عليه السلام ـ «فلكلّ أجل كتاب» أي لكلّ أمد و وقت حكم

٤٦٧- المطفّفين: ٣.

مكتوب على العباد. و«الإياب» بالكسر، الرجوع. قيل: هذا الكلام منقطع عمّا قبله، وقيل: تهديد بالإشارة إلى قرب الموت و أنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم. و «الربّانيّ» منسوب إلى الربّ، وفسّر بالمتألّه العارف بالله أو الّذي يطلب بعمله وجه الله أو العالم العامل المعلّم، والمراد نفسه ـ عليه السلام ـ. و «إحضار القلب إيّاه» الإقبال التامّ إلى كلامه ومواعظه. قوله ـ عليه السلام ـ «إن هتف بكم» بكسر الهمزة وفي بعض النسخ بالفتح، أي لهتافه بكم وهو الصياح.

و«الرائد» الّذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، وفي المثل: «لايكذب الرائد أهله». ولعلّ المراد بالرائد نفسه ـ عليه السلام ـ، أي وظيفتي وشأني الصدق فيما أُخبركم به ممّا تردون عليه من الأمور المستقبلة في الدنيا والآخرة كما أنّ وظيفتكم الاستماع وإحضار القلب. و «الشمل» ماتشتّت من الأمر، والمراد به الأفكار والعزائم أي يجب عليّ التوجّه إلى نصحكم وتذكيركم بقلب فارغ عن الوساوس والشواغل و إقبال تامّ على هدايتكم. ويحتمل أن يراد بالشمل من تفرّق من القوم في فيافي الضلالة. والفاعل في «فلق» هو الرائد. وقيل: المراد بالرائد الفكر لكونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب رعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات فكنّى به عنه، وأهله هو النفس، فكأنّه ـ عليه السلام ـ قال: فلتصدق أفكاركم و متخيّلاتكم نفوسكم، وصدقها إيّاها تصرّفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى، والمراد بالرائد أشخاص من حضر عنده فإنّ كلّاً منهم له أهل وقبيلة يرجع إليهم فأمره أن يصدقهم بتبليغ ماسمع على الوجه الّذي ينبغي والنصيحة والدعوة إليه.

وقوله ـ عليه السلام ـ «وليجمع شمله» أي ما تفرّق وتشعّب من خواطره في أمور الدّنيا ومهمّاتها وليحضر ذهنه أي يوجّهه إلى ما أقول. انتهى. و«الفلق» الشقّ. و«الخرزة» بالتحريك، الجوهر. و «قرفه قرف الصمغة» أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة وتقلع لأنّها إذا قلعت لم يبق لها أثر، وهذا مثل، والمعنى: أُوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحاً تامّاً فأُظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها ولا أذخر عنكم شيئاً بل أُلقي الأمر بكلّيّته إليكم.

قوله «فعند ذلك» قيل: هو متصل بقوله «من بين هزيل الحبّ» فيكون التشويش من السيّد ــ رضي الله عنه ــ، ويمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين. و «أخذ الشيء مأخذه» أي تمكّن واستحكم. و «الطاغية» مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف، أي الفئة الطاغية، وكذا «الداعية» تحتمل الوجهين. وفي بعض النسخ: «الراعية» بالراء المهملة. و «الفنيق» الفحل من الإبل. و «هدر» أي ردّد صوته في حنجرته في غير شقشقة. و «الكظوم» الإمساك والسكوت.

و «كون الولد غيظاً» لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ امرئ بنفسه فيتمنّى أن لايكون له ولد. و «المطرقيضاً» بالضاد المعجمة، أي كثيراً. قيل: إنّه من علامات تلك الشرور أو من أشراط الساعة، وقيل: إنّه أيضاً من الشرور إذا جاوز الحدّ. وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة وهو صميم الصيف وهو المطابق لما في النهاية، قال: ومنه حديث أشراط الساعة: «أن يكون الولد غيظا والمطرقيظاً» لأنّ المطر إنّما يراد للنبات و برد الهواء والقيظ ضدّ ذلك. انتهى. وحينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدّل المطر بشدّة الحرّ أوقلّة المطر أو كثرته في الصيف دون الربيع والشتاء، أو المراد أنّه يصير سبباً لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف إذ يثور به الأبخرة و يفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سبباً لشدّة الحرّ. و «تفيض اللئام» أي تكثر. و «تغيض الكرام» أي تقلّ. و «أهل ذلك الزمان» أي أكابرهم. «أكّالاً» بالضمّ والتشديد، جمع «آكل». وقال بعض الشارحين: روي «أكالاً» بفتح الهمزة وتخفيف الكاف، يقال: «ماذقت أكالاً» أي طعاماً. وقال: لم ينقل هذا إلّا في النفي فالأجود الرواية الأُخرى وهي «آكالاً» بمدّ الهمزة على أفعال، جمع «أكْل» وهو ما أكل، وقد روي «أُكالاً» بضمّ الهمزة على فعال، وقالوا: إنّه جمع أكل للمأكول كعرق وعراق إلّا أنّه شاذّ، أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفريسة للأُسد. و «غار الماء» ذهب في الأرض. و «فاض» أي كثر حتّى سال. وفي بعض النسخ: «و فادالكذب». قوله ــ عليه السلام ــ «وصار الفسوق نسباً» أي يحصل أنسابهم من الزنا، وقيل: أي يصير الفاسق صديقاً للفاسق حتّى يكون ذلك كالنسب بينهم و «أمّا لبسهم الاسلام لبس

الفرو» فالظاهر أنّ المراد به تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه أو إظهار النيّات والأفعال الحسنة و إبطان خلافها. وقيل: وجه القلب أنه لمّا كان الغرض الأصليّ من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعة فقلّب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم فأشبه قلبهم له لبس الفرو إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهراً لمنفعة الحيوان الّذي هولباسه فاستعمله الناس مقلوباً.[٤٦٨]

١٠٩ — ومن خطبة له عليه السلام

في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث

قدرة الله

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ. مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ(١٤٥٤) مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ. كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ. أَنْتَ ٱلْأَبَدُ

٤٦٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٩، ط كمپاني وص ٦٦٦، ط تبريز.

فَلَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهىٰ فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ ! وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَىٰ مِنْ مَلَكُوتِكَ ! وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ ٱلْآخِرَةِ !

الملائكة الكرام

ومنها : مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ؛ لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا «مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ»(١٤٥٥) ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ «رَيْبُ ٱلْمَنُونِ»(١٤٥٦) ؛ وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا(١٤٥٧) عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً ! بِحُسْنِ بَلَائِكَ(١٤٥٨) عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَاراً ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً(١٤٥٩) : مَشْرَباً وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً ، وَقُصُوراً ، وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً ، وَثِمَاراً ؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ قَدْ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَٱصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ(١٤٦٠) بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ؛ لَا يَنْزَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَىٰ ٱلْمَأْخُوذِينَ عَلَىٰ ٱلْغِرَّةِ(١٤٦١) ، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ : ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ ٱلْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً(١٤٦٢) ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَىٰ صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَىٰ عُمْرَهُ ، وَفِيمَ

أَذْهَبَ دَهْرَهُ ! وَيَتَذَكَّرُ أَمْوالاً جَمَعَهَا ، أَغْمَضَ[١٤٦٣] فِي مَطالِبِهَا ، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ[١٤٦٤] جَمْعِهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَىٰ فِرَاقِهَا ، تَبْقَىٰ لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنَأُ[١٤٦٥] لِغَيْرِهِ ، وَٱلْعِبءُ[١٤٦٦] عَلَىٰ ظَهْرِهِ . وَٱلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ[١٤٦٧] بِهَا ، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَىٰ مَا أَصْحَرَ[١٤٦٨] لَهُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّىٰ أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ! فَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ[١٤٦٩] ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَىٰ حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً[١٤٧٠] بِهِ ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعِدُ بَاكِياً ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَىٰ مَخَطٍّ فِي ٱلْأَرْضِ ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَىٰ عَمَلِهِ ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ[١٤٧١] .

بيان: «ماكانوا يجهلون» أي من تفصيل أهواله وسكراته أو لعدم استعدادهم له كأنّهم جاهلون. و«الولوج» الدخول. و «المصرّحات» يحتمل الحلال الصريح والحرام الصريح. و «العبء» بالكسر، الحمل. و يقال: «غلق الرهن يغلق غلوقاً» إذا بقي في يد المرتهن لايقدر راهنه على فكّه. «على ما أصحرله» أي انكشف، وأصله

الخروج إلى الصحراء، والضمير في أمره راجع إلى الموت أوالمرء. «ولايسمع رجع كلامهم» أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام. و «الالتياط» الالتصاق. «قد أوحشوا من جانبه» أي وجعلوا مستوحشين، و «المستوحش» المهموم الفزع.[٤٦٩]

القيامة

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ[١٤٧٢] السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا[١٤٧٣] ، وَأَرَجَّ ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا ، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا ، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ[١٤٧٤] ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا ٱلْأَعْمَالِ وَخَبَايَا ٱلْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ وَٱنْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلَاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ ٱلنُّزَّالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ ٱلْحَالُ ، وَلَا تَنُوبُهُمُ ٱلْأَفْزَاعُ[١٤٧٥] ، وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ[١٤٧٦] ٱلْأَسْفَارُ. وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ[١٤٧٧] ، وَمُقَطَّعَاتِ[١٤٧٨] النِّيرَانِ ، فِي عَذَابٍ

٤٦٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ١٦٤.

قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ[(١٤٧٩)] وَلَجَبٌ[(١٤٨٠)] ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ[(١٤٨١)] هَائِلٌ ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يُفَادَىٰ أَسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[(١٤٨٢)] . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَىٰ ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَىٰ .

بيان: «بلغ الكتاب أجله» أي بلغ الزمان المكتوب المقدّر إلى منتهاه. و«ألحق آخر الخلق بأوّله» أي تساوى الكلّ في شمول الموت والفناء لهم. «أمادالسماء» أي حرّكها؛ ويروى «أمار» بالراء بمعناه، كما قال ــ تعالى ــ: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً»[٤٧٠]. و «أرجّ الأرض» أي زلزلها، وكذا قوله «أرجفها ونسفها» أي قلعها من أصولها. و «دكّ بعضها بعضاً» أي صدمه ودقّه حتّى تكسره، إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً»[٤٧١]. «لايظعن» أي لايرحل. «ولا تنويهم» أي لاتنزل بهم. و«الأخطار» جمع «الخطر» وهو مايشرف به على الهلكة. و«الكلب» بالتحريك، الشدّة. و«الجلب واللجب» الصوت. و«القصيف» الصوت الشديد. «لاتفصم كبولها» أي لاتكسر قيودها.[٤٧٢]

زهد النبي

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله : قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا[(١٤٨٣)] عَنْهُ ٱخْتِيَاراً ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[(١٤٨٤)] ،

٤٧٠- الطور: ٩.
٤٧١- الحاقة: ١٤.
٤٧٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ١١٤.

أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَاماً . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً [١٤٨٥] ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً ، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً .

اهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ ٱلْمَلَائِكَةِ [١٤٨٦] ، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّطْوَةَ .

١١٠ — ومن خطبة له عليه السلام

في أركان الدين

الاسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَىٰ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ ؛ وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ ؛ وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ ؛ وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ ؛ وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ [١٤٨٧] ؛ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ [١٤٨٨] فِي ٱلْأَجَلِ ؛ وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ فَإِنَّهَا

تُكفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ ، وَصَدَقَةُ ٱلْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ ؛ وَصَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ . وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ. وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ . وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَىٰ السُّنَنِ .

فضل القرآن

وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ ٱلْقَصَصِ . وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ؛ بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ(١٤٨٩) .

١١١ — ومن خطبة له عليه السلام

في ذم الدنيا

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِٱلْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِٱلْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ

بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا(١٤٩٠) ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا . غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ(١٤٩١) زَائِلَةٌ ، نَافِدَةٌ(١٤٩٢) بَائِدَةٌ(١٤٩٣) ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ(١٤٩٤) . لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَىٰ أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ : «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً(١٤٩٥) تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ، وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» . لَمْ يَكُنِ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً(١٤٩٦) ؛ وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً(١٤٩٧) ، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً(١٤٩٨) ؛ وَلَمْ تَطُلَّهُ(١٤٩٩) فِيهَا دِيمَةُ(١٥٠٠) رَخَاءٍ(١٥٠١) ، إِلَّا هَتَنَتْ(١٥٠٢) عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ وَٱحْلَوْلَىٰ ، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَىٰ(١٥٠٣) ! لَا يَنَالُ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا(١٥٠٤) رَغَباً(١٥٠٥) ، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ(١٥٠٦) مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً ! وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَىٰ قَوَادِمِ(١٥٠٧) خَوْفٍ ! غَرَّارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَىٰ . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ! وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ(١٥٠٨) ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي أُبَّهَةٍ(١٥٠٩) قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً ، وَذِي نَخْوَةٍ(١٥١٠) قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً ! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ(١٥١١) ، وَعَيْشُهَا

رَنِق(١٥١٢) ، وَعَذْبُهَا أُجاج(١٥١٣) ، وَحُلْوُهَا صَبِر(١٥١٤) ، وَغِذَاؤُهَـا
سِمَام(١٥١٥) ، وَأَسْبَابُهَا رِمَام(١٥١٦) ! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا
بِعَرَضِ سُقْمٍ ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا(١٥١٧)
مَنْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوب(١٥١٨) ! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
أَطْوَلَ أَعْمَاراً ، وَأَبْقَى آثَاراً ، وَأَبْعَدَ آمَالاً ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ ، ثُمَّ ظَعَنُـوا
عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِـعٍ(١٥١٩) . فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَـا
سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ(١٥٢٠) ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ
صُحْبَةً ! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ(١٥٢١) ، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ(١٥٢٢) ،
وَضَعْضَعَتْهُمْ(١٥٢٣) بِالنَّوَائِبِ ، وَعَفَّرَتْهُمْ(١٥٢٤) لِلْمَنَاخِرِ ، وَوَطِئَتْهُمْ
بِالْمَنَاسِـمِ(١٥٢٥) ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ «رَيْبَ الْمَنُونِ». فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا
لِمَنْ دَانَ لَهَا(١٥٢٦) ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا(١٥٢٧) ، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ
الْأَبَدِ . وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ(١٥٢٨) ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ(١٥٢٩) ،
أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ! أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ ،
أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا ،
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ
تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : «مَنْ أَشَدُّ مِنَّـا

قُوَّةً » : حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً(١٥٣٠) ، وَأُنْزِلُوا ٱلْأَجْدَاثَ(١٥٣١) فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ(١٥٣٢) أَجْنَانٌ(١٥٣٣) ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ(١٥٣٤) جِيرَانٌ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا(١٥٣٥) لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَىٰ فَجْعُهُمْ(١٥٣٦) ، وَلَا يُرْجَىٰ دَفْعُهُمْ ، ٱسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ ٱلْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِٱلْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا ، حُفَاةً عُرَاةً ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ ٱلْحَيَاةِ ٱلدَّائِمَةِ وَالدَّارِ ٱلْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

١١٢ — ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّىٰ أَحَداً ؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّىٰ ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ! أَيَلِجُ(١٥٣٧) عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا

أمِ الرُّوحُ أَجابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ ساكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ !

١١٣ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذم الدنيا

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ(١٥٣٨) ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ(١٥٣٩) . قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارُهَا هَانَتْ عَلَىٰ رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ(١٥٤٠) . وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ ، وَعُمْرٍ يَفْنَىٰ فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ ! ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ .

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ . إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتَبَطُوا(١٥٤١) بِمَا رُزِقُوا . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ

ذِكْرُ ٱلْآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلْآمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ، وَٱلعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ ٱللهِ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ . مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِـٱلْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ ! وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ ، حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ . وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ(١٥٤٢) مِنْهَا عَنْكُمْ ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ . وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ رَفْضِ ٱلْآجِلِ وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً(١٥٤٣) عَلَىٰ لِسَانِهِ ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَحْرَزَ رِضَىٰ سَيِّدِهِ .

١١٤ — ومن خطبة له عليه السلام

وفيها مواعظ للناس

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْوَاصِلِ ٱلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَٱلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَىٰ آلَائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَىٰ بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبِطَاءِ(١٥٤٤) عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ ، السِّرَاعِ(١٥٤٥) إِلَىٰ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ(١٥٤٦) .

وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ ٱلْغُيُوبَ ، وَوَقَفَ عَلَىٰ ٱلْمَوْعُودِ، إِيماناً نَفَىٰ إِخْلَاصُهُ ٱلشِّرْكَ ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ ٱلْقَوْلَ ، وَتَرْفَعَانِ ٱلْعَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا ٱلْمَعَاذُ : زَادٌ مُبْلِغٌ ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا(١٠٤٧) خَيْرُ وَاعٍ . فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا ، وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ تَقْوَىٰ ٱللهِ حَمَتْ(١٠٤٨) أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ(١٠٤٩) ؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ(١٠٥٠) ، وَٱلرِّيَّ بِالظَّمَإِ ؛ وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلَاحَظُوا ٱلْأَجَلَ . ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ ؛ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ(١٠٥١) ، لَا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤْسَىٰ(١٠٥٢) جِرَاحُهُ . يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِٱلْمَوْتِ ، وَٱلصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ بِٱلْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ(١٠٥٣) . وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ لَا مَالاً حَمَلَ ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ ! وَمِنْ غِيَرِهَا(١٠٥٤) أَنَّكَ تَرَىٰ

ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً ، وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً ؛ لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ[١٠٥٥] ، وَبُؤْساً نَزَلَ . وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَىٰ أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ. فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَىٰ فَيْئَهَا[١٠٥٦] ! لَا جَاءٍ يُرَدُّ[١٠٥٧] ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ . فَسُبْحَانَ ٱللهِ ، مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ !

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا : فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ. وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ. قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِٱلْعَمَلِ ؛ فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنَ ٱلْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَٱللهِ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ ، وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ[١٠٥٨] ، حَتَّىٰ كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ .

فَبادِرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلْأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ . مَا فَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيادَتُهُ ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي ، وَٱلْيَأْسُ مَعَ ٱلْمَاضِي. فَـ« ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

١١٥ــ ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

ٱللَّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ[١٥٥٩] جِبَالُنَا ، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا ، وَهَامَتْ[١٥٦٠] دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا[١٥٦١] ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى[١٥٦٢] عَلَىٰ أَوْلَادِهَا ، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَٱلْحَنِينَ إِلَىٰ مَوَارِدِهَا ! ٱللَّهُمَّ فَٱرْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ[١٥٦٣] ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ[١٥٦٤] ! ٱللَّهُمَّ فَٱرْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا[١٥٦٥] ! ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ ٱلْجُودِ[١٥٦٦] ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ، وَٱلْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ[١٥٦٧] . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ، وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ[١٥٦٨] ، أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا. وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ[١٥٦٩] ، وَالرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ[١٥٧٠] ، وَالنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ[١٥٧١] ، سَحًّا وَابِلاً[١٥٧٢] ، تُحْيِي بِهِ مَا

قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[١٥٧٣] ، زَاكِياً[١٥٧٤] نَبْتُهَا ، ثَامِراً[١٥٧٥] فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ ! اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[١٥٧٦] ، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[١٥٧٧] ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[١٥٧٨] ، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا[١٥٧٩] ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[١٥٨٠] ؛ مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ[١٥٨١] ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ . وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[١٥٨٢] ، مِدْرَاراً هَاطِلَةً ، يُدَافِعُ الْوَدْقُ[١٥٨٣] مِنْهَا الْوَدْقَ ، وَيَحْفِزُ[١٥٨٤] الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا[١٥٨٥] ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا[١٥٨٦] ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا[١٥٨٧] ، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا[١٥٨٨] ، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ[١٥٨٩] ، فَإِنَّكَ « تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ » .

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف ، رضي الله عنه ؛ قوله عليه السلام : (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أي تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ ، يُقَالُ : انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضاً : انْصَاحَ النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ ؛ كُلُّهُ بِمَعْنًى . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ : الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَابِيرُ السِّنِينَ) جمع حِدْبار ، وهي النَّاقة التي أنضاها السَّيْرُ ، فشبّه بها السنة التي فشا فِيهَا الجَدْبُ ، قَالَ

ذو الرّمّة:

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إلاَّ مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا

وَقَوْلُهُ: (وَلاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا)، الْقَزَعُ: الْقِطَعُ الصِّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. وَقَوْلُهُ: (وَلاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: وَلاَ ذَاتَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا. وَالشَّفَّانُ: الرِّيحُ الْبَارِدَةُ، وَالذِّهَابُ: الأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ. فَحَذَفَ (ذَاتَ) لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ.

أقول: «انصاحت» أي تشقّقت وجفّت لعدم المطر. و«[مواردها]» مواضعها الّتي كانت تأتيها فتشرب منها. و«المذاهب» المسالك. و«الموالج» المداخل. و«البلاغ» الكفاية. و«الأخذ بالذنب والمؤاخذة به» الحبس والمجازاة عليه والمعاقبة به، ولعلّ التغيير للتفنّن، وقيل: المؤاخذة دون الأخذ بالذنب لأنّ الأخذ استيصال والمؤاخذة عقوبة، وإن قلّت.

و«البعاق» بالضمّ، سحاب يتصبّب بشدّة، و«انبعق السّحاب» انفرج من المطر وانشقّ. و«الغدق» بالتحريك، الماء الكثير، و«أغدق المطر واغدودق» كثر، والمراد بالربيع إمّا المطر مجازاً أو معناه المعروف على تجوّز في التوصيف، كذا ذكره الشرّاح. وقال الجوهريّ والفيروزآباديّ: «الربيع» المطر في الربيع والحظّ من الماء للأرض فلا يحتاج إلى التجوّز.

و«المونق» المعجب. و«السحّ» الصبّ والسيلان من فوق، ونصب الكلمة على المصدر أو الحاليّة، ونصب «وابلاً» على الحاليّة. و«المريعة» الخصيبة. و«ثمر الشجر ـ كنصر ـ وأثمر» أي صار فيه الثمر، وقيل: «الثامر» ماخرج ثمره و«المثمر» ما بلغ أن يجني والناضر الشديد الخضرة. و«العشب» الكلاء الرطب و«أعشبت الأرض» أنبتته، و«النجاد» جمع «نجد» وهو ما ارتفع من الأرض ونجادنا مرفوع، وربّما يقرأ بالنصب فضمير الفاعل راجع إلى الله ـ سبحانه ـ.

و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة. و«الخصب» كثرة العشب يقال: أخصبت الأرض. و«الجناب» بالفتح، الفناء والناحية، والثمار يكون مفرداً

وجمعاً. و«العيش» الحياة، و«المواشي» جمع «الماشية» وهي الإبل والغنم، وبعضهم يجعل البقر أيضاً منها. و«ندي» ـ كرضي ـ أي ابتلّ، وقيل: «تندى بها» أي تنتفع بها، و«الأقاصي» الأباعد، و«القصا والقاصية» الناحية. و«ضاحية كلّ شيء» ناحيته البارزة، والمراد أهل ضواحينا.

و«الجزيلة» العظيمة، والسماء يكون بمعنى المطر والمطر الجيّدة، و«مخضلّة» بتشديد اللام، أي مبتلّة، وتأنيث الصّفة لظاهر لفظ السماء، وإن أُريد به المطر هنا، وهو كناية عن كثرة المطر، وربّما يقرأ «مخضلة» على بناء اسم الفاعل من باب الافعال أي الّتي تخضل النبت وتبلّه، يقال: «أخضلت الشيء» أي بللته. «مدراراً» أي كثير الدرّة.

والصبّ والهطل تتابع المطر والدمع وسيلانه، و«حفزه» ـ كضربه ـ أي دفعه بشدّة، وأصله الدفع من خلف. و«الجهام» بالفتح، الّذي لاماء فيه، و«العارض» السحاب الّذي يعترض في أُفق السماء.و«القزع» بالتحريك، قطع من السحاب دقيقة جمع «قزعة» بالتحريك، أيضاً، ولعلّ المراد بالرباب مطلق السحاب، أي لايكون سحابها متفرقة بل متّصلة عامّة؛ وباقي الفقرات قد مرّ شرحها.

و«الخسف» أن يحبس الدابّة بغير علف، و«القفر» مفازة لانبات فيها.[٤٧٣]

١١٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها ينصح أصحابه

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَىٰ ٱلْحَقِّ وَشَاهِداً عَلَىٰ ٱلْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ[١٥٩٠] وَلاَ مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ[١٥٩١] وَلاَ مُعَذِّرٍ[١٥٩٢]. إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَىٰ، وَبَصَرُ مَنِ ٱهْتَدَىٰ.

٤٧٣ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٩١، كتاب الصلاة، ص ٣١٨.

بيان: «الواني» الفاتر الكالّ. و«الواهن» الضعيف. و«المعذّر» المعتذر من غير عذر.[٤٧٤]

ومنها: وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ[(١٥٩٣)] تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ[(١٥٩٤)] عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ[(١٥٩٥)] عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ[(١٥٩٦)] كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَلكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ. قَوْمٌ وَاللهِ مَيَامِينُ[(١٥٩٧)] الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ[(١٥٩٨)] الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ[(١٥٩٩)] بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ[(١٦٠٠)] لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً[(١٦٠١)] عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَى[(١٦٠٢)] الْمَحَجَّةِ[(١٦٠٣)]، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ[(١٦٠٤)]. أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ[(١٦٠٥)] الْمَيَّالُ؛ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ!

قال الشريف: الْوَذَحَةُ: الْخُنْفُسَاءُ. وهذا القول يومىءُ به إلى الحجاج، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

وقال ابن أبي الحديد: ما ذكره السيّد لم أسمع من شيخ من أهل اللّغة ولا وجدته في كتاب من كتب اللّغة[٤٧٥]، والمشهور أنّ الوذح مايتعلّق بأذناب الشاة من

٤٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢١.

٤٧٥- وقد قال في أقرب الموارد: «الوذحة» الخنفساء، وبعضهم يقوله بالخاء. ب.

أبعارها فيجف؛ ثمّ إنّ المفسّرين بعد الرضيّ ــ رضي الله عنه ــ قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلّاه فطردها، فعادت فأخذها بيده فقرصته قرصاً[٤٧٦] فورمت يده منه، وكان فيه حتفه، قتله الله ــ تعالى ــ بأهون خلقه كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء أمر بإبعادها وقال: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً لها بالبعرة المتعلّقة بذنب الشاة.

ومنها أنّه رأى خنفساوات مجتمعات فقال: واعجباً لمن يقول: إنّ الله خلقها؟ قيل: فمن خلقها أيّها الأمير؟ قال: الشيطان، إنّ ربّكم لأعظم شأناً من أن يخلق هذه الوذح! فنقل قوله إلى الفقهاء فأكفروه.

ومنها أنّ الحجّاج كان مثفاراً أي ذا أُبنة، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها الموضع! قالوا: ولايكون صاحب هذا الداء إلّا مبغضاً لأهل البيت ــ عليهم السلام ــ قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى ابن عمر الزاهد ــ ولم يكن من رجال الشيعة ــ في أماليه وأحاديثه عن السيّاريّ عن أبي خزيمة الكاتب، قال: مافتّشنا أحداً فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصباً؛ قالوا: سئل جعفر بن محمّد الصادق عن هذه الصنف من الناس فقال: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله ــ تعالى ــ أبداً قطّ، و إنّما كان في الفسّاق والكفّار والناصب للطاهرين، وكان أبوجهل بن هشام المخزوميّ من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ؛ قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفر إسته. و يغلب على ظنّي أنّه معنى آخر وذلك أنّ عادة العرب أن يكتنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم، وإذا أرادت تحقيره بما يستحقر و يستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاو ية «أبوزنة» يعنون القرد كقول ابن بسّام:

٤٧٦- «قرص لحمه» أخذه ولوى عليه باصبعه وآلمه.

أبــو الــنتن أبــو الـدفـر أبـو الجعـر أبـو البعر[٤٧٧]

فلنجاسته بالذنوب والمعاصي كنّاه أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ أباوذحة، ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقه، فإنّه كان دميماً قصيراً سخيفاً أخفش العين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه، فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة وقد روى قوم: «إيه أباودجة» قالوا: واحدة «الأوداج» كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف.

و رواه قوم: «أباوحرة» وهو دويبة يشبه الحرباء قصير الظهر. وهذا وما قبله ضعيف.[٤٧٨]

توضيح: «الواني» الفاتر الكالّ. و«الواهن» الضعيف. و«المعذّر» الّذي يعتذر من تقصيره من غير عذر، كما قال ــ تعالى ــ: «وَجَاءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ»[٤٧٩]. «مما طوى عنكم» أي كتم وأخفي. وقال في النهاية فيه: «إيّاكم والقعود بالصعدات» هي الطرق وهي جمع «صعد»، و«صعد» جمع «صعيد» كطريق وطرق وطرقات، وقيل: هي جمع «صعدة» ــ كظلمة ــ وهي فناء باب الدار وممرّ الناس بين يديه، ومنه الحديث: «لخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله». وقال ابن أبي الحديد: «الصعيد» التراب ويقال: وجه الأرض، والجمع «صعد وصعدات».[٤٨٠] وفي القاموس: «الصعيد» التراب أو وجه الأرض، والجمع «صعد وصعدات» والطريق، ومنه: إيّاكم والقعود بالصعدات والقبر. انتهى. فالمعنى: خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة

٤٧٧- قال ابن بسّام لبعض الرؤساء يهجوه، وأوّله:

لـــئيم دون الـــشـــوب نـظـيـف الـقـعـب والـقـدر

و«الدفر» النتن، و«الجعر» نجو السبع.

٤٧٨- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، ص ٣٣٢. فراجع أيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٩ ــ ٢٨١، ط بيروت.

٤٧٩- التوبة: ٩٠.

٤٨٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٨، ط بيروت.

والجلوس على الفرش للقلق والانزعاج وجلستم في الطرق أو على التراب أو لازمتم القبور. و «الالتدام» ضرب النساء وجوههنّ في النياحة. قوله ـ عليه السلام ـ «ولاخالف» أي ولا مستخلف عليها. قوله ـ عليه السلام ـ «ولهمّت» قال ابن أبي الحديد: أي أذابته وانحلته، من «همت الشحم» أي أذبته. و يروى «ولأهمّت» وهو أصحّ، من «أهمّني الأمر» أي أحزنني، وفيه نظر لأنّ همّ أيضاً يكون بمعنى أهمّ. قال في القاموس: «همّه الأمر همّاً» حزنه ـ كأهمّه فاهتمّ ـ. انتهى. و «كلّ» منصوب على المفعوليّة والفاعل «نفسه». و يقال: «تاه فلان يتيه» إذا تحيّر وضلّ، و«تاه يتوه» أي هلك واضطرب عقله. و«تشتّت» أي تفرّق. والمراد بمن هو أحقّ به ـ عليه السلام ـ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وحمزة وجعفر ومن لم يفارق الحقّ من الصحابة.

و«المراجيح» الحكماء. وقال الجوهريّ. «راجحته فرجحته» أي كنت أوزن منه، ومنه: قوم مراجيح الحلم. انتهى. و«المقاويل» جمع «مقوال» أي حسن القول أو كثيره. و«المتاريك» جمع «متراك» أي كثير الترك. قوله ـ عليه السلام ـ «مضواقدما» بالضمّ و بضمّتين، أي متقدّمين لاينثنون. و«أوجفوا» أي أسرعوا. و«الكرامة الباردة» الّتي ليس فيها حرّ تعب ولا مشقّة حرب. و«الذيّال» هو الّذي يجرّذيله على الأرض تبختراً، يقال: «أذال فلان وتذيّل» أي تبختر. و«الميّال» الظالم. قوله ـ عليه السلام ـ «يأكل خضرتكم» أي يستأصل أموالكم، و«الخضرة» بفتح الخاء وكسر الضاد، الزرع والبقلة الخضراء والغصن. و«إذابة الشحمة» مثله كما قيل، والمراد تعذيب الأبدان. قوله ـ عليه السلام ـ «إيه أباوذحة»، «إيه» كلمة للاستزادة، أي زدوهات. وقال ابن أبي الحديد: في قول السيّد: «الوذحة» الخنفساء. أقول: لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، والمشهور أنّ الوذح ما يتعلّق بأذناب الشاة من أبعارها فيجفّ. ثمّ إنّ المفسّرين بعد الرضيّ ـ رضي الله عنه ـ قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ الى مصلّاه فطردها فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه. قتله الله

ــ تعالى ــ بأهون خلقه كما قتل نمرودبن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء يأمر بإبعادها و يقول: هذه وذحة، من وذح الشيطان تشبيهاً بالبعرة المعلّقة بذنب الشاة. ومنها أنّه قد رأى خنفساوات مجتمعات فقال: واعجباً لمن يقول: إنّ الله خلق هذه! قيل: فمن خلقها أيّها الأمير؟ قال: الشيطان، إنّ ربّكم لأعظم شأناً من أن يخلق هذه الوذح. قالوا: فجمعها على «فُعْل» كبدنة وبُدْن. فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

منها أنّ الحجّاج كان مثفاراً أي ذا أُبنة وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكّاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شانئاً مبغضاً لأهل البيت ــ عليهم السلام ــ. قالوا: ولسنا نقول: كلّ مبغض فيه هذا الداء بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد ــ ولم يكن من رجال الشيعة ــ في أماليه وأحاديثه عن السيّاريّ عن أبي خزيمة الكاتب، قال: مافتّشنا أحداً فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصباً. قال أبو عمر: وأخبرني العطافيّ عن رجاله، قالوا: سئل جعفر بن محمّد الصادق ــ عليه السلام ــ عن هذا الصنف من الناس فقال لهم: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله ــ تعالى ــ أبداً قطّ ولا تكون أبداً، و إنّما كانت في الفسّاق والكفّار والناصب للطاهرين، وكان أبوجهل بن هشام المخزوميّ من القوم وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ. قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفر إسته. و يغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر وذلك أنّ عادة العرب أن تكتني الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم «أبوالهول، وأبوالمقدام، وأبوالمغوار»، وإذا أرادت تحقيره والغضّ منه كنّته بما يستحقر و يستهان به كقولهم في كنية يزيدبن معاو ية ــ لعنه الله ــ «أبوزنة» يعنون القرد، وكقولهم في كنية سعيدبن حفص البخاريّ المحدّث أبوالفار، وكقولهم للطفيلي أبولقمة، وكقولهم لعبد الملك أبوالذبّان لبخره، وكقول ابن بسّام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبوجعفر ... ولكننا نحذف الفاء منه

وقال أيضاً:

لـــئيم درن الـــثـــوب نظـيـف القعـب والقدر
أبــو الجـعـر أبـوالــبـعـر أبـوالــنتن أبــوالــدفـر

فلنجاسته بالذنوب والمعاصي كنّاه أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ «أباوذحة». ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقته فإنّه كان دميماً قصيراً سخيفاً أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس، فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة. وقد روى قوم: «إيه أباودجة» قالوا: واحدة «الأوداج» كنّاه بذلك لأنّه كان قتالاً يقطع الأوداج بالسيف. ورواه قوم: «أباوحرة» وهي دويّبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، شبّهه بها. وهذا وماقبله ضعيف.[٤٨١]

وأقول: «الذبّان» بكسر الذال وتشديد الباء، جمع «الذباب»، ومن عادته أن يجلس على المنتن. و«القعب» بالفتح، القدح الضخم. و«الدفر» بالمهملة ثمّ الفاء، النتن والذلّ، وبالقاف مصدر «دقر» ـ كفرح ـ إذا امتلأمن الطعام. و«الجعر» بالفتح، مايبس من العذرة في المجعر أي الدبر.[٤٨٢]

١١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام

يوبخ البخلاء بالمال والنفس

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا . تكْرُمُونَ(١٦٠٦) بِاللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ

٤٨١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٩ ــ ٢٨١، ط بيروت.
٤٨٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٨، ط كمپاني وص ٦٣٦، ط تبريز.

إِخْوَانِكُمْ !

بيان: انتصاب «أموال» بفعل مقدّر دلّ عليه «بذلتموها»، وكذلك «أنفس». و«خاطر فلان بنفسه وبماله» أي ألقاها في الهلكة. «تكرمون بالله» أي يعزّكم الناس بأنكم أهل إطاعة الله. «ولا تكرمون الله» أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده أو إجراء أحكامه بينهم.[٤٨٣]

١١٨ — ومن كلام له عليه السلام

في الصالحين من أصحابه

أَنْتُمُ ٱلأَنْصارُ عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَٱلإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَٱلْجُنَنُ[١٦٠٧] يَوْمَ ٱلْبَأْسِ[١٦٠٨] ، وَٱلْبِطَانَةُ[١٦٠٩] دُونَ النَّاسِ . بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ ؛ فَوَٱللهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالنَّاسِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قاله ــ عليه السلام ــ للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، ذكره المدائنيّ والواقديّ في كتابيهما.[٤٨٤] و«بطانة الرجل» خاصّته وأصحاب سرّه. و«المدبر» من أدبر وأعرض عن الحقّ. قوله ــ عليه السلام ــ «وأرجو» أي من أقبل إليّ إذا رأى أخلاقكم الحميدة أطاعني بصميم قلبه، ويمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الإقبال والطاعة.[٤٨٥]

٤٨٣ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٤٣، ط تبريز.
٤٨٤ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٤، ط بيروت.
٤٨٥ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٣، ط كمباني وص ٤١٢، ط تبريز.

١١٩ — ومن كلام له عليه السلام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام : مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك .

فقال عليه السلام : مَا بَالُكُمْ ! لَا سُدِّدْتُمْ (١٦١٠) لِرُشْدٍ ! وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَىٰ ،أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ (١٦١١) فِي الْجَفِيرِ (١٦١٢) الْفَارِغِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ (١٦١٣) مَدَارُهَا ، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا (١٦١٤) . هٰذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ — وَلَوْ قَدْ حُمَّ (١٦١٥) لِي لِقَاؤُهُ — لَقَرَّبْتُ رِكَابِي (١٦١٦) ثُمَّ شَخَصْتُ (١٦١٧) عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ ؛ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ (١٦١٨) فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ (١٦١٩) ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى

النَّارِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قاله ــ عليه السلام ــ في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق عند انقضاء أمر صفّين والنهروان.[٤٨٦] قوله «ملياً» أي ساعة طويلة. قوله ــ عليه السلام ــ «لاسددتم» بالتخفيف والتشديد دعاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. و«القصد من الأمور» المعتدل الّذي لايميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط. و«الشجعاء» جمع «شجيع»؛ وفي بعض النسخ: «شجعانكم» وهو بالضمّ والكسر، جمع «شجاع». و«البأس» الشجاعة. و«الكتيبة» القطعة العظيمة من الجيش. و«التقلقل» التحرّك. و«القِدح» بالكسر، السهم. و«الجَفير» الكنانة، وقيل: وعاء للسهام أوسع من الكنانة، والغرض التشبيه في اضطراب الحال والانفصال عن الجنود والأعوان بالقدح الّذي لايكون حوله قداح تمنعه من التقلقل ولايستقرّ في مكانه. و«استحار مدارها» أي اضطرب، والمدار ههنا مصدر، كذا ذكره ابن أبي الحديد؛[٤٨٧] ولم نجده بهذا المعنى في اللغة.

قال الجوهريّ: «المستحير» سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه، فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة. و«الثفال» الجلد الّذي يوضع عليه الرحاليسقط عليه الدقيق، ويسمّى الحجر الأسفل من حجري الرحى أيضاً ثفالاً، ولعلّه أنسب. قوله ــ عليه السلام ــ «لو قد حُمّ لي» على المجهول، أي قضي وقدّر. و«الركاب» الإبل الّتي يسار عليها. و«شخوص المسافر» خروجه. و«الاختلاف» التردّد، ويحتمل المخالفة. و«الغَنَآء» بالفتح والمدّ، النفع. «لايهلك عليها» أي كائناً عليها أو بسببها. والطريق يذكّر ويؤنّث. «من استقام» أي اعتدل ولزم الطريق الواضح. «ومن زلّ» أي زلق وعدل عن الطريق.[٤٨٨]

٤٨٦ و ٤٨٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٧، ط بيروت.

٤٨٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٩، ط كمباني وص ٦٣٧، ط تبريز.

١٢٠ - ومن كلام له عليه السلام

يذكر فضله ويعظ الناس

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ(١٦٢٠)، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ. أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ(١٦٢١). مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، «وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ». وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ(١٦٢٢) عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ(١٦٢٣). وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ(١٦٢٤). أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ(١٦٢٥) يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ.

بيان: قال ابن أبي الحديد: «لقد علّمت تبليغ الرّسالات» إشارة إلى قوله -تعالى-: «يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ» [489] وإلى قول النبيّ -صلّى الله عليه وآله- في قصة براءة: «لا يؤدّي عنى إلاّ أنا أو رجل منّي». و إنّه علم به مواعيد رسول الله -صلّى الله عليه وآله- الّتي وعدبها و إنجازها، فمنها ماهو وعد لوا حد من الناس نحو أن يقول: سأعطيك كذا، ومنها ماهو وعدبأمر سيحدث كأخبار الملاحم والأمور المتجدّدة، وفيه إشارة إلى قوله -تعالى-: «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ» [490] وإلى قول النبيّ -صلّى الله عليه وآله- في حقّه

٤٨٩- الأحزاب: ٣٩.

٤٩٠- الأحزاب: ٢٣.

ـــ عليه السلام ـــ «قاضي ديني ومنجز عداتي». و إنه علّم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن وبيانه الّذي يتمّ به، وفيه إشارة إلى قوله ـــ تعالى ـــ: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً» ٤٩١ و إلى قول النبيّ ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ «اللّهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه». ٤٩٢

ولعلّ المراد بأبواب «الحكم» بالضمّ أو «الحِكَم» بكسر الحاء وفتح الكاف على اختلاف النسخ؛ الأحكام الشرعيّة، وبضياء الأمر، العقائد العقليّة أو بالعكس.

وقال ابن ميثم: لعلّ المراد بشرائع الدين وسبله أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ فإنّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد معناه الظاهر ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كمالا يخفى. قوله ـــ عليه السلام ـــ «ومن لاينفعه» فيه وجوه:

الأوّل: من لم يعتبر في حياته بلبّه فأولى بأن لاينتفع به بعد الموت.

الثاني: أنّ المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل فأحرى أن لاينتفع به بعد انقضاء وقته بل لايورثه إلّا ندامة وحسرة.

الثالث: أنّ المراد: من لم يكن له من نفسه واعظ وزاجر ولم يعمل بما فهم وعقل فأحرى بأن لايرتدع من القبيح بعقل غيره وموعظته له.

و«اللسان الصالح» الذكر الجميل. و«من لايحمده» وارثه الّذي لايعدّ ذلك الإيراث فضلاً ونعمة. ٤٩٣

٤٩١- الأنعام: ١١٥.

٤٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٩، ط بيروت.

٤٩٣- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٦، ط كمپاني وص ٦٦٢، ط تبريز.

١٢١ — ومن خطبة له عليه السلام

بعد ليلة الهرير

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال :

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ(١٦٢٦) ! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَىٰ ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً ، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَىٰ ، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَىٰ مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا(١٦٢٧) مَعَهَا ! ٱللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ(١٦٢٨) ، وَكَلَّتِ(١٦٢٩) ٱلنَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ ٱلرَّكِيِّ(١٦٣٠) ! أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ ٱلإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَؤُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَهِيجُوا إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ ٱللِّقَاحِ(١٦٣١) إِلَىٰ أَوْلَادِهَا ، وَسَلَبُوا ٱلسُّيُوفَ أَغْمَادَهَا ، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً ، وَصَفّاً صَفّاً . بَعْضٌ هَلَكَ ، وَبَعْضٌ نَجَا . لَا يُبَشَّرُونَ بِٱلأَحْيَاءِ(١٦٣٢) ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَىٰ(١٦٣٣) . مُرْهُ(١٦٣٤) ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ ، خُمْصُ ٱلْبُطُونِ(١٦٣٥) مِنَ ٱلصِّيَامِ ، ذُبُلُ(١٦٣٦) ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ ، صُفْرُ ٱلأَلْوَانِ مِنَ ٱلسَّهَرِ . عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ . أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ . فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ

إِلَيْهِمْ ، وَنَعَضّ ٱلْأَيْدِي عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ(١٦٣٧) ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِٱلْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ ، وَبِٱلْفُرْقَةِ ٱلْفِتْنَةَ . فَٱصْدِفُوا(١٦٣٨) عَنْ نَزَغَاتِهِ(١٦٣٩) وَنَفَثَاتِهِ ، وَٱقْبَلُوا ٱلنَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَٱعْقِلُوهَا(١٦٤٠) عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ .

بيان: كأنّ المراد بأحكام القرآن حفظ الألفاظ عن التحريف والتدبّر في معناه والعمل بمقتضاه. و«أهاجه» أثاره، والمراد به تحريصهم وترغيبهم إليه. و«الوله» بالتحريك، ذهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد من حزن أو فرح، وقيل: هو شدّة الحبّ، يقال: «وله» ــ كفرح وكوعد ــ على قلّة، و«الوله إلى الشيء» الاشتياق إليه. و«اللقاح» ــ ككتاب ــ الابل أو الناقة ذات اللبن و«اللقوح» واحدتها. والحاصل أنهم اشتاقوا إلى الحرب بعد الترغيب اشتياق اللقاح إلى أولادها. وفي بعض النسخ: «فولّهوا اللقاح أولادها» قيل: أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إيّاها عند خروجهم إلى الجهاد. وقوله ــ عليه السلام ــ «أولادها» نصب باسقاط الجارّ إذ الفعل أعني «وله» غيرمتعدّ إلى مفعولين بنفسه، و«الغمد» بالكسر، جفن السيف.

«وأخذوا بأطراف الأرض» أي أخذوا الأرض بأطرافها، كما قيل، أو أخذوا على الناس بأطراف الأرض، أي حصروهم، يقال لمن استولى على غيره وضيّق عليه: قد أخذ عليه بأطراف الأرض، قال الفرزدق:

أخذنا بأطراف السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقيل: المعنى: أخذوا أطراف الأرض، من قبيل أخذت بالخطام، ويحتمل أن يكون المراد: شرعوا في الجهاد في أطراف الأرض والمواطن البعيدة. و«الزحف» الجيش يزحفون إلى العدوّ أي يمشون، ومصدر، يقال: «زحف إليه ــ كمنع ــ زحفاً» إذا مشى نحوه، و«الصفّ» واحد «الصفوف»، ويمكن مصدراً؛ و«زحفاً زحفاً» أي زحفاً بعد زحف متفرّقين في الأطراف وكذلك «صفاً صفاً» والنصب على الحاليّة نحو جاؤوني

رجلاً رجلاً، وقيل: «زحفاً» منصوب على المصدر المحذوف الفعل، أي يزحفون زحفاً، والثانية تأكيد للأولى، وكذلك قوله «صفّا صفّا».

وقوله ــ عليه السلام ــ «بعض هلك و بعض نجا» إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً». ٤٩٤ و«العزاء» الصبر أو حسن الصبر و «عزّيته تعزية» أي قلت له: أحسن الله عزاك، أي رزقك الصبر الحسن، و هو اسم من ذلك نحو «سلّم سلاماً» قال ابن ميثم ــ رحمه الله ــ ٤٩٥: المعنى أنّهم لمّا قطعوا العلائق الدنيويّة، إذاً ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به، و إذاً مات منهم أحد لم يعزّوا عنه وكانت نسخته موافقة لما نقلنا. وفي بعض النسخ: «لايعزّون عن القتلى» موافقاً لما في نسخة ابن أبي الحديد، قال: أي لشدّة ولههم إلى الجهاد لايفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به، ولايحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا به. ٤٩٦

«مُره العيون» يقال: «مرهت عينه» ــ كفرح ــ أي فسدت لترك الكحل، والمراد هنا مطلق الفساد. و«خمص البطن» مثلّثة الميم، أي خلا، و«خمص الرجل خمصاً» ــ كقرب ــ أي جاع. و «ذبل الشيء ذبولاً» ــ كقعد ــ ذهبت نداوته وقلّ ماؤه. و«السهر» بالتحريك، عدم النوم في الليل كلّه أو بعضه. و«الغبرة» بالتحريك، الغبار والكدورة. «فحقّ لنا أن نفعل» على صيغة المجهول كما في أكثر النسخ، وحققت أن تفعل كذا ــ كعلمت ــ و«هو حقيق به» أي خليق جدير؛ وفي بعض النسخ على صيغة المعلوم. و«ظمئ ــ كفرح ــ ظمأً» بالتحريك، أي عطش، وقيل: «الظمأ» أشدّ العطش، و«ظمئ إليه» أي اشتاق. و«عضضت عليه وعضضته» ــ كسمع وفي لغة كمنع ــ أي مسكته بأسناني. ٤٩٧

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: قوله ــ عليه السلام ــ «هذا جزاء من ترك العقدة» أي الرأي

٤٩٤- الأحزاب: ٢٣.

٤٩٥- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١١٧، ط بيروت.

٤٩٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٩٥، ط بيروت.

٤٩٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٠٨ ــ ٣١٠.

والحزم، قيل: مراده ــ عليه السلام ــ: هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الأصوب، فيكون «هذا» إشارة إلى حيرتهم التي يدلّ عليها قولهم «فاندري أيّ الأمرين أرشد»، فيكون ترك العقدة منهم، لا منه ــ عليه السلام ــ ويمكن حمله على ظاهره الألصق بقوله ــ عليه السلام ــ بعد ذلك «حملتكم على المكروه ــ الخ». ولايلزم خطاؤه ــ عليه السلام ــ كما توهّمه الخوارج بأن يكون المراد: كان هذا جزائي حين تركت العقدة، أي هذا ممّا يترتّب على ترك العقدة و إن كان تركها اضطراراً لااختياراً ولا عن فساد رأي كما يدلّ عليه صريح قوله ــ عليه السلام ــ بعد ذلك «ولكن بمن و إلى من؟»؛ فإنّ ترك الأصلح إذا لم يمكن العمل بالأصلح ممّالا فساد فيه، ولا ريب في عدم إمكان حربه ــ عليه السلام ــ بعد رفعهم المصاحف وافتراق الصحابة.

قوله ــ عليه السلام ــ «على المكروه» أي الحرب، إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً».[٤٩٨] والمكروه مكروه لهم، لا له ــ عليه السلام ــ. «و إن اعوججتم» لعلّ المراد بالاعوجاج اليسير من العصيان لا الإباء المطلق، و بالتقويم الإرشاد والتحريص والتشجيع، و بالإباء الإباء المطلق، و بالتدارك الاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب وأهل الحجاز وخراسان فإنّ كلّهم كانوا من شيعته ــ عليه السلام ــ كما ذكره ابن أبي الحديد.

قوله ــ عليه السلام ــ «ولكن بمن؟» أي بمن أستعين في هذا الأمر الّذي لابدّ له من ناصر ومعين، و «إلى من؟» أرجع في ذلك. قوله ــ عليه السلام ــ «كناقش الشوكة» هذا مثل للعرب: «لاتنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها» أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فكما أنّ الأولى انكسرت في رجلك وبقيت في لحمك كذلك تنكسر الثانية. «فإنّ ضلعها» بالتحريك، أي ميلها معها، أي طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل إليها كما تميل الشوكة إلى مثلها. وقال في النهاية: «نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه، و به سمّي المنقاش الّذي ينقش به.

و«الداء الدويّ» الشديد، من «دوي» إذا مرض. و«النزعة» جمع «نازع»

٤٩٨- النساء: ١٩.

وهو الّذي يستقي الماء. و«الشطن» هو الحبل. و«الركيّ» جمع «الركيّة» وهي البئر، كأنّهم عن المصلحة في قعر بئر عميق، وكلّ ـ عليه السلام ـ من جذبهم إليه، أو شبّه ـ عليه السلام ـ وعظه لهم وقلّة تأثيره فيهم بمن يستقي من بئر عميقة لأرض وسيعة وعجز عن سقيها. قوله ـ عليه السلام ـ «فولهوا اللقاح»، «اللقاح» بكسر اللام، الابل، الواحدة «لقوح» وهي الحلوب؛ أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إيّاها عند خروجهم إلى الجهاد؛ وفي بعض النسخ: فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها. و«الوله إلى الشيء» الاشتياق إليه. و«أخذوا بأطراف الأرض» أي أخذوا الأرض بأطرافها كما قيل، أو أخذوا على النّاس بأطراف الأرض، أي حصروهم، يقال لمن استولى على غيره وضيّق عليه: قد أخذ عليه بأطراف الأرض، و«أخذوا أطرافها» من قبيل أخذت بالخطام.

و«الزحف» الجيش يزحفون إلى العدوّ أي يمشون، و يكون مصدراً كالصفّ، ونصبها على الحاليّة، أي زحفاً بعد زحف، وصفّاً بعد صفّ في الأطراف، أو المصدريّة، أي يزحفون زحفاً. قوله ـ عليه السلام ـ «لايبشّرون» أي لشدّة ولههم إلى الجهاد لايفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به، ولا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوابه، أو لمّا قطعوا العلائق الدنيويّة إذاً ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به، و إذا مات منهم أحد لم يعزّوا عنه، والأوّل أظهر لاسيّما على نسخة «القتلى».

و قال في النهاية: «المره» مرض في العين لترك الكحل وقال: «الخمص» الجوع و المجاعة، و«رجل خمص» إذا كان ضامر البطن. و«ذبل» أي قلّ ماؤه وذهبت نضارته.

وقال الجوهريّ: يقال: «حقّ لك أن تفعل» أي خليق بك، وقال: «سناه» أى فتحه وسهّله. و يقال: «صدف عن الأمر» أي انصرف عنه. و«نزغ الشيطان بينهم» أي أفسد وأغرى. و«نفثاته» وساوسه الّتي ينفث بها.[٤٩٩]

٤٩٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٥، ط كمپاني وص ٥٥٧، ط تبريز.

١٢٢ — ومن كلام له عليه السلام

قاله للخوارج ، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون
على إنكار الحكومة ، فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ : فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّىٰ أُكَلِّمَ كُلاًّ مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ . وَنَادَى النَّاسَ ، فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً : إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا . وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي

يُتَّبَعُ ؛ وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي ، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ : فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً ، وَمُضِيّاً عَلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ ، وَصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ . وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ ٱلزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ(١٦٤١) يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا(١٦٤٢) ، وَنَتَدَانَىٰ بِهَا(١٦٤٣) إِلَىٰ ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

احتجاج: «ألم تقولوا» إلى آخر الكلام مثله.

توضيح: قوله ــ عليه السلام ــ «بكلامه» أي بالكلام الّذي يليق به. وقال في النهاية فيه: «نشدتك الله والرحم» أي سألتك بالله وبالرحم.وقال الجوهريّ: «الغيلة» بالكسر، الخديعة. و«نفّس تنفيساً» فرّج تفريجاً. «أوّله رحمة» لأنّه كان وسيلة إلى حقن الدماء. و«الفعلة» بالفتح، المرّة من الفعل، والمراد بها الرضا بالحكومة. و«فريضتها» ماوجب بسببها وترتّب عليها. و «إنّ الكتاب لمعي» أي لفظاً ومعنى. و«المضض» وجع المصيبة. قوله ــ عليه السلام ــ «إلى البقيّة» أي إلى بقاء مابقي فيما بيننا من الإسلام كما ذكره ابن ميثم. والأظهر عندي أنّه من الإبقاء بمعنى الرحم والإشفاق والإصلاح كما في الصحيفة: «لاتبق على من تضرّع إليها»؛ وقال في القاموس: «أبقيت مابيننا» لم أُبالغ في إفساده والاسم «البقيّة». وأُولو بقيّة ينهون عن الفساد أي إبقاء. وقال ابن أبي الحديد[٥٠٠]: هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضاً، ولكنّه ثلاثة فصول لايلتصق أحدها بالآخر، آخر الفصل الأوّل قوله ــ عليه السّلام ــ « و إن ترك

٥٠٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٩٨، ط بيروت.

ذلّ» وآخر الفصل الثّاني قوله «على مضض الجراح» والفصل الثّالث ينتهي آخر الكلام.[٥٠١]

١٢٣ ـ ومن كلام له عليه السّلام

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ (١٦٤٤) عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَرَأَىٰ مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً (١٦٤٥) فَلْيَذُبَّ (١٦٤٦) عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ (١٦٤٧) الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ !

ومنه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ (١٦٤٨) : لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً ، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ ، وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ (١٦٤٩) .

تبيين: قوله ـ عليه السلام ـ «أحسّ من نفسه» أي علم و وجد. و«رباطة الجأش» شدة القلب. و«الذبّ» الدفع. و«النجدة» الشجاعة. «كما يذبّ عن نفسه» أي بنهاية الاهتمام والجدّ. «لجعله مثله» أي مثل أخيه في الجبن أو أخاه مثله في الشجاعة. و«الحثيث» السّريع. و«المقيم للموت» الراضي به كما أنّ الهارب عنه الساخط له. «أهون من ميتة» إمّا مطلقاً أو عنده ـ عليه السلام ـ لما يعلم مافيه من

٥٠١ ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٧، ط كمپاني وص ٥٥٩، ط تبريز.

الدرجات. وقال في النهاية: «كشيش الأفعيّ» صوت جلدها إذا تحرّكت، وقد كشّت تكشّ، وليس صوت فها لأنّ ذلك فحيحها. ومنه حديث عليّ ـ عليه السلام ـ: كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب.

وقال ابن أبي الحديد:[٥٠٢] أي كأنّكم لشدّة خوفكم واجتماعكم من الجبن كالضباب المجتمعة الّتي تحكّ بعضها بعضاً. قال الراجز:

كشيش أفعيّ أجمعت لعضّ وهي تحكّ بعضها ببعض

و«اقتحم عقبة أو وهدة» رمى بنفسه فيها. و«التلوّم» الانتظار والتوقّف.[٥٠٣]

١٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ(١٦٥٠)، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ(١٦٥١)، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى(١٦٥٢) لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ(١٦٥٣)؛ وَالْتَوُوا(١٦٥٤) فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ(١٦٥٥) لِلْأَسِنَّةِ؛ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ؛ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ(١٦٥٦) مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ(١٦٥٧) هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ(١٦٥٨)، وَيَكْتَنِفُونَهَا(١٦٥٩): حِفَافَيْهَا(١٦٦٠)، وَوَرَاءَهَا،

٥٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٣٠٤، ط بيروت.

٥٠٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢٦، ط كمپاني وص ٥٧٦، ط تبريز.

وَأَمامَهَا ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا .
أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ(١٦٦١) ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَىٰ أَخِيهِ(١٦٦٢)
فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَايْمَ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ
ٱلْعَاجِلَةِ ، لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ(١٦٦٣) ٱلْعَرَبِ ،
وَالسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ(١٦٦٤) ٱللهِ ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ ، وَٱلْعَارَ
ٱلْبَاقِيَ . وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ .
مَنِ الرَّائِحُ إِلَىٰ ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ؟ ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي(١٦٦٥) !
ٱلْيَوْمَ تُبْلَى ٱلْأَخْبَارُ(١٦٦٦) ! وَٱللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَىٰ لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ .
ٱللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ
بِخَطَايَاهُمْ(١٦٦٧) . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ(١٦٦٨) :
يَخْرُجُ مِنْهُمُ النَّسِيمُ ؛ وَضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ ، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ(١٦٦٩)
السَّوَاعِدَ وَٱلْأَقْدَامَ ؛ وَحَتَّىٰ يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ(١٦٧٠) ؛ وَيُرْجَمُوا
بِٱلْكَتَائِبِ(١٦٧١) تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ(١٦٧٢) ؛ وَحَتَّىٰ يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ
يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ ؛ وَحَتَّىٰ تَدْعَقَ(١٦٧٣) ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ،
وَبِأَعْنَانِ(١٦٧٤) مَسَارِبِهِمْ(١٦٧٥) وَمَسَارِحِهِمْ .

قال السيد الشريف : أقولُ : الدَّعْقُ : الدَّقُّ ، أي تَدُقُّ الخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ : مُتَقَابِلَاتُهَا . وَيُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أيْ تَتَقَابَلُ .

تبيين: قوله ـ عليه السلام ـ «أجزأ امرؤ» قال ابن أبي الحديد[٥٠٤]: من الناس من يجعل هذا أو نحوه أمراً بلفظ الماضي، كالمستقبل في قوله ـ تعالى ـ «وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ»[٥٠٥] ومنهم من قال: معنى ذلك هلّا أجزأ، فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها. و«أجزأ» أي كفى. و«قرنك» مقارنك في القتال ونحوه. و«آسى أخاه بنفسه» بالهمزة، أي جعله أسوة لنفسه، ويجوز «واسيت زيداً» بالواو، وهي لغة ضعيفة. و«الموجدة» الغضب والسخط. قوله ـ عليه السلام ـ و«الذلّ اللازم» قيل: يروى: «اللاذم» بالذال المعجمة، بمعناه. و«الرائح» المسافر وقت الرواح أو مطلقاً كما قاله الأزهريّ، و يناسب الأوّل مامرّ من أنّ قتاله ـ عليه السلام ـ غالباً بعد الزوال.

قوله ـ عليه السلام ـ «تحت أطراف العوالي» يحتمل أن يكون المراد بالعوالي الرماح، قال في النهاية: «العالية» مايلي السنان من الرمح والجمع «العوالي»، أو السيوف كما يظهر من ابن أبي الحديد، فيحتمل أن يكون من «علايعلو» إذا ارتفع، أي السيوف الّتي تعلو فوق الرؤوس، أو من «علوته بالسيف» إذا ضربته به، و يؤيّده قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «الجنّة تحت ظلال السيوف». قوله ـ عليه السلام ـ «تبلى الأخبار بالبآء الموحّدة، أي تختبر الأفعال والأسرار كما قال ـ تعالى ـ: «وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ»[٥٠٦]؛ وفي بعض النسخ بالياء المثنّاة التحتانيّة، أي تمتاز الأخيار من الأشرار. قوله ـ عليه السلام ـ «إلى لقائهم» أي الأعداء لقتالهم. و«الفضّ» التفريق. و«أبسلت فلاناً» أسلمته إلى الهلكة. قوله ـ عليه السلام ـ «طعن دراك» أي متتابع يتلو بعضه بعضاً. و«يخرج منه النسيم» أي لسعته؛ وروي: «النسم» أي طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنة، وروي: «القشم» بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم. و«الفلق» الشقّ. و«طاح الشيء» سقط أو هلك أو تاه في الأرض، و«أطاحه» غيره و«أندره» أسقطه. وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يفسّر النواجر بأمر آخر وهو أن يراد به أقاصي أرضهم، من قولهم لآخر ليلة من الشهر

٥٠٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٥، ط بيروت.
٥٠٥- البقرة: ٢٣٣.
٥٠٦- محمد: ٣١.

«ناحرة». وقد مرّ تفسير بعض أجزاء الخطبة في مواضعها.[٥٠٧]

١٢٥ – ومن كلام له عليه السلام

في التحكيم

وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. هٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ[١٦٧٦]، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَىٰ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ» فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ؛ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَلَا تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا[١٦٧٧]، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ

٥٠٧– بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢٥، ط كمپاني، ص ٥٧٦، ط تبريز.

بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[١٦٧٨] ـ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ! اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ[١٦٧٩] لَا يَعْدِلُونَ[١٦٨٠] بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ[١٦٨١] عَنِ الطَّرِيقِ. مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ[١٦٨٢] يُعْلَقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرِ[١٦٨٣] عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا. لَبِئْسَ حُشَّاشُ[١٦٨٤] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[١٦٨٥]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ[١٦٨٦]، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[١٦٨٧]!

توضيح: قوله ـ عليه السلام ـ «أن نحكّم» حاصل الجواب: إنّا لم نرض بتحكيم الرجلين مطلقاً، بل على تقدير حكمها بالصدق في الكتاب والسنة لأنّ القوم دعونا إلى تحكيم القرآن لا تحكيم الرجلين، و إنّما رضينا بتحكيم الرجلين لحاجة القرآن إلى الترجمان، فالحاكم حقيقة هو القرآن لا الرجلان، فإذا خالف الرجلان حكم الكتاب والسنّة لم يجب علينا قبول قولهما، مع أنّ رضاه ـ عليه السلام ـ كان اضطراراً كما عرفت مراراً. قوله ـ عليه السلام ـ «فإذا حكم بالصدق» أي إذا حكم بالصدق في الكتاب والسنّة فيجب أن يحكم بخلافتنا لأنّا أحقّ الناس بالكتاب والسنّة، أو إذا حكم بالصدق فيهما فنحن أولى الناس باتّباع حكمهما، فعدم اتّباعنا لعدم حكمهم بالصدق و إلّا لاتّبعناه، أو إذا حكم بالصدق فيهما فنحن أحقّ النّاس بهذا الحكم فيجب عليهم اتّباع قولنا، لا علينا اتّباع قولهم. والضمير في قوله «أحقّ النّاس به» عائد إلى الكتاب أو إلى الله أو إلى الحكم، وفي «أولاهم به»[٥٠٨] إلى الرسول أو إلى الحكم.

٥٠٨- وروي: «ولا تؤخذ بأكظامها» فحينئذ يرجع الضمير المؤنّث المستتر فيه إلى السنّة.

قوله ــ عليه السلام ــ «ليتبيّن الجاهل» أي ليظهر للجاهل وجه الحقّ، والتبيّن يكون لازماً ومتعدّياً. «ويتثبّت العالم» بدفع الشبهة ويطمئنّ قلبه. قوله ــ عليه السلام ــ «ولا يؤخذ بأكظامها» معطوف على «يتبيّن»، وقال في النهاية في حديث عليّ ــ عليه السلام ــ: «بأكظامها» هي جمع «كظم» بالتحريك، وهو مخرج النفس من الحلق. و«أوّل الغيّ» هو أوّل شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف. و«كرثه الغمّ وأكرثه» أي اشتدّ عليه وبلغ منه المشقّة. و«تاه يتيه تيهاً» تحيّر وضلّ أوتكبّر. و«من أين أُتيتم» أي هلكتم، أو دخل عليكم الشيطان والشبهة والحيلة. و قال الجوهريّ: «أوزعته بالشيء» أغريته به. «لايعدلون به» أي ليس للجور عندهم عديل؛ و يروى: «لايعدلون عنه» أي لايتركونه إلى غيره. و«الجفاء» البعد عن الشيء. و«نكب عن الطريق ينكب نكوباً» عدل. «ما أنتم بوثيقة» أي بعروة وثيقة، أو بذوي وثيقة، و«الوثيقة» الثقة. و«علق بالشيء ــ كفرح ــ وتعلّق به» أي نشب واستمسك. و«زافرة الرجل» أنصاره وخاصّته. و«الحشّاش» بضمّ الحآء وتشديد الشين، جمع «حاشّ» وهوالموقد للنار، وكذلك «الحشاش» بالكسر والتخفيف، وقيل: هوما يحشّ به النار أي يوقد. و«البرح» الشدّة؛ وفي بعض النسخ بالتآء وهو الحزن. «يوماً أُناديكم» أي جهراً، و«يوماً أُناجيكم» أي سرّاً. «فلا أحرار» أي لا تنصرون ولاتحمون. «ولا إخوان ثقة» أي لا تكتمون السرّ ولا تعملون بلوازم الإخاء.[٥٠٩]

[وقوله ــ عليه السلام ــ «النجاء» هو الإفضاء بالسرّ والتكلّم مع شخص بحيث لايسمع الآخر.]

١٢٦ ــ ومن كلام له عليه السلام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! وَاللهِ لَا

٥٠٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٧، ط كمپاني وص ٥٥٩، ط تبريز.

أَطُورُ[(١٦٨٨)] بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[(١٦٨٩)] ، وَمَا أَمَّ[(١٦٩٠)] نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ . وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ . فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ[(١٦٩١)] !

إيضاح: قوله ـ عليه السلام ـ «أتأمرونّي» أصله «تأمرونني» فأسكنت الأولى وأدغمت. «لا أطور به» أي لا أقربه أبداً ولا أدور حوله. وفي القاموس: «السمر» محرّكة، الليل وحديثه وما أفعله، «ما سمر السمير» أي ما اختلف الليل والنهار. و«ما أمّ نجم» أي قصد أو تقدّم لأنّ النجوم لا تزال يتبع بعضها بعضاً فلابدّ فيها من تقدّم وتأخّر، ولايزال يقصد بعضها بعضاً. «فإن زلّت به النعل» أي إذا عثر وافتقر. و«الخدين» الصديق.[٥١٠]

١٢٧ ـ ومن كلام له عليه السلام

وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي ،

٥١٠ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٠، ط كمپاني وص ٣٧٥، ط تبريز.

وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي ! سُيُوفُكُمْ عَلَىٰ عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ ؛ وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ . وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَيْءِ ، وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَىٰ بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ(١٦٩٢) ! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ فَٱلْزَمُوهُ ، وَٱلْزَمُوا السَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ !

فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ . أَلَا مَنْ دَعَا إِلَىٰ هٰذَا الشِّعَارِ(١٦٩٣) فَٱقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ ، فَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ ٱلاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ ٱلافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ ٱتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ

بُجْراً(١٦٩٤) ، وَلَا خَتَلْتُكُم(١٦٩٥) عَنْ أَمْرِكُمْ ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا اَجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ اَخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا اَلْقُرْآنَ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا اَلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ اَلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اَسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي اَلْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ ، وَالصَّمْدِ(١٦٩٦) لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

توضيح: غرضه ـ عليه السلام ـ رفع شبهتهم ـ لعنهم الله ـ في الحكم بكفر أصحاب الكبائر مطلقاً، ولذا كفّروه ـ صلوات الله عليه ـ للرضا بالتحكيم، فاحتجّ عليهم بأنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يخرج أصحاب الكبائر من الاسلام وأجرى فيهم أحكام المسلمين فأبطل بذلك مازعموا أنّ الدار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها، وقتلوا الناس حتّى الأطفال، وقتلوا البهائم أيضاً لذلك. و«السواد» العدد الكثير، والجماعة من الناس. و«يدالله» كناية عن الحفظ والدفاع، أي أنّ الجماعة المجتمعين على إمام الحقّ في كنف الله وحفظه، وما استدلّ به على العمل بالمشهورات والاجماعات الغير الثابت دخول المعصوم فيها؛ فلا يخفى وهنه لورود الأخبار المتكاثرة ودلالة الآيات المتظافرة على أنّ أكثر الخلق على الضلال والحقّ مع القليل و كأنّ «هذا الشعار» إشارة إلى قولهم «لاحكم إلّا لله » و «لاحُكم إلّا الله» وقيل: كان شعارهم أنهم كانوا يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقون الشعر مستديراً حوله كالاكليل، وقيل: هو مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي. «ولو كان تحت عمامتي» أي ولو اعتصم بأعظم الأشياء حرمة، وقيل: كنّى بها عن أقصى القرب من عنايته، وقيل: أراد: ولو كان الداعي أنا.

و أقول: قد مضى تمام الكلام مشروحاً في كتاب الفتن.[٥١١]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

٥١١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٢٨٩.

إيضاح: قوله ــ عليه السلام ــ «وضللت» بكسر اللام وفتحها. أقول: لمّا قالت الخوارج ــ لعنهم الله ــ: إنّ الدار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها قتلوا الناس حتّى الأطفال، وقتلوا البهائم، وذهبوا إلى تكفير أهل الكبائر مطلقاً، ولذا كفّروا أميرالمؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ ومن تبعه على تصويب التحكيم، فلذا احتجّ ــ عليه السلام ــ بأنّه لوكان صاحب الكبيرة كافراً لما صلّى عليه رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ولا ورّثه من المسلم، ولا مكّنه من نكاح المسلمات، ولا قسم عليهم من الفيء ولا خروجه من لفظ الإسلام.

وقوله ــ عليه السلام ــ «وورّث ميراثه» يدلّ ظاهراً على عدم إرث المسلم من الكافر، ولعلّه إلزام عليهم. قوله ــ عليه السلام ــ «ونكحا» أي السارق والزاني المسلمات ولم يمنعها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ من ذلك. قوله ــ عليه السلام ــ «من بين أهله» أي أهل الإسلام. و«مرامي الشيطان» طرق الضلال الّتي يسوق الإنسان إليها بوساوسه. و«ضرب به تيه» أي وجّهه إليه من «ضربت في الأرض» إذا سافرت، والبآء للتعدية. و«التيه» بالكسر والفتح، الحيرة، وبالكسر، المفازة يتاه فيها.

وتقييد البغض بالإفراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر، أو لأنّ المبغض مطلقاً مجاوز عن الحدّ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج والتناسب بين الفقرتين.

و قال في النهاية في حديث عليّ ــ عليه السلام ــ: «خير هذه الأمّة النمط الأوسط»، «النمط» الطريقة من الطرائق والضرب من الضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط، أي من ذلك الضرب، و«النمط» الجماعة من الناس أمرهم واحد. وقال فيه: «عليكم بالسواد الأعظم» أي جملة الناس ومعظمهم الّذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج المستقيم. وقال: «إنّ يدالله على الجماعة» أي أنّ الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله؛ و«يدالله» كناية عن الحفظ والدفاع عنهم. قوله ــ عليه السلام ــ «إلى هذا الشعار» قال ابن ميثم: أي مفارقة الجماعة والاستبداد

بالرأي. وقوله ـ عليه السلام ـ «ولو كانت تحت عمامتي» كناية عن أقصى القرب من عنايته، أي ولو كان ذلك الداعي في هذا الحدّ من عنايتي به. وقال ابن أبي الحديد: كان شعارهم أن يحلقوا وسط رؤوسهم و يبقوا الشعر مستديراً حوله كالإكليل. وقال: «ولو كان تحت عمامتي» أي ولو اعتصم واحتمى بأعظم الأشياء حرمة فلا تكفّوا عن قتله.

أقول: ويحتمل أن يكون شعارهم قولهم «لا حكم إلّا للّه» وأن يكون كنّى بقوله «تحت عمامتي» عن نفسه. قوله ـ عليه السلام ـ «واحياؤه الاجتماع عليه» أي ما يحييه القرآن هو الاجتماع عليه، وماميته هو الافتراق عنه، أو أنّ الاجتماع على القرآن إحياؤه، إذ به يحصل الأثرو الفائدة المطلوبة منه، والافتراق عنه إماتة له. و«البجر» بالضمّ والفتح، الداهية والأمر العظيم. و«الختل» الخدع. قوله ـ عليه السلام ـ «و إنّما اجتمع» يظهر منه جوابان عن شبهتهم:

أحدهما أنّي ما اخترت التحكيم بل اجتمع رأي ملأكم عليه، وقد ظهر أنّه ـ عليه السلام ـ كان مجبوراً في التحكيم.

وثانيهما أنّا اشترطنا عليهما في كتاب التحكيم أن لايتجاوزا حكم القرآن فلمّا تعدّيا لم يجب علينا اتّباع حكمهما.

و«الملأ» أشراف النّاس ورؤسائهم ومقدّموهم الّذين يرجع إلى قولهم، ذكره في النهاية. و«الصمد» القصد. و«سوءرأيهما» مفعول «سبق»، أو الاستثناء أيضاً على التنازع، أي ذكرنا أوّلاً أنّا إنّما نتبع حكمهما إذا لم يختارا سوء الرأي والجور في الحكم.[512]

١٢٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

فيما يخبر به عن الملاحم[1697] بالبصرة

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا

٥١٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٧، ط كمپاني وص ٥٥٩، ط تبريز.

لَجَبٌ[١٦٩٨] ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ[١٦٩٩] ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ[١٧٠٠] . يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

قال الشريف : يومىء بذلك إلى صاحب الزّنج .

ثم قال عليه السلام : وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ ٱلْعَامِرَةِ[١٧٠١] ، وَالدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ[١٧٠٢] كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ[١٧٠٣] ٱلْفِيَلَةِ ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا .

بيان: «اللّجب» الصوت. و«الحمحمة» صوت الفرس دون الصهيل. قوله ـ عليه السلام ـ «يثيرون الأرض» أي التراب، لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل، وقيل: كناية عن شدّة وطئهم الأرض ليلائم قوله «لايكون له غبار». قوله ـ عليه السلام ـ «كأنّها أقدام النعام» لمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً عراضاً منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع فأشبهت أقدام النعام في بعض تلك الأوصاف وأجنحة الدور التي شبّهها ـ عليه السلام ـ بأجنحة النسور ، رواشنها[٥١٣] وما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس. و«خراطيمها» مآزيبها التي تطلى بالقار تكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد، تدلى من السطوح حفظاً للحيطان.

وأمّا قوله ـ عليه السلام ـ «لاينيدب قتيلهم» فقيل: إنّه وصف لهم لشدّة البأس والحرص على القتال، وأنّهم لايبالون بالموت، وقيل: لأنّهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل وولد ممّن عادتهم الندبة وافتقاد الغائب، وقيل: «لايفقد غائبهم» وصف لهم بالكثرة، وأنّه إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره. و يقال: «كببت فلاناً على وجهه» أي تركته ولم ألتفت إليه. وقوله «وقادرها بقدرها» أي معامل لها بمقدارها.

٥١٣- جمع «الروشن» الكوة.

وقوله «ناظرها بعينها» أي ناظر إليها بعين العبرة أو أنظر إليها نظراً يليق بها.[٥١٤]

منه في وصف الاتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً «كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ»[١٧٠٤]، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ[١٧٠٥] وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ[١٧٠٦] ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ. وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ[١٧٠٧] قَتْلٍ حَتَّىٰ يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَىٰ ٱلْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ!

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل، وكان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...» ٱلْآيَةَ، فَيَعْلَمُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي ٱلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهٰذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللهُ، وَمَا سِوَىٰ ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ

٥١٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، تاريخ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، ص ٣٣٤.

صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي(١٧٠٨) .

توضيح: «المجانّ» جمع «مجنّ» وهو الترس. و«المطرقة» بسكون الطآء، الّتي قد أطرق بعضها إلى بعض، أي ضمّت طبقاتها، فجعل يتلو بعضها بعضاً كطبقات النعل؛ و يروى بتشديد الراء أي كالترسة المتّخذة من حديد مطرّقة بالمطرقة، و«الطرق» الدقّ، ويحتمل أن يكون التشديد للتكثير. و«السرق» جمع «سرقة» وهي جيّد الحرير، وقيل: لايسمّى سرقاً إلّا إذا كانت بيضاء، وهي فارسيّة أصلها «سرّة» وهو الجيّد. قوله ــ عليه السلام ــ «و يعتقبون الخيل» أي يحبسونها لينتقلوا من غيرها إليها. و«استحرار القتل» شدّته. وضحكه ــ عليه السلام ــ إمّا من السرور بما آتاه الله من العلم أو للتعجّب من قول القائل. و«الاضطمام» افتعال من «الضمّ» وهو الجمع، و«الجوانح» الأضلاع ممّا يلي الصدر، وانطباقها على قصص جنكيزخان وأولاده لايحتاج إلى بيان.[٥١٥]

تحقيق: قد عرفت مراراً أنّ نفي علم الغيب عنهم معناه أنّهم لايعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه ــ تعالى ــ بوحي أو إلهام، وإلّا فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء ــ عليهم السلام ــ من هذا القبيل، وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً اشتماله على الإخبار بالمغيبات ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المغيبات بإخبار الله ــ تعالى ــ ورسوله والأئمّة ــ عليهم السلام ــ كالقيامة وأحوالها والجنّة والنّار والرجعة وقيام القائم ــ عليه السلام ــ ونزول عيسى ــ عليه السلام ــ وغير ذلك من أشراط الساعة والعرش والكرسيّ والملائكة.

وأمّا الخمسة الّتي وردت في الآية فتحتمل وجوهاً:

الأوّل: أن يكون المراد أنّ تلك الأمور لايعلمها على التعيين والخصوص إلّا الله ــ تعالى ــ فإنّهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلانيّ فيمكن أن لايعلموا خصوص الدقيقة الّتي تفارق الروح الجسد فيها مثلاً، ويحتمل أن يكون ملك الموت أيضاً لايعلم ذلك.

٥١٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ، ص ٣٣٥.

الثاني: أن يكون العلم الحتميّ بها مختصاً به ــ تعالى ــ وكلّ ما أخبر الله به من ذلك كان محتملاً للبداء.

الثالث: أن يكون المراد عدم علم غيره ــ تعالى ــ بها إلّا من قبله، فيكون كسائر الغيوب، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره.

الرابع: ما أومأنا إليه سابقاً وهو أنّ الله ــ تعالى ــ لم يطلع على تلك الأمور كليّة أحداً من الخلق على وجه لابداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها كليلة القدر أو أقرب من ذلك، وهذا وجه قريب تدلّ عليه الأخبار الكثيرة إذ لابدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت كماورد في الأخبار، وكذا ملائكة السّحاب والمطر بوقت نزول المطر، وكذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث.

*** تذييل ***

قال الشيخ المفيد ــ رحمه الله ــ في كتاب المسائل: أقول إنّ الأئمّة من آل محمّد ــ عليهم السّلام ــ قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد و يعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم، وإنّما أكرمهم الله ــ تعالى ــ به وأعلمهم إيّاه للطف في طاعتهم والتسجيل بامامتهم وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنّه وجب لهم من جهة السّماع؛ فأمّا إطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب فهو منكربيّن الفساد لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه لابعلم مستفاد، وهذا لايكون إلّا الله ــ عزّوجلّ ــ وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلّا من شذّ عنهم من المفوّضة ومن انتمى إليهم من الغلاة.[516]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الملحمة» الوقعة العظيمة في الفتنة والقتال. و«اللجب» الصوت. و«القعقعة» حكاية صوت السلاح ونحوه. و«الحمحمة» صوت الفرس دون الصهيل. قوله ــ عليه السلام ــ «يثيرون الأرض» أي التراب لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل، كذا قيل، وفيه أنّه لايلائم قوله ــ عليه السلام ــ «لايكون له غبار» ولعلّه كناية

۵۱۶- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۲۶، كتاب الإمامة، ص ۱۰۳ ــ ۱۰۴.

عن شدّة وطئهم الأرض، أو يقال: مع ذلك ليس غبارهم كالغبار الّذي يثار من الحوافر، ولمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً عراضاً منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع أشبهت أقدام النعام في تلك الأوصاف. و«السكك» جمع «سكّة» بالكسر، وهي الزقاق والطريق المستوي والطريقة المصطفة من النخل. و«المزخرفة» المزيّنة المموّهة بالزخرف وهو الذهب. و«أجنحة الدور » الّتي شبّهها بأجنحة النسور ، رواشنها ومايعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس. و«خراطيمها» ميازيبها الّتي تطلى بالقاريكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان. و«الفيلة» ــ كعنبة ــ جمع «الفيل».

و أمّا قوله ــ عليه السلام ــ «لايندب قتيلهم» قيل: إنّه وصف لهم بشدّة البأس والحرص على القتال وأنّهم لايبالون بالموت. وقيل: لأنّهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل وولد ممّن عادتهم الندبة وافتقاد الغائب.وقيل: «لايفقد غائبهم» وصف لهم بالكثرة وأنّه إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره. قوله ــ عليه السلام ــ «أنا كابّ الدنيا» يقال: «كببت فلاناً على وجهه» أي تركته ولم ألتفت إليه، وقيل: كناية عن العلم ببواطنها وأسرارها كما يقال: غلبت الأمر ظهراً لبطن. وقوله ــ عليه السلام ــ «وقادرها بقدرها» أي معامل لها بمقدارها. «وناظرها بعينها» أي ناظر إليها بعين العبرة، أو أنظر إليها نظراً يليق بها، فيكون كالتفسير لقوله ــ عليه السلام ــ «وقادرها بقدرها». وحكي عن عيسى ــ عليه السلام ــ : «أنا الّذي كببت الدنيا على وجهها، ليس لي زوجة تموت، ولا بيت يخرب، وسادي الحجر، وفراشي المدر، وسراجي القمر».[٥١٧]

٥١٧- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٦، ط كمپاني وص ٤١٥، ط تبريز.

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة
حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

(١) فَطَرَ الخلائقَ : ابتدعها على غير مثال سبق.
(٢) وَتَدَ : (بالتشديد والتخفيف) ثبت .
(٣) مَيَدان أرضه : تحرّكها بتمايل .
(٤) لا عن حَدَث : لا عن إيجاد موجد .
(٥) المُزايلة : المفارقة والمباينة .
(٦) الرَّوِيَّة : الفكر ، وأجالها : أدارها وردّدها .
(٧) هَمامة النفس : - بفتح الهاء - : اهتمامها بالأمر ، وقصدها إليه .
(٨) لأمَ : قرن .
(٩) غرّز غرائزها : أودع فيها طباعها .
(١٠) القرائن : هنا جمع قَرُونة وهي النفس ، والأحناء : جمع حِنْو بالكسر : وهو الجانب .
(١١) السكائك: جمع سُكاكة - بالضم - وهي الهواء الملاقي عنان السماء .
(١٢) التيار : هنا الموج .
(١٣) الزخّار : الشديد الزخر ، أي الامتداد والارتفاع .
(١٤) الزعزع : الريح التي تزعزع كل ثابت .
(١٥) الفتيق : المفتوق .
(١٦) الدفيق : المدفوق .
(١٧) اعتقَمَ مَهَبَّها : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً .
(١٨) مُرَبَّها : بضم الميم ، مصدر ميمي من أَرَبَّ بالمكان : لازمه ، فالمُرَبّ : المُلازَمة .
(١٩) تصفيق الماء : تحريكه وتقليبه .
(٢٠) مَخْضَتْهُ : حرّكته بشدّة كما يُمْخَضُ السقاء .
(٢١) الساجي : الساكن .
(٢٢) المائر : الذي يذهب ويجيء .
(٢٣) رُكامُهُ : ما تراكم منه بعضه على بعض .
(٢٤) المُنْفَهِقُ : المفتوح الواسع .
(٢٥) المكفوف : الممنوع من السَّيلان .
(٢٦) الدِّسار : واحد الدُّسُر ، وهي المسامير .
(٢٧) الثواقب : المنيرة المشرقة .
(٢٨) مُسْتَطِيراً : منتشر الضياء ، وهو الشمس .
(٢٩) الرَّقِيمُ : اسم من أسماء الفلك : سُمّيَ به لأنه مرقوم بالكواكب .
(٣٠) صافّونَ : قائمون صفوفاً .

(٣١) **لا يتزايلون** : لا يتفارقون .
(٣٢) **السَّدَنة** جمع : سادن وهو الخادم .
(٣٣) **متلفّعون** : من تلفّع بالثوب إذا التحف به .
(٣٤) **حَزْنُ الأرض** : وعرها .
(٣٥) **سبخ الأرض** : ما ملح منها .
(٣٦) **سَنّ الماء** : صبّه .
(٣٧) **لاطها** : خلطها وعجنها .
(٣٨) **البلّة** - بالفتح - من البلل .
(٣٩) **لزب** : من باب نصر ، بمعنى التصق وثبت واشتد .
(٤٠) **الأحناء** : جمع حِنْو - بالكسر - وهو الجانب من البدن .
(٤١) **أصلدها** : جعلها صُلْبَةً ملساء متينة .
(٤٢) **صلصلت** : يبست حتى كانت تُسمع لها صلصلة إذا هبّت عليها الرياح .
(٤٣) **مثُل** ، ككرُم وفتح : قام منتصباً .
(٤٤) **يختدمها** : يجعلها في خدمة مآربه .
(٤٥) **استأدى الملائكة وديعته** : طالبهم بأدائها .
(٤٦) **اغترّ آدم عدوُّه الشيطان** : أي انتهز منه غرّة فأغواه .
(٤٧) **الجذل** ، بالتحريك : الفرح .
(٤٨) **الوجل** : الخوف .
(٤٩) **ميثاقهم** : عهدهم .
(٥٠) **الأنداد** : الأمثال ، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى .
(٥١) **اجتالتهم** - بالجيم - صرفتهم عن قصدهم .
(٥٢) **واتر إليهم أنبياءه** : أرسلهم وبين كل نبيّ ومن بعده فترة . وقوله : « ليستأدوهم » : ليطلبوا الأداء.
(٥٣) **الأوصاب** : المتاعب .
(٥٤) **المحجّة** : الطريق القويمة الواضحة .
(٥٥) **نسلت** : بالبناء للفاعل : مضت متتابعة .
(٥٦) الضمير في « عدته » لله تعالى ، والمراد وعد الله بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم على لسان أنبيائه السابقين .
(٥٧) **سماته** : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به .
(٥٨) **الملحد في اسم الله** : الذي يميل به عن حقيقة مسماه .
(٥٩) **العلم** : - بفتحتين - ما يوضع ليهتدى به .
(٦٠) **ناسخه ومنسوخه** : أحكامه الشرعية التي رفع بعضها بعضاً .
(٦١) **رُخصة** : ما ترخّص فيه ، عكسها عزائمه .
(٦٢) **المرسل** : المطلق ، المحدود : المقيّد .
(٦٣) **المحكم** : كآيات الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها ، والمتشابه كقوله: « يد الله فوق أيديهم » .

(٦٤) **المُوَسِّعُ على العباد في جهله**: كالحروف المفتتحة بها السور نحو الم و الر .

(٦٥) **يألهُونَ إليه** : يَلُوذُون بـه ويَعْكفون عليه .

(٦٦) **الوِفادَة** : الزيارة .

(٦٧) **وألَ** : مضارعها يَئِلُ ـ مثل وَعَدَ يَعِدُ ـ نجا ينجو .

(٦٨) **مُصَاصُ كل شيء** : خالصهُ .

(٦٩) **مَدْحَرَةُ الشيطان** : أي أنها تبعده وتَطْرُدُهُ .

(٧٠) **المَثُلات**، بفتح فضم: العقوبات، جمع مَثُلَة ـ بضم الثاء وسكونها بعد الميم.

(٧١) **انْجَذَمَ** : انقطع .

(٧٢) **السَّوارِي** : جمع سارية ، وهي العَمُود والدِّعامة .

(٧٣) **النَّجْر** بفتح النون وسكون الجيم : الأصل .

(٧٤) **دَرَسَت**، كانْدَرَسَتْ : انطَمَسَتْ.

(٧٥) **الشُّرُك** : جمع شِراك ككتاب ، وهي الطريق .

(٧٦) **المَناهِلُ** : جمع مَنْهل ، وهو مَوْرِد النهر .

(٧٧) **الأخْفاف** : جمع خُفّ . وهو للبعير كالقدَم للإنسان .

(٧٨) **الأظلاف** : جمع ظِلْف بالكسر للبقر والشاء وشبههما ، كالخفّ للبعير والقدم للإنسان .

(٧٩) **السَّنابك** : جمع سُنْبُك كقُنْفُذ : وهو طرَفُ الحافر .

(٨٠) **المَلْجأ** ـ محرّكة ـ المَلاذُ وما تلتجىء وتعتصم به .

(٨١) **العَيْبَة** : بالفتح : الوعاء .

(٨٢) **المَوْئِل** : المَرْجِع .

(٨٣) **الفَرائص** : جمع فريصة ، وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَدُ من الدابة .

(٨٤) **الثُّبور** : الهلاك .

(٨٥) **الغالي**: المبالغ، الذي يُجاوز الحد بالإفراط.

(٨٦) **تقَمَّصَها** : لبسها كالقميص .

(٨٧) **سَدَلَ الثوبَ** : أرخاه .

(٨٨) **طوَى عنها كشحاً** : مالَ عنها.

(٨٩) **الجذّاءُ** : بالجيم والذال المعجمة : المقطوعة .

(٩٠) **طَخْيَة** ـ بطاء فخاء بعدها ياء ، ويثلَّثُ أوّلها : ظلمة .

(٩١) **أحجى** : ألزم ، من حَجِيَ به كرَضِيَ : أولِعَ به ولَزِمَهُ .

(٩٢) **الشَّجا** : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٩٣) **التراث** : الميراث .

(٩٤) **أدْلَى بها** : ألقَى بها .

(٩٥) **الكُور**، بالضم: الرَّحْل أو هو مع أداته.

(٩٦) **يَسْتَقِيلها** : يطلب إعفاءه منها .

(٩٧) **تَشَطّرا ضَرْعَيْها** : اقتسماه فأخذ كل منهما شطراً . والضرع للناقة كالثدي للمرأة .

(٩٨) **كَلْمُها** : جرحها ، كأنه يقول : خشونتها تجرح جرحاً غليظاً .

(٩٩) **العِثار** : السقوط والكَبْوَةُ .
(١٠٠) **الصَّعْبة من الإبل**: ما ليستْ بِذَلُول.
(١٠١) **أشْنَقَ البعير وشنقه** : كفه بزمامه حتى ألصق ذِفْرَاه (العظم الناتىء خلف الأذن) بقادمة الرحل .
(١٠٢) **خرَمَ** : قطع .
(١٠٣) **أسْلَسَ** : أرخى .
(١٠٤) **تَقَحَّمَ** : رمى بنفسه في القحمة أي المهلكة .
(١٠٥) **مُنِيَ الناسُ** : ابتُلُوا وأصيبوا .
(١٠٦) **خَبْط** : سير على غير هدى .
(١٠٧) **الشِّماس** ـ بالكسر ـ إباء ظَهْرِ الفرسِ عن الركوب .
(١٠٨) **الاعتراض** : السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عَرْضاً في حال سيره طولاً .
(١٠٩) **أصل الشّورى** : الاستشارة . وفي ذكرها هنا إشارة إلى الستة الذين عيَّنهم عمر ليختاروا أحدهم للخلافة .
(١١٠) **النَّظائر** : جمع نَظِيرِ أي المُشابه بعضهم بعضاً دونه .
(١١١) **أسَفَّ الطائر** : دنا من الأرض .
(١١٢) **صَغَى صَغْياً وصَغَا صَغْواً** : مالَ .
(١١٣) **الضِّغْنُ** : الضَّغِينَة والحقد .
(١١٤) **مع هَنٍ وهَنٍ** : أي أغراض أخرى أكره ذكرها .
(١١٥) **نافجاً حِضْنَيْه** : رافعاً لهما ، والحِضْن: ما بين الإبط والكَشْح. يقال للمتكبر: جاء نافجاً حِضْنَيْه .
(١١٦) **النَّثِيلُ** : الرَّوْثُ وقذَرُ الدوابّ .
(١١٧) **المُعْتَلَفُ** : موضع العلف .
(١١٨) **الخَضْم** : أكل الشيء الرَّطْب ، والخِضْمَة بكسر الخاء مصدر هَيْئَة .
(١١٩) **النِّبْتَة** : بكسر النون ـ كالنبات في معناه .
(١٢٠) **انْتَكَثَ عليه فَتْلُهُ** : انتقض .
(١٢١) **أجهزَ عليه عملُه** : تَمَّمَ قتله .
(١٢٢) **كَبَتْ به** : من كَبَا بِهِ الجوادُ : إذا سقط لوجهه .
(١٢٣) **البِطْنَةُ** ـ بالكسر ـ البَطَرُ والأشَرُ والتُّخْمة .
(١٢٤) **عُرْفُ الضَّبُع** : ما كثر على عنقها من الشعر ، وهو ثخين يُضرب به المثل في الكثرة والازدحام .
(١٢٥) **يَنْثالون** : يتتابعون مزدحمين .
(١٢٦) **شُقَّ عطفاه** : خُدِشَ جانباه من الاصطكاك .
(١٢٧) **رَبِيضَةُ الغنم**: الطائفة الرابضة من الغنم.
(١٢٨) **نَكَثَتْ طائفة** : نَقَضَتْ عهدَها ، وأراد بتلك الطائفة الناكثة أصحابَ الجمل وطلحةَ والزبيرَ خاصة .
(١٢٩) **مَرَقَتْ** : خرَجَتْ : وفي المعنى الديني : فَسَقَتْ ، وأراد بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب النَّهْرَوَان .
(١٣٠) **قَسَطَ آخرون** : جاروا . وأراد بالجائرين أصحاب صفين .

(١٣١) **حَلِيَتِ الدنيا** : من حَلِيَتِ المرأةُ إذا تزيَّنَت بحُلِيِّها .

(١٣٢) **الزِبْرِجُ**: الزينة من وَشْي أو جوهر.

(١٣٣) **النَسَمَة** : ـ محركة ـ الروح وهي في البشر أرجح ، وبرَأها : خلقها .

(١٣٤) **أراد « بالحاضر » هنا** من حضر لِبَيْعَتِه ،فحضوره يُلْزِمه بالبيعة.

(١٣٥) **أراد « بالناصر » هنا** : الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة .

(١٣٦) **ألا يُقارّوا** : ألا يوافقوا مُقرّين .

(١٣٧) **الكِظّةُ** : ما يعتري الآكلَ من الثِقَل والكَرْب عند امتلاء البطن بالطعام ، والمراد استئثار الظالم بالحقوق .

(١٣٨) **السَغَب** : شدة الجوع ، والمراد منه هضم حقوقه .

(١٣٩) **الغارب** : الكاهلُ ، والكلام تمثيلٌ للترك وإرسال الأمر .

(١٤٠) **عَفْطَة العَنْز** : ما تنثره من أنفها . وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة وإن كان الأشهر في الاستعمال « النَفْطَة » بالنون .

(١٤١) **السَوَاد** : العراق ، وسُمّيَ سواداً لخضرته بالزرع والأشجار ، والعرب تسمي الأخضر أسود .

(١٤٢) **اطّرَدَتْ خطبتُك** : أتبعتَ بخطبة أخرى ، من اطّراد النهر إذا تتابع جَرْيُهُ .

(١٤٣) **أفضَيْتَ** . أصل أفضى : خرج إلى الفضاء ، والمراد هنا سكوت الإمام عما كان يريد قوله .

(١٤٤) **الشَقْشِقَةُ** : بكسر فسكون فكسر: شيء كالرِئَة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

(١٤٥) **هَدَرَتْ** : أطْلَقَتْ صوتاً كصوت البعير عند إخراج الشَقْشِقَة من فيه. ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة .

(١٤٦) **قَرَّتْ** : سكنت وَهَدَأتْ .

(١٤٧) **تَسَنّمْتُم العلياءَ** : ركبتم سَنامها ، وارتقيتم إلى أعلاها .

(١٤٨) **أفْجَرْتُمْ** : دخلتم في الفجر . وفي أكثر النسخ « انفجرتم » وما أثبتناه أفصح .

(١٤٩) **السِرار** ، ككتاب : آخر ليلة في الشهر يختفي فيها القمر ، وهو كناية عن الظلام .

(١٥٠) **وُقِرَ** : صُمّ .

(١٥١) **الواعية** : الصارخة والصراخ نفسه ، والمراد هنا العبرة والمواعظ الشديدة الأثر.ووُقِرَتْ أذُنُهُ فهي مَوْقُورة وَوَقِرَت كسَمِعَتْ: صُمّتْ ، دعاء بالصَمَم على من لم يفهم الزواجر والعبر .

(١٥٢) **النَبْأة** : الصوت الخفي .

(١٥٣) **رُبِطَ جَنانُهُ رِباطةً** بكسر الراء : اشتد قلبه .

(١٥٤) **أتَوَسَّمُكُم** : أتفرّسُ فيكم .

(١٥٥) **حِلْيَةُ المغتَرّين**: أصل الحِلْية الزينة، والمراد هنا صفة أهل الغرور.

(١٥٦) **جِلْبَاب الدّين**: ما لبسوه من رسومه الظاهرة.

(١٥٧) **جَوَادُّ المَضَلّة**: الجوادّ جمع جادّة وهي الطريق. والمَضَلّة بفتح الضاد وكسرها: الأرض يضل سالكها.

(١٥٨) **تَميهُون**: تجدون ماءً، من أماهوا أرْكِيتَهُمْ: أنْبَطُوا ماءَها.

(١٥٩) **العَجْماء**: البهيمة، وقد شبه بها رموزه وإشاراته لغموضها على من لا بصيرة لهم.

(١٦٠) **عَزَبَ**: غاب، والمراد: لا رأي لمن تخلّف عني.

(١٦١) **لم يُوجِسْ موسى خيفةً**: لم يستشعر خوفاً، أخذاً من قوله تعالى: «فأوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفةً موسى».

(١٦٢) **تَوَاقَفْنا**: تلاقَيْنَا وتقابَلْنا.

(١٦٣) **الآجِنُ**: المتغير الطعم واللون لا يستساغ، والاشارة إلى الخلافة.

(١٦٤) **إيناعُها**: نضجها وإدراك ثمرها.

(١٦٥) **جَزِعَ**: خاف.

(١٦٦) **هَيْهات**: بَعُدَ، والمراد نفي ما عساهم يظنون من جزَعه من الموت عند سكوته.

(١٦٧) **بَعْدَ اللَّتيّا والّتي**: بعد الشدائد كبارها وصغارها.

(١٦٨) **اندَمَجْتُ**: انطوَيْتُ.

(١٦٩) **الأرْشِيَة**: جمع رِشاء بمعنى الحبل.

(١٧٠) **الطَّوِيّ**: جمع طويّة وهي البئر، والبئر البعيدة: العميقة.

(١٧١) **الدَّمْ**: صوت الحجر أو العصا أو غيرهما، تضرب به الأرض ضرباً غير شديد.

(١٧٢) **يَخْتِلُها**: يخدعها.

(١٧٣) **رَاصِدها**: صائدها الذي يترقبها.

(١٧٤) **المُريب**: الذي يكون في حال الشك والرَّيْب.

(١٧٥) **مِلاك الشيء** - بكسر الميم وفتحها: قوامه الذي يُمْلَكُ به.

(١٧٦) **الأشْراك**: جمع شَرَك وهو ما يُصاد به، فكأنهم آلة الشيطان في الإضلال.

(١٧٧) **باضَ وفرَّخَ**: كناية عن تَوَطّنِهِ صدورهم وطول مُكْثِهِ فيها؛ لأن الطائر لا يبيض إلا في عشّه، وفراخ الشيطان: وَساوِسُهُ.

(١٧٨) **دَبَّ ودَرَجَ**: تربى في حُجُورهم كما يُربَى الطفل في حجرِ والديه.

(١٧٩) **الزَّلَل**: الغَلَط والخطأ.

(١٨٠) **الخَطَلُ**: أقبح الخطأ.

(١٨١) **شَرِكَهُ كعَلِمَهُ**: صار شريكاً له.

(١٨٢) **الوَلِيجة**: الدَّخيلة وما يُضمر في القلب ويكتم.

(١٨٣) **أرْعَدُوا وأبْرَقُوا**: أوْعَدُوا وتهَدّدُوا.

(١٨٤) **الفشل**: الجُبْن والخور.

(١٨٥) **لسنا نُرعد حتى نُوقِع** : لا نُهدِّد عدواً إلا بعد أن نوقع بعدوٍّ آخر .
(١٨٦) **الرَّجِلُ** : جمع راجِلٍ .
(١٨٧) **ما لَبَّسْتُ على نفسي** : ما أوقعتها في اللَّبْس والإبهام .
(١٨٨) **أفْرَطَ الحوْضَ** : ملأه حتى فاض .
(١٨٩) **يُصْدِرون عنه** : يعودون بعد الاستقاء .
(١٩٠) **الماتِحُ** : المُستَقي .
(١٩١) **النّاجِذُ** : أقصى الضِّرْس ، وجمعه نواجذ ، وإذا عَضَّ الرجل على أسنانه اشتدّتْ حَمِيّتُهُ .
(١٩٢) **أعِرْ** : أمر من أعار ، أي ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير .
(١٩٣) **تِدْ قَدَمَكَ** : ثَبِّتْها ، من وَتَدَ ، يَتِدُ .
(١٩٤) **غضَّ النظر** : كفّهُ ، والمراد هنا : لا يَهُولَنَّكَ منهم هائلٌ .
(١٩٥) **هوى أخيك** : أي ميلُهُ ومحبته .
(١٩٦) **يَرْعُفُ بهم الزمان** : يجود على غير انتظار كما يجود الأنفُ بالرّعاف .
(١٩٧) **أتْباع البهيمة** : يريد بالبهيمة الجمل ، وقصته مشهورة .
(١٩٨) **رَغَا الجملُ** : أطلق رُغاءه ، وهو صوته المعروف
(١٩٩) **عُقِر الجملُ** : جرح أو ضربت قوائمه ، أو ذُبح .
(٢٠٠) **أخلاقكم دِقاقٌ** : دنيئة
(٢٠١) **زُعاق** : مالح .
(٢٠٢) **مُرْتَهَنٌ** : من الارتهان والرهن ، والمراد : مؤاخذ .
(٢٠٣) **جُؤْجُؤُ السفينة** : صدرُها ، وأصل الجُؤْجُؤِ : عَظْمُ الصدرِ .
(٢٠٤) **جاثِمةٌ** : واقعةٌ على صدرها .
(٢٠٥) **لُجّةُ البحر** وجمعها لُجَجٌ : مَوْجُهُ .
(٢٠٦) **أنْتَنُ** : أقْذَرُ وأوسخ .
(٢٠٧) **شُرَفُ المسجد** : جمع شُرْفة وهي أعلى مكان فيه .
(٢٠٨) **سَفِهَتْ حلومكم** : سَفِهَتْ : صارتْ سَفِيهة ، بها خِفّة وطيش وحُلُومكم : جمع حِلْم وهو العقل ، فهي كالعبارة قبلها : خفّت عقولكم .
(٢٠٩) **الغَرَض** : ما يُنْصَبُ ليرمى بالسهام
(٢١٠) **النّابِلُ** : الضارب بالنّبْلِ .
(٢١١) **فريسةٌ لصائلٍ** : أي لصائدٍ يصول في طلب فريسته .
(٢١٢) **قَطائِعُ عثمان** : ما منحه للناس من الأراضي ، وكان الأصل فيها أن تنفق غلتها على أبناء السبيل وأشباههم كقطائعه لمعاوية ومروان .
(٢١٣) **الذّمّةُ** : العهد .
(٢١٤) **رهينة** : مرهونة ، من الرهن .
(٢١٥) **الزعيم** : الكفيل ، يريد أنه ضامن لصدق ما يقول .
(٢١٦) **العِبَر** - بكسر ففتح - جمع عِبرة : بمعنى الموعظة .

(٢٦٧) اَلمثُلاتُ : العقوبات .

(٢١٨) حَجزَتهُ : منعَتْهُ .

(٢١٩) تَقَحّمُ الشُّبُهات: التَرَدّي فيها.

(٢٢٠) عادت كهيئتها: رجعت إلى حالها الأولى.

(٢٢١) لَتُبَلْبَلُنّ : لَتُخَلْطَنّ ، ومنه « تَبَلْبَلَتِ الألْسُنُ »: اختلطت.

(٢٢٢) لَتُغَرْبَلُنّ : لتُمَيّزُنّ كما يُمَيّزُ الدقيق عند الغربلة من نُخالته .

(٢٢٣) لَتُساطُنّ : من السَّوْط ، وهو أن تجعل شيئين في الاناء وتضربهما بيديك حتى يختلطا .

(٢٢٤) سَوْط القِدْر : أي كما تختلط الأبْزارُ ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف ، وتقطع الأرحام ، وفساد النظام .

(٢٢٥) الوَشْمَةُ : الكلمة .

(٢٢٦) الشُمُسُ : جمع شَمُوس وهي من « شَمَسَ » كنصر أي منع ظهره أن يُرْكَبَ .

(٢٢٧) لُجُمُها : جمع لِجام ، وهو عنان الدّابة الذي تُلجم به .

(٢٢٨) تَقَحّمَتْ به في النار : أرْدَتْهُ فيها

(٢٢٩) الذُلُل : جمع ذَلول ، وهي المُرَوّضةُ الطائعة .

(٢٣٠) لا يَطّلع فَجّهَا : من قولهم اطّلَعَ الأرض أي بلغها . والفجّ : الطريق الواسع بين جبلَيْنِ .

(٢٣١) العِرْق : الأصل .

(٢٣٢) الجادّة : الطريق .

(٢٣٣) السِّنْخُ : المنْبت ، يقال : ثبتت السنّ في سِنْخِها : أي منبتها .

(٢٣٤) وكله الله إلى نفسه : تركه ونفسَهُ .

(٢٣٥) جائرٌ عن قصد السبيل : هنا عادل عن جادّتهِ .

(٢٣٦) المشغوف بشيء : المولع به حتى بلغ حبه شغاف قلبه ، وهو غلافه .

(٢٣٧) كلام البِدْعة : ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين .

(٢٣٨) رَهْنٌ بخطيئته : لا مخرج له منها .

(٢٣٩) قَمَشَ جهلاً : جمعه ، وأصل القَمْش جمع المتفرق .

(٢٤٠) « مُوضِعٌ في جُهّالِ الأمّة » : مسرع فيها بالغش والتغرير ، أوضع البعير : أسرع ، وأوضعه راكبه فهو مُوضِعٌ به أي مسرع به.

(٢٤١) عادٍ : جار بسرعة . من عدَا يَعْدُو إذا جرى .

(٢٤٢) أغباش : جمع غَبَشٍ بالتحريك . وأغباش الليل : بقايا ظلمته .

(٢٤٣) عَمٍ : وصف من العمى والمراد : جاهلٌ .

(٢٤٤) عَقْدُ الهُدْنة : الاتفاق على الصلح والمسالمة بين الناس .

(٢٤٥) الماءُ الآجِنُ : الفاسد المتغير اللون والطعم

(٢٤٦) اكْتَنَزَ : استَكْثَرَ .

(٢٤٧) **غير طائل** : دونٌ ، خسيسٌ .
(٢٤٨) **التخليص** : التَّبْيين .
(٢٤٩) **التبسَ على غيره** : اشتَبَهَ عليه .
(٢٥٠) **الحَشْوُ** : الزائد الذي لا فائدة فيه .
(٢٥١) **الرَّثُّ** : الخَلَقُ البالي ، ضد الجديد
(٢٥٢) **خبّاط** : صيغة المبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى .
(٢٥٣) **عاش** : خابط في الظلام .
(٢٥٤) **العَشَوَات** : جمع عَشْوَة مثلثة الأول : وهي ركوب الأمر على غير هدى .
(٢٥٥) **يَذْرُو** : ينثر ، وهو أفصح من يُذْرِي إذراءً . قال الله تعالى « فأصبح هَشيماً تَذْرُوهُ الرِّياح » .
(٢٥٦) **الهَشِيمُ** : ما يَبِسَ من النَّبْتِ وتَهَشَّمَ وتَفَتَّتَ .
(٢٥٧) **المَلِيّ بالشيء** : القَيِّمُ به الذي يجيد القيام عليه .
(٢٥٨) **ولا أهل لما قُرِّظَ به** : مُدِح ، وهذه رواية ابن قتيبة وهي أنسب بالسياق من الرواية المشهورة .
(٢٥٩) **اكتَم به** : فوّض إليه : كتمه وستره لما يعلم من جهل نفسه .
(٢٦٠) **العَجّ** : رفع الصوت ، وعجّ المواريث هنا : تمثيل لحدّة الظلم ، وشدّة الجَوْر .
(٢٦١) **أَبْوَرُ** من بارَتِ السِّلْعة : كَسَدَتْ
(٢٦٢) **أَنْفَقُ** من النَّفاق - بالفتح - وهو الرّواج

(٢٦٣) **الإمام الذي استقضاهم** : الخليفة الذي ولاّهم القضاء .
(٢٦٤) **أنيق** : حسن مُعْجِبٌ (بأنواع البيان) وآنقني الشيء : أعجبني .
(٢٦٥) **الوَهَلُ** : الخوف والفزع ، من وَهِلَ يَوْهَلُ .
(٢٦٦) **جاهَرَتْكُمُ العِبَرُ** : انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعِبر جمع عِبْرَة . والعبرة : الموعظة .
(٢٦٧) **رُسُلُ السماء** : الملائكة .
(٢٦٨) **تَحْدُوكم** : تَسُوقكم إلى ما تسيرون عليه .
(٢٦٩) **الساعة** : يوم القيامة .
(٢٧٠) **تَخَفَّفُوا** : المراد هنا التخففُ من أوزار الشهوات .
(٢٧١) **أَنْقَع** : من قولهم : « الماء ناقع ونقيع » أي ناجع ، أي إطفاء العطش .
(٢٧٢) **النُّطْفَة** : الماء الصافي .
(٢٧٣) **ذَمَّرَ حِزْبَهُ** : حثهم وحضّهم وهو بالتشديد أدلّ على التكثير . ويروى مخففاً أيضاً من باب ضرب ونصر .
(٢٧٤) **الجَلَب** - بالتحريك : ما يُجلب من بلد إلى بلد ، وهو فعلٌ بمعنى مفعول مثل سَلَب بمعنى مسلوب ، والمراد هنا بقوله « استجلب جَلَبَه » جمع جماعته ، كقوله « ذَمَّرَ حزبه » .
(٢٧٥) **النِّصاب** - بكسر النون - الأصل أو المنبت وأول كل شيء .

(٢٧٦) **النِّصف** ـ بالكسر ـ المنصف ، أي : لم يحكّموا رجلا عادلاً بيني وبينهم.
(٢٧٧) **أُمّاً قد فَطَمَتْ** : أي تركت إرضاع ولدها بعد أن ذهب لبنها . يشبّه به طلَب الأمر بعد فواته .
(٢٧٨) **هَبِلَتْهُم** : ثَكِلَتْهُم .
(٢٧٩) **الهَبُول** : بفتح الهاء ـ المرأة التي لا يبقى لها ولد . وهو دعاء عليهم بالموت .
(٢٨٠) **غفيرة** : زيادة وكثْرة .
(٢٨١) **الفالج** : الظافر ، فَلَجَ يَفْلُجُ ـ كنصر ينصر ـ : ظفر وفاز . ومنه المثل : « من يأتِ الحكم وحده يَفْلُجُ » .
(٢٨٢) **الياسر** : الذي يلعب بقداح الميسر أي : المقامر . وفي الكلام تقديم وتأخير ، ونَسَقُهُ : كالياسر الفالج . كقوله تعالى (وغرابيب سُود) ، وحَسّنَهُ أن اللفظتين صفتان، وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الأخرى إذا صاحبتها .
(٢٨٣) **التعذير** : مصدر عذّرَ تَعْذيراً : لم يثبُتْ له عُذْر .
(٢٨٤) **يَكِلُه الله** : يتركه . من وَكَلَ يَكِلُ مثل وزن يزن .
(٢٨٥) **حَيْطَة** ، كبَيْعَة : رعاية وكلاءة.
(٢٨٦) **الشَعَث** ـ بالتحريك ـ : التفرق والانتشار .
(٢٨٧) **لسان الصدق**: حُسْنُ الذكر بالحق.

(٢٨٨) **الخَصَاصة** : الفقر والحاجة الشديدة ، وهي مصدر خَصّ الرجل ـ من باب علِمَ ـ خَصَاصاً وخَصَاصة . وخصاصاء ـ بفتح الخاء في الجميع ـ إذا احتاج وافتقر ، قال تعالى : « ويُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصةٌ » .
(٢٨٩) **أهلك المالَ** : بَذَلَهُ .
(٢٩٠) **المُرافَدَةُ** : المُعاوَنَة .
(٢٩١) **خابَطَ الغيّ** : صارع الفساد ، وأصل الخبْط : السير في الظلام ، وهذا التعبير أشد مبالغة من خَبَطَ في الغي ، إذ جعله والغي متخابطَيْن يخبط أحدهما في الآخر .
(٢٩٢) **الإدْهان** : المنافَقَةُ والمصانَعَةُ ، ولا تخلو من مخالفة الباطن للظاهر .
(٢٩٣) **الإيهان** : مصدر أوْهَنْتُهُ ، بمعنى أضْعَفْته .
(٢٩٤) **فِرّوا إلى الله من الله** : اهربوا إلى رحمة الله من عذابه .
(٢٩٥) **نَهَجَهُ لكم** : أوْضَحَهُ وبَيّنَه .
(٢٩٦) **عَصَبَهُ بكم** . من باب ضرب ربطه بكم ، أي : كلّفكم به ، وألزمكم أداءه .
(٢٩٧) **فَلْجكم** : ظَفَركم وفوْزكم .
(٢٩٨) **تواترت عليه الأخبار** : ترادَفَتْ وتواصَلَتْ .
(٢٩٩) **أقْبِضُها وأبْسُطُها** : أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه .

(٣٠٠) **الأعاصير** : جمع إعصار ، وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود .

(٣٠١) **الوَضَرُ** ـ بالتحريك ـ بقية الدَّسم في الإناء .

(٣٠٢) **اطَّلَعَ اليمنَ** : غَشِيَها بجيشه وغزاها وأغار عليها .

(٣٠٣) **سَيُدَالُونَ منكم** : سيغلبونكم وتكون لهم الدولة بَدَلَكُمْ .

(٣٠٤) **القَعْب** ـ بفتح القاف ـ : القدح الضخم

(٣٠٥) **عِلاقة القَعْب** ـ بكسر العين ـ : ما يعلق منه من ليف أو نحوه .

(٣٠٦) **مِثْ قلوبهم** : أذِبْها ، ماثَهُ يَميثه : أذابه .

(٣٠٧) **خُفُوفاً** : مصدر غريب لخَفَّ بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف « خفاً » .

(٣٠٨) **مُنِيخون** : مُقيمون .

(٣٠٩) **الخُشْن** : جمع خَشْنَاء من الخشونة.

(٣١٠) وصف الحيّات « بالصَّمّ » لأنها أخبثها إذ لا تنزجر بالأصوات كأنها لا تسمع .

(٣١١) **الجَشِب** : الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم .

(٣١٢) **معصوبة** : مشدودة .

(٣١٣) **أغْضَيْت** : أصلها من غض الطرف والمراد سكتّ على مضض .

(٣١٤) **الشّجا** : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣١٥) **الكظَم** بالتحريك أو بضم فسكون : مخرج النفس . والمراد أنه صبر على الاختناق .

(٣١٦) **خَزِيَتْ** : ذَلّتْ وهانت .

(٣١٧) **المبتاع** : المشتري .

(٣١٨) **أهْبَتُها** : عُدَّتها .

(٣١٩) **شبّ لظاها** : استعارة ، وأصله صعود طرف النار الأعلى .

(٣٢٠) **سَناها** : ضوؤها .

(٣٢١) **استشعار الصبر** : اتخاذه شعاراً كما يلازم الشعار الجسد .

(٣٢٢) **جُنّتُه** ـ بالضم ـ وقايته ، والجُنّة : كل ما استترت به .

(٣٢٣) **رغبةً عنه** : زُهداً فيه .

(٣٢٤) **دُيِّثَ** مبني للمجهول من دَيَّثَهُ أي : ذَلَّلَه

(٣٢٥) **القَماءة** : الصَّغار والذل ، والفعل منه قَمُؤَ من باب كَرُمَ .

(٣٢٦) **الإسهاب** : ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة . وروي : (ضُرب على قلبه بالأسْداد) جمع سد أي الحجب .

(٣٢٧) **أديل الحقّ منه** ، أي : صارت الدولة للحق بَدَلَهُ .

(٣٢٨) **سيمَ الخَسْف** : أي : أُولي الخَسْفَ ، وكُلِّفَهَ . والخسف الذل والمشقة أيضاً .

(٣٢٩) **النَّصَف** : العدل ، ومُنع مجهول ، أي حُرِمَ العدلَ بأن يسلط الله عليه من يغلبُه على أمره فيظلمه .

(٣٣٠) **عُقْر الدار** ـ بالضم ـ وسطها وأصلها

(٣٣١) **تواكلتم** : وكَلَ كل منكم الأمر إلى صاحبه ، أي لم يتولّهُ أحد منكم ، بل أحاله كلٌّ على الآخر .

(٣٣٢) **شُنّت الغارات** : مُزِّقَت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعةً بعد دفعة .

(٣٣٣) **الأنبار** : بلدة على شاطىء الفرات الشرقي ، ويقابلها على الجانب الآخر « هيت » .

(٣٣٤) **المسالِح** : جمع مَسْلَحَة ـ بالفتح ـ وهي الثغر والمَرْقب حيث يُخشى طروقُ الأعداء .

(٣٣٥) **المعاهَدَة** : الذمية .

(٣٣٦) **الحِجْل** بالكسر وبالفتح وبكسرين الخلخال .

(٣٣٧) **القُلُب** : بضمتين : جمع قُلْب بالضم فسكون : السوار المُصْمَت.

(٣٣٨) **رُعُثها** ـ بضم الراء والعين ـ جمع رِعاث ، ورِعاث جمع رَعْثة ، وهو ضرب من الخرز .

(٣٣٩) **الاسترجاع** : ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا لله وإنا إليه راجعون، والاسترحام : أن تناشده الرحمة .

(٣٤٠) **وافرين** : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم ويروى (موفورين).

(٣٤١) **الكَلْم** ـ بالفتح ـ الجرح .

(٣٤٢) **تَرَحاً** ـ بالتحريك ـ أي همّاً وحُزْناً.

(٣٤٣) **الغرض** : ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها . فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون .

(٣٤٤) **حَمَارّة القيظ** ـ بتشديد الراء ، وربما خففت في ضرورة الشعر : شدة الحر .

(٣٤٥) **التسبيخ** ـ بالخاء المعجمة ـ : التخفيف والتسكين .

(٣٤٦) **صَبَارّة الشتاء** بتشديد الراء : شدة برده ، والقُر ـ بالضم ـ البرد ، وقيل : هو برد الشتاء خاصة .

(٣٤٧) **حِجال** : جمع حَجَلة وهي القبة، وموضع يزين بالستور . وربات الحجال : النساء .

(٣٤٨) **السَّدَم** : محركة : الهم مع أسف أو غيظ وفعله كفرح .

(٣٤٩) **القيح** : ما في القرحة من الصديد. وفعله كباع .

(٣٥٠) **شحنتم صدري** : ملأتموه .

(٣٥١) **النُغَب** : جمع نُغْبَة كجرعة وجُرَع لفظاً ومعنى .

(٣٥٢) **التَهْمَام** ـ بالفتح ـ الهم ، وكل تَفْعال فهو بالفتح إلاّ التبيان والتلقاء فهما بالكسر .

(٣٥٣) **أنفاساً** : أي جرعةً بعد جرعة . والمراد أن أنفاسه أمست همّاً يتجرّعه .

(٣٥٤) **مِراساً** : مصدر مارسه ممارسة ومراساً . أي عالجه وزاوله وعاناه.

(٣٥٥) **ذَرَّفْتُ على الستين** : زدتُ عليها، وروى المبرد « نيَّفت » وهو بمعناه.

(٣٥٦) **آذَنَتْ** : أعْلَمَتْ .

(٣٥٧) **أشرَفَتْ باطّلاع** : أقبلت علينا بغتةً .

(٣٥٨) **المِضْمار** : الموضع والزمن الذي تضمَّر فيه الخيل ، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يُقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل ، ثم تُرَدّ إلى القوت، والمدة أربعون يوماً. وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني ، وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة للثاني وإلا فحقيقة التضمير : إحداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم ، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق .

(٣٥٩) **السَّبَقَة** - بالتحريك - الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها .

(٣٦٠) **المنيّة** : الموت والأجل .

(٣٦١) **البُؤس** : - بالضم - اشتداد الحاجة وسوء الحالة .

(٣٦٢) **الرَّهبة** - بالفتح - هي مصدر رَهِبَ الرجل - من باب عَلِمَ - رهباً بالفتح وبالتحريك وبالضم ، ومعناه خاف.

(٣٦٣) **الظعن** - بالسكون والتحريك - الرحيل عن الدنيا وفعله كقَطَعَ .

(٣٦٤) **تحرزون أنفسكم** : تحفظونها من الهلاك الأبدي .

(٣٦٥) **أهواؤهم** : آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم، والأهواء جمع هوى، بالقصر.

(٣٦٦) **يُوهي** : يُضعف ويُفتِّت .

(٣٦٧) **الصم** : جمع أصم ، وهو من الحجارة الصَّلْبُ المُصْمَت ، والصِلاب : جمع صليب، والصليب الشديد ، وبابه ظريف وظِراف ، وضعيف وضعاف .

(٣٦٨) **كَيْتَ وكَيْتَ** : كلمتان لا تستعملان إلاّ مكررتين : إما مع واو العطف وإما بدونها وهي كناية عن الحديث .

(٣٦٩) **حيدي حَيادِ** : كلمة يقولها الهارب عند الفرار ، وهي من الحَيَدان : الميل والانحراف عن الشيء. وحَيادِ : مبني على الكسر كما في قولهم فيحي فَياحِ ، وهي من أسماء الأفعال كنَزالِ .

(٣٧٠) **أعاليل بأضاليل** : جمع أُعلولة كما أن الأضاليل جمع أضلولة ، والأضاليل متعلقة بالأعاليل أي : أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها .

(٣٧١) يريد بالتطويل هنا تطويل الموعد والمَطْل به

(٣٧٢) **المَطُولُ** : الكثير المطل ، وهو تأخير أداء الدَّيْن بلا عُذر .

(٣٧٣) **السهم الأخْيَبُ** : هو من سهام المَيْسِرِ الذي لا حظّ له .

(٣٧٤) **الأفْوَقُ من السهام** : مكسور الفوق والفوق موضع الوتر من السهم .

(٣٧٥) **الناصل** : العاري عن النصل ، ولا يخفى طيش السهم الذي لا فوق له ولا نصل .

(٣٧٦) **أساء الأثَرَةَ** : أساء الاستبداد ، وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم .

(٣٧٧) **أسأتم الجَزَعَ** : أي لم تَرْفُقُوا في جزعكم ، ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم .

(٣٧٨) **عاقصاً قَرْنَه** من « عقص الشعر » إذا ضفره وفتله ولواه ، كناية عن تغطرسه وكِبْره .

(٣٧٩) **يركب الصعب** : يستهين به ويزعم أنه ذلول سهل . والصعب : الدابة الجموح .

(٣٨٠) **العريكة** : الطبيعة . والخلق ،وأصل العَرْك دَلْكُ الجسد بالدّباغ وغيره.

(٣٨١) **عَدَاهُ الأمرُ** : صرفه ، وبَدَاَ : ظَهَرَ ، والمراد : ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك ؟

(٣٨٢) **العَنُود**: الجائر من «عَنَدَ يَعْنُدُ» كنصر ، جار عن الطريق وعدل .

(٣٨٣) **الكَنُود** : الكَفُور .

(٣٨٤) **القارعة** : الخَطْب يقرع من ينزل به ، أي : يصيبه .

(٣٨٥) **كَلالَةَ حَدّه** : ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه ، يُقال : كَلّ السيف كَلالَةً إذا لم يقطع ، والمُراد إعوازه من السلاح .

(٣٨٦) **نضيضُ وَفْرِهِ** : قلة ماله ، فالنضيض القليل ، والوفر : المال.

(٣٨٧) **المُجلِبُ بخَيْلِه** : مِنْ « أجْلَبَ القَوْمُ » أي جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب .

(٣٨٨) **الرَّجِلُ** : جمع راجل ؛

(٣٨٩) « **أشرط نفسه**» : هيأها وأعدها للشر والفساد في الأرض .

(٣٩٠) « **أوْبَقَ دِينَه** » : أهلكه .

(٣٩١) **الحطام** : المال ، وأصله ما تكسرَ من اليبس .

(٣٩٢) **ينتهزه** : يغتنمه أو يختلسه .

(٣٩٣) **المِقْنَب** : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(٣٩٤) **فَرَعَ المنبر** ـ بالفاء : علاه .

(٣٩٥) **طَامَنَ** : خَفَضَ .

(٣٩٦) **الذريعة** : الوسيلة .

(٣٩٧) **ضُؤُولة النفس** ـ بالضم : حقارتها .

(٣٩٨) **مَرَاح** : مصدر ميمي من راح : إذا ذهب في العشي .

(٣٩٩) **مَغْدَى** : مصدر ميمي من غدا إذا ذهب في الصباح .

(٤٠٠) **النّادّ** : المنفرد الهارب من الجماعة إلى الوحدة .

(٤٠١) **المقموع** : المقهور .

(٤٠٢) **المكعُوم** : من « كَعَمَ البعيرَ » شدَّ فاه لئلا يأكل أو يعضَّ .

(٤٠٣) **ثكْلان** : حزين .

(٤٠٤) **أخمله** : أسقط ذكره حتى لم يَعُد له بين الناس نباهة .

(٤٠٥) **التقِيّة** : اتقاء الظلم بإخفاء المال .

(٤٠٦) **الأُجاج** : الملح .

(٤٠٧) **ضامزة** : ساكتة .

(٤٠٨) **قَرِحَة** : بفتح فكسر ـ مجروحة .

(٤٠٩) **ملّوا** : أي أنهم أكثروا من وعظ الناس حتى سئموا ذلك إذْ لم يكن لهم في النفوس تأثير .

(٤١٠) **الحُثالة** ـ بالضم : القُشارة وما لا خير فيه ،وأصله ما يسقط من كل ذي قِشْر .

(٤١١) **القرَظ** ـ محركة : ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به .

(٤١٢) **الجلَم** ـ بالتحريك ـ : مِقراض يُجزّ به الصوف ، وقُراضته : ما يسقط منه عند القرض والجزّ .

(٤١٣) **أشغفَ بها** : أشد تعلقاً بها .

(٤١٤) **الرّغام** ـ بالفتح ـ : التراب ، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .

(٤١٥) **الخرّيت** ـ بوزن سِكّيت ـ : الحاذق في الدلالة ، وفعله كفرح .

(٤١٦) **يخْصفُ نعْلَهُ** : يَخرزها .

(٤١٧) **بوّأهُمْ محلّتهم**: أنزلَهُمْ منزلتهم.

(٤١٨) **القناة** : العود والرمح ، والمراد به القوة والغلبة والدولة . وفي قوله (استقامت قناتهم) تمثيل لاستقامة أحوالهم.

(٤٢٠) **الساقةُ** : مؤخّر الجيش السائق لِمُقَدّمه .

(٤٢١) **ولتَتْ بجذافيرها** : بجملتها وأسرها .

(٤٢٢) **نقَبَ** : بمعنى ثقَبَ وفي قوله (لأنْقُبَنّ الباطلَ) تمثيل لحال الحق مع الباطل كأن الباطل شيء اشتمل على الحق فستره ، وصار الحق في طيّه ، فلا بد من كشف الباطل وإظهار الحق .

(٤٢٣) **المحضُ** : اللبن الخالص بلا رغوة .

(٤٢٤) **أفّ لكم** : كلمة تضجّر واستقذار ومهانة .

(٤٢٥) **دوَرَان الأعين**: اضطرابها من الجزع.

(٤٢٦) **الغمْرَة** : الواحدة من الغمْر وهو السَّتر ، وغمرة الموت الشدة التي ينتهي إليها المحتَضَر .

(٤٢٧) **يُرْتَجُ** : بمعنى يُغْلَق ـ تقول: رتج الباب أي أغلقه .

(٤٢٨) **الحوَار** ـ بالفتح وربما كسر : المخاطبة ومراجعة الكلام .

(٤٢٩) **تعْمَهُون** : مضارع عَمِهَ ، أي تتحيّرون وتتردّدون .

(٤٣٠) **المألُوسة** : المخلوطة بمس الجنون .

(٤٣١) **سَجِيس** ـ بفتح فكسر ـ كلمة تقال بمعنى أبداً ، وسجيس : أصله من « سجس الماء » بمعنى تغيّر وتكدّر وكان أصل الاستعمال : « ما دامت الليالي بظلامها » .

(٤٣٢) **يُمال بكم** : يُمَال على العدو بعزكم وقوتكم .

(٤٣٣) الزّافرة من البناء : رُكْنُهُ ، ومن الرجل عشيرته وأنصاره .

(٤٣٤) السّعْر - بالفتح - مصدر سَعَرَ النار - من باب نَفَعَ : أوقدها ، وبالضم جمع ساعر ، وهو ما أثبتناه . والمراد « لبئس مُوقدو الحرب أنتم » .

(٤٣٥) امْتَعَضَ : غَضِبَ .

(٤٣٦) حَمِسَ - كفَرِحَ - اشتد وصَلُبَ في دينه فهو حَمِسٌ .

(٤٣٧) الوَغى : الحرب ، وأصله الصوت والجَلَبَة .

(٤٣٨) اسْتَحَرّ : بلغ في النفوس غاية حدّته .

(٤٣٩) انفرجتم انفراج الرأس : أي كما ينفلق الرأس فلا يلتئم .

(٤٤٠) يَعْرُقُ لَحْمَهُ : يأكل حتى لا يبقى منه شيء على العظم .

(٤٤١) فَرَاه يَفْرِيه : مزّقَهُ يمزقه .

(٤٤٢) ما ضُمت عليه الجوانح : هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية ، والجوانح : الضلوع تحت الترائب ، والترائب : ما يلي التَرْقُوَتَيْنِ من عَظْم الصدر .

(٤٤٣) المَشْرَفِيَّة : هي السيوف التي تنسب إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو إلى الريف ، ولا يقال في النسبة إليها مشارفي ؛ لأن الجمع ينسب إلى واحدة .

(٤٤٤) فَرَاشُ الهام : العظام الرقيقة التي تلي القحف .

(٤٤٥) تَطِيحُ السواعِدُ : تَسْقُطُ ، وفعله كباع وقال .

(٤٤٦) الفَيْء : الخَرَاج وما يحويه بيت المال .

(٤٤٧) الخَطْبُ الفادح : الثقيل ، من فدحه الدَّيْن - كقطع - إذا أثقله وعاله وبَهَظَهُ .

(٤٤٨) الحَدَث - بالتحريك - : الحادث ، والمراد هنا ما وقع من أمر الحكمين كما هو مشهور في التاريخ .

(٤٤٩) نَخَلْتُ لكم مخزونَ رأيي : أخلصته ، من نخلت الدقيق بالمُنْخل .

(٤٥٠) قصير هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش ، والمثل مشهور في كتب الأمثال .

(٤٥١) « ضَنَّ الزَّنْدُ بقَدْحِه » هذه كناية أنه لم يَعُدْ لَهُ رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم .

(٤٥٢) «أخو هوازن» هو دُرَيْد بن الصِّمَّة .

(٤٥٣) مُنْعَرَج اللّوى : اسم مكان ، وأصل اللّوى من الرمل : الجَدَدُ بعد الرّملة : ومُنْعَرَجُهُ : منعطفه يمنةً ويسرة .

(٤٥٤) النَّهْرَوان : اسم لأسفل نهر بين لَخَافِيقَ ، وطرفاه على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حَرُوراء . وكان الذين خطّؤوه في التحكيم قد نقضوا بيعته ، وجهروا بعداوته ، وصاروا له حرباً ، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع ، وهؤلاء يلقبون بالحَرُورِيّة لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا عليها كانت تسمى حَرُوراء

وكان رئيس هذه الفئة الضالة : حُرقُوص بن زهير السعدي ، ويُلقب بذي الثُّديَّة (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم والعودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرّم الله وجهه فأمر بقتالهم. وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه . وقيل: إنه ـ عليه السلام ـ خاطب بها الخوارج الذين قتلهم بالنهروان.

(٤٥٥) **صَرْعَى** : جمع صريع ، أي طريح

(٤٥٦) **الأهْضام** : جمع هَضْم ، وهو المطمئن من الوادي .

(٤٥٧) **الغائط** : ما سفل من الأرض ، والمراد هنا المنخفضات .

(٤٥٨) **طوّحَتْ بكم الدار** : قذَفَتْكم في متَاهَة ومَضَلَّة .

(٤٥٩) **احْتَبَلَكُمُ المِقْدارُ** : احتبلكم: أوقعكم في حِبالته ، والمقدار : القدر الإلهي .

(٤٦٠) **أخِفّاءُ الهامِ** : ضعاف العقل ـ الهام الرأس، وخفتها كناية عن الطيش وقلة العقل .

(٤٦١) **سُفَهَاءُ الأحلامِ** : السفهاء : الحمقى ، والأحلام : العقول .

(٤٦٢) **البُجْر** ـ بالضم ـ : الشر والأمر العظيم والداهية .

(٤٦٣) **فَشِلُوا** : خاروا وجَبُنوا ، وليس معناها أخفقوا كما نستعملها الآن .

(٤٦٤) **تَقَبَّعُوا**: اختبأوا ، وأصله تَقَبّع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده .

(٤٦٥) **تَعْتَعُوا** : ترددوا في كلامهم من عِيٍّ أو حَصَر .

(٤٦٦) **الفَوْت** : السبق .

(٤٦٧) **طِرْتُ بعِنَانِها** : العنان للفرس معروف ، وطار به : سبق به .

(٤٦٨) **اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِها** : الرهان : الجعل الذي وقع التراهن عليه . واستبددت به : انفردت به .

(٤٦٩) **لم يكن فِيَّ مَهْمَزٌ ولا مَغْمَزٌ** : لم يكن فِيَّ عيبٌ أعاب به ، وهو من الهمز : الوقيعة . والغمز : الطعن .

(٤٧٠) **سَمْتُ الهُدَى** : طريقته .

(٤٧١) **مُنِيتُ** : بُلِيتُ .

(٤٧٢) **تُحْمِشُكُم** : تُغْضِبُكم على أعدائكم .

(٤٧٣) **المُسْتَصرِخ** : المستنصر (المستجلب من ينصره بصوته) .

(٤٧٤) **مُتَغَوِّثاً** : أي قائلا «واغَوْثاه» .

(٤٧٥) **جَرْجَرْتُمْ** : الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته عند عَسْفِه .

(٤٧٦) **الأسَرّ** : المصاب بداء السَّرَر ، وهو مرض في كرْكرَة البعير ، أي زَوْرِهِ ، ينشأ من الدَّبَرة والقرحة .

(٤٧٧) **النِّضْو** : المهزول من الإبل ، والأدْبَرَ : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدَّبَرة ـ بالتحريك ـ وهي العَقْر والجرح من القَتَبِ ونحوه .

(٤٧٨) **التَّوْأَمُ** : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد .
(٤٧٩) **الجُنَّة** ـ بالضم ـ : الوقاية ، وأصلها ما استترت به من درع ونحوه .
(٤٨٠) **أوقى منه** : أشدّ وقاية وحفظاً .
(٤٨١) **الكَيْس** ـ بالفتح ـ : الفطنة والذكاء .
(٤٨٢) **الحُوَّلُ القُلَّب**ـ بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين هو : البصير بتحويل الأمور وتقليبها .
(٤٨٣) **الحَرِيجَة**: التحرج والتحرز من الآثام.
(٤٨٤) **طُولُ الأملِ** : هو استفساح الأجل ، والتسويف بالعمل .
(٤٨٥) **الحَذّاء** ـ بالتشديد ـ : الماضية السريعة.
(٤٨٦) **الصُبابة** ـ بالضم ـ : البقية من الماء واللبن في الإناء .
(٤٨٧) **اصْطَبَّها صَابُّها** : كقولك : أبقاها مبقيها ، أو تركها تاركها .
(٤٨٨) **جَذّاء** ـ بالجيم ـ أي : مقطوع خيرها ودَرّها .
(٤٨٩) **الأناة** : التَّثَبُّتُ والتأني .
(٤٩٠) **أرْوِدُوا** : ارفقوا ، أصله من أرْوَدَ في السير إرواداً ، إذا سار برفق .
(٤٩١) **الإعْداد** : التهيئة .
(٤٩٢) **ولَقَدْ ضربْتُ أنفَ هذا الأمرِ وعَيْنَهُ** : مَثَلٌ تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر.
(٤٩٣) **أوْجَدَ الناسَ مَقالاً**: جعلهم واجدين له .
(٤٩٤) **خاسَ به** : خان وغدر .
(٤٩٥) **قَبَّحَهُ الله** : أي نحّاه عن الخير .
(٤٩٦) **بَكَتَهُ** : قَرَعَهُ وعَنَّفَهُ .
(٤٩٥) **مَيْسُورُه** : ما تيَسّر له .
(٤٩٨) **الوُفور** : مصدر وَفَرَ المالُ ، أي تم.
(٤٩٩) **مَقْنُوط** : ميؤوس ، من القنوط وهو اليأس .
(٥٠٠) **مُسْتَنْكَف** : الاستنكاف : الاستكبار .
(٥٠١) **مُنِيَ لها الفَنَاءُ** ـ ببناء الفعل للمجهول أي : قُدِّرَ لها .
(٥٠٢) **الجلاء** : الخروج من الأوطان .
(٥٠٣) **التبَسَتْ بِقَلْبِ الناظِرِ** : اختلطت به محبةً .
(٥٠٥) **البَلاغ** : ما يُتَبَلَّغ به ، أي : يُقْتَات به مدةَ الحياة .
(٥٠٦) **الكَفاف** : ما يَكُفُّكَ أي : يمنعك عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت
(٥٠٦) **الوَعْثاء** : المشقة ، وأصله المكان المُتعب لكثرة رمله وغوص الأرجل فيه .
(٥٠٧) **المُنقَلَب** : مصدر بمعنى الرجوع .
(٥٠٨) **الأديم** : الجلد المدبوغ .
(٥٠٩) **العُكاظيّ** : نسبة إلى عُكاظ ـ كغراب ـ وهي سوق كانت تقيمها العرب في صحراء بيت نخلة والطائف يجتمعون إليه ليتعاكظوا ـ أي يتفاخروا .
(٥١٠) **الزَوَلْزِل** : الشدائد .

(٥١١) **وَقَبَ** : دخلَ .
(٥١٢) **غَسَقَ** : اشتدت ظلمته .
(٥١٣) **خَفَقَ النجم** : غاب .
(٥١٤) **الْمَقْدِمَة** ـ بكسر الدال ـ صدر الجيش ، ومقدّمة الانسان ـ بفتح الدال : صدره .
(٥١٥) **الْمِنْطاط** : حافة الوادي وشفيرُهُ وساحل البحر .
(٥١٦) **الشِّرْذِمة** : النفر القليلون .
(٥١٧) **الأكناف** : الجوانب و « موطّنين الأكْنافَ » أي : جعلوها وطَناً .
(٥١٨) **الأمْداد** : جمع مَدَد ، وهو ما يُمَدّ به الجيش لتقويته .
(٥١٩) **بَطَنَ الخفيّات**: علِمَها من باطنها.
(٥٢٠) **الأعْلام** : جمع عَلَم ـ بالتحريك ـ وهو المنار يهتدى به ، ثم عمّ في كل ما دل على شيء ، وأعلام الظهور : الأدلة الظاهرة .
(٥٢١) **الْمُرْتادِين** : الطالبين للحقيقة .
(٥٢٢) **الضِغْث** ـ بالكسر ـ قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس .
(٥٢٣) **الشريعة** : مورد الشاربة من النهر .
(٥٢٤) **اسْتَطْعَمُوكُمُ القِتال** : طلبوا منكم أن تطعموهم القتال ، كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي : يستدعيه مني .
(٥٢٥) **اللُّمَةُ** ـ بالتخفيف ـ الجماعة القليلة.
(٥٢٦) **عَمّسَ عَلَيْهِم الخبَرَ** : أبهمه عليهم وجعله مظلماً .
(٥٢٧) **الأغراض** : جمع غرض ، وهو الهدف
(٥٢٨) **تَنَكَّرَ مَعْرُوفُها** : خفي وجهها .
(٥٢٩) **حَذّاء** : ماضية ، سريعة ، وقد سبق تفسيرها ، وفي رواية « جذاء » ـ بالجيم ـ أي مقطوعة الدَّرّ والخير .
(٥٣٠) **تَحْفِزُهم** : تدفعهم وتسوقهم .
(٥٣١) **تَحْدُو** : بالواو بعد الدال : تسوقهم بالموت إلى الهلاك .
(٥٣٢) **أمَرَّ الشيء** : صار مُرّاً
(٥٣٣) **كدِر كدَراً** ـ كفرح فرَحاً ـ وكدُر ـ بالضم ، كظرُف ، كُدُورةً : تعكّرَ وتغير لونه واختلط بما لا يستساغ هو معه .
(٥٣٤) **السَمَلَة** ـ محركة ـ بقية الماء في الحوض. والإداوة : الْمِطْهَرَةُ . وهي إناء الماء الذي يُتَطَهّر به .
(٥٣٥) **الْمَقْلَة** ـ بالفتح ـ : حَصاة يضعها المسافرون في إناء ، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها ، فيتناول كل منهم مقدار ما غمره . يفعلون ذلك إذا قل الماء ، وأرادوا قسمته بالسوية .
(٥٣٦) **التمزّزُ** : الامتصاص قليلاً قليلاً ، والصَّدْيانُ : العطشانُ .
(٥٣٧) **لم يَنْقَعْ** : لم يرْوَ .
(٥٣٨) **أزْمِعُوا الرحيلَ** : أي اعزموا عليه ، يقال : أزمع الأمرَ ، ولا يقال أزمع عليه .
(٥٣٩) **المقدور** : المكتوب .

(٥٤٠) **الوُلَّه العِجَال** : الوُلَّه : جمع وَالهة وهي كلّ أنثى فَقَدَتْ ولدها ، وأصل الوَلَه ذهابُ العقل، والعِجال من النّوق ـ جمع عَجُول : وهي التي فقدت ولدها .

(٥٤١) **هَدِيلُ الحمام** : صوته في بكائه لفقد إلفه .

(٥٤٢) **جأرْتُمْ** : رفعتم أصواتكم ؛ والجُؤار : الصوت المرتفع .

(٥٤٣) **المتبتِّل** : المنقطع للعبادة .

(٥٤٤) **انماثت انمياثاً** : ذَابَتْ ذَوَباناً .

(٥٤٥) **الأضحية** : الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى .

(٥٤٦) **استِشراف أذُنِها** : تَفَقّدُها حتى لا تكون مجدوعةً أو مشقوقة .

(٥٤٧) **عَضْباء القَرْن** : مكسورته .

(٥٤٨) **تجُرّ رِجْلَها إلى المَنْسك** : أي عرجاء ؛ والمنسك : المذبح .

(٥٤٩) **تَدَاكُّوا** : تزاحموا عليه ليبايعوه رغبةً فيه .

(٥٥٠) **الهِيم** : العِطاش من الإبل .

(٥٥١) **يوم وِرْدِها** : يوم شربها الماء .

(٥٥٢) **المَثاني** : جمع المثناة ـ بفتح الميم وكسرها : حبل من صوف أو شعر يُعْقَلُ به البعير .

(٥٥٣) **تَعْشُو إلى ضَوْئي** : تستدل عليه ببصر ضعيف .

(٥٥٤) **تَبُوء بآثامها** : ترجع .

(٥٥٥) **اللَّقَم** ـ بالتحريك وبوزن صُرَد أيضاً ـ : معظم الطريق أو جادّته .

(٥٥٦) **مَضَض الألم** : لذعته وبُرَحاؤه .

(٥٥٧) **التّصاول** : أن يحمل كل واحد من النّدّين على صاحبه .

(٥٥٨) **يتخالَسان أنْفُسَهُما** : كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر .

(٥٥٩) **الكَبْت** : الإذلال .

(٥٦٠) **جِران البعير** ـ بالكسر : مقدّمُ عنقه من مذبحه إلى مَنْحَره ، وإلقاء الجِران : كناية عن التمكّن .

(٥٦١) **الاحتلاب**: استخراج ما في الضّرْعِ من اللبن .

(٥٦٢) **سيَظْهرُ عليكُم** : سيغلب .

(٥٦٣) **رَحْبُ البُلْعُوم** : واسعُهُ .

(٥٦٤) **مُنْدَحِقُ البَطْن** : عظيم البطن بارزه ، كأنه لعظمه مُنْدَلِقٌ من بدنه يكاد يَبِينُ عنه ـ وأصل « اندحق » بمعنى انزلق .

(٥٦٥) **الحاصِبُ** : ريح شديدة تحمل التراب والحصى ، والجملة دعاء عليهم بالهلاك .

(٥٦٦) **الآثِر** : الذي يأثر الحديث ، أي يرويه ويحكيه . والمراد : لا بقي منكم مخبر يروي أثراً . وهذا اللفظ (آثر) أقرب إلى السياق هنا من (آبر) و (آبز) . وقد اختاره الشريف الرضي ووجده أصح الوجوه .

(٥٦٧) **فأوبُوا شرّ مآب** : انقلبوا شرّ منقلب بضلالتكم في زعمكم .

(٥٦٨) **الأعقاب** : جمع عقِب ـ بكسر القاف ـ وهو مؤخر القدم .

(٥٦٦) **الأثرة** : الاستبداد بفوائد الملك .

(٥٧٠) **قرارات النساء** : كناية عن الأرحام

(٥٧١) **« كلّما نجمَ منهم قرْنٌ قُطِعَ »** : كلما ظهر أو طلع منهم رئيس قُتل .

(٥٧٢) **الغيْلة** : القتل على غِرّة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل .

(٥٧٣) **الجُنّة** ـ بالضم ـ : الوقاية والملجأ والحصن ، وقد سبقت .

(٥٧٤) **طاش السهم عن الهدف** ـ من باب باع ـ أي : جاوزه ولم يصبه .

(٥٧٥) **الكَلْمُ** ـ بالفتح ـ : الجرح .

(٥٧٦) **سابغاً** : ممتداً ساتراً للأرض .

(٥٧٧) **قَلَصَ** : انقبض .

(٥٧٨) **« بَادِرُوا آجالَكُم بأعمالِكُم »** أي : سابقوها وعاجلوها بها .

(٥٧٩) **ابتاعوا** : اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي ، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية .

(٥٨٠) **الترحّل** : الانتقال . والمراد هنا لازمه . وهو : إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل .

(٥٨١) **جُدَّ بكم** : أي حُثِثتم وأزْعِجتم إلى الرحيل .

(٥٨٢) **أظلّكم**: قرب منكم من كأنّ له ظلا قد ألقاه عليكم .

(٥٨٣) **سُدًى** : مهملين .

(٥٨٤) **يحدوه** : يسوقه ، والجديدان الليل والنهار .

(٥٨٥) **حَرِيّ** : جدير .

(٥٨٦) **الأوْبَة** : الرجعة .

(٥٨٧) **« ما تحْرُزُون به أنفسكُمْ »** أي : تحفظونها به .

(٥٨٨) **يُسَوِّفها** : يؤجّلها ، ويؤخرها .

(٥٨٩) **لا تُبْطِرُهُ النعمة** : لا تطغيه ، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه .

(٥٩٠) **يَصَمّ** ـ بفتح الصاد ـ مضارع « صَمّ » ـ من باب علم ـ إذا أصيب بالصمم وفقد السمع ؛ وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي يستطيع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها .

(٥٩١) **النِّد** ـ بكسر النون ـ : النظير والمثل ، ولا يكون إلا مخالفاً ، وجمعه أنداد مثل : حِمْل وأحْمال .

(٥٩٢) **المُثاور** : المُواثِب والمُحارِب .

(٥٩٣) **الشريك المكاثِر** : المُفاخِرُ بالكثرة ، هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة ، ويروى « المكابر » ـ بالباء الموحدة ـ أي : المفاخر بالكِبْر والعظمة .

(٥٩٤) **الضدّ المُنافِر** : الذي يحاكي ضده في الرفعة والنسب فيغلبه .

(٥٩٥) **مَرْبُوبُون** : أي مملوكون .

(٥٩٦) **داخِرون** : أذِلاّء ـ من دخر .

(٥٩٧) « **لم يَنْأ عنها** » أي : لم ينفصل انفصالَ الجسم .
(٥٩٨) **بائن** : منفصل .
(٥٩٩) **لم يؤده** : لم يُثقلْهُ ، آدَهُ الأمرُ يَؤُودُهُ : أثقله وأتعبه .
(٦٠٠) **ذرأ** : خلق .
(٦٠١) **ولجتْ عليه** : دخلتْ .
(٦٠٢) **مُبْرَم** : محتوم ، وأصله من « أبْرَمَ الحبلَ » جعله طاقَيْن ، ثم فتله . وبهذا أحكمه .
(٦٠٣) **اسْتَشْعِرُوا الخشْيَةَ** : اجعلوها من شِعاركم . والشعار هو ما يلي البدنَ من الثياب .
(٦٠٤) **تَجَلْبَبَ** : لبسَ الجلبابَ ، وهو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق .
(٦٠٥) **النواجذ** : جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس . ولكل إنسان أربعة نواجذ وهي بعد الأرْحاءِ . ويسمى الناجذ ضرسَ العقل . وإذا عضضت على ناجذِك تصلبتْ أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك .
(٦٠٦) **أنبَى للسيوف** : أبعد عنها .
(٦٠٧) **الهام** : جمع هامة : وهي الرأس .
(٦٠٨) **اللأمَة** : الدِرْع . وإكمالها أن يُزَاد عليها البَيْضَةُ ونحوها . وقد يراد من اللأمة آلات الحرب والدفاع وإكمالها على هذا استيفاؤها .
(٦٠٩) **قَلْقِلُوا السيوف** : حرّكوها في أغمادها .
(٦١٠) **الأغْماد** ـ جمع غمد : وهو بيت السيف .
(٦١١) **الخَزَر** ـ محركةً ، وسكّنها مراعاةً للسجعة الثانية ـ : النظر من أحد الشقَّيْن ، وهو علامة الغضب .
(٦١٢) **الشزْر** ـ بفتح الشين ـ : الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً .
(٦١٣) **نافحوا بالظُبا** : نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظُبا ـ بالضم ـ : جمع ظُبة ، وهي طرف السيف وحدّه .
(٦١٤) **صِلُوا السُيُوفَ بالخُطا** : صِلوا من الوصل ـ أي : اجعلوا سيوفكم متصلةً بخطا أعدائكم ، جمع خطوة .
(٦١٥) **الفرّ** : الفرار .
(٦١٦) « **عارٌ في الأعْقاب** » : هنا الأولاد ، لأنهم يُعَيّرُون بفرار آبائهم .
(٦١٧) **السُجُح** ـ بضمتين ـ : السهل .
(٢٦٨) **الرِّوَاق المُطنَّب** : الرواق ـ ككتاب وغراب الفسطاط ، والمُطنَّب : المشدود بالأطْناب جمع طُنُب ـ بضمتين ـ وهو حبل يشدّ به سُرادِقُ البيت .
(٦١٩) **الثبَج** ـ بالتحريك ـ : الوسط .
(٦٢٠) **كِسْرُه** ـ بالكسر ـ شِقّه الأسفل ، كناية عن الجوانب التي يفر إليها المنهزمون .
(٦٢١) **الصَمْد** : القصد ـ أي فاثبتوا على قصدكم .

(٦٤٧) **الفِطْرة** : أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده ، وهي للانسان : حالته خالياً من الآراء والأهواء والديانات والعقائد .

(٦٤٨) **الشَّرائِف** : جمع شريفة .

(٦٤٩) **النَّوامِي** : الزوائد .

(٦٥٠) **الخاتمُ لما سَبَقَ** : أي لما تقدَّمَهُ من النبوّات .

(٦٥١) **الفاتح لما انْغَلَقَ** : كانت أبواب القلوب قد أُغلقت بإقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوّته .

(٦٥٢) **جَيْشات الأباطيل** : جمع باطل على غير قياس : كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس ، وجَيْشاتها : جمع جَيْشة ـ بفتح فسكون ـ من جاشت القدر إذ ارتفع غليانها .

(٦٥٣) **الصَّوْلات** : جمع صَوْلة ، وهي السطوة ، والدامغ من دمغه إذا شَجّهُ حتى بلغت الشجّةُ دماغه .

(٦٥٤) **فاضْطَلَعَ** ـ أي : نهض بها قوياً ـ والضَّلاعة : القوة .

(٦٥٥) **المُسْتَوْفِز** : المسارع المستعجل .

(٦٥٧) **الناكِل** : الناكص والمتأخرُ ، أي غير جبان .

(٦٥٧) **القُدُم** ـ بضمتين ـ : المشي إلى الحرب ، ويقال : مضى قُدُماً ، أي سار ولم يعرج .

(٦٥٨) **الواهي** : الضعيف .

(٦٥٩) **واعياً لِوَحْيك**: أي حافظاً وفاهماً ، وَعَيْتَ الحديث ،إذا حفظته وفهمته.

(٦٦٠) **أوْرَى قَبَسَ القابِس** : يقال : وَرَى الزَّنْدُ كوعى ـ وَوَرِيَ ـ كوَلِيَ ـ يَرِي وَرْياً فهو وَارٍ : خرجت نارُه ،وأوْرَيْتُهُ ووَرَّيْته واسْتَوْرَيْته والقَبَس : شُعلةٌ من النار ، والقابس الذي يطلب النار .

(٦٦١) **الخابِط** : الذي يسير ليلاً على غير جادّة واضحة ، فإضاءة الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة .

(٦٦٢) **الخَوْضات** : جمع خَوْضة ، وهي المرّة من الخوض .

(٦٦٣) **الأعْلام** : جمع عَلَم ـ بالتحريك ـ وهو ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه .

(٦٦٤) **العِلْم المخزون** : ما اختصّ الله به من شاء من عباده ، ولم يُبح لغير أهل الحُظْوَة به أن يطلعوا عليه ، وذلك مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية .

(٦٦٥) **شهيدك** : شاهِدُك على الناس . كما قال الله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » .

(٦٦٦) **بَعيثك بالحق**، أي : مَبْعُوثك،فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح.

(٦٦٧) **افْسَحْ له** : وَسِّعْ له ما شئت أن توسع « في ظلك » أي : إحسانك وبِرِّك ، فيكون الظل مجازاً .

(٦٦٨) مُضَاعَفات الخير: أطواره ودرجاته
(٦٦٩) قَرار النِّعْمَة : مستقرّها حيث تدوم ولا تفنى .
(٦٧٠) مُنى الشَّهَوات : منى جمع مُنْية - بالضم - وهي ما يتمناه الانسان لنفسه ، والشهوات ما يشتهيه .
(٦٧١) رَخاء الدَّعَة : الرخاء : من قولهم « رجل رَخِيّ البال » أي : واسع الحال . والدَّعَة : سكون النفس واطمئنانها .
(٦٧٢) تُحَف الكرامة : التحف : جمع تُحْفَة ، وهي ما يكرم به الإنسان من البرّ واللطف .
(٦٧٣) استشفعهما إليه : سألهما أن يشفعا له عنده . وليس من الجيد قولهم : استشفعت به .
(٦٧٤) كفّ « يهوديّة » أي : غادرة ماكرة.
(٦٧٥) السُّبَّة - بالضم - : الإست ، وهما مما يحرص الإنسان على إخفائه . وكني به عن الغدر الخفي .
(٦٧٦) الأكْبُش : جمع كَبْش ، وهو من القوم رئيسهم .
(٦٧٧) زُخْرُفُه وزِبْرِجه: أصل الزخرف : الذهب وكذلك الزبرج - بكسرتين بينهما سكون - ثم أطلق على كل مموّه مُزَوَّر . وأغلب ما يقال الزِّبْرِج على الزينة من وَشْيٍ أو جوهر.
(٦٧٨) قَرْفي : قَرَفَه قَرْفاً - بالفتح : عابه. والاسم منه القَرْف بسكون الراء.
(٦٧٩) حَجيج المارقين : خَصيمهم ، والمارقون : الخارجون من الدين .
(٦٨٠) الناكثون المرتابون : الناقضون للعهد الذين لا يقين لهم به .
(٦٨١) الأمْثال : يراد بها هنا متشابهات الأعمال والحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ، وما خالفه فهو الباطل الممنوع ، وهو - كرم الله وجهه - قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله ، فليس للغامز عليه أن يشير إليه بمطعن ، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب .
(٦٨٢) الحُكْم هنا : الحِكْمة ، قال الله تعالى : (وآتيناه الحُكْمَ صبياً) .
(٦٨٣) وَعَى : حَفِظَ وفهم المراد .
(٦٨٤) دنا : قرب من الرشاد الذي دعا اليه.
(٦٨٥) الحُجْزَة - بالضم - معقد الإزار ، والمراد الاقتداء والتمسك ، يقال : أخذ فلان بِحُجْزَةِ فلان ، إذا اعتصم به ولجأ إليه .
(٦٨٦) اكتَسَبَ مَذْخوراً : كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويُعِدّهُ لوقت حاجته
(٦٨٧) كابَرَ هواه : غالبه . ويروى « كاثَرَ » بالمثلثة أي : غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه .
(٦٨٨) الغرّاء : النيّرة الواضحة .
(٨٦٩) المَحَجّة : جادّة الطريق ومُعْظَمُه

(٦٩٠) **المَهَل هنا** : مدة الحياة مع العافية ، فإنه أمْهِلَ فيها دون أن يُؤخذ بالموت أو تَحُلَّ به بائقةُ العذاب .

(٦٩١) **هو على القلب** ، المراد من هذه الرواية مقلوبها وعكسها .

(٦٩٢) **الُحزّة** ـ بالضم ـ : القطعة ، وفسر صاحب القاموس « الوَذَمَة » بمجموع المعى والكَرِش .

(٦٩٣) **وَأَيْتُ** : وعدت . وَأَى ـ كوَعَى ـ وَعَدَ وَضَمِنَ .

(٦٩٤) **رَمَزات الألحاظ** : الإشارة بها ، والألحاظ جمع لحظ ، وهو باطن العين . أما اللحاظ ـ وهو مؤخَّر العين ـ فلا نعرف له جمعاً إلا « لُحُظ » ـ بضمتين .

(٦٩٥) **سَقَطات الألفاظ** : لغوها .

(٦٩٦) **شهوَات الجنان** : القلب ، واللب . وشهواته : ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة .

(٦٩٧) **هفَوات اللسان** : زَلّاته .

(٦٩٨) **حاقَ به الضرّ** : أحاط به .

(٦٩٩) **الكاهن** : من يدّعي كشف الغيب .

(٧٠٠) **التورّع** : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرّمات ، يقال : ورع الرجل ـ من باب علم وقطع وكرم وحسب ـ وَرْعاً ، مثل وَعْد ، وَوَرَعاً ـ بفتحتين كطَلَب ـ وَوُرُوعاً أي جانَبَ الإثم .

(٧٠١) **عَزَبَ عنكم** ـ من باب ضَرَبَ ودخل ـ عُزُوباً ـ بضمتين كدخول ـ أي : بعد عنكم .

(٧٠٢) **أعْذَرَ** : بمعنى أنصف ، وأصله مما همزته للسلب . فأعذرت فلاناً سلبت عذره أي : ما جعلت له عذراً يبديه لو خالف ما نصحته به .

(٧٠٣) **مُسْفِرَة** : كاشفة عن نتائجها الصحيحة .

(٧٠٤) **بارِزَة العُذْر** : ظاهرته .

(٧٠٥) **العناء** : التعب .

(٧٠٦) **ساعاها** : جاراها سعياً .

(٧٠٧) **واتَتْهُ** : طَاوَعَتْهُ .

(٧٠٨) **عَلاَ بحَوْلِه** : عزّ وارتفع عن جميع ما سواه ، لقوته المستعلية بسلطة الإيجاد على كل قوّة .

(٧٠٩) « **دَنَا بِطَوْلِه** » أي : إنه مع علوّه، سبحانه وارتفاعه في عظمته دنا وقَرُبَ من خلقه بطَوْله أي : عطائه وإحسانه

(٧١٠) **الأزْل** ـ بالفتح ـ : الضيق والشدة .

(٧١١) **سوابِغ النِعَم** : كوامِلُها ـ من سَبَغَ الظلّ : إذا عمّ وشَمِلَ .

(٧١٢) **أوّلاً بادياً** : أي سابقاً كلّ شيء من الوجود ، ظاهراً بذَاتِهِ مُظْهراً لغيره .

(٧١٣) **إنهاء عُذْرِه** : إبلاغه ، والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي .

(٧١٤) **النُّذُر** : جمع نذير : الأخبار الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال.
(٧١٥) **ضرَبَ الأمثال** : جاء بها في الكلام ؛ لإيضاح الحجج ، وتقريرها في الأذهان.
(٧١٦) **وقّتَ الآجالَ** : جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر .
(٧١٧) **الرِّياش** : ما ظهر من اللباس .
(٧١٨) **أرْفَغَ لكم المعاشَ** ، أي : أوْسعَ ، يقال : رَفُغَ عَيْشُهُ - بالضم - رَفاغَةً ، أي : اتسعَ .
(٧١٩) **أحاطكم بالإحصاء** : أي جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسّور لاتنفذون منه ولا تتعدّونه.
(٧٢٠) **أرصد لكم الجزاءَ** : أعدّه لكم فلا محيصَ عنه .
(٧٢١) **الرِّفَد** : جمع رِفْدة - ككِسْرة . وهي العطية .
(٧٢٢) **الرّوافِغ** : الواسعة .
(٧٢٣) **الحجج البوالغ** : الظاهرة البيّنة .
(٧٢٤) « **وَظّفَ لكم مُدَداً** » : أي قدّرَ لكم ، والمدد جمع مدّة ، أي : عين لكم أزمنةً تحيَوْنَ فيها .
(٧٢٥) «**في قرارِ خبرة**» أي : في دار ابتلاء واختبار ، وهي دار الدنيا .
(٧٢٦) **دَنِقٌ** - كفَرِح - : كَدِرٌ .
(٧٢٧) **وَدِغٌ** : كثير الطين والوحل . - والمَشرَع : مَوْرِد الشاربة للشرب .
(٧٢٨) **يُونِقُ** : يُعْجِبُ .
(٧٢٩) **يُوبِقُ** : يُهْلِكُ .
(٧٣٠) **حائِل** : اسم فاعل من «حال» إذا تحوّل وانتقل .
(٧٣١) « **وَضَوْءٌ آفِلٌ** » : غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب .
(٧٣٢) **السِّناد** - بالكسر - ما يستند إليه ، أو دعامة يُسْنَدُ بها السقف .
(٧٣٣) **اطمأنّ ناكِرُها** : ناكرها : اسم فاعل من « نَكِرَ الشيءَ » من باب علم - أي : جَهِله فأنكره .
(٧٣٤) **قَمَصَ الفرس** وغيره يقمص - من بابَيْ ضرب ونصر - قَمْصاً وقماصاً . أي : استَنَّ - وهو أن يرفع يَدَيْهِ ويطرحهما معاً .
(٧٣٥) « **قَنَصَتْ بأحْبُلِها** » اصطادت بشباكها وحبالها .
(٧٣٦) **أقْصَدَت** : قَتَلَتْ مكانها من غير تأخير .
(٧٣٧) **أعْلَقَتْ به** : رَبَطَتْ بعُنُقِهِ .
(٧٣٨) **أوْهاق المنيّة** : جمع وَهَق - بالتحريك - أو بفتح فسكون . كما يقال نَهر ونهْر ، أي حبال الموت .
(٧٣٩) **ضَنْك المضْجَع** : ضيق المَرْقَد ، والمراد القبر .
(٧٤٠) **مُعاينة المحَلّ** : مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم .
(٧٤١) **ثواب العَمَل** : جزاؤه الأعمّ من شقاء وسعادة .
(٧٤٢) **الخلَفُ** : المتأخرون - والسّلَف : المتقدمون . بِعَقْب : بياء الجر

وسكون القاف بمعنى بعد. وأصله جرى الفرس بعد جريه، يقال: لهذا الفرس عقب حسن.

(٧٤٣) «لا تُقْلِعُ المَنِيَّةُ اخْتِراماً»: أي لا تكفّ المنية عن اخترامها، أي: استئصالها للأحياء.

(٧٤٤) «لا يرعوي الباقون» أي: لا يرجعون ولا يكُفّون.

(٧٤٥) الاجترام: افتعال من الجرم، أي اقتراف السيئات.

(٧٤٦) «يَحْتَذُون مِثالاً» أي: يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم، ويقتدون بهم.

(٧٤٧) «يَمْضُون أرْسالاً»: جمع رَسَل - بالتحريك - وهو القطيع من الإبل والغنم والخيل.

(٧٤٨) صَيُّور الأمر - كتنور - مصيره وما يؤول إليه.

(٧٤٩) «أزِفَ النّشور»: قرب البعث.

(٧٥٠) الضرائح: جمع ضريح، وهو الشقّ وسط القبر.

(٧٥١) الأوْجِرة: جمع وِجار - ككتاب وسحاب - وهو الجُحْر.

(٧٥٢) مُهْطِعِين: أي مسرعين إلى معاده، سبحانه، الذي وعد أن يعيدهم فيه.

(٧٥٣) «رعيلاً صُموتاً» الرّعيل: القطعة من الخيل، شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل - أي: الجملة القليلة منها - لأن الإسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر.

(٧٥٤) «يَنْفُذُهُمُ البَصَرُ»: يجاوزهم، أي: يأتي عليهم ويحيط بهم، والمراد: لا يَعْزُبُ واحد منهم عن بصر الله.

(٧٥٥) لَبُوسُ الاسْتِكانَةِ: اللَّبُوس - بالفتح -: ما يلبس، والاستكانة: الخضوع.

(٧٥٦) ضرَعَ - بالتحريك -: الوَهْن، والضعف، والخشوع.

(٧٥٧) «هوَتِ الأفْئِدَة»: خلَتْ من المسرّة والأمل من النجاة.

(٨٥٨) كاظِمة: ساكنة - كاتمة لما يزعجها من الفزع.

(٧٥٩) مُهَيْنِمة: أي متخافية، والهينمة الكلام الخفي.

(٧٦٠) أَلْجَمَ العَرَقُ: كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق، وكان كاللّجام.

(٧٦١) الشَّفَق - محركة -: الخوف.

(٧٦٢) أرْعِدَت: عرَتْها الرعدة.

(٧٦٣) زَبْرَة الداعي: صوته وصيحته، ولا يقال «زبرة» إلا إذا كان فيها زَجْر وانتهار، فإنها واحدة الزبر أي الكلام الشديد.

(٧٦٤) فَصْل الخِطاب: بتّ الحكومة بين الله وبين عباده في الموقف.

(٧٦٥) «مُقايَضَة الجزاء» المقايضة: المعاوضة، أي: مبادلة الجزاء الخير بالخير، والشر بالشر.

(٧٦٦) **النَّكال** : العذاب

(٧٦٧) « **مربوبون** » : مملوكون ، والاقتسار الغَلَبَة والقهر .

(٧٦٨) **أصل الاحتضار** : حضور الملائكة لقبض الروح .

(٧٦٩) **الأجداث** ، جمع جَدَث ـ بفتحتين ـ وهو القبر ، واجتَدَثَ الرجلُ : اتخذ جَدَثاً ، ويقال : جَدَف بالفاء ـ و « مُضَمَّنُونَ الأجداثَ » مجعولون في ضِمْنِها

(٧٧٠) **الرُّفات** : الحُطام ، ويقال رَفَتَهُ ـ كنصر وضرب ـ أي كسره ودَقَّهُ أي : فته بيده كما يُفَتُّ المَدَرُ والعظْمُ البالي

(٧٧١) **مَدِينون** أي : مَجْزِيُّون ، والدِّين : الجزاء ، قال تعالى : (مالك يوم الدِّين) .

(٧٧٢) **مُمَيَّزُون حِساباً**: كلٌّ يحاسب على عمله منفصلاً عمن سواه : (ولا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى) .

(٧٧٣) **المنهج** : الطريقة الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة .

(٧٧٤) « **وَعُمِّرُوا مَهَلَ المُسْتَعْتَب** » ـ المُسْتَعْتَب : المسترضي ـ أي : أُوتوا من العمر مُهْلَةً مَنْ ينالُ الرضى لو أحسن العمل .

(٧٧٥) **سُدَفَ الرِّيَب** : السُّدَف : جمع سَدْفة ـ بالفتح ـ وهي الظلمة ، والرِّيَب : جمع رِيبة . وهي الشبهة وإبهام الأمر .

(٧٧٦) « **خَلَّوا لمضمار الجِياد** » : خَلَّوا : تُرِكوا في مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات . والجياد من الخيل : كرامها ، والمضمار : المكان الذي تضمَّرُ فيه الخيل ، والمدة التي تضمر فيها أيضاً .

(٧٧٧) **رَوِيَّة الارْتِياد** : إعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه ، والارتياد هنا : طلب ما يراد .

(٧٧٨) **وأناة المُقْتَبِس المُرْتاد** : الأناة : الانتظار والتؤدة ، والمقتبس : المرتاد ، أي : الذي أخذ بيده مصباحاً ليرتاد في ضوئه شيئاً غاب عنه .

(٧٧٩) **المضطرَب** : مدة الاضطراب . أي : الحركة في العمل .

(٧٨٠) **صائبة** : غير عادلة عن الصواب .

(٧٨١) **اقترف** : اكتسب ، ومثله « قرف يقرف لعياله » أي : كسب يكسب وفي التنزيل : (وَلْيَقْتَرِفُوا ما هم مُقْتَرِفُون) .

(٧٨٢) **وَجِلَ** : خافَ .

(٧٨٣) **بادر** : سارع .

(٧٨٤) « **عُبِّرَ فاعْتَبَرَ** » : عُبِّر ـ مبني للمجهول مشدد الباء ـ أي عرضت عليه العِبَرُ مراراً كثيرة ، فاعتبر ، أي اتعظ .

(٧٨٥) **ازدجر** ، أي : امتنع عن الشيء وانتهى .

(٧٨٦) **أناب الى الله** : رجع إليه .

(٧٨٧) **احتذى** : شاكَلَ بين عمله وعمل مقتداه : أي : أحسنَ القُدْوَةَ .

(٧٨٨) **أفاد الذخيرة** : استفادها واقتناها ، وهو من الأضداد .

(٧٨٩) **استَظْهَرَ زاداً** : حمل زاداً حمّله ظَهْرَ راحلته إلى الآخرة ، والكلام تمثيل .

(٧٩٠) **وَجْهُ السبيل** : المقصد الذي يُرْكبُ السبيلُ لأجله .

(٤٩١) **تَنَجزُ الوَعْدِ** : طلب وفائه على عجل .

(٧٩٢) **تعي ما عناها** : تحفظ ما أهمّها .

(٧٩٣) **تجلو** : تكشف .

(٧٩٤) **العَشا** : مقصور ، مصدر من عَشِيَ فهو عَشٍ إذا أبصر نهاراً ولم يبصر ليلاً .

(٧٩٥) **الأشلاء** : جمع شِلْو وهو العضو .

(٧٩٦) **الأحْناء** : جمع حِنْو - بالكسر - وهو كل ما اعوجّ من البدن ، ومُلاءمة الأعضاء لها : تناسبها معها .

(٧٩٧) **الأرْفاق** جمع رِفق - بالكسر - المنفعة ، أو ما يستعان به عليها .

(٧٩٨) **رائدة** : طالبة .

(٧٩٩) **مُجَلّلات**- على صيغة اسم الفاعل - من « جلّله » بمعنى غطّاه ، أي : غامرات نعمه . يقولون : سحاب مجلّلٌ ، أي يطبق الأرض .

(٨٠٠) **حواجز** : موانع .

(٨٠١) **الخلاق** : النصيب الوافر من الخير .

(٨٠٢) **الخنَاق** - بالفتح - حبل يخنق به .

(٨٠٣) **أرْهَقَتْهُمْ** : أعْجَلَتهم .

(٨٠٤) **شَذَّبَهُمْ عنها**: قَطَعَهُمْ ومزّقهم من تشذيب الشجرة وهو تقشيرها .

(٨٠٥) **تَخَرّمُ الأجل** : استئصاله واقتطاعه

(٨٠٦) **لم يَمْهَدُوا في سلامة الأبْدان** : أي لم يمهدوا لأنفسهم بإصلاحها .

(٨٠٧) **أنُف**- بضمتين - يقال : أمر أنُف ، أي مُسْتَأنَف لم يَسْبِق به قَدَرٌ .

(٨٠٨) **البَضَاضَة** : رخص الجلد ورقته وامتلاؤه .

(٨٠٩) **الغَضَارة** : النعمة والسعة والخصب .

(٨١٠) **الزِّيال** : مصدر زَايَلَهُ مُزايَلَةً وزِيالاً : أي فَارَقَهُ .

(٨١١) **الأزُوف** : الدنوّ والقرب .

(٨١٢) **العَلَز** : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمُحْتَضَرَ .

(٨١٣) **المَضَض** : بلوغ الحزن من القلب .

(٨١٤) **الجَرَض** : الريق .

(٨١٥) **النَّوَاحِب** : جمع ناحبة وهي الرافعة صوتها بالبكاء .

(٨١٦) **غُودِرَ** : تُرِك وبقي .

(٦١٧) **رَهِيناً** : حَبِيساً .

(٨١٨) **« هَتَكَتِ الهَوامّ جِلْدَتَه »** : جذبت جلدته فقطعتها ، والهوامّ : الحيّات وكل ذي سم يقتل .

(٨١٩) **النَّواهك** : جمع ناهكة وهي ما يَنْهَكُ البدنَ : أي يُبْلِيه

(٨٢٠) **عفَت** : دَرَسَتْ

(٨٢١) **الحدَثانُ** : مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث . وقد طبعت سهواً بجرّ النون ، فتصحح برفعها .

والمعالم جمع مَعلَم ، وهو ما يستدل به .

(٨٢٢) **الشَّجبَةُ** - بفتح الشين - أي : الهالكة .

(٨٢٣) **البَضّة** هنا الواحدة من البض ؛ وهو: مصدر بَضّ الماءُ إذا ترشّح قليلاً قليلاً ، أي بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشح منها .

(٨٢٤) **نَخِرة** : بالية .

(٨٢٥) **الأعباء** : الأثقال ، جمع عِبْء ، أي : حِمْل .

(٨٢٦) **ولا تُستَعْتَبُ** : مبني للمفعول أي : لا يُطْلَبُ منها تقديم العُتْبى ، أي : التوبة عن العمل القبيح ، أو مبني للفاعل ، أي : لا يمكنها أن تطلب الرضى والإقالة من خطئها السيّء.

(٨٢٧) **زَلَلها**: خطئها وأصله انزلاق القدم.

(٨٢٨) **القِدّة** - بكسر فتشديد - : الطريقة .

(٨٢٩) «**تَطَأون جادّتهم**» : تسيرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء.

(٨٣٠) « **كأنّ المَعْنيّ** » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية .

(٨٣١) **مجازكم** : مصدر ميمي من جاز يجوز ، أي قطع المكان واجتازه .

(٨٣٢) **مَزالِق دَحْضِه** : الدّحْض : هو انقلاب الرِّجْل بغتة فيسقط المارّ ، والمزالق مواضع الزّلل والانزلاق .

(٨٣٣) **التارات** : النُّوَبُ والدّفَعات .

(٨٣٤) **أنْصَبَ الخوْفُ بَدَنَه** : أتعبه .

(٨٣٥) **أسهَرَ التَهَجّدُ غِرارَ نومِه** الغِرار- بالكسر : القليل من النوم .وغيره و « أسهره التهجد » أي : أزال قيامُ الليل نومَهُ القليل ، فأذهبه بالمرة .

(٨٣٦) **الهَواجر** : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٨٣٧) **ظَلَفَ الزّهْدُ شَهَواتِه** ، أي : منعها .

(٨٣٨) « **أوْجَفَ الذّكْرُ بلسانه** » : أي أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان مُوجِفٌ به كما تُوجِفُ الناقةُ براكبها .

(٨٣٩) **تَنَكّبَ الشيءَ** : مال عَنْه.

(٨٤٠) **المخالِج**: الأمور المختلجة الجاذبة .

(٨٤١) **الوَضَح** - محركة - : الجادّة .

(٨٤٢) **أقْصَد المسالك** : أقْوَمُها .

(٨٤٣) **لم تَفْتِلْه**: لم تردّه ولم تَصرفه .

(٨٤٤) «**لم تَعْمَ عليه**» من عمي يعمى أي: لم تَخْفَ عليه الأمورُ المشتبهة.

(٨٤٥) **النّعْمى** - بالضم - سعة العيش ونعيمه

(٨٤٦) **العاجلة** : الدنيا ، وسميت مَعْبَراً لأنها طريق يُعْبَرُ منها إلى الآخرة ، وهي الآجلة .

(٨٤٧) « بَادَرَ من وَجَلٍ » : أي : سبق إلى خير الأعمال خوفاً من لقاء الأهوال .

(٨٤٨) أَكْمَشَ : أسرع ، ومثله انكمش ، وكَمَشْتُهُ تكميشاً : أعجلْتُهُ ، والمراد جِدَّ السير في مُهْلة الحياة .

(٨٤٩) القُدُم ـ بضمتين ـ المضيّ إلى أمام ، أي مضى متقدماً .

(٨٥٠) « حَجِيجاً وخصيماً » أي : مُقْنِعاً لمن خالفه بأنه قد جلب الهلاكَ على نفسه .

(٨٥١) النَّجِيّ : من تحادثه سراً .

(٨٥٢) « وَعَدَ فَمَنّى » أي : صوّر الأماني كذباً .

(٨٥٣) اسْتَدْرَج قرينَتَه : القرينة : النفس التي يقارنها الشيطان بالوسوسة. واستدرجها : أنزلها من درجة الرّشد إلى درجته من الضلالة .

(٨٥٤) اسْتَغْلَق رَهِينَتَه : جعله بحيث لا يمكن تخليصه .

(٨٥٥) « أَنْكَرَ ما زَيّنَ » : تبرأ الشيطان ممن أغواه .

(٨٥٦) شُغُف الأسْتَار : جمع شَغاف ـ مثل سَحاب وسُحُب ـ وهو في الأصل غلاف القلب ، استعارة لِلْمَشِيمَةِ .

(٨٥٧) دِهاقاً : متتابعاً ، « دهقها » صبّها بقوة . وقد تفسر الدّهاق بالممتلئة ، أي : ممتلئة من جراثيم الحياة .

(٨٥٨) « عَلَقَةً مِحاقاً » أي : خَفِيَ فيها ومُحِقَ كلّ شكلٍ وصورة .

(٨٥٩) الجَنين : الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه .

(٨٦٠) اليافع : الغلام رَاهَقَ العشرين .

(٨٦١) « استوى مثالُه » أي : بلغت قامته حدّ ما قُدّرَ لها من النماء .

(٨٦٢) « خَبَطَ سادِراً » : خَبَطَ البعيرُ : إذا ضرب بيديه الأرض لا يَتَوَقّى شيئاً ، والسادر : المتحيّر والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٨٦٣) مَتَحَ الماءَ : نزعه وهو في أعلى البئر ـ والماتح : الذي ينزل البئر إذا قلّ ماؤها فيملأ الدلو ـ والغَرْبُ : الدّلْوُ العظيمة .

(٨٦٤) الكَدْح : شدة السعي .

(٨٦٥) بَدَوَاتُ رأيه : جمع بَدْأة وهي ما بدا من الرأي ، أي ذاهباً فيما يبدو له من رغائبه .

(٨٦٦) « لا يَحْتَسِبُ رَزِيّة » أي : لا يظنها ، ولا يفكر في وقوعها .

(٨٦٧) لا يخشع من التَقِيّـة : أي الخوف من الله تعالى .

(٨٦٨) غَريراً ـ برائَيْنِ مهملتين ـ أي مغروراً .

(٨٦٩) « عاش في هَفْوَته ... الخ » عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب .

(٨٧٠) لم يُفِدْ : أي : لم يستفد ثواباً ولم يكتسب .

(٨٧١) **دَهمته** : غَشِيَتْهُ .
(٨٧٢) **غُبِّرَ جِماحه** : بقايا تَعَنّته على الحق .
(٨٧٣) **السَّنَن** - بفتح السين - الطريقة .
(٨٧٤) « **ظلّ سادراً** » أي : حائراً .
(٨٧٥) **اللادمة** : الضاربة .
(٨٧٦) **الغمْرة** : الشدة تحيط بالعقل والحواس ، والكارثة القاطعة للآمال .
(٨٧٧) **الأنّة** - بفتح فتشديد - الواحدة من الأنّ أي التوجّع .
(٨٧٨) « **جَذْبَة مُكْرِبة** » أي : جذبات الأنفاس عند الاحتضار .
(٨٧٩) **السَّوْقة** من ساق المريض نفسه عند الموت سَوْقاً وسِياقاً ؛ وسِيقَ - على المجهول - أسرع في نزع الروح .
(٨٨٠) **أبْلَس يُبْلِسُ** ؛ يئس ، فهو مُبْلِس .
(٨٨١) « **سَلِساً** » أي : سهلاً لعدم قدرته على الممانعة .
(٨٨٢) **الرَّجِيع من الدواب** : ما رجع به من سفر إلى سفر فكَلّ ؛ والوَصَب التعب .
(٨٨٣) **نِضو** - بكسر النون - : مهزول .
(٨٨٤) **الحَفَدَة** هنا : الأعوان
(٨٨٥) **الحَشَدَة** : المسارعون في التعاون .
(٨٨٦) **مُنْقَطَع الزَّوْرَة** : حيث لا يُزار
(٨٨٧) **بَهْتَة السؤال** : حَيْرَتُهُ .
(٨٨٨) **العثْرة** : السَّقْطة .
(٨٨٩) **الحمِيم** : في الأصل : الماء الحار .
(٨٩٠) **التصلية** : الإحراق . والمراد هنا دخول جهنم .
(٨٩١) **السَّوْرة** : الشدة ؛ والزفير : صوت النار عند توقّدها .
(٨٩٢) **الفتْرة** : السكون ؛ أي لا يَفْتُرُ العذاب حتى يستريح المعذّب من الألم .
(٨٩٣) **دَعَة** - راحة - « **مُرِيحة** » تزيح ما أصابه من التعب .
(٨٩٤) **ناجزة** : حاضرة .
(٨٩٥) **السِّنَة** - بالكسر والتخفيف - أوائل النوم .
(٨٩٦) « **أطوار المَوْتات** » : كلّ نَوْبَة من نُوَب العذاب ، كأنها موت لشدّتها . وأطوار هذه الموتات : ألوانها ، وأنواعها .
(٨٩٧) « **عُمِّرُوا فَنَعِمُوا** » : عاشوا فتنعموا .
(٨٩٨) **المُوَرِّطة** : المُهْلِكة .
(٨٩٩) **مَنَاص** : ملجأ ومفرّ .
(٩٠٠) « **مَحَار** » أي : مرجع إلى الدنيا بعد فراقها .
(٩٠١) **تُؤْفَكُون** : تُقْلَبُون ، أي تنقلبون .
(٩٠٢) **القِيد** - بكسر القاف - المقدار ، والقِيد - بكسر القاف وفتحها - القامة ، والمراد مضجعه من القبر لأنه بمقدار قامة الانسان .
(٩٠٣) **متعفراً** : قد لازم العَفَر أي التراب .

(٩٠٤) الخِناق : الحبل الذي يُخْنَقُ به ، وإهماله : عدم شدّه على العنق مدى الحياة .
(٩٠٥) الفَيْنة ـ بالفتح ـ الحال والساعة والوقت.
(٩٠٦) باحَةُ الدار : ساحتها .
(٩٠٧) أُنُف ـ بضمتين ـ مستأنف. والمَشِيَّة بتسهيل الهمزة وتشديد الياء ، أي المشيئة والإرادة .
(٩٠٨) الحَوْبَة : الحاجة والأرَب ؛ وانفساحها : سعَتُها .
(٩٠٩) الضَنْك : الشدة .
(٩١٠) الرَوْع : الخوف .
(٩١١) الزُهوق : الاضمحلال .
(٩١٢) الغائب المنتظر : الموت .
(٩١٣) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء ، من « نبغ » إذا ظهر .
(٩١٤) الدُعابة ـ بالضم ـ المزاح واللعب .
(٩١٥) تِلعابة ـ بكسر التاء ـ : كثير اللعب.
(٩١٦) أعافِس : أعالج الناس وأُضاربهم مِزاحاً ، ويقال : المعافسة : معالجة النساء بالمغازلة والممارسة كالمُعافَسة.
(٩١٧) يُلْحِف : أي يلح .
(٩١٨) الإلّ ـ بالكسر ـ : القرابة ، والمراد من قطع الإلّ أن يقطع الرحم .
(٩١٩) السَبّة ـ بالضم ـ : الاست .
(٩٢٠) الأتِيّة : العطيّة .
(٩٢١) رَضَخَ له رَضيخةً : أعطاه قليلاً .
(٩٢٢) تَعْقِدُ : مجاز عن استقرار حكمها، أي ليست له كيفية فتحكم بها .

(٩٢٣) الآي : جمع آية ، وهي الدليل . والسواطع : الظاهرة الدلالة .
(٩٢٤) البوالغ : جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . والنّذُر : جمع نذير . بمعنى الإنذار .
(٩٢٥) المفظعات: من « أفظع الأمر» إذا اشتد.
(٩٢٦) الوِرْد ـ بالكسر ـ الأصل فيه الماء يُورَدُ للريّ ، والمراد به الموت أو المحْشر .
(٩٢٧) بَئِس ـ كسمع ـ اشتدت حاجته .
(٩٢٨) « إرهاق الأجل » : أن يُعْجِلَ المُفرّط عن تَدارُكِ ما فاته من العمل ، أي : يحول بينه وبينه .
(٩٢٩) الكَظَم ـ بالتحريك ـ : الحلق ، أو مخرج النَفَس ، والأخذ بالكَظَم : كناية عن التضييق عند مداركة الأجل.
(٩٣٠) سَمّي آثاركم : بين لكم أعمالكم وحَدّدَها .
(٩٣١) عَمّرَ نبيّه : مدّ في أجله .
(٩٣٢) مَحابّه : مواضع حبّه ، وهي الأعمال الصالحة .
(٩٣٣) «اصبروا أنفسكم»: اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها
(٩٣٤) الظَلَمة : جمع ظالم .
(٩٣٥) المُداهَنة : إظهار خلاف ما في الطَوِيّة ، والإدهان : مثله .
(٩٣٦) المَغْبون : المخدوع .
(٩٣٧) المَغْبُوط : المستحق لتطلّع النفوس إليه ، والرغبة في نيل مثل نعمته .

(٩٣٨) **الرياء** : أن تعمل ليراك الناس ، وقلبك غير راغب فيه .

(٩٣٩) « **منساةٌ للإيمان** » : موضع لنسيانه ، وداعية للذهول عنه .

(٩٤٠) « **محضرةٌ للشيطان** » مكان لحضوره ، وداعٍ له .

(٩٤١) « **فانها** » أي : المباغضة « الحالقة » أي الماحية لكلِّ خير وبركة .

(٩٤٢) **استشعر** : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من اللباس ، وتجلبَبَ : لَبِسَ الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، وقد سبق تفسيرها .

(٩٤٣) **زَهَرَ مصباحُ الهدى**: تلألأ وأضاءَ .

(٩٤٤) **القِرَى** ـ بالكسر ـ ما يُهيّأ للضيف ، وهو هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل .

(٩٤٥) **النَّهَلُ** : أول الشرب ، والمراد : أخذ حظاً لا يحتاج معه إلى العمل ، وهو الشرب الثاني .

(٩٤٦) **الجَدَد** ـ بالتحريك ـ : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ، ومثلها يسهل السيرُ فيه .

(٩٤٧) **الغِمار** : جمع غَمْر ـ بالفتح ـ وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(٩٤٨) **عشَوَات** : جمع عشوة ـ بالحركات الثلاث ـ وهي الأمر الملتبس .

(٩٤٩) **الفَلَوَات** : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(٩٥٠) **أمّها** : قصَدَها .

(٩٥١) «**مظنّة**» أي : موضع ظنّ لوجود الفائدة .

(٩٥٢) « **أمكَنَهُ من زِمامه** » : تمثيل لانقياده إلى أحكامه ، كأنه مطية ، والكتاب يقوده إلى حيث شاء .

(٩٥٣) **ثَقَلُ المسافر** ـ محرّكةً ـ : متاعه وحَشَمه ، وثَقَلُ الكتاب : ما يحمل من أوامرَ ونَوَاه .

(٩٥٤) « **عَطَفَ الحقَّ** » حملَ الحقَّ على رغباته ، أي : لا يعرف حقاً إلا إياها .

(٩٥٥) **تُؤفَكون** : تُقْلبون وتُصرفون ـ بالبناء للمجهول .

(٩٥٦) **الأعلام** : الدلائل على الحق من معجزات ونحوها .

(٩٥٧) **المنار** : جمع منارة .

(٩٥٨) **يُتاه بكم** : من التيه بمعنى الضلال والحَيْرة .

(٩٥٩) **تعْمَهون** : تتحيّرون .

(٩٦٠) **عِتْرَة الرّجل** : نَسْلُه ورَهْطُه .

(٩٦١) « **رِدُوهم وُرُودَ الهيم العِطاش**» : أي : هلُمّوا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم ـ أي الإبل العطشى ـ إلى الماء .

(٩٦٢) **الثَّقَل** هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي (ص) قال : « تركت فيكم الثَّقَلَيْن : كتاب الله ، وعترتي » أي النفيسين.

(٩٦٣) **فَرَشْتُكُمْ** : بَسَطْتُ لكم .

(٩٦٤) **مقصورة عليهم** : مسخّرة لهم ، كأنهم شدّوها بعقال كالناقة .

(٩٦٥) « **تمنحهم درّها** » : أي لبنها .

(٩٦٦) **مَجّة** ـ بفتح الميم ـ مصدر مرة من «مجّ الشراب من فيه» إذا رَمى بِهِ.
(٩٦٧) **يقصم**: يهلك، وحدّ القصم الكسر.
(٩٦٨) **جَبرَ العظمَ**: طيّبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً.
(٩٦٩) **الأزْل** ـ بفتح الهمزة وسكون الزاي ـ الشدّة.
(٩٧٠) **العَتْب** ـ بسكون التاء ـ يريد منه عتب الزمان، مصدر «عتب عليه» إذا وَجِد عليه.
(٩٧١) **ولا يَعِفّون** ـ بكسر العين وتشديد الفاء ـ من «عَفَفْتُ عن الشيء» إذا كففت عنه، أي: يستحسنون ما بدا لهم استحسانه، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع إلى دليل بيّن، أو شريعة واضحة، يثق كُل منهم بخواطر نفسه، كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص.
(٩٧٢) **الفَتْرة**: ما بين زماني الرسالة.
(٩٧٣) «**اعتزام**» من قولهم «اعتزم الفرس» إذا مرّ جامحاً.
(٩٧٤) «**تَلَظّ**»: أي تَلَهّب.
(٩٧٥) **اغْوِرارُ الماء**: ذهابه.
(٩٧٦) «**متجهّمة**» من «تجهمه» أي: استقبله بوجه كريه.
(٩٧٧) «**ثَمَرُها الفتنة**» أي: ليست لها نتيجة سوى الفتن.
(٩٧٨) **الجيفة**: إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار.
(٩٧٩) **الشّعار من الثياب**: ما يلي البدن.
(٩٨٠) **الدّثار**: فوق الشّعار.
(٩٨١) «**مُرْتَهَنُون**» أي: محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل والضعف.
(٩٨٢) **الأحقاب**: جمع حُقُب ـ بالضم وبضمتين ـ قيل: ثمانون سنة، وقيل أكثر، وقيل: هو الدهر.
(٩٨٣) «**أصْفيتم**» أي: خُصصتم، مبني للمجهول.
(٩٨٤) **الخِطام** ـ ككتاب ـ: ما جُعل في أنف البعير لينقاد به، وجولان الخطام: حركته وعدم استقراره، لأنه غير مشدود.
(٩٨٥) **بِطان البعير**: حزامٌ يُجْعَلُ تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.
(٩٨٦) **رَوِيّة**: فكر، وإمعان نظر، وأصلها الهمز، لقولك: رَأوْت في الأمر.
(٩٨٧) **الإرتاج**: جمع رَتَج ـ بالتحريك ـ وهو الباب العظيم.
(٩٨٨) **الداجي**: المظلم.
(٩٨٩) **الساجي**: الساكن.
(٩٩٠) **الفِجاج**: جمع فَجّ، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
(٩٩١) **المِهاد** ـ بزنة كتاب ـ: الفراش.
(٩٩٢) **الخلق**: بمعنى المخلوق «ذو اعتماد» أي: بطش وتصرف بقصد وإرادة.
(٩٩٣) **مُبْتَدِع الخلق**: منشئه من العدم المحض.
(٩٩٤) **وارِثُه**: الباقي بعده.
(٩٩٥) **دائبان**: تثنية دائب، وهو المُجِدّ المجتهد، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان.

(٩٩٦) **خائنة الأعين** : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل .

(٩٩٧) **النقمة** : الغضب ، ويجوز نَقِمَة ونِقْمَة على وزن كلِمَة وكِلْمَة.

(٩٩٨) **عَازَّه** ـ بالتشديد ـ رامَ مشاركته في شيء من عزته ؛ غالبه .

(٩٩٩) **شاقَّة** : نازَعَه .

(١٠٠٠) **نَاوَأَه** : خالفه وهي مهموزة ، إلا أنها سُهِلَت لتشاكل « عاداه » .

(١٠٠١) « **مَنْ أقْرَضَهُ قضاه** » : جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين إظهاراً لتحقق الجزاء على العمل ، قال تعالى : « مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفَهُ له أضعافاً كثيرة » .

(١٠٠٢) **العُنْف** ـ بضم فسكون ـ : ضد الرفق ؛ ويقال : عَنُفَ عليه ، وَعَنُفَ به ـ من باب كرم فيهما ـ وأصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل ، وجمعه عُنُف . والسياق هنا مصدر ساق يسوق .

(١٠٠٣) « **مَنْ لم يُعَنْ على نفسه** » ـ مبني للمجهول ـ أي : من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره .

(١٠٠٤) **الأشباح** : الأشخاص . والمراد بهم ها هنا الملائكة .

(١٠٠٥) **يَفِرُهُ المنعُ** : يزيد في ماله . وهو من وَفَرَ وُفُوراً .

(١٠٠٦) **يُكْدِيه**: يُفْقِره ويُنْفِدُ خزائنه.

(١٠٠٧) **أناسيّ** : جمع إنسان ، وإنسان البصر : هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها .

(١٠٠٨) **تَنَفّس المعادن** : كناية عن انفلاقها عن الجواهر .

(١٠٠٩) **ضحك الأصداف** : كناية عن انفتاحها عن الدرّ وتشققها .

(١٠١٠) **الفِلِزّ** ـ بكسر الفاء واللام ـ : الجوهر النفيس ، واللُّجَيْن : الفضة الخالصة ، والعِقْيان : ذهب ينمو في معدنه .

(١٠١١) **نُثَارة الدرّ** ـ بالضم ـ : مَنْثُورُه .

(١٠١٢) **حَصِيد المَرْجان** : محصوده ، يشير إلى أن المرجان نبات .

(١٠١٣) **أنفده** : بمعنى أفناه ، ونَفِدَ ـ كفرح ـ أي فَنِيَ .

(١٠١٤) **يَغِيض** ـ بفتح حرف المضارعة ـ من « غاض » المتعدي يقال : غاض الماءُ لازماً ، وغاضه الله متعدياً . ويقال : أغاضه أيضاً ، وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده .

(١٠١٥) **يُبْخِلُهُ** ـ بالتخفيف ـ من « أبخلت فلاناً » وَجَدْتُه بخيلاً .

(١٠١٦) « **ائْتَمّ به** » أي : اتبعه فصفْه كما وصفه اقتداء به .

(١٠١٧) **كِلْ علمه** : فَوِّضْ علمه .

(١٠١٨) **السُّدَد** : جمع سدة، وهي الرتاج.

(١٠١٩) **ارتَمَتِ الأوهام** : ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها .

(١٠٢٠) **مُنْقَطَعَ الشيء** : ما اليه ينتهي .

(١٠٢١) **المبرَأ** : المجرد .

(١٠٢٢) تَوَلَّهَتِ القلوب اليه : اشتد عشقها حتى أصابها الوَلَهُ — وهو الحَيْرة — وقوي ميلها لمعرفة كنهه .

(١٠٢٣) غمضت : خفيت طرق الفكر ودقت ، وبلغت في الخفاء والدقة حداً لا يبلغه الوصف .

(١٠٢٤) رَدَعَها : رَدَّها .

(١٠٢٥) المَهَاوي : المَهَالِك .

(١٠٢٦) السَّدَف - بضم ففتح - جمع سدفة ، وهي القطعة من الليل المظلم .

(١٠٢٧) جُبِهَتْ - بالبناء للمجهول - ضُرِبَتْ جَبْهَتُها : والمراد عادت خائبة .

(١٠٢٨) الجَوْر : العدول عن الطريق ، والاعتساف : السلوك على غير جادَّة .

(١٠٢٩) الرَّوِيّات : جمع رَوِيَّة ، وهي الفكر .

(١٠٣٠) ابتدعَ الخلقَ : أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق .

(١٠٣١) امتَثَلَهُ : حاذاه وحاكاه .

(١٠٣٢) « لا مقدار سابق احتذَى عليه » : قاس وطبق عليه .

(١٠٣٣) المِسَاك - بكسر الميم - ما يمسك الشيء كالمِلاك ما به يملك .

(١٠٣٤) الحِقاق : جمع حُقَّة - بضم الحاء - وهو رأس العظم عند المَفْصِل .

(١٠٣٥) احتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد .

(١٠٣٦) العادلون بك : الذين عدلوا بك غيرك ، أي سوّوه بك وشبّهوك به .

(١٠٣٧) نَحَلُوكَ : أعطَوْك ، وحِلْيَة المخلوقين : صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها .

(١٠٣٨) قَدَّرُوك : قاسوك .

(١٠٣٩) مُكَيَّفاً : ذا كيفية مخصوصة .

(١٠٤٠) « مُصَرَّفاً » أي تُصَرِّفُكَ العقولُ بأفهامها في حدودك .

(١٠٤١) استَصْعَبَ الركوبُ : لم يَنْقَدْ في السير لراكبه .

(١٠٤٢) غريزة : طبيعة ومزاج ، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل ، بل هو انفعال بما له بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .

(١٠٤٣) أفادها : استفادها .

(١٠٤٤) الرَّيْث : التثاقل عن الأمر .

(١٠٤٥) الأناة : تُؤدَة يمازجها رَوِيَّة في اختيار العمل وتركه ، والمتلكىء : المتعلل .

(١٠٤٦) أودها : اعوجاجها .

(١٠٤٧) نَهَجَ : عَيَّنَ ورَسَم .

(١٠٤٨) قرائنها : جمع قرينة ، وهي النفس أي وصل حبال النفوس - وهي من عالم النور - بالأبدان ، وهي من عالم الظلمة .

(١٠٤٩) الغرائز : الطبائع .

(١٠٥٠) بَدَايَا : جمع بَدِيء ، أي مصنوع .

(١٠٥١) رَهَوَات : جمع رَهْوَة ، أي المكان المرتفع . ويقال للمنخفض

أيضاً ، فهو من الأضداد . الفُرَج : جمع فُرْجَة - بضم فسكون - وهي المكان الخالي .

(١٠٥٢) **لاحَمَ** ، أي : ألصقَ ، والصّدوع جمع صَدْع ، وهو الشّق ، أي ما كان في الجِرْم الواحد منها من صَدْع لَحَمَهُ سبحانه، وأصلحه فسوّاه .

(١٠٥٣) « **وَشّجَ** » - بالتضعيف - أي شبّك ، من « وَشّجَ مَحْمِلَهُ » إذا شبّكه بالأربطة حتّى لا يسقط منه شيء . وأزواجها : أمثالها وقرائنها من الأجرام الأخرى .

(١٠٥٤) يريد بالهابطين والصاعدين الأرواح السّفْليّة والعُلْويّة .

(١٠٥٥) **الحزُونة** : الصّعوبة .

(١٠٥٦) **الأشْراج**: جمع شرَج - بالتحريك - وهي العُرْوة ، وهي مقبض الكُوز والدّلْو وغيرهما ، وتسمى مَجَرّة السماء شرَجاً ، تشبيهاً بشرَج العَيْبَة ، وأشار بإضافة العُرَى للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها عُرْوة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به ، فكلٌّ ماسك وكلٌّ ممسوك : فكلٌّ عُرْوة وله عُرْوة .

(١٠٥٧) **صوَامِتُ** : أي لا فراغ فيها .

(١٠٥٨) **الرّصَد** : الحرَس .

(١٠٥٩) **الشُّهُب الثواقب**: النجوم الشديدة الضياء .

(١٠٦٠) **النِّقاب**: جمع نقب، وهو الخرق.

(١٠٦١) « **تمُور** » تضطرب في الهواء .

(١٠٦٢) « **بأيْدِه** » : بقوته .

(١٠٦٣) «**مُبْصِرَةً**» أي : جعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئةً يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً .

(١٠٦٤) **مَمْحُوّة** : يمحى ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر ، وفي جميع الليل أياماً منه .

(١٠٦٥) **مناقِل مَجْراها** : الأوضاع التي ينقلان فيها من مَدَارَيْهما .

(١٠٦٦) **فَلَكَها**: هو الجسم الذي ارتكزت فيه ، وأحاط بها ، وفيه مَدارها.

(١٠٦٧) « **نَاطَ بها** » : علّقَ بها وأحاطها.

(١٠٦٨) **دَرَارِيّها** : كواكبها وأقمارها .

(١٠٦٩) **أذْلال** - على وزن أقفال - جمع ذِلّ بالكسر ، وهو مَحَجّة الطريق.

(١٠٧٠) **الصّفيح** : السماء .

(١٠٧١) **الأجْواء** : جمع جوّ .

(١٠٧٢) **الزّجَل** : رفع الصوت .

(١٠٧٣) **الحَظَائر** : جمع حَظِيرة ، وهي الموضع يحاط عليه لتأوي اليه الغنم والإبل توقيّاً من البرد والريح ، وهو مجاز ها هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة .

(١٠٧٤) **القُدُس** : بضمّتين أو بضم فسكون : الطهر .

(١٠٧٥) **السُّتُرات** : جمع سُتْرة ، وهي ما يُسْتَتَرُ به .

(١٠٧٦) **السُّرَادِقَات**: جمع سُرَادِق، وهو ما يُمَدّ على صحن البيت فيغطيه.
(١٠٧٧) **الرَّجِيج**: الزلزلة والاضطراب.
(١٠٧٨) «**تَسْتَكُّ منه**»: تصمّ منه الآذان لشدته.
(١٠٧٩) «**سُبُحات نور**»: طبقات نور، وأصل السُّبُحات الأنوار نفسها.
(١٠٨٠) **خاسئة**: مدفوعة مطرودة عن الترامي اليها.
(١٠٨١) **الإِخْبات**: الخضوع، والخشوع.
(١٠٨٢) **ذُلُل**: جمع ذَلُول: خلاف الصَّعْب.
(١٠٨٣) **مَناراً**: جمع مَنَارة.
(١٠٨٤) **الأعْلام**: ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض والكلام تمثيل لما أثار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده.
(١٠٨٥) **مُوصِرات الآثام**: مُثْقِلاتها
(١٠٨٦) **ارْتَحَلَهُ**: وضع عليه الرَّحْلَ. ليركبه.
(١٠٨٧) **العُقَب**: جمع عقبة وهي النَّوْبة.
(١٠٨٨) **النَّوازِع**: جمع نازعة وهي النجم.
(١٠٨٩) **مَعَاقِد**: جمع مَعْقِد: مَحَلّ العَقْد، بمعنى الاعتقاد.
(١٠٩٠) **الإِحَن**: جمع إِحْنة، وهي الحقد والضغينة.
(١٠٩١) **لاقَ**: لَصِقَ.
(١٠٩٢) **تَقْتَرِع** - بالقاف المثناة - من الاقتراع بمعنى ضرب القُرْعة.
(١٠٩٣) **الرَّيْن** - بفتح الراء - الدَّنَس، وما يُطْبَعُ على القلب من حُجُب الجهالة.
(١٠٩٤) **الدُّلَّح**: بضم الدال، جمع دَالِح، وهو: الثقيل بالماء من السحاب.
(١٠٩٥) **القَتْرة هنا**: الخفاء والبطون، ومنها قالوا: أخذه على قَتْرَةٍ، أي من حيث لا يدري.
(١٠٩٦) **الأَيْهم** - بالياء المثناة - الذي لا يهتدى فيه. ومنه «فلاة يَهْماء».
(١٠٩٧) **مَخَارِق** جمع مَخْرِق: أي موضع الخَرْق.
(١٠٩٨) **ريح هَفَّافة**: طيِّبة ساكنة.
(١٠٩٩) **استفرغتهم**: جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها.
(١١٠٠) **الوَلَه**: شدة الشوق.
(١١٠١) **الرَّوِيّة**: التي تروي وتطفىء العطش.
(١١٠٢) **السُّوَيْداء**: حبّة القلب ومحلّ الروح الحيواني منه.
(١١٠٣) **الوَشِيجة**: أصلها عِرْقُ الشجرة أراد منها هاهنا بواعث الخوف من الله.
(١١٠٤) **لم يُنْفِدْ**: لم يُغْنِ.
(١١٠٥) **رِبَق**: جمع رِبْقة - بالكسر، والفتح - وهي: العُرْوة من عُرَى الرِّبْق - بكسر الراء -: وهو حبل فيه عدة عُرًى تُرْبَطُ فيه البُهْم.
(١١٠٦) **الاستكانة**: ميل للسكون من شدة الخوف، ثم استعملت في الخضوع.

(١١٠٧) **الدَّؤُوب** : من دَأَبَ في العمل: بالغ في مداومته حتى أجهده.
(١١٠٨) **لم تَغِضْ** : لم تنقص .
(١١٠٩) **أسَلَةَ اللسان** : طرفه .
(١١١٠) **الهمس** : الخفي من الصوت ، والجُؤار : رفع الصوت بالتضرع .
(١١١١) **المَقَاوِم** : جمع مَقام ، والمراد الصفوف .
(١١١٢) **لا تَعْدُ وعلى عزيمة**: لا تسطو عليها.
(١١١٣) **انْتَضَلَتِ الإبل** : رمت بأيديها في السير مسرعة . وخدائع الشهوات للنفس ما تزيِّنه لها ، أي : لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً في هممهم.
(١١١٤) **فاقَتهم** : حاجتهم .
(١١١٥) **يَمَّمُوه** : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطع الخَلْق سواهم إلى المخلوقين .
(١١١٦) **الاستهتار** : التولّع .
(١١١٧) **مواد** : جمع مادّة ، أصلها من « مدّ البحر » إذا زاد ، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادّة .
(١١١٨) **الشفقة** هنا : الخوف .
(١١١٩) **يَنُوا** : من وَنَى يَنِي إذا تأنّى .
(١١٢٠) **وشيك السعي** : مقاربه وهيّنه .
(١١٢١) **الشفقات** : تارات الخوف وأطواره والوجل : الخوف أيضاً .
(١١٢٢) **تشعبتهم** : فرقتهم صروف الريب: جمع ريبة . وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .
(١١٢٣) **الأخْياف**: جمع خَيْف - بالفتح- وهو في الأصل: ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم .
(١١٢٤) **الونَى** : مصدر وني - كتعب - أي : تأنى .
(١١٢٥) **الإهاب** : جلد الحيوان .
(١١٢٦) **حافد** : خفيف ، سريع .
(١١٢٧) **كبس النهرَ والبئرَ** ، أي : طمهما بالتراب . وعلى هذا كان حق التعبير « كبس بها مور أمواج ». لكنه أقام الآلة مُقام المفعول لأنها المقصود بالعمل .
(١١٢٨) **المور** : التحرك الشديد .
(١١٢٩) **المستفحلة** : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .
(١١٣٠) **زاخرة** : ممتلئة .
(١١٣١) **أواذيّ**: جمع آذي: وهو أعلى الموج.
(١١٣٢) **اصطفقت الأشجار** : اهتزت بالريح ، والأثباج : جمع ثبج - بالتحريك - وهو في الأصل ما بين الكاهل والظهر ، استعارة لأعالي الموج، التي يقذف بعضها بعضاً.
(١١٣٣) **الكَلْكَل** : في الأصل الصدر ، استعارة لما لاقى الماء من الأرض .
(١١٣٤) **مستخذياً** : منكسراً ، مسترخياً .
(١١٣٥) من « تَمَعَّكَتَ الدابة » : **تمرغت** في التراب .
(١١٣٦) **اصطخاب** : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

(١١٣٧) **ساجياً** : ساكناً .
(١١٣٨) **الحَكَمَة** - محركة - ما أحاط بِحَنَكَيِ الفرس من لجامه ، وفيها العِذَاران .
(١١٣٩) **مَدْحُوَّة** : مبسوطة .
(١١٤٠) **البَأْوُ** : الكبر ، والزهو .
(١١٤١) **الغُلَوَاء** - بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد .
(١١٤٢) **كَعَمَ البعيرَ** - كمنع - شدّ فاه لئلا يعضّ أو يأكل ، وما يشد به كِعَام - ككتاب .
(١١٤٣) **الكِظَّة** - بالكسر - ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ، ويراد بها هنا ما يشاهد في جَرْيِ الماء من ثقل الاندفاع .
(١١٤٤) **النَّزَق والنَّزَقان** : الخفة والطيش . والنزقات : الدفعات منه .
(١١٤٥) **لَبَدَ** : قام ووثب .
(١١٤٦) **الزَّيَفَان** : التبختر في المشية .
(١١٤٧) **أكنافها** : نواحيها .
(١١٤٨) **البُذَّخ** : بمعنى الشُّمَّخ ، جمع شامخ وباذخ ، أي : عالٍ ورفيع .
(١١٤٩) **عَرانين** : جمع عِرْنِين - بالكسر وهو ما صلب من عظم الأنف ، والمراد أعالي الجبال .
(١١٥٠) **السُّهوب** : جمع سَهْب - بالفتح - أي : الفلاة .
(١١٥١) **البِيد** : جمع بَيْداء ، وهي الأرض الفلاة .
(١١٥٢) **الأخاديد** : جمع أخدود ، وهي الحُفَر المستطيلة في الأرض ، والمراد منها مجاري الأنهار .
(١١٥٣) **الجلاميد** : جمع جُلْمود ، وهو الحجر الصَّلْد .
(١١٥٤) **الشَّناخيب** : جمع شُنْخُوب ، وهو رأس الجبل ؛ والشُّمّ : الرفيعة .
(١١٥٥) **صَياخيدها** : جمع صَيْخُود ، وهو الصخرة الشديدة .
(١١٥٦) **المَيَدان** - بالتحريك : الاضطراب .
(١١٥٧) **أديمها** : سطحها .
(١١٥٨) **التغلغل** : المبالغة في الدخول .
(١١٥٩) « **مُتَسَرِّبة** » أي : داخلة .
(١١٦٠) **الجَوْبات** : جمع جَوْبة ، بمعنى الحفرة ، والخياشيم : جمع خَيْشوم ، وهو منفذ الأنف إلى الرأس .
(١١٦١) **ركوب الجبال أعناقَ السهول** : استعلاؤها عليها ، وأعناقها : سطوحها .
(١١٦٢) **جراثيمها** : المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية .
(١١٦٣) **مرافق البيت** : ما يستعان به فيه ، وما يحتاج إليه في التعيش .
(١١٦٤) **الأرض الجُرُز** - بضمتين - التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .
(١١٦٥) **روابيها** : مرتفعاتها .
(١١٦٦) **ذريعة** : وسيلة .
(١١٦٧) **المَوات من الأرض** : ما لا يزرع .

(١١٦٨) **لُمَع** : جمع لُمْعة ـ بضم اللام ـ وهي في الأصل القطعة من النبات مالت لليبس ، استعارها لقطع السحاب للمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال ، لولا تأليف الله لها مع غيرها .

(١١٦٩) **القَزَع** : جمع قَزَعة ـ محركة ـ وهي : القطعة من الغيم .

(١١٧٠) **تمخّضت** : تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في السّقاء بالمَخْض.

(١١٧١) جمع كُفَّة ـ بضم الكاف ـ : وهي الحاشية والطرف لكل شيء ، أي : جوانبه .

(١١٧٢) **نامت النار** : هَمَدت ، والوَميض اللمعان .

(١١٧٣) **الكَنَهْوَر** ـ كسفَرْجل ـ : القطع العظيمة من السحاب ، أو المتراكم منه . والرّباب ـ كسَحاب ـ الأبيض المتلاصق منه . أي : لم يهمد لمعان البرق في رُكام هذا الغمام .

(١١٧٤) **سَحّاً** : متلاحقاً متواصلاً .

(١١٧٥) **أسَفّ الطائر** : دنا من الأرض ، والهَيْدَب ـ كجعفر ـ : السّحاب المتدلي ، أو ذَيْلُهُ .

(١١٧٦) « **تَمْريه** » من « مَرَى الناقة » أي : مسح على ضَرْعها ليحلب لبنها .

(١١٧٧) **الدِّرَر** ـ كَعِلَل ـ جمع دِرّة ـ بالكسر ـ وهي اللبن .

(١١٧٨) **الأهاضيب** : جمع أهْضاب ، وهو جمع هَضْبَة ـ كضربة ـ وهي : المطرة .

(١١٧٩) **شآبيب** ـ جمع شُؤْبُوب : وهو ما ينزل من المطر بشدة ، وكأنما ينصبّ من جانب لا من أعلى .

(١١٨٠) **البَرْك** ـ بالفتح ـ في الأصل : ما يلي الأرضَ من جلد صدر البعير كالبَرْكة . وبِوَانَيْها : تثنية بِوَان ـ على وزن فِعال بكسر الفاء : وهو عَمُود الخيمة ، والجمع بُون ـ بالضم .

(١١٨١) « **وبعَاع** » عطف على « بَرْك » والبَعَاع ـ بالفتح ـ : ثقل السحاب من الماء ، وألقى السحابُ بَعَاعَهُ : أمطر كلّ ما فيه .

(١١٨٢) **العِبْءُ** : الحِمْل .

(١١٨٣) **الهوامد من الأرض** : ما لم يكن بها نبات.

(١١٨٤) **زُعْر** ـ بالضم ـ جمع أزْعر ، وهو الموضع القليل النبات .والأنثى زَعْراء.

(١١٨٥) **بَهِجَ** ـ كنع ـ : سَرّ وأفرح .

(١١٨٦) **تَزْدَهي** : تعجب .

(١١٨٧) **رَيْط** : جمع رَيْطة ـ بالفتح ـ وهي كل ثوب رقيق ليّن .

(١١٨٨) **أزاهير** : جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات .

(١١٨٩) « **سُمِطَ** » من « سَمَطَ الشيءَ » أي : علّق عليه السُمُوطَ ، وهي الخيوط تنظم فيها القِلادة .

(١١٩٠) **الأنوار** : جمع نَوْر - بفتح النون - وهو الزهر بالمعنى المعروف .

(١١٩١) **البلاغ** : ما يُتَبَلَّغُ به من القُوت .

(١١٩٢) **جِبِلَّته** : خِلْقَته .

(١١٩٣) **المقطع** : النهاية التي ليس وراءها غاية .

(١١٩٤) **العَقَابيل** : الشدائد ، جمع عُقْبُولة - بضم العين - وأصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار المرض ، والفاقة : الفقر .

(١١٩٥) **الفُرَج** : جمع فُرْجة ، وهي التَّفَصِّي من الهم .

(١١٩٦) **أتراح** : جمع تَرَح - بالتحريك - وهو : الغم والهلاك .

(١١٩٧) **أسبابها** : حبالها .

(١١٩٨) **خالجاً** : جاذباً لأشطانها جمع شَطَن - كسبب - وهو : الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة .

(١١٩٩) **المرائر** : جمع مَرِيرَة ، وهو الحبل يُفْتَلُ على أكثر من طاق ، أو الشديد الفَتْل ، والأقران : جمع قَرَن - بالتحريك - وهو الحبل يُجْمَعُ به بعيران .

(١٢٠٠) **التَّخَافُت** : المكالمةُ السِّرِّيَّة .

(١٢٠١) **رَجْم الظنون** : ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان .

(١٢٠٢) **العُقَد** : جمع عُقْدة ، وهو ما يرتبط القلب بتصديقه ، لا يصدق نقيضه ، ولا يتوهمه ، والعَزِيمات : جمع عَزِيمة ؛ وهو ما يوجب البرهانُ الشرعيّ أو العقليّ تصديقَه والعملَ به .

(١٢٠٣) **مَسَارِق** : جمع مَسْرِق : مكان مُسَارَقَةِ النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق فلاناً النظرَ » أي : ينتظر منه غفلةً فينظر إليه ، والإيماض : اللمعان ، وهو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون .

(١٢٠٤) **ضَمِنَتْه** : حَوَتْه ، والأكنان : جمع كِنّ - بالكسر - وهو كل ما يستتر فيه .

(١٢٠٥) **غَيَابات الغُيُوب** : أعماقها .

(١٢٠٦) **استِرَاق الكلام** : استماعه خُفْيَةً .

(١٢٠٧) **المَصَائخ** : جمع مَصَاخ ، وهو مكان الإصاخة ، وهو ثقبة الأذُن .

(١٢٠٨) **الذَّرّ** : صغار النمل ، ومصائفها : محل إقامتها في الصيف .

(١٢٠٩) **مَشَاتيها** : محل إقامتها في الشتاء .

(١٢١٠) **رَجْع الحنين** : ترديده .

(١٢١١) **المُولَهات** : الحزينات .

(١٢١٢) **الهمس** : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .

(١٢١٣) **مُنْفَسَح الثمرة** : مكان نمائها .

(١٢١٤) **الولائج** : جمع وَلِيجة ، بمعنى البطانة الداخلية .

(١٢١٥) **الغُلُف** : جمع غِلاف ، والأكمام جمع كِمّ - بالكسر - وهو غطاء النَّوار ووِعاء الطَّلْع .

(١٢١٦) **مُنْقَمَع الوحوش** : موضع انقماعها - أي : اختفائها .
(١٢١٧) **الغِيران** : جمع غار .
(١٢١٨) **سُوق** : جمع ساق ، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها .
(١٢١٩) **الألْحِيَة** : جمع لحاء ، وهو قشر الشجرة .
(١٢٢٠) **الأفنان** : الغصون .
(١٢٢١) **الأمْشاج** : النّطَف ، جمع مَشِيج - مثل يتيم وأيتام - وأصله مأخوذ من « مَشَجَ » إذا خلط ، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة ، كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن .
(١٢٢٢) **مَسارب الأصلاب** : جمع مَسْرَب ، وهي : ما يتسرب المنيّ فيها عند نزوله أو عند تكوّنه .
(١٢٢٣) **سَفَتِ الرّيح التراب** : ذَرَتْهُ أو حملته .
(١٢٢٤) **الأعاصير** : جمع إعصار ، وهي : ريح تثير السحابَ أو تقوم على الأرض كالعمود .
(١٢٢٥) **تعفو** : تمحو .
(١٢٢٦) **الكُثْبان** : جمع كَثِيب ، وهو التلّ .
(١٢٢٧) **الذّرَا** : جمع ذُرْوَة ، وهي أعلى الشيء .
(١٢٢٨) **الشّناخيب** : رؤوس الجبال ، واحدها شُنْخُوب أو شُنْخُوبة كعصفور وعصفورة .
(١٢٢٩) **الدّيَاجير** : جمع دَيْجُور ، وهو الظلمة .
(١٢٣٠) **أوْعَبَتْهُ** : جمعته .
(١٢٣١) **حَضَنَتْ عليه** : رَبّتْه فتولّد في حِضْنها ، كالعنبر ونحوه .
(١٢٣٢) **سُدْفَة** : ظلمة .
(١٢٣٣) **ذَرّ** : طَلَع .
(١٢٣٤) **اعْتَقَبَتْ** : تعاقَبَتْ وتوالتْ .
(١٢٣٥) **الأطْبَاق** : الأغطية ، والدّياجير : الظلمات .
(١٢٣٦) **سُبُحات النور** : درجاته وأطواره .
(١٢٣٧) **هَماهِم** : هُمُوم ، مجاز من الهَمْهَمَة ، وهي : ترديد الصوت في الصدر من الهم .
(١٢٣٨) **قرارتها** : مقرّها .
(١٢٣٩) **نُقاعة الدم** : ما ينقع منه في أجزاء البدن .
(١٢٤٠) **العارضة** : هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .
(١٢٤١) **اعتورتْهُ** : تَدَاوَلَتْهُ وتناولته .
(١٢٤٢) **مَثُوبة** : ثواب وجزاء .
(١٢٤٣) **الخَلّة** - بالفتح - : الفقر .
(١٢٤٤) **المنّ** : الإحسان .
(١٢٤٥) **لا تثبت عليه العقول** : لا تصبر له ولا تُطيق احتماله .
(١٢٤٦) **أغامَتْ** : غُطّيَتْ بالغيم .
(١٢٤٧) **المَحَجّة** : الطريق المستقيمة .
(١٢٤٨) **تنكّرت** : تغيرت .
(١٢٤٩) **فَقَأتها** : قَلَعْتُها ، تمثيل لتغلّبه عليها .

(١٢٥٠) **الغَيْهَب** : الظلمة . وموجها : شمولها وامتدادها .
(١٢٥١) **الكَلَبَ** - محركة - : داء معروف يصيب الكلاب ، فكل من عضته أصيب به فجُن ومات إن لم يُبادَر بالدواء .
(١٢٥٢) **ناعِقُها** : الداعي اليها ، من نَعَقَ بغنمه صاح بها لتجتمع .
(١٢٥٣) **المُناخ** - بضم الميم - محلّ البرُوك
(١٢٥٤) **الكَرَائِهُ** : جمع كَرِيهة .
(١٢٥٥) **الحَوَازِب** : جمع حَازِب ، وهو : الأمر الشديد ، حَزَبَهُ الأمرُ إذا أصابه واشتدّ عليه .
(١٢٥٦) **قلّصت** - بتشديد اللام - تمادَتْ واستمرت .
(١٢٥٧) **شَبَهت**: اشتبه فيها الحق بالباطل.
(١٢٥٨) **الخُطّة** - بالضم - : الأمر « وعمت خُطتها » : أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة .
(١٢٥٩) **النّاب**: الناقة المُسِنّة . والضَرُوس السيئة الخُلُق تعَضّ حالبها .
(١٢٦٠) **تَعْذِمُ** : من عَذَمَ الفرسُ : إذا أكل بجفاء أو عَضّ .
(١٢٦١) **تَزْبِنُ** : تضرب .
(١٢٦٢) **دَرّها** : لبنها ، والمراد خيرها .
(١٢٦٣) **شَوْهاء** : قبيحة المنظر .
(١٢٦٤) **مَخْشِيّة** : مَخُوفة مرعبة .
(١٢٦٥) **عَلَم** : دليل يهتدى به .
(١٢٦٦) **الأديم** : الجلد ، وتفريجه : سلخه.
(١٢٦٧) **يَسومُهم خَسْفاً** : يُوليهم ذُلا .
(١٢٦٨) **مُصَبّرة** : مملوءة إلى أصبارها - جمع صبر - بالضم والكسر - بمعنى الحرف : أي إلى رأسها .
(١٢٦٩) **من أحلْس البعيرَ** : إذا ألبسه الحِلْس - بكسر الحاء - وهو كساء يوضع على ظهره تحت البَرْدَعَة ، أي لا يكسوهم إلا خوفاً .
(١٢٧٠) **الجَزُور** : الناقة المَجْزُورة .
(١٢٧١) **تَنَاسَخَتْهُم** : تَنَاقَلَتْهُم .
(١٢٧٢) **مَنْبت** كمجلس : موضع النبات ينبت فيه .
(١٢٧٣) **الأرُومات**: جمع أرُومَة : الأصل.
(١٢٧٤) **المَغْرِس** : موضع الغَرْس .
(١٢٧٥) **صَدَعَ فلاناً** : قصده لكرمه .
(١٢٧٦) **انتخب** : اختار واصطفى .
(١٢٧٧) **عِتْرَته** : آل بيته ، وعترة الرجل: نَسْله ورَهْطُهُ الأدْنَوْنَ .
(١٢٧٨) **بَسَقَتْ** : ارتفعت .
(١٢٧٩) **القَصْد** : الاستقامة .
(١٢٨٠) **الفَتْرَة** : الزمان بين الرّسولَين .
(١٢٨١) **هَفْوَة** : زلّة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين .
(١٢٨٢) يريد بالأعلام البينة مَوَاضح الطرق المبينة .
(١٢٨٣) **نَهْج** : واضح ، قويم.
(١٢٨٤) **مُسْتَعْتَب** - بفتح التائين - طلب العُتْبى . أي : طلب الرضى من الله بالأعمال النافعة .

(١٢٨٥) حاطِبُون : جمع حاطِب ، وهو الذي يجمع الحطب ، يقال لمن يجمع الصواب والخطأ: حاطِبُ ليل .
(١٢٨٦) استزَلَّتْهُمْ : أدَّت إلى الزَّلَل والسقوط في المضارّ .
(١٢٨٧) استخَفَّتْهُم : طَيَّشَتْهُمْ .
(١٢٨٨) الجَهْلاَء : وصف مبالغة للجهل .
(١٢٨٩) المَمَاهد ، جمع مَمْهد كمقعد : ما يُمْهَدُ أي يُبْسَطُ فيه الفراش ونحوه .
(١٢٩٠) الأَزِمّة ، كأئمة ، جمع زِمام . وانثناء الأزمة إليه كناية عن تَحَوّلها نحوه .
(١٢٩١) الضغائن : الأحقاد .
(١٢٩٢) جمع ثائرة ، وهي : العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضرّه إن لم يقتله .
(١٢٩٣) المِرْصاد : الطريق يُرْصَدُ بها .
(١٢٩٤) الشَّجَا : ما يَعْتَرِضُ في الحلق من عظم وغيره .
(١٢٩٥) مَسَاغ الرِّيق : ممرّه من الحلق .
(١٢٩٦) شُهُود - جمع شاهد - بمعنى الحاضر . وغُيَّاب : جمع غائب .
(١٢٩٧) قالوا : إن سبأ هو أبو عَرَبِ اليمن كان له عشرة أولاد ، جعل منهم ستة يميناً له ، وأربعة شمالاً تشبيهاً لهم باليدين ، ثم تفرّق أولئك الأولاد أشدّ التفرّق .
(١٢٩٨) ظَهْر الحَنِيَّة : القَوْس .
(١٢٩٩) أَعْضَلَ : استعصى واسْتَصْعَبَ .
(١٣٠٠) إخال : أظنّ .
(١٣٠١) حَمِسَ ، كَفَرِحَ : اشتدّ والوَغَى : الحرب .
(١٣٠٢) إنفراج المرأة عن قُبُلها يكون عند الولادة أو عندما يُشْرَعُ عليها سلاح . وفيه كناية عن العَجْز والدناءة في العمل .
(١٣٠٣) اللَّقْط : أخذ الشيء من الأرض .
(١٣٠٤) السَّمْت - بالفتح - : طريقهم أو حالهم أو قصدهم .
(١٣٠٥) لَبَدَ كنصر : أقام ، أي : إن أقاموا فأقيموا .
(١٣٠٦) شُعْثاً: جمع أشْعَث: وهو المغبَرّ الرأس . والغُبْر جمع أغبر ، والمراد أنهم كانوا متقشفين .
(١٣٠٧) المُرَاوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة ، وهذا مرة ، وبين الرِّجْلين : أن يقوم على كل منهما مرة ،وبين جباههم وخدودهم أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعاً لله وسجوداً .
(١٣٠٨) رُكَب - جمع رُكْبة - : مَوْصِلُ الساقِ من الرِّجْل بالفخذ . وإنما خص رُكَبَ المِعْزَى لِيُبُوستها واضطرابها من كثْرة الحركة .
(١٣٠٩) مادُوا : اضطربوا وارتعدوا .
(١٣١٠) استحلال المحرّم : اسْتِبَاحَتُهُ .

(١٣١١) بيوت المَدَر : المبنيّة من طوب وحجر ونحوهما ، وبيوت الوَبَر : الخيام .

(١٣١٢) « نَبَا به سوء رَعْيِهم » : أصله من نَبَا به المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه .

(١٣١٣) السَّفْر - بفتح فسكون - جماعة المسافرين .

(١٣١٤) أمّوا : قصدوا .

(١٢١٥) المُجْري إلى الغاية : يريد الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجَرْي يلزمه حتى يصل إلى غايته .

(١٣١٦) يَحْدُوه : يسوقه .

(١٣١٧) نَفَاد : فناء .

(١٣١٨) مُزْدَجَر : مصدر ميمي من ازْدَجَرَ ، ومعناه الارتداع والانزجار .

(١٣١٩) « بنفسه يجود » : من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضي نحبه ، كأنه يسخو بها ويُسْلمها إلى خالقها .

(١٣٢٠) المُساوَرَة : المُواثَبَة . كأنه يرى العمل القبيح - لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية - ينفر من مُقْتَرِفه كما ينفر الوحش ، فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه .

(١٣٢١) صادِعاً : فالقاً به جدران الباطل فهادِمها .

(١٣٢٢) مَرَقَ : خرج عن الدين .

(١٣٢٣) زَهَقَ : اضمحلّ وهلك .

(١٣٢٤) مَكِيث : رَزِين في قوله ، لا يبادر به من غير رويّة .

(١٣٢٥) بطيء القيام : لا ينبعث للعمل بالطيش، وإنما يأخذ له عدة إتمامه.

(١٣٢٦) يضُمّ نَشْرَكُم: يصل متفرّقكم .

(١٣٢٧) المُقْبِل : المتوجّه إلى الأمر ، الطالب له ، الساعي اليه .

(١٣٢٨) المُدْبِر : من أدبرت حاله ، واعترضته الخيبة في عمله وإن كان لم يزَلْ طالباً له .

(١٣٢٩) قائمتاه : رِجْلاه .

(١٣٣٠) خَوَى نجم : غاب .

(١٣٣١) لا يَجْرِمَنَّكُمْ : لا يحملنّكم .

(١٣٣٢) شِقَاقِي : مخالفتي وعصياني .

(١٣٣٣) لا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ : لا يجعلنّكم هائمين .

(١٣٣٤) لا تَتَرَامَوْا بالأبصار : لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزاً .

(١٣٣٥) فَلَقَ الحَبّةَ : شقّها .

(١٣٣٦) بَرَأَ النَّسَمَةَ : خلقَ الروحَ .

(١٣٣٧) ضِلّيل : كشرّير ، شديد الضلال مبالغ في الإضلال .

(١٣٣٨) النعيق : صوت الراعي بغنمه .

(١٣٣٩) فَحَصَ بِرَاياته : من « فَحَصَ القَطَا التّرابَ » إذا اتخذ فيه أفحُوصاً - بالضم - وهو مَجْثَمُهُ - أي المكان الذي يقيم فيه عندما

يكون على الأرض ، يريد أنه نَصَبَ له رايات بحث لها في الأرض مراكز .

(١٣٤٠) **كُوفان** : هي الكوفة .

(١٣٤١) **فَغَرَ الفَمُ** : كتع ، انفتح . وفاغِرَتُهُ : هي فمه .

(١٣٤٢) **الشكِيمة** : الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدّابّة ، ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد .

(١٣٤٣) **كُلُوح الأيام** : عبوسها .

(١٣٤٤) **كُدُوح الليالي** : الكُدُوح جمع كَدْح - بالفتح - وهو الخدْش وأثر الجراحات .

(١٣٤٥) **يَنْعه** : بفتح الياء ، ويجوز ضمها : حال نُضْجه .

(١٣٤٦) **الشقاشِق** : جمع شِقْشِقة ، وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، وصوت البعير بها عند إخراجها هَدِير .

(١٣٤٧) **بَوَارِقُهُ** : سيوفه ورماحه .

(١٣٤٨) **القاصِف** : هو ما اشتدّ صوته من الرعد والريح وغيرهما .

(١٣٤٩) **العاصف** : ما اشتدّ من الريح ، والمراد مزعجات الفتن .

(١٣٥٠) « **تلتفّ القرون بالقرون** » : كناية عن الاشتباك بين قواد الفتنة وبين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النّطاح .

(١٣٥١) **يُحْصَدُ القائِمُ** : ما بقي من الصلاح قائماً يُحْصَدُ .

(١٣٥٢) **يُحْطَمُ المَحْصُودُ** : ما كان قد حُصِد يحطم ويهشم .

(١٣٥٣) **نقاش الحساب** : الاستقصاء فيه .

(١٣٥٤) **ألْجَمَهُمُ العرقُ** : سال منهم حتى بلغ إلى موضع اللّجام من الدّابة ، وهو الفم .

(١٣٥٥) **رَجَفَتْ بهم الأرض** : تحركت واضطربت .

(١٣٥٦) **قِطَع الليل** : جمع قِطْع - بكسر القاف - وهو الظلمة .

(١٣٥٧) **مَزْمُومة مَرْحُولة** : تامة الأدوات كاملة الآلات ، كالناقة التي عليها زمامها ورَحْلها ، قد استعدّت لأن تُرْكَبَ .

(١٣٥٨) **يَحْفِزُهَا** : يحثّها .

(١٣٥٩) **يَجْهَدُهَا** : يحمل عليها في السير فوق طاقتها .

(١٣٦٠) **الكَلَب** ، بفتح اللام ، الشر والأذى والشدّة في كل شيء .

(١٣٦١) **السَّلَب**: - محركة - ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب.

(١٣٦٢) **الرَّهَج** : - بالتحريك ، وسكون الهاء - الغبار .

(١٣٦٣) **الحَسّ** : بفتح الحاء : الجَلَبة والأصوات المختلطة .

(١٣٦٤) **الجوع الأغْبَر** : كناية عن المَحْل والجَدْب .

(١٣٦٥) **الصادفين** : المُعْرِضِين .

(١٣٦٦) **الثاوي** : المقيم .

(١٣٦٧) **المُتْرَف** – بفتح الراء – المتروك يصنع ما يشاء لا يُمْنَع .

(١٣٦٨) **مَشُوب** : مخلوط .

(١٣٦٩) **الجَلَد** : الصلابة والقوة .

(١٣٧٠) **الوَهْن** – بسكون الهاء وتحريكها – : الضَعْف .

(١٣٧١) **الحَرْث** هنا كل مايُصْنَع ليُثمر فائدة.

(١٣٧٢) **وَنَى فيه** : تَرَاخَى فيه .

(١٣٧٣) **نُوَمَة**: – بضم ففتح – كثير النوم.

(١٣٧٤) **السُّرَى**–كالهُدَى – السير في الليل.

(١٣٧٥) **المَسَاييح** : جمع مِسْيَاح ، فَسَّره الشريف الرضي بالذي يَسيح بين الناس بالفساد والنمائم .

(١٣٧٦) **المَذَايِيع** : جمع مِذْيَاع ،فسّره الشريف الرَضي بالذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه عنها .

(١٣٧٧) **البُذُر** : جمع بَذُور ، فسّره الشّريف الرّضي بالذي يكثر سَفَهُهُ ويَلْغُو مَنْطِقُهُ .

(١٣٧٨) **يبتليكم** : يمتحنكم ، ليتبين الكاذب والمخلص من المريب ، فتكون لله الحجّة على خلقه .

(١٣٧٩) **يَحْسِرُ الحَسِيرُ** : من « حَسَرَ البعيرُ » ـ كضَرَبَ ـ إذا أعيا وكَلَّ .

(١٣٨٠) **الكَسِير** : المكسور ، وهو هنا الذي ضعف اعتقاده أو كلَّتْ عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين.

(١٣٨١) **استدارت رَحاهم** : كناية عن وفرة أرزاقهم ، فإن الرَّحَى إنما تدور على ما تطحنه من الحَبّ . والرَّحَى :رحى الحرب يطحنون بها.

(١٣٨٢) **القَناة** : الرمح . واستقامتها كناية عن صحة الأحوال وصلاحها .

(١٣٨٣) « **لأبقُرَنَّ الباطلَ** » : من البَقْر – وهو الشق – والمراد : لأشُقَّن جَوْفَ الباطل بقهر أهله ،فأنتزع الحق من أيدي المبطلين .

(١٣٨٤) **الشِّيمة** : الخُلُق .

(١٣٨٥) **الدِّيمة** – بكسر الدال – المطر ، يدوم في سكون . والمُسْتَمْطَر ـ بفتح الطاء ـ من يُطْلَبُ منه المطر.

(١٣٨٦) **الأخْلاف**: جمع خِلْف – بكسر الخاء وسكون اللام– حلمة ضَرْع الناقة .

(١٣٨٧) **الخِطام** : ـ ككتاب ـ ما يوضع في أنف البعير لِيُقَادَ به .

(١٣٨٨) **الوَضِين** : بِطانٌ عريض منسوج من سُيور أو شَعَر يكون للرحل كالحِزام للسَّرْج .

(١٣٨٩) **السِّدْر** : بالكسر ، شجر النّبق والمَخْضود : المقطوع شَوْكُهُ.

(١٣٩٠) **شاغرة** : خالية .

(١٣٩١) **امتاحوا** : استقَوْا وانزعوا الماء لريّ عطشكم من عين صافيـة صَفَتْ من الكَدَر .

(١٣٩٢) **رُوِّقَتْ** : صُفِّيَتْ .

(١٣٩٣) «**شفا جُرُفٍ هارٍ**»: شفا الشيء حَرْفُهُ. والجُرُفُ - بضمتين - ما تجرفه السيول. والهاري - كالهائر - المتهدم أو المُشْرِف على الانهدام.

(١٣٩٤) **الرَّدَى**: الهلاك.

(١٣٩٥) **يُشْكي**: من أشكاه: إذا أزال شكواه.

(١٣٩٦) **الشَّجْو**: الحاجة.

(١٣٩٧) **السُّهْمَانُ** - بضم السين - جمع سهم: بمعنى الحظ والنصيب. وإصدار السُّهْمانِ إعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيء.

(١٣٩٨) **التَّصْوِيح**: التجفيف. وأصله: صَوَّحَ النَّبْتُ: إذا جفَّ أعلاه.

(١٣٩٩) **مُسْتَثَار**: اسم مفعول بمعنى المصدر. والاستثارة طلب الثَّوَر وهو السُّطوع والظهور.

(١٤٠٠) **عَلِقَهُ** - كَعلِمَه - تعلَّق به.

(١٤٠١) **الجُنَّة** بضم الجيم - الوقاية والصَّوْن.

(١٤٠٢) **أبْلَجُ المَنَاهِجِ**: أشد الطرق وضوحاً وأنْوَرُها.

(١٤٠٣) **الوَلائج**: جمع وَلِيجة: وهي الدخيلة والمذهب.

(١٤٠٤) **مُشْرَف**: - بفتح الراء - من اشرف، والمراد به هنا المكان ترتفع عليه فتطّلع من فوقه على شيء. ومنار الدين: دلائله من العمل الصالح.

(١٤٠٥) **الجَوَادّ**: جمع جادّة: وهي الطريق الواضح.

(١٤٠٦) **كريمِ المِضْمار**: أي إذا سُوبِق سَبَق.

(١٤٠٧) **الحَلْبَة**: خيل تجمع من كل صَوْبٍ للنصرة، والإسلام جامعها يأتي إليه الكرائم والعِتاق.

(١٤٠٨) **السُّبْقَة** - بالضم - جزاء السابقين

(١٤٠٩) **أوْرَى**: أوْقَدَ.

(١٤١٠) **القَبَس** - بالتحريك - الشُّعْلة من النار تُقْتَبَسُ من مُعْظَم النار. والقابِسُ: آخِذُ النار من النار.

(١٤١١) **الحَابِس**: من حَبَسَ نَاقَتَهُ وَعَقَلَها حَيْرَةً منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير.
وأنار له عَلَماً: أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حَيْرَته.

(١٤١٢) **بَعِيثك**: مبعوثك.

(١٤١٣) **المَقْسَم** - كمقعد ومِنْبر - النصيب والحظ.

(١٤١٤) **النُّزُل** - بضمتين - ما هُيِّىء للضيف لينزل عليه.

(١٤١٥) **السَّناء** - كسَحاب - الرفعة.

(١٤١٦) **خزايا**: جمع خَزْيان، من «خَزِيَ» إذا خجل من قبيح ارتكبه.

(١٤١٧) **ناكِبين**: عادلين عن طريق الحق.

(١٤١٨) **ناكثين**: ناقضين للعهد.

(١٤١٩) **الطَّغَام**: كَجَرَاد - أوغاد الناس.

(١٤٢٠) لهاميم : جمع لِهْمِيم ـ بكسر اللام ـ وهو السابق الجَوَاد من الخيل والناس .

(١٤٢١) اليآفيخ : جمع يأفوخ : وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدّمه مع مؤخّره .

(١٤٢٢) الوحاوح : جمع وَحْوَحة : صوت معه بُحَحٌ يصدر عن المتألم والمراد : حُرْقة الغيظ .

(١٤٢٣) الأخَرَةُ :ـ محركة ـ آخر الأمر .

(١٤٢٤) الحَسّ : ـ بفتح الحاء ـ القتل .

(١٤٢٥) الشَجْر ـ كالضرب ـ الطعن .

(١٤٢٦) الهيم ـ بكسر الهاء ـ الإبل العطاش .

(١٤٢٧) تُذَادُ : تُمْنَعُ .

(١٤٢٨) المراد « بذوي الضمائر » ذوو القلوب والحواسّ البدائية .

(١٤٢٩) السّترات : جمع سُتْرة ، ما يُسْتَرُ به ، أياً كان .

(١٤٣٠) المِشْكاة : كل كُوّة غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح .

(١٤٣١) الذّؤابة : الناصية ، أو مَنْبِتُها من الرأس .

(١٤٣٢) البَطْحاء : ما بين أخْشَبَيْ مكة ، كانت تسكنه قبائل من قريش ، ويقال لهم قريش البِطاح .

(١٤٣٣) مَوَاسِمُه : جمع مِيسَم ـ بكسر الميم ـ وهو المِكْواة ، يجمع على مواسم ومَيَاسم .

(١٤٣٤) انجابَتْ : من قولهم : انجابت الناقة ، إذا مدتِ عُنُقَها للحَلْب

(١٤٣٥) خابطها : السائر عليها .

(١٤٣٦) قامت على قُطْبها : تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها .

(١٤٣٧) شُعَب : جمع شُعْبَة : وهو الفرع .

(١٤٣٨) تَكيلكم : أي تأخذكم للهلاك جملةً كما يأخذ الكيّال ما يكيله من الحبّ .

(١٤٣٩) تَخْبِطكم : من « خَبَطَ الشجرة » ضربها بالعصيّ ليتناثر ورقها ، أو من خبط البعير بيده الأرضَ أي ضربها . وعبّر بالباع ليفيد استطالتها عليهم ، وتناولها لقريبهم وبعيدهم .

(١٤٤٠) الثُفالة ـ بالضم ـ كالثُفل والثافل : هو ما استقرّ تحت الشيء من كُدْرة . وثُفالة القِدْر : ما يبقى في قَعْرِه من عُكارة والمراد الأرذال والسّفْلة .

(١٤٤١) النُفاضة : ما يسقط بالنفض . والعِكْم ـ بالكسر ـ العِدْل بالكسر أيضاً ، ونَمَطٌ تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض لينظف .

(١٤٤٢) العَرْك : شديد الدّلْك . وعَرَكَه حَكّهُ حتى عفاه . والأديم :الجلد

(١٤٤٣) الحَصيد : المحصود .

(١٤٤٤) البَطِينة : السمينة .

(١٤٤٥) **الرّبّاني** :ـ بتشديد الباء ـ المتألّه العارف بالله عز وجل .
(١٤٤٦) **هتف بكم** : صاح بكم .
(١٤٤٧) **الرائد** : من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ، ويتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته .
(١٤٤٨) **قرف الصّمْغة** : قشرها . وخصّ هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قُشِرت لا يبقى لها أثر .
(١٤٤٩) **الفَنِيق** : الفحل من الإبل .
(١٤٥٠) **كُظُوم** : إمساك وسكون .
(١٤٥١) **كان الولد غيظاً** : يغيظ والده لشبُوبه على العقوق .
(١٤٥٢) **القَيْظ** : شدة الحر : والمراد بكون المطر قَيْظاً عدم فائدته .
(١٤٥٣) **تغيض** : من « غاض الماء » إذا غار في الأرض وجفّت ينابيعُهُ .
(١٤٥٤) **لا يُفْلِتُكَ** : لا يَنفلِتُ منكَ
(١٤٥٥) **المَهِين** : الحقير ، يريد النُطْفَة .
(١٤٥٦) **المَنُون**: الدهر. والرَّيْب: صَرْفُهُ . أي لم تفرّقهم صروف الزمان .
(١٤٥٧) **زَرَى عليه** ـ كرمى ـ عابَهُ .
(١٤٥٨) البلاء يكون نعمة ويكون نقمةً ، ويتعيّن الأول بإضافة الحسن اليه.أي ما عبدوك إلا شكراً لنعمتك عليهم.
(١٤٥٩) **المَأدُبة** : بضم الدال وفتحها : ما يصنع من الطعام للمدعوّين في عرس ونحوه ، والمراد منها هنا نعيم الجنة .
(١٤٦٠) **أعْشاه** : أعماه .
(١٤٦١) **على الغِرّة** : بكسر الغين ـ بغتةً وعلى غفلة .
(١٤٦٢) **وُلُوجاً** : دُخُولا .
(١٤٦٣) **أغمَضَ** : لم يفرّق بين حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميّز.
(١٤٦٤) **تبِعاتها** ـ بفتح فكسر ـ ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطّي حدود شرعه في جمعها .
(١٤٦٥) **المَهْنأ** : ما أتاك من خير بلا مشقة
(١٤٦٦) **العِبْء** : الحِمل والثِّقَل .
(١٤٦٧) **غَلِقَتْ رهُونُهُ** : استحقّها مُرْتَهِنُها،وأعوَزَتْهُ القدرةُ على تخليصها،كناية عن تعذّر الخلاص.
(١٤٦٨) **أصْحَرَ له** : من « أصْحَرَ » إذا برز في الصحراء، أي على ما ظهر له وانكشف من أمره .
(١٤٦٩) « **خالَطَ لسانَه سَمْعَهُ** » : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .
(١٤٧٠) **الْتِياطاً** : التصاقاً به .
(١٤٧١) **زَوْرَتَه** : زيارته .
(١٤٧٢) **أمادها** : حركها على غير انتظام.
(١٤٧٣) **فَطَرَها** : صَدَعَها .
(١٤٧٤) **إخلاقهم** : من قولهم : « ثوب خلَق ، وثياب أخلاق » ،والمراد أن البِلى يشملهم كما يشمل الثياب البالية .

(١٤٧٥) **لا تنوبهم الأفزاع** : جمع فزع ، بمعنى الخوف . تنوبهم : تنتابهم.
(١٤٧٦) **أشخصه** : أزعجه .
(١٤٧٧) **السّربال** : القميص . والقطران معروف .
(١٤٧٨) **المقطّعات** : كل ثوب يقطّع كالقميص والجبة ونحوها، بخلاف ما لا يُقطّع كالإزار والرداء .
(١٤٧٩) عبّر «**بالكَلَب**» - محركاً - عن هيجانها .
(١٤٨٠) **اللّجب** : الصوت المرتفع .
(١٤٨١) **القصيف** : أشدّ الصوت .
(١٤٨٢) **كبُول** : جمع كبل - بفتح فسكون - القيد. وتُفصَم : تنقطع .
(١٣٨٣) **زوَاها** : قبضها .
(١٤٨٤) **الرّياش** : اللباس الفاخر .
(١٤٨٥) **مُعذِراً** : مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره .
(١٤٨٦) **مُختلَف الملائكة** - بفتح اللام - : محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد الآخر ، فيكون الثاني كأنه خلَف للأول ، وهكذا .
(١٤٨٧) **رحَضه** - كمنعه - غسله .
(١٤٨٨) **منسأة** : مطالٌ فيه ومزيد .
(١٤٨٩) **ألوَمُ** : أشد لوماً لنفسه ، لأنه لا يجد عذراً يقبل أو يرد .
(١٤٩٠) **الحَبْرة** - بالفتح - السرور والنعمة.
(١٤٩١) **حائلة** : متغيّرة .
(١٤٩٢) **نافذة** : فانية .
(١٤٩٣) **بائدة** : هالكة .
(١٤٩٤) **غوّالة** : مُهلِكة .
(١٤٩٥) **الهَشيم** : النبت اليابس المكسّر .
(١٤٩٦) **العَبْرة** - بالفتح - : الدمعة قبل أن تفيض .
(١٤٩٧) كنى « **بالبطن** » عن الإقبال .
(١٤٩٨) كنى « **بالظهر** » عن الإدبار .
(١٤٩٩) **الطلّ** : المطر الخفيف . وطلّته السماء : أمطرته مطراً قليلاً .
(١٥٠٠) **الدّيمة** : مطر يدوم في سكون ، لا رعد ولا برق معه .
(١٥٠١) **الرّخاء** : السّعة .
(١٥٠٢) **هتنت المُزْن** : انصبّت .
(١٥٠٣) **أوبى** : صار كثير الوباء ، والوباء هو المعروف بالريح الأصفر .
(١٥٠٤) **الغضارة** : النعمة والسّعة .
(١٥٠٥) **الرّغَب** - بالتحريك - الرغبة والمرغوب .
(١٥٠٦) **أرهقته التعبَ** : ألحقته به .
(١٥٠٧) **القوادِم** : جمع قادمة ، الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر ، وهي القوادم ، والعشر التي تحتها هي الخوافي .
(١٥٠٨) **يُوبقُه** : يُهلكه .
(١٥٠٩) **أُبهَة** - بضم فتشديد - عظمة.
(١٥١٠) **النّخوة** - بفتح النون - الافتخار.
(١٥١١) **دُوَل** - بضم الدال وفتح الواو المشددة - المتحوِّل .
(١٥١٢) **رنِق** - بفتح فكسر - كدِر .

(١٥١٣) **أجاج** : شديد الملوحة .
(١٥١٤) **الصَّبِر** — كَكَتِف — عُصارة شجر مرّ .
(١٥١٥) **سِمام** : جمع سم ، مثلث السين وهو من المواد ما إذا خالط المزاجَ أفسده فقتل صاحبه .
(١٥١٦) **رِمام** : جمع رُمَّة بالضم : وهي القطعة البالية من الحبل .
(١٥١٧) **مَوْفُورها** : ما كثر منها . مصاب بالنكبة ، وهي المصيبة : أي في مَعْرِض لذلك .
(١٥١٨) **مَحْرُوب** : من « حَرَبَهُ حَرَباً » — بالتحريك — إذا سلب ماله .
(١٥١٩) **ظهر قاطع** : راحلة تُركَبُ لقطع الطريق .
(١٥٢٠) **الفِدْيَة** : الفِداء .
(١٥٢١) **أرْهَقَتْهُمْ** : غَشِيَتْهُمْ ، القوادح : جمع قادح ، وهو أكال — كزُكام — يقع في الشجر والأسنان .
(١٥٢٢) **أوْهَقَتْهُمْ** : جعلتهم في الوَهَق — بفتح الهاء — وهو حبل كالطِّوَل . والقوارع : المِحَن والدَّواهي .
(١٥٢٣) **ضَعْضَعَتْهُمْ** : ذَلَّلَتْهُمْ .
(١٥٢٤) **عفَّرتهم** : كَبَّتْهُمْ على مَنَاخِرِهم في العَفَر ، وهو التراب .
(١٥٢٥) **المَنَاسِم** : جمع مَنْسَمْ ، وهو مقدَّم خُفّ البعير ، أو الخُفّ نفسه .
(١٥٢٦) **دانَ لها** : خضع .
(١٥٢٧) **أخلدَ لها** : ركن اليها .
(١٥٢٨) **السَّغَب** — بالتحريك — الجوع .
(١٩٢٩) **الضَّنْك** : الضِّيق .
(١٥٣٠) **لا يُدْعَوْنَ رُكباناً** : لا يقال لهم رُكْبان : جمع راكب ، لأن الراكب من يكون مختاراً ، وله التصرّف في مركوبه .
(١٥٣١) **الأجْدَاث** : القبور .
(١٥٣٢) **الصَّفِيح** : وَجْهُ كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض .
(١٥٣٣) **الأجْنان** جمع جَنَن — بالتحريك — وهو القبر .
(١٥٣٤) **الرُّفات** : العظام المندقّة المحطومة .
(١٥٣٥) **جِيدُوا** - بالبناء للمجهول - مُطِروا .
(١٩٣٦) « **لا يُخْشى فَجْعُهُم** » : لا تخافُ منهم أن يفجعوك بضرر .
(١٥٣٧) **يَلِجُ** : يدخل .
(١٥٣٨) **القُلْعة** — بضم القاف وسكون اللام — : ليست بمُسْتَوْطَنَة .
(١٥٣٩) **النُّجْعَة** : — بضم النون — طلب الكلأ في موضعه ، أي ليست محطّ الرحال ولا مبلغ الآمال .
(١٥٤٠) **عَتِيد** : حاضر .
(١٥٤١) **اغْتُبِطُوا** : بالبناء للمجهول ، غبطهم غيرُهم بما آتاهم الله من الرزق .
(١٥٤٢) **زُوِيَ** : من « زَوَاه » : إذا نحّاه .
(١٥٤٣) عبّر « **باللَّعْقَة** » عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته .
(١٥٤٤) **البِطاء** — بكسر الباء — جمع بطيئة .
(١٥٤٥) **السِّرَاع** : جمع سريعة .

(١٥٤٦) غير مُغَادِرٍ : غير تارك شيئاً إلا أحاط به .
(١٥٤٧) وَعَاها : حفِظها وفهمها .
(١٥٤٨) حَمَى الشيء : منعه ، أي منعتهم ارتكاب محرّماته .
(١٥٤٩) الهَوَاجر : جمع هاجرة ، شدة حرّ النهار ، وقد أظمِئَتْ هذه الهواجرُ بالصيام .
(١٥٥٠) النَّصَب : التعب .
(١٥٥١) « الدَّهْر مُوتِرٌ قَوْسَهُ » : شبَّهه بمن أَوْتَرَ قوسَهُ ليرمي بها أبناءه.
(١٥٥٢) تُوسِّي : تُداوي ، من « أسَوْتُ الجراحَ » . داويته .
(١٥٥٣) لا يَنْقَع : لا يَشْتَفِي من العطش بالشرب .
(١٥٥٤) غِيَرُها ـ بكسر الغين وفتح الراء ـ تقلّباتها .
(١٥٥٥) « ليس ذلك إلا نعيماً زَلَّ » : من « زَلَّ فلان زَليلاً وزُلُولاً » إذا مرّ سريعاً . والمراد : انتقل .
(١٥٥٦) أضْحى : برز للشمس ، والفَيْءُ: الظلّ بعد الزوال ، أو مطلقاً .
(١٥٥٧) « لا جاء يُرَدّ » : الجاني يريد به الموتَ .
(١٥٥٨) دَخِلَ : ـ كفرح ـ خالطه فسادُ الأوهام .
(١٥٥٩) انصاحَتْ : جَفّتْ أعالي بقولها ويَبِسَت من الجدْب . وهذا أنسبُ من تفسير الرضيّ في آخر الدعاء.

(١٥٦٠) هامَتْ : نَدّتْ وذهبَتْ على وجوهها من شدة المَحْل . وهذا أنسب من تفسير الهيام بالعطش كما يقول الرضي في آخر الدعاء .
(١٥٦١) مَرَابِض : جمع مَرْبِض ، بكسر الباء ، وهو مَبْرَك الغنم .
(١٥٦٢) عَجّتْ عَجيجَ الثَّكالى : صاحت بأعلى صوتها .
(١٥٦٣) الآنَة : الشاة .
(١٥٦٤) الحانَة : الناقة .
(١٥٦٥) مَوَالجها : مداخلها في المرابض.
(١٥٦٦) مَخَايل : جمع مُخيلة ـ كمُصيبة ـ هي السحابة تظهر كأنّها ماطرة ثم لا تمطر . والجَوْد ـ بفتح الجيم المطر.
(١٥٦٧) المُبْتَئِس : الذي مسّتْهُ البأساءُ والضرّاء ، والبلاغ : الكفاية .
(١٥٦٨) السَّوَامُ : جمع سائمة ، وهي البهيمة الراعية من الإبل ونحوها .
(١٥٦٩) انْبَعَقَ المُزْن : انفرج عن المطر كأنما هو حيّ ، انشقت بطنه فنزل ما فيها .
(١٥٧٠) أغْدَقَ المطرُ : كثر ماؤه .
(١٥٧١) المُونِقُ : من « آنَقَني » إذا أعجبني ، أو من « آنَقَهُ » إذا سرّه وأفرحه .
(١٥٧٢) سَحّاً : صَبّاً ، والوابل : الشديد من المطر الضخم القَطْر .
(١٥٧٣) المَريعَة ـ بفتح الميم ـ الخصيبة .

(١٥٧٤) **زاكياً** : نامياً .
(١٥٧٥) **ثامِراً** : مُثْمِراً ، آتياً بالثمر .
(١٥٧٦) **النّجاد** ـ جمع النجد ـ ما ارتفع من الأرض .
(١٥٧٧) **الوِهاد** ـ جمع الوَهْدة ـ ما انخفض من الأرض .
(١٥٧٨) **الجَناب** : الناحية .
(١٥٧٩) **القاصية** : البعيدة عنا من أطراف بلادنا في مقابلة جنابنا .
(١٥٨٠) **ضاحية الماء** : التي تشرب ضُحىً ، والضَّواحي : جمعها .
(١٥٨١) **المُرْمِلة** : بصيغة الفاعل : الفقيرة
(١٥٨٢) **مُخْضِلة**: من «أخْضَلَهُ» إذا بَلّهُ .
(١٥٨٣) **الوَدْق** : المطر .
(١٥٨٤) **يَحْفِز** : يدفع .
(١٥٨٥) **البرق الخُلّب** : ما يُطْمِعُكَ في المطر ولا مطرَ معه .
(١٥٨٦) **الجَهام** : بفتح الجيم ـ السّحاب الذي لا مطر فيه . والعارض : ما يَعْرِضُ في الأفُق من السحاب
(١٥٨٧) **الرّباب** : السحاب الأبيض . والقَزَع من الرّباب فسّره الرّضي بالقطع الصغيرة المتفرقة من السحاب.
(١٥٨٨) **الذّهاب** ـ بكسر الذال ـ جمع ذِهْبَة ـ بكسر الذال أيضاً : الأمطار القليلة أو الليّنة ، كما قال الشريف في تفسيرها .
(١٥٨٩) **المُسْنِتُون** : المُقْحِطُون .
(١٥٩٠) **وانٍ** : متباطىء متثاقل .
(١٥٩١) **واهِن** : ضعيف .
(١٥٩٢) **المُعَذِّر**: من يعتذر ولا يثبت له عذر .
(١٥٩٣) **الصّعُدات** ـ بضمتين ـ جمع صَعيد بمعنى الطريق ، أي : لتركتم منازلهم وهِمْتُم في الطّرُق من شدة الخوف .
(١٥٩٤) **الالْتِدام**: ضرب النساء صدورهن أو وجوهَهن للنياحة .
(١٥٩٥) **الخالِف** : من تتركه في أهلك ومالكَ، إذا خرجت لسفر أو حرب.
(١٥٩٦) **هَمّتْهُ** : حَزَنَتْهُ وشَغَلَتْهُ .
(١٥٩٧) **ميامين** ـ جمع مَيْمُون ـ مُبارَك .
(١٥٩٨) **مَراجيح** : أي حُلَماء ، من «رجح» إذا ثَقُلَ ومال بغيره والمراد الرّزانة .
(١٥٩٩) **مَقاوِيل** : جمع مِقْوَال ، من يُحْسِنُ القولَ .
(١٦٠٠) **مَتارِيك** : جمع مِتْرَاك ـ المبالغ في الترك .
(١٦٠١) **القُدُم** ـ بضمتين ـ المُضِيّ أمام ، أي سابقين .
(١٦٠٢) **الوَجِيف** : ضرب من سير الخيل والإبل . وأوْجَفَ خيلَه : سيّرها بهذا النوع ، والمراد السرعة .
(١٦٠٣) **المَحَجّة** : الطريق المستقيمة .
(١٦٠٤) «**الكرامة الباردة**» : من قولهم «عيش بارد» : أي هنيء .
(١٦٠٥) **الذّيّال** : الطويل القَدّ ، الطويل الذّيْل ، المتبختر في مشيته .

(١٦٠٦) كَرُمَ الشيء ـ كَحَسُنَ يَحْسُنُ أي عزّ ونفُس .
(١٦٠٧) الجُنَن ـ بضم ففتح ـ جمع جُنّة بالضم ، وهي الوقاية .
(١٦٠٨) البأس : الشدة .
(١٦٠٩) بطانة الرجل: خواصّه وأصحاب سرّه.
(١٦١٠) سدّده : وفّقه للسداد .
(١٦١١) القِدْح ـ بكسر القاف ـ السهم قبل أن يُراش ويُنصل .
(١٦١٢) الجَفِير: الكنانة توضع فيها السهام.
(١٦١٣) استَحارَ : تَرَدّدَ واضطرب .
(١٦١٤) الثِّفال ـ بكسر الثاء ـ جلد يُبْسَطُ ويوضع الرّحا فوقه فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق .
(١٦١٥) حُمّ : قُدّر .
(١٦١٦) قرّبت ركابي : حزمت إبلي وأحضرتها للركوب .
(١٦١٧) شَخَصْتُ : بعدتُ عنكم وتخليت عن أمر الخلافة .
(١٦١٨) الغَناء ـ بالفتح والمد ـ النفع .
(١٦١٩) « الهالك » هنا : الذي حُتّم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلّته .
(١٦٢٠) العِدات ـ جمع عِدة ـ بمعنى الوعد.
(١٦٢١) قاصدة : مستقيمة .
(١٦٢٢) عازِبُهُ : غائبه .
(١٦٢٣) عَوِزَ الشيء ـ كفرح ـ أي لم يوجد.
(١٦٢٤) الصّديد : ماء الجرح الرقيق ، والحميم .
(١٦٢٥) اللسان الصالح : الذّكر الحسن .
(١٦٢٦) يريد« بالعُقْدة »ما حصل عليه التعاقد.
(١٦٢٧) الضَلْع ـ بفتح الضاد وتسكين اللام ـ: المَيْل . وأصل المثل : « لا تنقش الشوكة بالشوكة ، فان ضَلْعها معها »يُضْرَبُ للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مَشْرَبه . ونَقش الشوكة : إخراجها من العضو تدخل فيه .
(١٦٢٨) الدّاء الدّوِيّ : بفتح فكسر ـ المؤلم الشديد. وقدوُصف بما هو من لفظه.
(١٦٢٩) كَلّتْ : ضَعُفت . والنّزَعة : جمع نازع .
(١٦٣٠) الأشْطان : جمع شَطَن ، وهو الحبل . والرّكِيّ : جمع رَكِيّة ، وهي البئر .
(١٦٣١) اللِّقاح : جمع لَقُوح ، وهي الناقة . ووَلّهَها إلى أولادها : فزّعها إليها إذا فارقتْها .
(١٦٣٢) « لا تُبَشّرُون بالأحياء » : إذا قيل لهم : نجا فلان فبقي حياً لا يفرحون ، لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق .
(١٦٣٣) « لا يُعزّوْن عن الموْتى » : لا يحزنون إذا قيل لهم : مات فلان ، فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية.
(١٦٣٤) « مُرْهُ العيون » جمع أمْرَه ، وهو على صيغة أفعَل الذي يجمع على فُعْل ، كأحمر وحُمْر ، مأخوذ من « مَرِهَتْ عَيْنُهُ » إذا فسدت أو ابيضّت حَمَالِيقُها .

(١٦٣٥) **خُمْصُ البطون** : ضَوَامِرُها .
(١٦٣٦) **ذَبُلَتْ شفتُهُ** : جَفَّتْ ويَبِسَتْ لذهاب الرِّيق .
(١٦٣٧) **يُسَنِّي** : يُسَهِّل .
(١٦٣٨) **فاصْدِفُوا** : فأعْرِضُوا .
(١٦٣٩) **نَزَغاته** : وساوسه .
(١٦٤٠) **اعْقِلُوها** : احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيعَ منكم .
(١٦٤١) المراد من **الخَصْلة** ـ بفتح الخاء ـ هنا الوسيلة .
(١٦٤٢) **لَمَّ شَعَثَهُ** : جمع أمره .
(١٦٤٣) **نتدانى بها** : نتقـارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .
(١٦٤٤) **رَبَاطَة الجأش** : قوة القلب عند لقاء الأعداء .
(١٦٤٥) **الفَشَل** : الجُبْن والضعف .
(١٦٤٦) **فَلْيَذُبّ** : فَلْيَدْفَعْ .
(١٦٤٧) **النَّجْدَة** ـ بالفتح ـ الشجاعة .
(١٦٤٨) **كَشِيش الضِّباب** : هو احتكاك جلودها عند ازدحامها . والضِّباب بكسر الضاد ـ جمع ضَبّ ، وهو الحيوان المعروف .
(١٦٤٩) **تَلَوَّمَ** : تَوَقَّفَ وتباطأ .
(١٦٥٠) **الدارع** : لابس الدِّرْع .
(١٦٥١) **الحاسر** : من لا دِرْعَ له .
(١٦٥٢) **أنْبَى** : صيغة أفعل التفضيل من « نَبَا السيف » إذا دفعَتْهُ الصلابة من موقعه فلم يَقْطَعْ .
(١٦٥٣) **الهام** : جمع هامة ، وهي الرأس .
(١٦٥٤) **الْتَوُوا** : انعَطِفوا وأميلوا جانبكم لِتَزَلَّقَ الرماح ولا تنفذ فيكم أسِنَّتُها .
(١٦٥٥) **أمْوَرُ** : أي أشدّ فعلاً للمَوْر ، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ .
(١٦٥٦) **الذِّمار** : بكسر الذال ، ما يلزم الرجلَ حفظُهُ وحمايته من ماله وعرضه .
(١٦٥٧) **حقائق** : جمع حاقّة ، وهي النازلة الثابتة .
(١٦٥٨) **يَحُفّون بالرايات** : أي يستديرون حولها .
(١٦٥٩) **يكتنفونها** : يحيطون بها .
(١٦٦٠) **حِفَافَيْها** : جانبيْها .
(١٦٦١) « **أجْزَأَ امْرِؤٌ قِرْنَهُ** » : فعل ماضٍ في معنى الأمر ، أي : فليَكْفُف كلّ منكم .قِرْنه أي كفوْه ، فيقتله .
(١٦٦٢) « **لم يَكِلْ قِرْنَهُ لأخيه** » : لم يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبا نه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه .
(١٦٦٣) **هَامِيم** : جمع لِهَمْيم ـ بالكسر ـ الجواد السابق من الإنسان والخيل .
(١٦٦٤) **مَوْجِدَته** : غضبه .
(١٦٦٥) **العَوَالي** : الرماح .
(١٦٦٦) **تُبْلَى** : تُمْتَحَن .
(١٦٦٧) **أبْسَلَهُ** : أسلمه للهلكة .

(١٦٦٨) دِرَاك ـ ككتاب ـ : متتابع متوالٍ في أبدانهم أبواباً يمرّ فيها النسيم .
(١٦٦٩) يُنْدِرها : ـ كيُهلكها ـ : أي يُسقطها .
(١٦٧٠) المَنَاسر : جمع مَنْسِر ـ كمجلس ـ القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم .
(١٦٧١) الكتائب : جمع كتيبة ، من المئة إلى الألف .
(١٦٧٢) الحَلائِب : جمع حلبة ، الجماعة من الخيل تجتمع من كل صَوْبٍ للنصرة .
(١٦٧٣) دَعَقَ الطريق : ـ كمنع ـ وطئه في شدة وقوة . ودَعَقَ الغارةَ : بثها .
(١٦٧٤) أعنان الشيء : أطرافه .
(١٦٧٥) المَسارِب : المذاهب للرَعْي .
(١٦٧٦) دَفَّتا المصحف : جانباه اللذان يَكْنُفانه .
(١٦٧٧) الأكْظام : جمع كَظَم ـ محركة ـ مخرج النفس . والأخذ بالأكظام : المضايقة والاشتداد بسلب المهلة .
(١٦٧٨) كَرَثَهُ ـ كنصره وضربه ـ : اشتد عليه الغمّ .
(١٦٧٩) مُوزَعين : من « أوزَعَهُ » : أي أغراه ، وأصله بمعنى ألهَمَ .
(١٦٨٠) لا يَعْدِلون به : أي لا يستبدلونه بالعدل .
(١٦٨١) نُكُب : جمع ناكب : الحائد عن الطريق .
(١٦٨٢) « ما أنتم بوثيقة » : أي لستم عروةً وثيقةً يستمسك بها .
(١٦٨٣) زافرة الرجل : أنصاره وأعوانه .
(١٦٨٤) الحُشّاش : جمع حَاشّ ، من « حَشَّ النارَ » إذا أوقدها . والمراد : « لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم » .
(١٦٨٥) بَرْحاً ـ بفتح الباء ـ شرّ أو شدة .
(١٦٨٦) يوم النداء : يوم الدعوة إلى الحرب .
(١٦٨٧) يوم النّجاء : يوم العتاب على التقصير . وأصل النجاء : الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر .
(١٦٨٨) « لا أطُورُ به » : من « طار يَطُور » إذا حام حول الشيء ، أي : لا أمُرّ به ولا أقاربه .
(١٦٨٩) ما سَمَرَ سمير : أي مدى الدهر .
(١٦٩٠) أمَّ : قصد .
(١٦٩١) خَدِينٌ : صديق .
(١٦٩٢) « ضرَبَ به تيهَهُ » : سلك به في بادية ضلالته .
(١٦٩٣) الشِّعار : علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً .
(١٦٩٤) البُجْر : بضم الباء : الشر والأمر العظيم .
(١٦٩٥) خَتَلْتكم : خدعتكم . والتلبيس : خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف .
(١٦٩٦) الصَّمْد : القصد .

(١٦٩٧) **الملاحم** : جمع مَلْحمة ، وهي الوقعة العظيمة .

(١٦٩٨) **اللّجَب** : الصياح .

(١٦٩٩) **اللّجُم** : جمع لجام . وقَعْقَعتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل .

(١٧٠٠) **الحَمْحَمَة** : صوت البِرْذَوْن عند الشعير .

(١٧٠١) **سِكَك** : جمع سِكّة : الطريق المَستوي .

(١٧٠٢) **أجنحة الدّور** : رواشنها . وقيل : إن الجناح والرَّوْشَن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله ، وإلا فهو الساباط ، ويختلفان في أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الرَّوْشن.

(١٧٠٣) **الخراطيم** : الميازيب تطلى بالقار .

(١٧٠٤) **المَجَانّ المُطْرَقة** : النعال التي أُلزِقَ بها الطِراق - ككتاب - وهو جلد يُقَوّر على مقدار الترس ثم يُلْزَق به .

(١٧٠٥) **السَرَق** :- بالتحريك - شقق الحرير الأبيض .

(١٧٠٦) **«يعتَبِقُون الخيلَ العِتاقَ»** : يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

(١٧٠٧) **استحرار القتل** : اشتداده .

(١٧٠٨) **تَضْطَمّ** : هو افتعال من الضمّ ، أي وتنضمّ عليه جوانحي. والجوانح الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها .

(١٦٦٨) [illegible]

(١٦٦٩) يُشَذِّرونها : أي [illegible] .

(١٦٧٠) المناسر : جمع منسر ، كمجلس : القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم .

(١٦٧١) الكتائب : جمع كتيبة ، من المئة إلى الألف .

(١٦٧٢) المقانب : جمع مقنب ، الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للغارة .

(١٦٧٣) دعكوا الطريق : [illegible] ، ودعكه في شدة وقوة ، ودعكوا الطريق : ذللوه .

(١٦٧٤) أعنان الشيء : أطرافه .

(١٦٧٥) المشارب : المذاهب الطرق .

(١٦٧٦) [illegible] : [illegible] .

(١٦٧٧) الأكظام : جمع كظم ، محركة : مخرج النفس ، والأخذ بالأكظام : المضايقة والاشتداد بسبب الهلاك .

(١٦٧٨) [illegible] : [illegible] .

(١٦٧٩) [illegible] : من [illegible] أي الرأي ، وأصلها [illegible] .

(١٦٨٠) لا يستبدلون به : أي لا يستبدلونه بالمثل .

(١٦٨١) نُكُب : جمع ناكب : العادل عن الطريق .

(١٦٨٢) [illegible]

(١٦٨٣) [illegible]

(١٦٨٤) [illegible]

(١٦٨٥) [illegible]

(١٦٨٦) [illegible]

(١٦٨٧) [illegible]

(١٦٨٨) [illegible]

(١٦٨٩) [illegible]

(١٦٩٠) [illegible]

(١٦٩١) [illegible]

(١٦٩٢) [illegible]

(١٦٩٣) [illegible]

(١٦٩٤) [illegible]

(١٦٩٥) [illegible]

(١٦٩٦) [illegible]

رموزالكتاب

ب : لقرب الاسناد .
بشا : لبشارةالمصطفى .
تم : لفلاح السائل .
ثو : لثواب الاعمال .
ج : للاحتجاج .
جا : لمجالس‌المفيد .
جش : لفهرست النجاشى .
جع : لجامع‌الاخبار .
جم : لجمال الاسبوع .
جنة : للجنة .
حة : لفرحة الغرى .
ختص : لكتاب‌الاختصاص .
خص : لمنتخب البصائر .
د : للعدد .
سر : للسرائر .
سن : للمحاسن .
شا : للارشاد .
شف : لكشف‌اليقين .
شى : لتفسيرالعياشى .
ص : لقصص الانبياء .
صا : للاستبصار .
صبا : لمصباح الزائر .
صح : لصحيفةالرضا (ع) .
ضا : لفقه‌الرضا(ع) .
ضوء : لضوء الشهاب .
ضه : لروضة الواعظين .
ط : للصراط المستقيم .
طا : لامان الاخطار .
طب : لطب الائمة .

ع : لعلل الشرائع .
عا : لدعائم الاسلام .
عد : للعقائد .
عدة : للعدة .
عم : لاعلام الورى .
عين : للعيون والمحاسن .
غر : للغرروالدرر .
غط : لغيبةالشيخ .
غو : لغوالى اللئالى .
ف : لتحف‌العقول .
فتح : لفتح‌الابواب .
فر : لتفسيرفرات‌بن ابراهيم
فس : لتفسير على بن ابراهيم
فض : لكتاب الروضة .
ق : للكتاب العتيق الغروى
قب : لمناقب ابن شهرآشوب
قبس : لقبس المصباح .
قضا : لقضاء الحقوق .
قل : لاقبال‌الاعمال .
قية : للدروع .
ك : لاكمال‌الدين .
كا : للكافى .
كش : لرجال الكشى .
كشف : لكشف‌الغمة .
كف : لمصباح‌الكفعمى .
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
ل : للخصال .

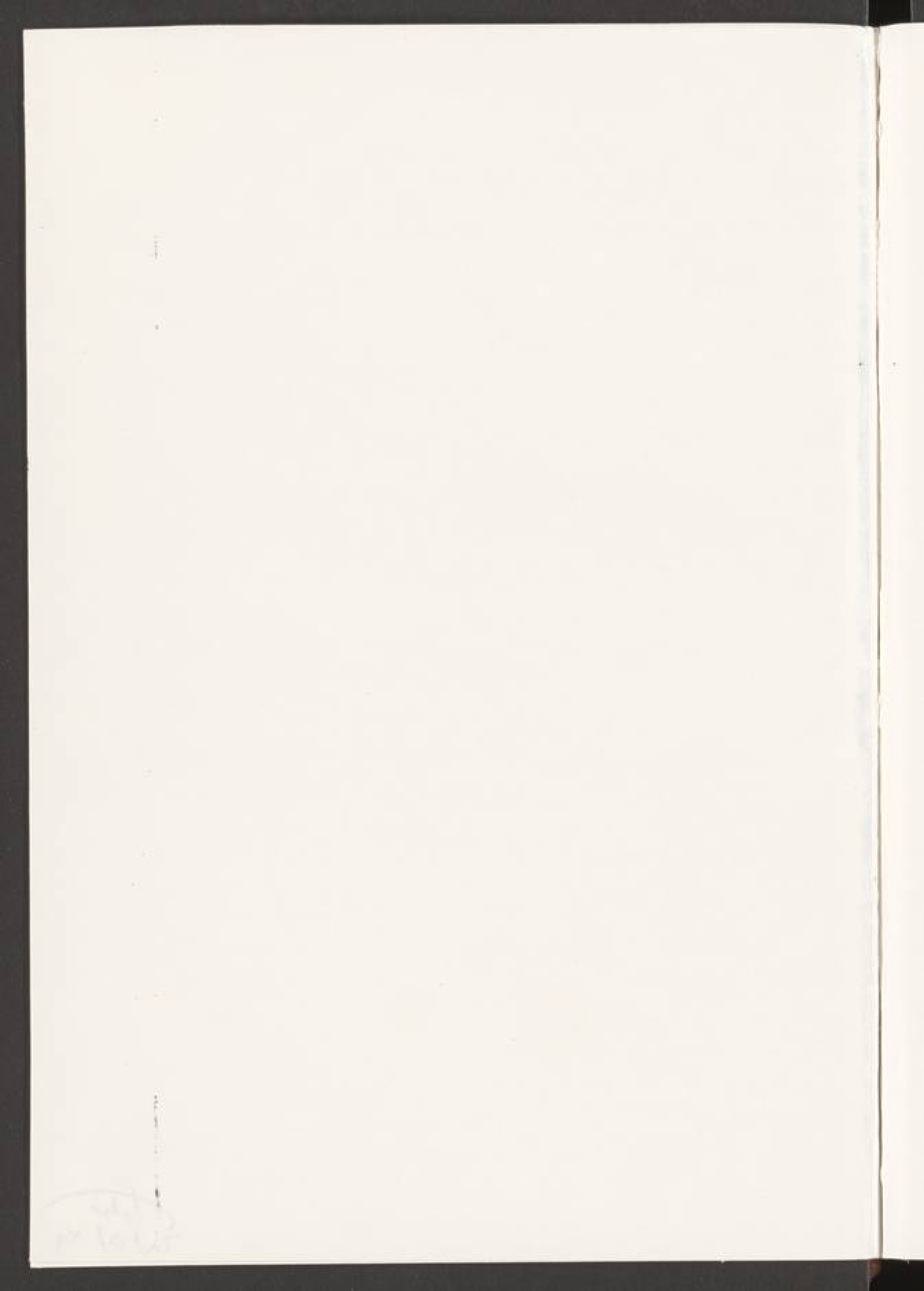
لد : للبلدالامين .
لى : لامالى‌الصدوق .
م : لتفسيرالامام‌العسكرى(ع).
ما : لامالى‌الطوسى .
محص : للتمحيص .
مد : للعمدة .
مص : لمصباح‌الشريعة .
مصبا : للمصباحين .
مع : لمعانى‌الاخبار .
مكا : لمكارم‌الاخلاق
مل : لكامل الزيارة .
منها : للمنهاج .
مهج : لمهج‌الدعوات .
ن : لعيون‌اخبارالرضا(ع).
نبه : لتنبيه الخاطر .
نجم : لكتاب النجوم .
نص : للكفاية .
نهج : لنهج‌البلاغة .
ني : لغيبة النعمانى .
هد : للهداية .
يب : للتهذيب .
يج : للخرائج .
يد : للتوحيد .
ير : لبصائر الدرجات .
يف : للطرائف .
يل : للفضائل .
ين : لكتابى الحسين‌بن‌سعيد او لكتابه والنوادر .
يه : لمن لايحضره الفقيه .

الفهرس التفصيلي لموادّ الكتاب
على ترتيب صفحاتها في هذا المجلّد

فهرس العناوين (٧)

المقدّمة (٩ ــ ١٨)

خطب أميرالمؤمنين عليه السلام (١٩ ــ ٤٣١)



صلوات
٢٩/٥/٦٨

